

بُحُورٌ

مَهْرَجَانُ رَبِيعِ الشَّهَادَةِ الثَّقَافِي الْعَالَمِيِّ
الثَّالِثِ عَشَرَ

المنعقد تحت شعار

الاصلاح الحسيني
غَيْثٌ مِنْهُمْ وَفَيْضٌ مُسْتَمِرٌّ

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

اسم الكتاب
بحوث مهرجان ربيع الشهادة
الثقافي العالمي الثالث عشر

الإشراف العام
السيد أفضل الشامي
السيد عقيل عبد الحسين الياسري

المراجعة و التدقيق اللغوي
صباح نعيم جاسم
محمد رضا جاسم
حيدر فائق هادي
محمد يوسف محمد

الناشر
اللجنة الإعلامية لمهرجان
ربيع الشهادة الثالث عشر

التصميم والإخراج الطباعي
حسين عقيل

الطبعة
الأولى



المقدمة

إنَّ نهضة الإمام الحسين -عليه السلام- قد تجاوزت الزَّمان والمكان المحددين لها لتشمل كل أرجاء المعمورة، وستبقى تأخذ بالاتساع في كلِّ المجالات الفكرية والعملية.

لقد أثبتت للعقول أجمع أنَّها لا يمكن إحصاء مآثرها وأهدافها ودروسها، وهذا ما نلاحظه حينها نطلُّع على سعة القراءات الهادفة إلى تأمل دلالاتها والاستفادة من معطياتها العديدة.

وقد أفرز لنا الحراك البحثي والنقدي المستمر فكرة ضرورة التواصل بين الخطوط الفكرية بشكلٍ متطورٍ ورؤى جديدة؛ ليتمكن لها أن تحقق إدراكاً أعمق لدروس هذه النهضة المباركة ومضامينها الإلهية. ولا يقف الأمر عند هذا الحد إذ يساهم هذا التواصل الفكري المتعاقب على تعميق الوعي بالأحداث الكبرى والمهمة في تأريخنا الإسلامي، وتمنح القارئ فرصة الوقوف عن كثب أمام ما أنتجه الآخرون، لفحص طرائقهم في المعالجة والقراءة، إذا ما كانت هذه المراجعة محطة أساسية يقف عندها الباحث بين الحين والآخر. ولعلَّ من أبرز وأهم ما يتمخض عنه هذا الفعل هو التأكيد على أهمية المراجعة المقترنة بإعادة تقييم الخطوات البحثية، والأدوات النقدية، ووضعها موضع المساءلة، ومن ثم العمل على تحديث الكيفية التي نقرأ من خلالها متون التاريخ، ومفاصله الكبرى بشكلٍ عام، ونهضة الإمام الحسين -عليه السلام- بشكلٍ خاص.

إنَّ مهرجان ربيع الشهادة الثقافي العالمي الثالث عشر الذي أقامته العتبتان

الحسينية والعبّاسية المقدّستان في شهر شعبان المعظم تحت شعار (الإمام الحسين عليه السلام غيث منهمر، وفيض مستمر)، ومن خلال إحدى فعاليّاته المتمثلة بالجلسات البحثية، يُمثّل وجهاً من وجوه التفاعل البحثي والفكري حول النهضة الحسينية المباركة، وحرصت العتبتان على جعل هذه الجلسات مفردة أساسية من منهاج هذا المهرجان السنوي.

لقد اتسمت بحوث هذا المهرجان بعمق العناوين، وثراء المناقشة، فقد تناولت البحوث أهم قضية وشخصية حفظت تاريخ الأنبياء - صلوات الله عليهم -، بل حفظت تاريخ كل الإنسانية إلى يوم القيامة ألا وهي قضية نهضة وشخصية الإمام الحسين - عليه السلام -، والقضايا، والدروس، والعبر المتعلقة بها، وقد أصبحت تمثل واقعاً مستمراً بما تمتلك من حيوية الحضور الفاعل والمؤثر وجدانياً لكل زمان ومكان.

وما يميّز الجلسات البحثية لمهرجان ربيع الشهادة اجتماع النخب العلمية من جميع دول العالم دون ملاحظة خصوصيّة مذهبيّة أو دينيّة أو عرقيّة أو قوميّة، فتجد الكلّ من جميع الأديان ومن جميع القوميات وجميع الملل يجردون أنّ الإمام الحسين - عليه السلام - الأنموذج والقُدوة، ونقطة إلهام في مسيرتها نحو الغد الأفضل.

صباح الصافي

تصدع المجتمع الإسلامي في القرن الأول للهجرة النبوية بين فكر الإمام الحسين عليه السلام وفكر (فرانسيس فوكوياما) دراسة انثروبولوجية

السيد نبيل بن قدوري الحسيني / العراق-كربلاء المقدسة

إنَّ الذي يدفع العقل إلى البحث في سلوك الإنسان -مصلحًا كان أم مفسدًا- هو النظر إلى ثقافة الإنسان ونشأته الاجتماعية، ودراسة هذه الثقافة، وأنماطها، ومفاهيمها، وآثارها، وإمكانية نقلها إلى مجتمعٍ آخر، بمعنى إنَّ الإنسان محكوم بما ينقل إليه من أفكار، ومفاهيم، ولغة، وسلوك، ومن ثم فهو ابن هذه الثقافة التي نقلت إليه.

وحيثما نأتى للبحث في سلوك الإنسان المسلم في القرن الأول للهجرة النبوية -مصلحًا كان هذا الإنسان أم مفسدًا- ننظر إلى ثقافته، ونشأته الاجتماعية، ودراسة هذه الثقافة، وأنماطها، ومفاهيمها، ومن ثم فهو محكوم بهذه الثقافة التي نقلت إليه.

فالبحث يدرس إشكالية وبحسب ما تفرضه النظرية الاستقرائية إلى الموروث الثقافي للمسلم، هذا الموروث الثقافي نشأ على المغايرة في المفاهيم، ومن ثم فقد تغيرت تبعًا لهذه المفاهيم الثقافية للمجتمع الإسلامي في القرن الأوّل الهجري، فالنمط الأوّل لهذه الثقافة يقدم مفهومًا عن القرن الأول للهجرة النبويّة بأنّه خير القرون، فقد أخرج البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وغيرهم

بلفظين أحدهما عن عمران بن حصين أنه قال: قال رسول الله ﷺ (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)^(١) قال عمران بن حصين لا أدري أذكر النبي بعد قرنين أو ثلاث، قال النبي ﷺ: (إنَّ بعدكم قومًا يخونون ولا يأتون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السم)^(٢)، هذا النمط الأوّل الذي يتحدّث عن ثقافة المجتمع الإسلامي في القرن الأوّل الهجري.

هناك نمط آخر مغاير أخرجه الشيخ الكليني عليه الرحمة في الكافي، والشيخ الطوسي، والشريف الرضي في نهج البلاغة، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه هذا النمط الآخر، ينقل لنا حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حينما وارى بضعة النبي فاطمة الزهراء عليها السلام فحول وجهه الى قبر رسول الله ﷺ وهو يخاطب النبي فقال: (واها واها والصبر أيمن وأجمل ولو لا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزماً معكوفاً، ولأعولت إعوالم الثكلي على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، وتهضم حقها، ويمنع إرثها، ولم يتباعد العهد، ولم يخلق منك الذكر، وإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أحسن العزاء)^(٣)، هذا النمط الثاني نمط مغاير عن النمط الأوّل تكوّنت من خلاله ثقافة المجتمع الإسلامي في القرن الأوّل الهجري، حينما نأتى الى هذه المغايرة في النمط الثقافي ونعرضها على أحدث المدارس التي اهتمت في الثقافات الاجتماعية ولاسيما العالم والفيلسوف فرانسيس

١- أخرجه البخاري (٣/ ١٧١).

٢- صحيح مسلم: ٢٥٣٥.

٣- الكافي ١: ٤٥٩.

فوكوياما الذي يعد أحد الفلاسفة المعاصرين، وصاحب كتاب (التصدع العظيم) الذي بحث فيه ما تؤول إليه المجتمعات المعاصرة من تصدّع وتفكك بصدد الثقافات التي غيرت في هذه المجتمعات.

هذه النظريات الحديثة التي توصل إليها أهل الاختصاص في دراسة الإنسان، وكما يعرف علم الانثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية هذه النظريات المعاصرة تحدّث عنها الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء حينما برز إليه نخبة من أهل ذلك القرن (القرن الأول الهجري) وتجمّعوا في الكوفة، ولا يخفى أن الكوفة عندما أسست كانت حاضنة للجند، ومن ثم اجتمعت فيها معظم القبائل العربية، القبائل النجدية، والقبائل اليمنية، والحجازية، بالإضافة الى ما جلب الى الكوفة من أرض فارس في زمن عمر بن الخطاب، وبالتالي هذا التنوع في تكوين المجتمع الكوفي جعل هناك مغايرة أيضًا في هذه الأنماط الثقافية، وحينما نعود الى دعاء الإمام الحسين عليه السلام وخطابه لأهل الكوفة يتحدّث عن أحدث النظريات التي توصل إليها علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية، وإذا أخذنا مقطعًا من خطبته عليه السلام وحاولنا قدر المستطاع في الإشارة الى تلك المكونات النشأوية الثقافية التي توصل إليها علماء الانثروبولوجيا التي بيّنها الإمام الحسين عليه السلام في خطابه الى أهل الكوفة وهو يبيّن الى الأمة الأسباب التي دعت بهؤلاء الى أن يأتوا الى كربلاء ويرتكبوا هذه المصيبة، قال عليه السلام في خطابه لهم ((فسحقًا لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرف الكلم، وعصبة الاسم، ونفثة الشيطان، ومطفأ السنن، وملحق العهرة

بالنسب، ولَبَّس ما قَدَّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، أفهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون!! أجل والله، خذل فيكم معروف نبتت عليه أصولكم، وأتذرت عليه عروقكم، فكنتم أحبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب))^(١)

على قصر هذا النص الشريف في خطابه لأهل الكوفة إلا أنه يجدد ثلاثة مكوّنات أساسية للثقافة الاجتماعية التي عمد الى دراستها علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية:

المكوّن الأوّل: تصنيف الذات

أثر نظرية تصنيف الذات، وهذه النظرية حديثة توصل إليها أهل الاختصاص في تكوين الأناسة الثقافية، وهذا المكوّن حدّده الإمام في كلمتين فقال «سحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب»، والعبيد والشذاذ هما وجهان لحالة اجتماعية واحدة هو تصنيف الذات، ولغةً: (هم الذين يكونون في القوم ليسوا في قبائلهم ولا منازلهم)، وهذه طبيعة مجتمع الكوفة كان مجموعة من القبائل، بمعنى أنّهم ليسوا من أهل الكوفة الأصليين إنّما مجاميع من القبائل التي أصلها في مناطق أخرى كاليمن والحجاز والشام والديلم جاءوا الى الكوفة لغرض معيّن وهو المشاركة في الفتوحات الإسلامية، والمعنى الآخر أنّهم شذوا عن الهوية الإسلامية، والهوية الاجتماعية التي يكون طابعها الثقافي هو الإسلام، وأصبحوا تحت مكوّن ثقافيّ آخر وهو الجاهلية الذي

١- كشف الغمة/ ٢/ ١٨.

يريد الفتك بالإسلام؛ أي الأحزاب الذين تجمَّعوا بقيادة إبي سفيان للقضاء على الإسلام ورسوله ﷺ، فالهوية الاجتماعية واحدة، وتصنيف الذات أيضاً واحد؛ سواء كانت ضمن مسمّى جيش أبي سفيان في الأحزاب، أو جيش عمر بن سعد الذي خرج لقتال الإمام الحسين عليه السلام. ولكي يتَّضح المعنى أكثر لا بد من الرجوع الى تلك الدراسات الاناسية الانثروبولوجيا التي تناولت البحث والتَّقصي في عوامل نشوء هذه الثقافة الواحد، واتخذت نظرية تصنيف الذات أحد المكوّنات في هذه المغايرة. نصّ النظرية يقول إنّ الأفراد يشعرون بعضويتهم للجماعة عندما يدركون أوجه التشابه فيما بينهم وبين أفرادٍ آخرين، ويشعرون أيضاً بعضويتهم للجماعة عندما يدركون أوجه الاختلاف بينهم، وهؤلاء الذين يشبهونهم، وبين الأفراد الآخرين الذين يبدوون مختلفين، وهذا المعنى في هذه النظرية الحديثة نظرية تصنيف الذات أشار إليها المصطفى عليه السلام حينما قال: ((من أحب قوماً حُشر معهم))^(١)، وقوله عليه السلام: ((من أحبَّ عمل قوم أشرك في عملهم))^(٢) هذه هي النظرية الأولى أو المكوّن الأوّل الذي عرف بتصنيف الذات، أشار إليه الإمام الحسين في التركيبة الثقافية لهذا الجمع الذي جاء من أجل محاربته وقتله .

المكوّن الثاني: التَّنشئة الاجتماعية وأثرها في تكوين الطباع

هذا المكون احتوى على مجموعة أكبر من العناصر التي كوَّنت ثقافة الإنسان

١- كنز العمّال: ٩ / ٢١ / ٢٤٧٣٠.

٢- بشارة المصطفى: ٧٥.

في المجتمع الكوفي وفي المجتمع الإسلامي خلال القرن الأوّل، وهي تكشف عن طبيعة التّنشئة الاجتماعية لهؤلاء، والتي كانت سبباً طبيعياً لتكوين الطّباع السيئة لديهم، مما ترجم الى واقع عمليّ في يوم عاشوراء، وتعود هذه الطّباع السيئة في مقاتلة أهل الكوفة أو في أيّ مجتمع من المجتمعات إلى التّنشئة الاجتماعية أو التّربية، فالتربية هي الوسيلة التي يتم بها فرض الثقافة، وما تنقله التربية للصغار لا يمكن أن تكون إلا من نواة الثقافة الأم التي عاصرت وعاشت في المجتمع، من هنا يأتي (دوركايم) الذي يُعد من أبرز علماء الاجتماع، يقول: (ليس هناك تربية مثالية أو نموذج مثالي للفرد الذي نربيّه)، النموذج المثالي يخص كل مجتمع على حدة يتغير عبر الزمان والمكان، ومن ثم المجتمع الإسلامي الذي جاء إليه القرآن الكريم والنبي المصطفى ﷺ نشأ على ثقافة قرآنية لكن بدأت عوامل جديدة تظهر في هذا المجتمع فغيّرت من ثقافته ومن مكوّناته ومعطياته الثقافية، بناءً عليه يرى (دوركايم) التربية على أنّها (الفعل الذي تمارسه الأجيال البالغة على الأجيال التي لم تنضج بعد للحياة الاجتماعية، وهي تقوم بإثارة مجموعة من الحالات الجسدية والذهنية والأخلاقية وتنميتها لدى الطفل حسبما يطلبها منه المجتمع السياسي والوسط الخاص الذي ينتمي إليه)، بهذا المعنى يوجد في كلّ منّا، بحسب العالم الاجتماعي دوركايم هذا النّمط من التربية، أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في خطابه الى أهل الكوفة فقال: «وملحق العهرة بالنسب» والقضية معروفة في إلحاق معاوية بزياد بن أبيه الى أبي سفيان، وقوله عليه السلام: «ألا أنّ الدّعي ابن

الدَّعي» أيضًا يؤكِّد أنَّ هناك عوامل بدأت مخالفة للقرآن الكريم، ومخالفة للقوانين السماوية، ومخالفة لما جاء به النبي ﷺ، بدأت تفرض نفسها على الثقافة الإسلامية، وبدأت مهضومة، ويُعامل معها على أنَّها واقع حياة .

المكوّن الثالث: أثر التثاقف

والتثاقف عمل عليه معاوية بن أبي سفيان بكلِّ ما أوتي من إمكانيات، وهو مصطلح معاصر وانثروبولوجي ينص على مداخلة بين ثقافتين، فالثقافة التي تكون أقوى تؤثر على الثقافة التي هي أَدنى، التثاقف عمل عليه الاستعمار الغربي بشكلٍ كبيرٍ من أجل السيطرة على المجتمع العربي الإسلامي، وأوّل ظاهرة للتثاقف ما ظهر لدى الدولة العثمانية، حاول العثمانيون بكلِّ ما أوتوا من قوّة على زجّ اللغة التركية في العالم الإسلامي لكن بوجود القرآن الكريم حفظ للأمة العربية ملاكها في اللغة، وحفظ لها ثقافتها القرآنية، كما أنَّ الإمام الحسين ﷺ يتحدّث عن دور التثاقف في تغيير نمط المجتمع الإسلامي، وقد عمل معاوية على زجّ ثقافة جديدة وثقافة ضاغطة، وعمل بجهد كبير على الإفراغ العقدي من مجتمع الكوفة، فأوّل فعلٍ قام به معاوية بن أبي سفيان إفراغ البيوتات التي ظهرت في صفّين في شدّة ولائها لعلي بن أبي طالب ﷺ وقتالها، جاء إليهم وتتبّعهم بيتًا بيتًا وأخرجهم من الكوفة.

كما أنَّ الطبري في نصِّ يتفرّد به يقول أخرج معاوية بن أبي سفيان من أهل الكوفة أكثر من خمسين ألف نفر، ثم يلزم التاريخ الصّمت عن هؤلاء، ويحدّثنا التاريخ بأنَّ بعضهم نقلوا الى خراسان، والبعض الآخر جاء بهم وأسكنهم في

فلسطين وعسقلان بلحاظ أنّ هذه المنطقة كما يروي نصر بن مزاحم في كتاب صفّين يقول كان أشدّ الناس على علي بن أبي طالب في صفّين أهل فلسطين، وقد استفاد معاوية من هذه التركيبة المغايرة في الثقافة، ونقل البيوتات الموالية لعلي بن أبي طالب في الكوفة الى صفّين، وجاء ببعض البيوتات من الشام وزرعها في الكوفة، فأحدث هذا التغيير في الثقافة، فضلاً عن ذلك أيضاً قام بنقل سجاح التميمية التي عُرفت بادعائها للنبوة، وجاء بها من وسط الحجاز وأسكنها الكوفة، وأطلق لها العنان في الدعوة الى ما تدعو إليه في الدعوة الجديدة للنبوة، وبالتالي أصبحت ثقافة المجتمع الكوفي ثقافة مغايرة كلياً؛ ولذلك لا نستغرب حينها يقفون يوم العاشر وينادي عمر بن سعد يا خيل الله اركبي ورضي صدر الحسين، بمعنى أنّهم كانوا ينطلقون من فكر عقدي يتقرّبون بقتل سيد شباب أهل الجنة الى الله عز وجل .

(شريف العلماء) فيض من كربلاء لإعداد جيل من الفضلاء

الشيخ حسام علي حسن العبيدي/العراق- النجف الأشرف

لا يخفى الأثر الروحي لمدينة كربلاء المقدسة ومنذ احتضانها الجسد الطاهر لسيد الشهداء في إيجاد بيئة علمية أنجبت أساطين في علوم آل محمد عليهم السلام وكان شريف العلماء واحد من أولئك الأساطين، وكان محطة مهمة في تاريخ العلم والفكر في كربلاء إذ اجتمع تحت منبر درسه ما يزيد على ألف من الفضلاء الذين تربوا على يديه، وتخرّجوا من مجلس بحثه الشريف، وبعد رحيله الى جوار ربه انتقلت زعامة كرسي البحث والتدريس الى النجف الأشرف.

وهذا البحث سيتناول الحديث عن فضل هذا العلم من الأعلام، والمربي للمجتهدين الفضلاء في مباحث على محاور ثلاثة .

المبحث الأول: سيرته

هو الشيخ محمد شريف بن الملا حسن بن علي الآملي المازندراني أصلاً، الحائري مولدًا ونشأة ومدفناً، آملٍ أصله، ومدينة آمل هي إقليم مازندران، لكنه ولد في الحائر الشريف في كربلاء، ولم يذكر أصحاب التراجم الأعلام في أي سنة ولد، ولكن من خلال البحث أرجح أنه مولود ربما في ١٢١٠ للهجرة أي بعد رحيل المحقق الوحيد البهبهاني-أعلى الله مقامه-.

ما قيل فيه:

شريف العلماء لقب يلازمه دائماً، وقيل فيه أنه فقيه إمامي مجتهد من كبار الأصوليين ومشاهير المدرسين، قلماً وجد عالم وأستاذ بارع ومقتدر ومتمكن من قواعد علم الأصول مثله، كان أعجوبة في الحفظ، والضبط، ودقة النظر، وسرعة الانتقال في المناظرات والمباحثات الجدلية؛ لإمامه التام بعلم الجدل، وقال تلميذه السيد محمد شفيع بن السيد علي أكبر الموسوي البروجردي في الروضة البهية: السالك في مسالك التحقيق، والعارج في مدارج التدقيق، مقنن القوانين الأصولية، مشيد المباني الفرعية، مفتاح العلوم الشرعية، مربّي العلماء الإمامية، مدرس الطالبين جميعاً في جوار ثالث الأئمة شيخنا، وأستاذنا، ومربينا، ووالدنا الروحاني، والعالم الرباني، محمد الشريف بن ملا حسن بن علي المازندراني، وقد فضله تلميذه الفاضل الدربندي على المتقدمين والمتأخرين .

أساتذته:

تتلمذ بعد إكمال المقدمات على السيد المجاهد صاحب المناهل في الفقه نجلى السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، وبعد ذلك تتلمذ على السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض نفسه، أي تتلمذ على السيد الابن ثم على السيد الوالد صاحب الرياض.

تلامذته:

له الكثير من التلامذة، ولعلّ أبرزهم:

١ . السيد إبراهيم القزويني جد السادة من أسرة القزويني الموجودين الآن في كربلاء المقدّسة من ذريّته أو من ذرية أخيه السيد إبراهيم القزويني صاحب كتاب الضوابط في الأصول.

٢ . الشيخ مرتضى الأنصاري صاحب المكاسب والمعروف بالشيخ الأعظم،

- الذي انتقلت إليه فيما بعد الزعامة الدينية والرئاسة العلمية.
٣. الشيخ نجل الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء.
 ٤. الشيخ محمد حسن الكبير آل ياسين.
 ٥. الشيخ اغا بن عابد بن رمضان الدربندي.
 ٦. السيد محمد شفيح البروجردى الموسوي صاحب كتاب الروضة البهية في الطرق الشيعية.
 ٧. الشيخ محمد سعيد المعروف بسعيد العلماء .

اشتغاله العلمي:

بعد أن درس عند السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض قرابة تسع سنوات، انتقل الى الاستقلال بالدرس والمباحثة، وتصدى للبحث فاجتمع في درسه الفضلاء بما يربو على الألف طالب، فكان محطة استقطاب كثير من العلماء من كل حدب وصوب الى كربلاء، وكان يقوم بمهمة التدريس والمطالعة لساعات طويلة في اليوم مما سبب نبوغه العلمي.

وفاته:

رحل الشيخ شريف العلماء الى جوار ربه سنة ١٢٤٥ و قيل ١٢٤٦ للهجرة عن عمر لم يتجاوز الأربعين بعد أن أصيب بداء الطاعون. ودفن في سرداب داره الواقع في الجهة الجنوبية من الحرم الحسيني من جهة باب القبلة، وقبره معروف هناك، وفي أيام مرجعية سماحة السيد محسن الحكيم - أعلى الله مقامه - أقيمت مدرسة دينية بجوار أو عند قبر شريف

العلماء، وتعرضت هذه المدرسة الى الهدم والتخريب، وأعيد تشييدها برعاية المرجع الكبير سماحة السيد محمد سعيد الحكيم -دام ظله الوارف-.

المبحث الثاني: سمات عصره

اتسم عصره بأنه الذروة في الازدهار الفكري والعطاء العلمي في كربلاء، ويمكن القول أنها فترة ذات حدّين فاصلين هما سطوع نجم الوحيد البهبهاني، والحد الثاني رحيل شريف العلماء.

المبحث الثالث: آراؤه العلمية

من الصّعب جدّاً تتبع الآراء العلمية للشيخ؛ لأنّه لم يكتب، وقد سأله بعض التلاميذ عن سر عدم تدوين تحقيقاته الرّائعة التي لم يسبقه إليها أحد؟ فأجاب: كلُّ ما عند تلامذتي هو منّي. وما كتبه من مسودات لم يرَ البياض على ما يقال في التراجم؛ لذلك أصبح من الصعب جدا استقصاء الآراء العلمية، ولكن وعلى الرغم من ذلك نجدها مبثوثة هنا وهناك، وربما بتعرض صاحب المكاسب الشيخ الأعظم الى بعض آرائه، وقيل: إنّ كتاب ضوابط الأصول للسيد إبراهيم القزويني هو تقرير لبحث شريف العلماء.

الدفاع عن المقدسات بين يوم الطف الأعظم ويوم الحشد الأكبر -قراءة موازنة-

الدكتور الشيخ عماد الكاظمي/العراق-بغداد

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المجاهدين، محمد
المُصطفى الأمين، وعلى آله الأئمة المهديين المعصومين.
الحمد لله الذي جعل الجهاد باباً من أبواب الجنة، فتحه لخاصة
أوليائه، والحمد لله الذي وعد عباده بنصره وإن طال الأمر، وعظم الخطب،
ولكنه وعد صادق بنصرة الحق، وإزهاق الباطل، فهذه هي من نعم الله
-تعالى- على عباده، ونعمه كثيرة لا تحصى كما قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا
نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(١)، فنعمه جسيمة، وآلؤه عظيمة، وعوائده كريمة،
ومواقفه رحيمة.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدسة قد حددت في نظامها التشريعي
الأحكام التي لها أثر كبير في الحفاظ على حقوق البشرية كلها، وبيان سبل
تحقيق ذلك، من خلال الآيات المباركة، والروايات الشريفة، وما أكدته سيرة
خلفاء الله وأوصياؤهم، ومن أهم تلك الأحكام التي وردت في الشريعة إقرار
الجهاد في سبيل الله -تعالى- في مواردِه الخاصة المحددة، وقد ذُكرت في القرآن

١-سورة إبراهيم: الآية ٣٤

الكريم آيات متعددة تبين ذلك، فضلاً عن مقام المجاهدين والشهداء المضحين بأنفسهم من أجل الهدف المقدس، إذ قال تعالى في إقرار وجوب الجهاد والدفاع عن المقدسات المتمثلة بالعقيدة وما يتعلق بها: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(١)، فالجهاد على ما فيه من أذى ومشقة مادية تحيط بالمجاهدين، ولكن الله -تعالى- قد وعد المؤمنين بنصره، وإن كانوا أقل عدة وعدد من عدوهم، إذ قال -تعالى- مخاطباً نبيه في حث المؤمنين على الجهاد وأن لا يصيبهم اليأس مما هم فيه من القلة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢)، بل جعل الله -تعالى- الجهاد في سبيله من صفات المؤمنين به، إذ قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣)، فهذه الآيات المباركة وغيرها كانت أقوى سند يلجأ إليه المؤمنون في قتالهم الأعداء، من أجل نصره العقيدة المقدسة، وهذا ما رأيناه واضحاً جلياً يوم الطف الخالد؛ حيث وقفت تلك الثلاثة مع سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام) لتضرب أروع الأمثلة في الإيثار والفداء من أجل الشريعة المقدسة، فكانوا يتسابقون نحو الموت، ليقينهم بأن باستشهادهم تبدأ الحياة الحقيقة العظيمة، كما قال -تعالى-: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)، من أجل هذا كانت تلك الملحمة العظيمة الخالدة على مر الدهور، لتصبح كربلاء

١- سورة النساء: الآية ٧٥

٢- سورة الأنفال: الآية ٦٥

٣- سورة الحجرات: الآية ١٥

٤- سورة العنكبوت: الآية ٦٤

رمز العقيدة والفداء، ولتكون منهج كل الأحرار والثوار في العالم، يُستمد منها البطولة والإباء، والإيثار والفداء، والفناء عن لذات الدنيا وشهواتها، ليكون الخلود للمبادئ المقدسة، وقد رأينا تجليات ذلك تصدح من حناجر وقلوب المؤمنين في العراق عندما أطلقت فتوى الجهاد الكفائي من سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني -دام ظلّه-، فكانت تلك الملحمة العظيمة ليوم الحشد الأكبر، حيث القلوب تنادي بصوت الضمير الإنساني (لبيك داعي الله)، فأسرع المؤمنون يتهافتون على قتال أعداء المقدسات بعزيمة كربلاء، يقاتلون بشجاعة أنصار الحسين عليه السلام، ينادون بأعلى صوت السلام على عراق المقدّسات، ورجاله ونسائه وأطفاله، وعادت لنا ذكريات ذاك النداء: (إِنْ كَانَ هَذَا يُرْضِيكَ فَخُذْ حَتَّى تَرْضَى)، فاستمد يوم الحشد الأكبر كيانه ومقامه من يوم الطف الأعظم، فاشترك أبطال اليومين بتفانيهم لتلبية نداء الشريعة المقدّسة.

نحاول في هذه الصفحات المتواضعة أن نلبّي بمدادنا وقرطاسنا دعوة يوم الطف الأعظم، إذ وقف ربيب العقيدة أبو عبد الله الحسين عليه السلام ينادي: (هَلْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُنَا)، ودعوة يوم الحشد الأكبر، إذ وقف ربيب العقيدة حفيد الحسين "صاحب الحشد" ينادي بصوت العقيدة لجهاد خوارج العصر المجرمين، فكانت التلبية بأنواعها المختلفة، فذاك يجاهد بدمائه، وآخر بأمواله، وثالث بمداده، ويجب أن يكون الجهاد في جميع الجبهات، فهذه الصفحات من تليبتنا للنداءين تسلط الضوء على أهميّة الإصلاح في التشريع الإسلامي والتصدي للفساد والمفسدين الذين يريدون السوء والأذى بالشريعة والمؤمنين، وما في ذلك من عزّة وكرامة، وسأتناول هذين اليومين الخالدين

من خلال قراءة موازنة في مباحث أربعة، كالآتي:

الأول: الأسباب الموجبة للجهاد.

الثاني: أخلاق الحرب.

الثالث: بطولة المجاهدين.

الرابع: آثار الجهاد.

فهذه أهم الموضوعات التي سيتم بيانها إجمالاً في تلبيتنا لنداء الحق والعقيدة، في قراءة موازنة تاريخية عقائدية، بعد مقدمة، ثم خاتمة، مع الأخذ بنظر الاعتبار مقام الداعي إلى الجهاد في اليومين، ومقام الملبّين له، فخرجوا من الله تعالى أن تكون مشاركة موفقة، وفاءً لتلك الدماء الزاكية التي سكبت على أرض عراق المقدّسات، ونتقدّم ببالغ الشكر والثناء إلى القائمين على هذا المؤتمر المبارك، ونسأله تعالى أن يتقبّل منهم بأحسن قبوله إنّه سميع الدعاء.

المبحث الأول: الأسباب الموجبة للجهاد.

نسلط الضوء في هذا المبحث على أهم الأسباب الموجبة لفتوى الجهاد في ذينك اليومين العظيمين، يوم الطف الخالد، ويوم الحشد الأكبر، مع بيان أبعادها على مستويات متعددة، إذ إنهما يشتركان في مسألة الإصلاح التي أمرت بها الشريعة المقدسة المسلمين، بالتمسك به، ونبذ الفساد والإفساد والمفسدين من قبل أعداء الشريعة المقدسة، وهذا ما نراه صريحاً جلياً في نصوص دعوة الإمام الحسين عليه السلام في أول دعوته ضد الطاغية يزيد بن معاوية عندما رفض تلك البيعة التي طُلبت منها في مبايعة يزيد خليفة للمسلمين، إذ نهض عليه السلام بوجه هذا الفساد الذي يُراد بالشريعة المقدسة، وبالمسلمين، فقد حدّد هذا الهدف (الإصلاح) من خلال قوله المشهور: ((إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا بَطْرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي، أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ))^(١)، فالإمام عليه السلام في هذه المقولة قد أكّد على أنّ الغاية الأساس، والسبب الموجب لهذه النهضة المباركة، وجهاده أولئك الأعداء هو الإصلاح في أمة المسلمين، وقد تجلّى هذا الإصلاح بأداء الإمام دوره في الأمة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في الدفاع عن الشريعة المقدسة، بكلّ ما يملك، وإن أدى ذلك إلى قتله وأهل بيته وأصحابه، فإنّ كلّ ذلك ينبغي أن يفدى به من أجل صلاح المسلمين وشريعتهم، سواء أكان هذا الإصلاح في الجانب السياسي، أو الفقهي، أو العقائدي أو غيرها^(٢)، وقال عليه السلام في حديث آخر مخاطباً الجيش

١- الخوارزمي، الموفق بن أحمد المكي: مقتل الحسين عليه السلام ١/٢٧٣، المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار ٤٤/٣٢٩.

٢- للتفصيل ينظر كتابنا (النهضة الحسينية الخالدة - قراءة تحليلية لنصوصها-) فقد ذكرنا فيه هذه الأبعاد الإصلاحية الثلاثة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته الخالدة.

الذي أتى لمحاصرته: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحِلًّا لِحُرْمِ اللَّهِ، نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُعَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ، أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءَ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكَوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَلُوا الْخُدُودَ))^(١)، فهذه الكلمات هي بمثابة ثورة إصلاحية ضد فساد السلطة الحاكمة، ويجب على الأمة أن يقوموا بواجبهم الشرعي تجاه هذه الاعتداءات على الشريعة المقدسة، وعلى حرمان الله، من حيث أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بشتى صورته، وعدم السكوت والرضوخ لهم، لذا فإنه عليه السلام قد قرّر أن يقوم بواجبه الشرعي مهما كان ثمنه، فقال بعد تلك الكلمات مقولته العظيمة: ((وَأَنَا أَحَقُّ مِنْ غَيْرٍ))^(٢)، أو قوله: ((وَإِنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ لِقُرْبَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»))^(٣). فهذا يؤكد صدق الدعوة نهجاً وسلوكاً، فكتبت تلك الدماء ملحمة الخلود.

إنّ الإصلاح من أهم دعوة رسالة الأنبياء عليهم السلام التي بعثوا من أجلها إلى أقوامهم، ونهي الناس والحكام عن الفساد في المجتمع، ووجوب مقارعتهم بالسُّبُلِ التي تحقّق هذه الغاية؛ لأنّ المفسدين إن تركوا من غير مواجهة وتعريف الناس بفسادهم، وتحريضهم على مقارعة ذلك، فإن الآثار ستكون أكثر سوء في المجتمع، بل تؤدّي إلى الانتقال من مرحلة الفساد الشخصي إلى الفساد النوعي، فيتطلّب عندئذ جهوداً كبيرة للإصلاح، قد تصل أحياناً إلى بذل النفوس، وذلك أنّ هذا الفساد النوعي تكون آثاره واضحة للجميع،

١- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٣٠٤، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد: الكامل في التاريخ ٤ / ٤٨.

٢- تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٣٠٤.

٣- مقتل الحسين عليه السلام ١ / ٣٣٥.

ولكن لا يوجد من يقف أمام أولئك الحكّام الفاسدين، كما قال تعالى في إشارة إلى ذلك عند بيانه لمرحلة من مراحل تسلطهم على المجتمع تحت ذريعة الحكم والخلافة: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾^(١)، وهذه الآية صريحة في بيان أعمال أولئك الظلمة المفسدين إن تركوا من غير دعوتهم إلى الإصلاح، وتهيئة الأمة معنويًا وماديًا للتصدي لهم، قال الشيخ «الطبرسي» (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م) في تفسير الآية المباركة: ((ومعناه إذا ملك الأمر وصار واليًا سلطانًا جارَ بعمله في الأرض، فيقطع الرحم، ويسفك الدماء، ويظهر الفساد، ويعمل بالمعاصي، فيهلك النساء والنسل والأولاد، وعن الإمام الصادق عليه السلام: إن الحرث في هذا الموضع الدين، والنسل النساء))^(٢)، فهذه صورة ظاهرة للعيان والأذهان يذكرها القرآن الكريم عن صفات بعض الناس الأشرار إذا ملكوا الأمر في الأرض، فلا يكون عملهم إلا الفساد الكبير فيها، وذكر «الفخر الرازي» (ت ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م) أن الآية في بيان صفات بعض المنافقين، وأنهم إذا حكموا في الأرض كانت هذه آثارهم، وقال بعد ذلك: ((وإذا صار واليًا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، وقيل: يُظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر، فيهلك الحرث والنسل))^(٣). وقد حذر الله تعالى من ولاية الفاسدين وطاعتهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٤)، فالآية صريحة في تحذير الأمة من المسرفين في الظلم والأذى، والإفساد في الأرض، وقد

١- سورة البقرة: الآية ٢٠٥.

٢- الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ٥٥ / ٢.

٣- التفسير الكبير ٣٤٧ / ٥.

٤- سورة الشعراء: الآيات ١٥١-١٥٢.

ورد في تفسير الآية الشريفة: ((المراد بالمسرفين على أي حال أشرف القوم، وعظماؤهم المتبوعون، والخطاب للعامّة التابعين لهم، وقد فسّر المسرفين وهم المعتدون عن الحقّ، الخارجون عن حدّ الاعتدال، فالمعنى اتقوا الله، ولا تطيعوا أمر المسرفين؛ لأنهم مفسدون في الأرض غير مصلحين))^(١)، فالفساد من أهم الأمور التي أمرت الشريعة المقدسة باجتنابه وعدم موالة العاملين به، ونهيمهم عن ذلك؛ لئلا ينتشر في المجتمع، فيكون الظلم والفساد الأكبر، وقيل في بيان ما يتعلق بالآية: ((وإذا غلب على الإنسان حالة الإفساد فإنه لن يكون مصلحاً، وما يتظاهر به من دعوة إلى الإصلاح فهو كذب وهراء، وهذا شأن المسرفين، ولعلّ من معاني الإسراف بالإضافة إلى الإسراف بالمال الإسراف بالفساد، وسفك الدماء، جاء في الحديث: (المُسْرِفُونَ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَحِلُّونَ الْمَحَارِمَ، وَيَسْفِكُونَ الدِّمَاءَ)).^(٢)

وفي انطباق ما تقدم على يزيد بن معاوية مما لا يحتاج إلى بيان واستدلال، فالتأريخ يشهد ببيان صفاته المخالفة للمسلمين، فضلاً عن الفساد الذي قام به عندما سكت المسلمون عن الوقوف بوجه بيعة الضلال، فأما في صفاته فقد ذكر الإمام عليه السلام ذلك عندما طُلب منه مبايعة يزيد فقال: ((إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَحَلُّ الرَّحْمَةِ، بِنَا فَتَحَ اللَّهُ وَبِنَا يَخْتَمُ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ، شَارِبُ الْخَمْرِ، قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحْتَرَمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ مِثْلَهُ))^(٣)، فإذا كانت صفات الحاكم (الفسق، وشرب الخمر، وقتل المؤمنين) فأى فساد سيكون عند توليته أمور المسلمين، وإهلاك الحرث

١- الطباطبائي، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن ١٩/ ٣٠٥.

٢- المدرسي، محمد تقى: من هدي القرآن ٦/ ٢١٦.

٣- مقتل الحسين عليه السلام ١/ ٢٦٧.

والنسل كان منه فعلاً وحقيقةً، فقد حكم سنوات ثلاث، قام في الأولى بقتل سيد شباب أهل الجنة وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: ((حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ))^(١)، وفي الثانية برمي الكعبة بالمنجنيق التي ورد في فضلها ومقامها عن الإمام الصادق عليه السلام: ((مَنْ نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ لَمْ يَزَلْ تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ وَتُمَحَى عَنْهُ سَيِّئَةٌ حَتَّى يَنْصَرِفَ بِبَصَرِهِ عَنْهَا))^(٢)، وفي الثالثة استباحة مدينة رسول الله التي قال فيها النبي صلى الله عليه وآله: ((الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الْإِسْلَامِ، وَدَارُ الْإِيمَانِ، وَأَرْضُ الْهَجْرَةِ، وَمُتَبَوِّأُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ))^(٣).

فهل هناك فساد أعظم مما تقدم يستوجب على الإمام الحسين عليه السلام أن يصدر الجهاد ضد هذا الطاغية، ليصلح عقيدة الأمة في مبايعته للحكام الجائرين، ويعلن بكل يقين بأن في جهاده كرامة الشهادة، والنصر، والفتح، إذ يقول: ((فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتَشْهِدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي لَمْ يَبْلُغِ الْفَتْحَ))^(٤). لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام في بيان الأسباب الموجبة للجهاد أن يتأسى بخاتم النبيين والمرسلين وهو ينادي في المسلمين ويحذّرهم من ترك الجهاد في سبيل الله بقوله: ((فَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ذُلًّا فِي نَفْسِهِ، وَفَقْرًا فِي مَعِيشَتِهِ، وَمُحَقًّا فِي دِينِهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعَزُّ أُمَّتِي بِسَنَابِكِ خَيْلِهَا، وَمَرَاكِزِ رِمَاحِهَا))^(٥)، وبسيد الوصيين وهو يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وهو ينادي بقوله: ((إِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِحَاصَةِ أَوْلِيَائِهِ، وَهُوَ لِبَاسٌ

١- الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي ٣٢٤/٥.

٢- الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي ٤/٢٤٠ باب (فضل النظر إلى الكعبة) الحديث ٤.

٣- المتقي الهندي، علاء الدين بن حسام الدين: كنز العمال ١٢/٢٣٠.

٤- ابن طاووس، علي بن موسى: اللهوف على قتلى الطفوف: ٤٦.

٥- الصدوق، محمد بن علي: الأمالي ص ٦٧٣.

التَّقْوَى، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ، وَجُنَّتْهُ الْوَثِيقَةُ))^(١)، وبالأَنْبياء الذين قد أُرسلوا إلى أقوامهم، كما قال تعالى في بيان ذلك على لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.^(٢)

إنَّ الإصلاحَ لأُمور المسلمين والتصدي للفساد هو نفسه كان من الأسباب الموجبة لفتوى صاحب يوم الحشد الأكبر سماحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني -دام ظلّه-، والتي استمدت جذوة نورها ونارها من أصول العقيدة المقدسة، ومن مواقف يوم الطف العظيم، حيث تلك المجاميع الإرهابية المتوحشة المعروفة بـ(داعش)^(٣)، عندما استطاعت وبدعم مباشر من القوى الاستكبارية الصهيونية، ومساعدة أذنانهم من دويلات ممالك الجوار، والمنافقين من أذعنانهم في الداخل، في تدنيس أرض عراق المقدسات من جهة محافظة الموصل، وسيطرتهم عليها، ليتبدؤوا في زحفهم نحو المدن المقدسة كالنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء والمدن الأخرى، فقاموا بالأعمال الوحشية الإجرامية، وأظهروا الفساد الكبير في الأماكن التي سيطروا عليها، من قتل الأبرياء، وذبح الأطفال، وسبي النساء تحت ذرائع انتقامية من المسلمين بصورة عامة، والمؤمنين خاصة، ادّعاء باطلاً بأنهم يهدفون إلى تطهير الأرض والدعوة إلى تطبيق أحكام

١- الشريف الرضي: محمد بن الحسين: نهج البلاغة / ١ / ٦٧.

٢- سورة هود: الآية ٨٨.

٣- وهذا اللفظ اختصاراً للدولة المزعومة (الدولة الإسلامية في العراق والشام) التي يريد قيامها هذا التنظيم الإرهابي.

الشريعة الإسلامية، وفي ذلك كمال الانحراف الفكري والعقائدي، الذي استمدَّ أصوله من الفرق المنحرفة عن الإسلام كالخوارج، فضلاً عما تلقَّاه من دعم أعداء المؤمنين في العراق خاصة، حيث لا يخفى كرامة الإنسان عند الله عامة، والمؤمنين خاصة، وقد ورد عن النبي ﷺ: ((لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ))^(١)، فعند ذلك صدرت تلك الفتوى التاريخية التي أعادت في المؤمنين شرارة العقيدة في الدفاع عن مقدَّساتهم، وتخليص الأمة من شرور أولئك المفسدين في الأرض، فأعلنت تلك الفتوى المقدَّسة، في كربلاء الطف، ومن جوار سيد الشهداء عليه السلام مستلهمة من جذوة نهضته العزيمة والشجاعة والإباء^(٢)، ففي يوم الجمعة ١٤ شعبان ١٤٣٥ هـ الموافق ١٣/٦/٢٠١٤م أعلن ممثل المرجعية الدينية سماحة الشيخ المجاهد «عبد المهدي الكربلائي» الجهاد الكفائي بأمر المرجع الأعلى فقال في بيانه: ((إنَّ العراقَ وشعبه يواجهُ تحدِّيًّا كبيرًا، وخطرًا عظيمًا، وإنَّ الإرهابيين لا يهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنينوى وصلاح الدين فقط، بل صرَّحوا بأنهم يستهدفون جميع المحافظات، ولا سيما بغداد وكربلاء المقدسة والنجف الأشرف، فهم يستهدفون كلَّ العراقيين، وفي جميع مناطقهم، ومن هنا فإنَّ مسؤولية التصدي لهم ومقاتلتهم هي مسؤولية الجميع، ولا يختص بطائفة دون أخرى، أو بطرفٍ دون آخر... إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت الحاضر تقتضي الدفاع عن هذا الوطن، وأهله، وأعراض مواطنيه، وهذا الدفاع واجبٌ على المواطنين بالوجوب الكفائي، بمعنى أنَّه إذا تصدَّى له مَنْ بهم الكفاية، بحيث يتحقَّق الغرض وهو حفظ العراق،

١- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة ٦/ ٢٤٩٨ باب (القتل) الحديث ١٦٣٠٩.

٢- لقد كان المؤمنون الحاضرون كلهم ينادون بصوت عظيم عال، وفي منظر تاريخي قلَّ مثيله: ((لييك يا حسين .. لبيك يا حسين)) تستلهم منهم روح التضحية والشجاعة والفداء.

وشعبه، ومقدساته، يسقط عن الباقي، ثم قال: ومن هنا فإنَّ المواطنين الذين يتمكّنون من حمل السلاح، ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم، وشعبهم، ومقدساتهم، عليهم التطوُّع للانخراط في القوات الأمنية...^(١)

إنَّ هذا البيان يؤكد بوضوح الأسباب الموجبة لجهاد أولئك الخوارج المعتدين على الحرمات والمقدّسات، وهذا ما كان ظاهراً جلياً لكلِّ المؤمنين العراقيين وغيرهم لعظمة الجرائم الإرهابية والاعتداءات التي قامت بها هذه الفئة المنحرفة، فكانت الفتوى هي السبيل الوحيد للدفاع المقدس، بل كانت أعظم سند للقوات العسكرية والأمنية العراقية، فكانت ثارها مئات الألوف، بل أكثر^(٢) تتسابق تلبية لفتوى صاحب الحشد في الدفاع عن المقدسات.^(٣)

وإنَّ الفقهاء قد فَصَّلوا القول أقسام الجهاد، وموجباته، ومن يجب عليه، وغير ذلك مما يتعلق به، قال «العلامة الحلي» (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م):

((الجهادُ قسمان: أحدهما أن يكونَ للدعاءِ إلى الإسلام، ولا يجوزُ إلاَّ

١- ينظر نص الخطبة المنشورة على موقع ساحة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) www.sistani.org/arabic/archive وسألحُ البحث بنص الخطبة توثيقاً للباحثين، وتثبيتاً للتاريخ.

٢- وقد أكد ذلك ممثل المرجعية المجاهد السيد أحمد الصافي في الأسبوع الثاني من الفتوى في صلاة الجمعة ٢١ شعبان ١٤٣٥هـ الموافق ٢٠/٦/٢٠١٤م إذ قال: ((والمرجعية الدينية إذ توجّه بالغ شكرها وتقديرها لمئات الآلاف من المواطنين الأعزاء الذين استجابوا لدعوته، وراجعوا مراكز التطوع في مختلف أنحاء العراق خلال الأسبوع المنصرم، فإنها تأسف عما حصل للكثير منهم من الأذى نتيجة عدم توفر الاستعدادات الكافية لقبول تطوعهم، وهي تأمل أن تتحسن الأمور في المستقبل القريب)). موقع السيد السيستاني (دام ظله) www.sistani.org/arabic/archive

٣- لقد كان ذلك اليوم يوماً مشهوداً عظيماً حيث توافد المؤمنون على معسكرات التطوع، وشراء الملابس العسكرية، وتبهاء العتبات المقدسة خدمتها في الاستعداد للضروف الجديدة، فضلاً عن تشكيلها للقوات الجهادية، والدعم المادي والمعنوي، ومشاركة طلبة العلوم الدينية في النجف الأشرف في الاستعداد للالتحاق بالجهات، وجمع الأموال والسلاح، وغير ذلك مما لا مجال ذكره في هذه الصفحات، ولكن يجب الباحثين توثيق تلك المرحلة ليكتب تاريخ وعظمة هذه الفتوى وصاحبها ورجالها.

يأذن الإمام العادل، أو مَنْ نَصَّبَهُ لذلك عند علمائنا أجمع؛ لَأَنَّهُ أَعْرَفُ
بشرائطِ الدِّعَاءِ، وما يدعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ التَّكْلِيفِ دُونَ غَيْرِهِ.... والثاني:
أَنْ يَدَهَمَ الْمُسْلِمِينَ الْعَدُوُّ، فَيَجِبُ عَلَى الْأَعْيَانِ عِنْدَ قَوْمٍ، وَعَلَى الْكِفَايَةِ
عِنْدَ آخَرِينَ)).^(١)

١-الحسن بن يوسف: تذكرة الفقهاء ٩/١٩-٢٠.

المبحث الثاني: أخلاق الحرب.

إنَّ الشريعة الإسلامية المقدَّسة قد بيَّنت في تشريعاتها كُلَّ الأحكام التي تحتاجها البشرية، سواء المتعلقة بالعبادات، أو المعاملات، أو العقود وغيرها من الأحكام، بل كانت أحكامها واضحة في حالات الحرب، من حيث وجوب القتال، وكيفيته، وشروطه وما يتعلق به، فالحرب في المنظور الإسلامي ليست عملية انتقامية من الآخرين، وإنما تطهير المجتمع من الكفار والمشركين والمعتدين والمنحرفين، بل هي آخر السُّبُلِ إن لم تنفع الدعوة بالسلم، وهذا ما أكَّده القرآن الكريم حيث قال تعالى في خصوص الاختلاف الكبير الذي يقع بين المؤمنين: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(١)، فالآية الكريمة تؤكد نوعًا خاصًا من الأخلاق العظيمة التي ينبغي على المؤمنين التمسك بها، وهذا ما كانت عليه سيرة النبي ﷺ والإمام علي عليه السلام، ومن أهم أخلاقيات الحرب التي يجب مراعاتها ما يأتي:

١- عدم الابتداء بالقتال. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((لا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدُؤُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُؤُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ)).^(٢)

٢- عدم قتل الشيخ والنساء والأطفال. قال رسول الله ﷺ: ((لا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً)).^(٣)

١- سورة الحجرات: الآية ٩.

٢- نهج البلاغة ٣/ ١٤.

٣- كنز العمال ٤/ ٣٨٢، فهذه هي حقوق الإنسان في الإسلام ومحافظة الجيش الإسلامي على

٣- عدم إيذاء النساء. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَلَا تُهْبِجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمَّرَاءَكُمْ)).^(١)

٤- عدم التمثيل بالقتلى: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا تُمَثِّلُوا بَادِمِيَّ، وَلَا بَهِيمَةَ)).^(٢)

٥- عدم الغدر. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَغْدُرُوا)).^(٣)

فهذه من جملة تعاليم الشريعة المقدسة في الحرب على لسان خاتم النبيين، ولسان سيد الوصيين (صلوات الله عليهم) وقد امتثل لذلك ربيهما الإمام الحسين عليه السلام في جميع تلك التعاليم الممثلة لأخلاقيات الحرب إن كانت قد مرّت به، فقدمت نهضته الأنموذج الأعظم في الشجاعة والإباء عن كلّ ما لا يليق بهم، مما كان من أخلاق عدوّهم، الذين عملوا بكلّ ما يخالف تلك التعليمات التي تقدّمت، بل فعلوا أفعالاً يندى لها جبين الإنسانية.

لقد وقف الإمام الحسين عليه السلام في أرض كربلاء يوم عاشوراء ينصح جيش ابن زياد لعلهم يتذكّروا ويصلحوا ويتوبوا إلى الله تعالى، فكان يؤدّي ما عليه من حقّ تجاه أولئك، وما يجب على المقاتل من التمسك بأخلاق وتعاليم الشريعة المقدسة، فقال عليه السلام مخاطبهم: ((أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تَعَجَلُوا، حَتَّى أَعْظِمَكُمْ بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى أَعْذِرَ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ أَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ، وَإِنْ لَمْ تُعْطُونِي النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَاجْمَعُوا رَأْيَكُمْ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَّةً، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونْ))^(٤)، فهذه الكلمات

الشيوخ الكبار من القتل والأذى، والنساء، والأطفال، وفي ذلك كمال الأخلاق، على الرغم من انتهاهم إلى الأعداء.

١- نهج البلاغة ٣/ ١٥، فهذه هي كرامة المرأة في النظام الإسلامي، حيث ينظر إلى مقامها في السلم والحرب، ويدافع عنها في كل الظروف.

٢- كنز العمال ٤/ ٣٨٠، فهذا مثال واحد يبيّن ما يتعلق بحقوق الحيوان في الإسلام، فضلاً عن الأحاديث الكثيرة، والأحكام الخاصة بالحيوان، كلها تؤكد كمال التشريع وعظمته.

٣- المصدر نفسه ٤/ ٣٧٨.

٤- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢/ ٩٧.

العظيمة تنطق عن آيات القرآن الكريم والسنة الشريفة، في إقامة الحججة على الخصم قبل قتاله، وتذكيره لعله يتوب ويرجع، فضلاً عن جعله أمام أمر واقع ذي بينة، فلا غفلة ولا جهل فيه، وفي ذلك إقامة تمام الحججة على الآخرين، ولكنه عليه السلام لما رأى عدم تأثرهم بمقالته، واستجابتهم له قال: ((يَا عِبَادَ اللَّهِ! إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجِعُونَ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ، لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ)).^(١)

وعلى مثل هذا الخلق كان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فقد خرج عدد منهم يخاطبون القوم بترك القتال لإقامة الحججة عليهم، ونصيحتهم، والعمل بأخلاق الحرب مهما كان العدو معانداً.

ومن المزايا الأخرى التي شهدها يوم الطف العظيم من أخلاق الحرب، عن البدء بقتال الأعداء، امتثالاً لتعاليم الشريعة المقدسة كما تقدمت، فقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام خاطب مسلم بن عوسجة عندما رماه شمر بن ذي الجوشن بسبب نصيحتته لهم قبل القتال بقوله: ((لَا تَرَمَهُ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَهُمْ))^(٢)، وهذا هو موقف ثانٍ له بعد موقفه مع زهير بن القين عندما استشار عليه مقاتلة الحر بأن قتالهم الآن أيسر، ولكنه أبى ذلك فقال كلمته التاريخية العظيمة: ((مَا كُنْتُ فَأَبْدَأَهُمْ بِقِتَالٍ)).^(٣)

فما أعظم هذه النفس الأبية، فحق لها أن يكون لها مثل هذا الخلود!!
ومن مواقفه عليه السلام أنه كان رحيماً بأعدائه ويشفق عليهم على الرغم من أفعالهم التي كانوا يقومون بها، فلقد أباح لهم استعمال الماء عندما كان قد سيطر عليه، وفي ذلك رسالة عظيمة في التمسك بأحكام الشريعة المقدسة

١- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢/ ٩٧.

٢- تاريخ الطبري ٤/ ٣٢٢.

٣- مقتل الحسين عليه السلام ١/ ٣٣٤، الكامل في التاريخ ٤/ ٥٢.

وآدابها في الحرب، فقد روي أَنَّ الإمام عليه السلام قال لأصحابه عند ملاقاته الحربين يزيد الرياحي وجنوده: ((اسْقُوا الْقَوْمَ، وَارْوُوهُمْ مِنَ الْمَاءِ، وَرُشِفُوا الْخَيْلَ تَرْشِيفًا، فَسَقَوْهُمْ حَتَّى ارْتَوَوْا، وَكَانُوا شَاكِينَ فِي السَّلَاحِ لَا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الْحَدَقُ، وَأَقْبَلُوا يَمْلَأُونَ الْقِصَاعَ وَالطَّسَاسَ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ يُدْنُوْنَهَا مِنَ الْفَرَسِ، فَإِذَا عَبَّ فِيهَا ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا عَزَلَتْ عَنْهُ، وَسُقِيَ آخِرَ حَتَّى سَقَوْهَا عَنْ آخِرِهَا)).^(١)

ولكن مع كُلِّ هذا الخلق العظيم لم يكن من أعدائه إلا السوء والدناءة في كُلِّ أفعالهم التي قاموا به عند القتال وبعده، في الشهداء والمرضى والنساء والأطفال، ما يخالف كُلَّ التعاليم الإسلامية، فارتكبوا أشنع الجرائم في أهل بيت النبوة، ولعل نَصًّا واحدًا يُبين لنا ذلك الحقد الدفين، والانحراف الفكري والعقائدي الذي هُم عليه، فضلًا عن الطمع بدراهم معدودة، فقد روي أَنَّ عمر بن سعد بن أبي وقاص بعد الانتهاء من المعركة نادى: مَنْ يَتَدَبَّ لِلْحَسَنِ فَيُوطِئُهُ فَرَسَهُ؟ فَانْتَدَبَ عَشْرَةَ فِدَاسُوا جَسَدِ الْحَسَنِ عليه السلام بِخِيُولِهِمْ حَتَّى رَضُّوا ظَهْرَهُ.^(٢)

إِنَّ أَخْلَاقَ الْحَرْبِ الَّتِي أَشَارَتْ إِلَيْهَا تَعَالِيمُ الشَّرِيعَةِ الْمُقَدَّسَةِ قَدْ تَجَلَّتْ بِكُلِّ وَضُوحٍ فِي يَوْمِ الْحَشْدِ الْأَكْبَرِ، مِنْ خِلَالِ مَا وَرَدَ مِنْ بَيِّنَاتٍ وَتَوْصِيَّاتٍ لِصَاحِبِ فَتْوَى الْحَشْدِ فِي ذَلِكَ، وَمَا قَامَ بِهِ الْمَجَاهِدُونَ مِنْ مَوَاقِفٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ كَبِيرَةٍ وَمُتَعَدِّدَةٍ تُوَكِّدُ انْتِمَاءَهُمُ الْعَقَائِدِي إِلَى الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَقَدْ رَأَى ذَلِكَ كُلُّ مُتَابِعٍ لِمَعَارِكِ تَحْرِيرِ الْمَدِينِ الْعِرَاقِيَّةِ مِنْ

١- مقتل الحسين عليه السلام ١/٣٢٩.

٢- المصدر نفسه ٤٤/٢، يُعَزُّ عَلِيَّ يَا مَوْلَايَ أَنْ أَذْكَرَ هَذَا الْمَوْقِفَ الَّذِي أُسْبِلُ دَمُوعَنَا، أَفْرَحَ جَفُونَنَا، وَلَكِنْ لِيُطَلِّعَ الْعَالَمَ الْإِنْسَانِي عَلَى عِظَمَةِ جَرَائِمِ الْأَمْوِيِّينَ يَوْمَ الْطُفِّ، وَمَا قَامُوا بِهِ كَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

دنس كيان داعش الإرهابي، وفي قراءة سريعة لبيان سماحة السيد صاحب الحشد تتجلى تلك المعاني السامية في شرف وعظمة تلك المعارك، فقد أكدت المرجعية منذ الأيام الأولى أنَّ المعركة قائمة مع عناصر وأتباع ذلك الكيان الإرهابي، ولا علاقة للأبرياء من أبناء تلك المدن بذلك مطلقاً، فكان التأكيد واضحاً على التمسك بأخلاق الحرب التي وردت في أحاديث النبي والأئمة عليهم السلام؛ لتكون هذه المعارك مصداقاً حقيقياً لتطهير البلد من دنسهم وشرورهم، فقد أصدر مكتب سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله) في الثاني والعشرين من شهر ربيع الثاني لسنة ١٤٣٦ هـ بياناً تحت عنوان (نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد) جاء في بعض فقراتها ما يأتي ^(١):

١- فالله الله في النفوس، فلا يُسْتَحَلَّنْ التعرُّض لها بغير ما أحله الله تعالى في حال من الأحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة، وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه ^(٢)، وإنَّ لقتل النفس البريئة أثاراً خطيرة في هذه الحياة وما بعدها.

٢- الله الله في حرمة عامة الناس ممن لم يقاتلوكم، ولا سيما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم، فإنه لا تحلُّ حرمة مَنْ قاتلوا، غير ما كان معهم من أموالهم.

٣- الله الله في اتِّهام الناس في دينهم نكاية بهم، واستباحة لحرمتهم، كما وقع

١- إنَّ هذه الوصية المباركة قد تضمنت عشرين فقرة عظيمة من التعاليم الإسلامية والإنسانية في الحرب، وهي حقيقة من أعظم حقوق الإنسان في الحرب، ويجب أن تكتب عنها دراسات مستقلة لبيان عظمتها من حيث بيان ما اشتملت عليه من معانٍ سامية، فضلاً عن ترجمتها إلى لغات حية متعددة وإرسالها إلى وزارات حقوق الإنسان، ليستمدوا منها التعاليم الإنسانية، وخصوصاً منظمات الأمم المتحدة. وسوف ألحق البحث بالوصية كاملة لأهميتها، وتوثيقها تاريخياً. ينظر:

موقع السيد السيستاني (دام ظله) www.sistani.org/arabic/archive.

٢- إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾. سور المائدة: الآية ٣٢.

فيه الخوارج في العصر الأول، وتبعه في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين، تأثراً بمزاجياتهم وأهوائهم، وبرّروه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم، فعظم ابتلاء المسلمين بهم، واعلموا أنّ مَنْ شهد الشهادتين كان مسلماً، يُعَصِّمُ دَمَهُ وَمَالَهُ، وإن وقع في بعض الضلالة، وارتكب بعض البدعة.

٤- الله الله في أموال الناس، فإنّه لا يحلُّ مال امرئ مسلم لغيره إلا بطيب نفسه، فمن استولى على مال غيره غصباً، فإنّها حاز قطعة من قطع النيران.

٥- الله الله في الحرمات كلّها، فإيّاكم والتعرّض لها، أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد، واحذروا أخذ امرئ بذنب غيره، فإن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١)، ولا تأخذوا بالظنّة، وتشبهوه على أنفسكم بالحزم.

٦- ولئن كان في بعض التثبّت وضبط النفس وإتمام الحجة -رعاية للموازن والقيم النبيلة- بعض الخسارة العاجلة أحياناً، فإنّه أكثر بركة وأحمد عاقبة، وأرجى نتاجاً، وفي سيرة الأئمة من آل البيت عليهم السلام أمثلة كثيرة من هذا المعنى، حتى أنّهم كانوا لا يبدؤون أهل حربهم بالقتال، حتى يبدؤواهم بالقتال، وإن أصابوا بعض أصحابهم.

٧- واحرصوا أعانكم الله على أن تعملوا بخُلُقِ النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعاً، حتى تكونوا للإسلام زيناً، ولقيمته مثلاً، فإنّ هذا الدين بُنيَ على ضياء الفطرة، وشهادة العقل، ورجاحة الأخلاق، ويكفي مُنبهًا على ذلك أنّه رفع راية التعقل والأخلاق الفاضلة، فهو يرتكز في أصوله على الدعوة إلى التأمل والتفكير في أبعاد هذه الحياة

١- سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

وأفاقها، ثم الاعتبار بها، والعمل بموجبها كما يرتكز في نظامه التشريعي على إثارة دفاثن العقول وقواعد الفطرة.

إنَّ هذه الفقرات وغيرها قد تضمنت أعظم المثل الإنسانية في التعامل مع الآخرين، وإن كانوا أعداء، ولو تأملنا بما ورد لرأينا حقيقة اتباع تعاليم القرآن والعترة، ووحدة المنهج في الدعوة إلى الإصلاح، والدفاع عن المقدسات، فما ورد من تعليقات للمقاتلين هو ترجمة كاملة لما تقدم من الأحاديث الشريفة الواردة في أخلاق الحرب.

المبحث الثالث: بطولة المجاهدين.

إننا في هذا المبحث نسلط الضوء بإيجاز عن بعض تلك المواقف الخالدة لمواقف المجاهدين بين يدي الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام صاحب يوم الطف الأعظم، وبين يدي صاحب فتوى الحشد الأكبر (دام ظله)، حيث استمد رجال الحشد كلَّ العزيمة والإباء، والشجاعة والبطولة من أولئك الخالدين يوم عاشوراء، الذين وقف الحسين عليه السلام يخاطب ويفخر بهم بقوله: ((فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني خيراً))^(١)، ونختار صور جهادية كأثلة لهذين اليومين العظيمين، ليكونا درساً للأجيال الذين يريدون قراءة تأريخ تضحيات الشهداء في الدفاع عن المقدّسات.

إن في يوم كربلاء العظيم كانت لأصحاب الحسين مواقف كثيرة، تدلُّ على صدق نيتهم، وعزيمته في الدفاع عن المقدّسات، وتضحيتهم من أجل ذلك بأروع صور الفداء والإباء، فقد روي كلمات عظيمة عن بعضهم قد سجّلها التأريخ بأحرف من نور وهم يخاطبون الإمام الحسين عليه السلام عندما أذن لهم بالرجوع عن كربلاء، ومن تلك الكلمات:

١- قال مسلم بن عوسجة: ((نَحْنُ نُحَلِّيكَ هَكَذَا وَنَنْصَرِفُ عَنْكَ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكَ هَذَا الْعَدُوُّ، لَا وَاللَّهِ لَا يَرَانِي اللهُ أَبَدًا وَأَنَا أَفَعَلُ ذَلِكَ، حَتَّى أَكْسِرَ فِي صُدُورِهِمْ رُحْمِي، وَأُضَارَ بِهِمْ بِسَيْفِي مَا ثَبَتَ قَائِمُهُ بِيَدِي، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِي سِلَاحٌ أَقَاتِلُهُمْ بِهِ لَقَدَفْتُهُمْ بِالْحِجَارَةِ، وَلَمْ أَفَارِقْكَ، أَوْ أَمُوتُ مَعَكَ))^(٢).

١- الإرشاد ٢/ ٩١.

٢- الإرشاد ٢/ ٩٢، مقتل الحسين عليه السلام ١/ ٣٥٠.

٢- قال سعيد بن عبد الله الحنفي: ((لَا وَاللَّهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَا نُحْلِيكَ أَبَدًا حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَا قَدْ حَفَظْنَا فِيكَ وَصِيَّةَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِيكَ، ثُمَّ أَحْيَى، ثُمَّ أُذْرَى، يُفْعَلُ ذَلِكَ بِسَبْعِينَ مَرَّةً مَا فَارَقْتُكَ، حَتَّى أَلْقَى حِمَامِي دُونَكَ، وَكَيْفَ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ قَتْلَةٌ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ أَنَا لُ الْكَرَامَةِ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا)).^(١)

٣- قال زهير بن القين: ((وَاللَّهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ، ثُمَّ نُشِرْتُ أَلْفَ مَرَّةً، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ دَفَعَ الْقَتْلَ عَنْكَ، وَعَنْ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ مِنْ إِخْوَانِكَ وَوُلْدِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ)).^(٢)

إن هذه الكلمات العظيمة التي أطلقها الأصحاب ليلة عاشوراء، قد ترجموها أعظم ترجمة يوم عاشوراء، حيث تسابقوا في قتال أولئك المنحرفين دفاعاً عن المقدسات التي تمثلت بإمام زمانهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام الذين أوصى القرآن بمودتهم، فلما بدأت الحرب ظهرت تلك البطولة التي أثبتت صدق النوايا والأقوال، فكان مما ورد عن «برير بن خضير» مخاطباً «شمر ابن ذي الجوشن»: ((أَبَا الْمَوْتِ مُخَوِّفِي؟ وَاللَّهِ إِنَّ الْمَوْتَ مَعَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْحَيَاةِ مَعَكُمْ))^(٣)، فقاتل قتالاً شديداً حتى استشهد بين يدي إمام زمانه، مدافعاً عن الشريعة المقدسة، وهو من قراء القرآن المعروفين، ومن عباد الله الصالحين، ثم تقدم بعد ذلك «مسلم بن عوسجة» يقاتل بكل بطولة وشجاعة حتى سقط شهيداً، فأقبل عليه «حبيب بن مظاهر الأسدي» يخاطبه بقوله:

١- مقتل الحسين عليه السلام ١/٣٥٠، اللهوف على قتل الطفوف: ٥٦.

٢- الإرشاد ٢/٩١، مقتل الحسين عليه السلام ١/٣٥٠.

٣- مقتل الحسين عليه السلام ١/٣٥٥.

((لَوْ لَا أَعْلَمُ أَنِّي لَأَحِقُّ بِكَ فِي أَثْرِكَ مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ، لِأَحَبِّتُ أَنْ تُوصِيَنِي إِلَيَّ بِكُلِّ مَا أَهَمَّكَ، حَتَّى أَحْفَظَكَ فِي ذَلِكَ)).^(١)

إنَّ هذا هو واقع جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فإنَّهم يتسابقون نحو الشهادة، وقد اجتمع معه من الشيوخ والرجال والشباب كلُّ يدافع عن هذه المقدسات، وقد سَطَّروا أروع قصص البطولة والفداء، فضلاً عن الشهداء من أهل بيته، على الرغم من قلة عددهم وكثرة عدد الأعداء، فكان كلُّ واحد منهم يقتلون مجموعة، لقوة إيمانهم، ويقينهم بعقيدتهم التي يضحون بأنفسهم من أجلها، فكانت تلك الملحمة العظيمة من ملاحم الخلود التي سجلها التاريخ في يوم الطف الأعظم.

وإنَّ في يوم الحشد الأكبر كانت البطولة فيه في غايتها، ابتداء منذ الساعات الأولى لإصدار فتوى الجهاد الكفائي، إذ تسابق المؤمنون تسابقاً تعجز الكلمات عن بيانه، للدفاع عن المقدسات، فكان منهم مَنْ هو متدرَّب على حمل السلاح والقتال، ومنهم مَنْ لم يكن كذلك، ولكن قوَّة العقيدة، وصدق الولاء، جعلهم يتسابقون نحو القتال، وذلك يرجع إلى أمرين مهمَّين، الأوَّل مقام المرجعية الدينية وحكمة صاحب الفتوى (دام ظلّه)، ووجوب الامتثال إليه وطاعته، وعظمة الجرائم التي قام بها أولئك الإرهابيون ضدَّ الأبرياء، وتهديدهم العلني إلى المدن المقدَّسة، ففي وقتٍ قياسي من السرعة تشكَّلت تلك الألوية من المجاهدين، فتشكَّلت لواء المرجعية بقيادته ورجاله الذين نذروا أنفسهم إلى المقدَّسات، وتشكَّلت فرقة الإمام علي عليه السلام برعاية العتبة العلوية المقدَّسة، وتشكَّلت لواء علي الأكبر برعاية العتبة الحسينية المقدَّسة من ١-مقتل الحسين عليه السلام: ١٩/٢.

أولئك الشباب الأبطال المجاهدين، وتشكّلت فرقة العباس القتالية برعاية العتبة العباسية المقدسة، وتشكّلت قوات حصن الكاظمين بمساعدة من العتبة الكاظمية المقدسة، وغيرها من الألوية والفرق، التي أظهرت شجاعة فائقة في دحر الإرهاب في أماكن متعدّدة، فكانت تلك الانتصارات العظيمة في جرف الصخر، فحرّروا الأرض من دنس الإرهاب، ليتحوّل اسمها بعد ذلك من (جرف الصخر) إلى (جرف النصر) على الرغم من تفوّق الإرهابيين بأنواع الأسلحة والأعتدة التي يحصلون عليها من الصهيونية العالمية، وأتباعهم من بعض أعراب الجزيرة العربية، فكان هذا النصر الأول والسريع قد أذهل الأعداء ومَن يلوذون به، ثم تتابع النصر من مكان إلى آخر، فكانت ملحمة «أمري» التي كانت محاصرة لأيام طوال من الإرهابيين، فتحقّق النصر عليهم، ثم ما شهدته محافظة «صلاح الدين» من قتال كبير في «تكريت» و«بيجي» والمناطق التابعة لها، والتي صرّح ببسالة أولئك المقاتلين كبار ضبّاط الجيش في العراق وغيره، ولقد سمعنا ورأينا تلك البطولات، وتلك النفوس الأبية، التي تعجز الكلمات عن وصفهم، وكُلُّ قد هجر الأهل والعيال والأموال من أجل الدفاع عن مقدّساتهم، على الرغم من الصعوبات والعراقيل الكثيرة، كالسياسية والعسكرية والمالية والجغرافية وغيرها، ولكن قوّة العقيدة التي كانوا يستمدّونها من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام واضحة لا تخفى، ووجوب الامتثال لأمر المرجعية الدينية، فكان الأب يشارك ابنه في القتال، والأم تشجّع ابنها على ذلك وتفخر به، والزوجة تشد على عضد زوجها، وفي ذلك تكمن عظمة الامتثال لفتوى صاحب الحشد الأكبر،

عندما أعلن ممثله في كربلاء عند إعلانهِ لفتوى الجهاد بقوله: ((الْمَطْلُوبُ أَنْ يُحْتَّ الْأَبُّ ابْنَهُ، وَالْأُمُّ ابْنَهَا، وَالزَّوْجَةُ زَوْجَهَا عَلَى الصُّمُودِ وَالثَّبَاتِ، دِفَاعًا عَنْ حُرْمَاتِ هَذَا الْبَلَدِ وَمُوَاطِنِيهِ))^(١)، وقد أشادت المرجعية الدينية بهذه البطولات العظيمة من خلال بياناتها، وخطب ممثلها، وزيارة معتمديها إلى جبهات القتال ولقاؤهم بالمجاهدين.

وفي هذه السطور من هذا المبحث أود أن أذكر موقفين رأيتهما من خلال زيارتي التي وقَّني الله تعالى إليها بالتشرف لخدمة أولئك المجاهدين، فالأول قد التقيت فيه بمجموعة من الشباب المجاهدين من محافظة «المنشي» و«ذي قار» الذين كانوا يقاتلون تحت إشراف العتبة العباسية المقدسة في ناحية «الإسحاقية» بالقرب من «سامراء» حيث لم يكن بينهم وبين العدو سوى نهر صغير يرابطون أمامهم، وكانوا في حالة فقر مالي شديد، وقد عرفت ذلك من خلال حديثي معهم، إذ إنهم كانوا يأتون إلى الجهاد، ولا يوجد عند عوائلهم من المال ما يكفيهم، وكانوا عندما يرجعون من الجهاد في استراحتهم يعملون في أعمال البناء الشاقة من أجل توفير المال لعوائلهم، ولكنهم على الرغم من ذلك فإنهم على مقام عظيم من العقيدة في وجوب الدفاع عن المقدسات والدفاع عن الوطن من أولئك الإرهابيين، فلم تمنعهم تلك الظروف الاجتماعية القاسية عن تلبية نداء الجهاد عن المقدسات، إذ كُنَّا نستمد منهم العزيمة والشجاعة، والإيمان واليقين في العقيدة، من خلال تلك الكلمات التي نسمعها منهم، فضلاً عن المواقف التي نراها.^(٢)

١- ينظر: البيان كاملاً في الملحق رقم ٢ ص ٢٧-٢٨

٢- كانت هذه في أول زيارة لوفد العتبة الكاظمية المقدسة لزيارة المجاهدين، والتشرف بهم، ودعمهم مادياً ومعنوياً.

والموقف الثاني عند زيارتنا إلى محافظة «نينوى» فقد التقيت بلواء المرجعية وما يحملونه من عقيدة عظيمة في الدفاع عن المقدسات، فكان من تلك اللقاءات مع رجلين من المجاهدين، بلغ أحدهم من العمر ثمانين عاماً، والآخر خمساً وسبعين عاماً، وقد جاؤوا بأقاربهم معهم من أقصى محافظات جنوب العراق إلى شماله لتلبية فتوى الجهاد، وتطهير الأرض من رجس الإرهابيين المجرمين، وكانا في أتم الاستعداد للقتال والشهادة، ولسانهم يلهج بصاحب الفتوى (دام ظله)، وكانوا ينتظرون يوم الخميس بفارغ الصبر، ولما سألتهم عن ذلك، فأخبروني بأن في هذا اليوم سيقومون بهجوم كبير على عصابات كيان داعش، وهم على يقين تام من النصر، وقد فازوا بشجاعة ويقين عظيمين.^(١)

إنَّ المواقف البطولية الكبيرة التي سطرها المجاهدون في الحشد الشعبي بصنوفهم المختلفة، وألويتهم المتعددة، لا يمكن لسطور بحث أن تفي بحقيقتها، أو أن تبين حقيقتها، فلقد استطاعوا بهذه الروح القتالية أن يحطّموا كلَّ دسائس أعداء العراق، الذين أرادوا النيل من كرامته، وكرامة أهله، ومقدساته، وقد اعترفت الدوائر السياسية والعسكرية والإعلامية بشجاعة وبطولة مجاهدي يوم الحشد الأكبر، بل أصدر مجلس النواب العراقي قانون هيئة الحشد الشعبي تكريماً لتلك الجهود العظيمة، بعد التصويت عليه بأغلبية أعضاء المجلس.^(٢)

١- كان هذا في زيارتنا الشاقة الطويلة التي تشرّفنا بها من العتبة الكاظمية المقدسة إلى «تل عبطة» إحدى نواحي محافظة «نينوى» بالقرب من الحدود السورية بتاريخ ١١ ربيع الثاني ١٤٣٨ هـ الموافق ١٠/١٧/٢٠١٧ م.

٢- ينظر: ملحق رقم ٨ ص ٣٦ صورة القانون المنشور في موقع مجلس النواب العراقي، وملحق رقم ١٠ ص ٤٠ نص القانون المنشور في جريدة الوقائع العراقية الرسمية.

المبحث الرابع: آثار الجهاد.

نسلط الضوء في المبحث الأخير على الآثار التي ترتبت على فتوى الجهاد في الدفاع عن المقدسات في ذينك اليومين الخالدين، فبعد أن تحدثنا -إجمالاً- عن الأسباب الموجبة للجهاد، فكانت أسباباً عظيمة تستوجب على المؤمنين الدفاع عن عقيدتهم ومقدّساتهم، وتعرّفنا على الأسلوب الذي تعامل فيه المجاهدون مع أعدائهم بما فيه من تمسك تام بتعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، ورأينا تلك البطولات التي تمثّلت بالمجاهدين ابتداء من تلييتهم لنداء الجهاد، وختاماً بالنصر أو الشهادة، فكتب المجاهدون تأريخهم بدمائهم الزاكية الطاهرة، نحاول في سطور أن نقرأ الآثار العظيمة لذلك العمل المقدس الذي قدّمه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام في يوم «طَفَّهِمْ»، وما قدّمه السيد صاحب الحشد (دام ظله) وأصحابه المجاهدون في يوم «حَشَدِهِمْ»، وتكمن أهمية هذا المبحث في بيان آثار التمسك بالشريعة المقدسة في الدنيا والآخرة، وإيصال رسالة الشريعة إلى الأمم الأخرى غير المسلمة، فضلاً عن المسلمين، وترسيخ مفهوم الإيثار بالنفس من أجل العقيدة.

فمن أهمّ تلك الآثار التي يمكن توثيقها عن يوم الطّف كالآتي:

١- إنّ العقيدة أمر يرتبط بنظام إلهي مقدّس، لا يمكن للإنسان أن يكون له رأي في التعامل معه بما يراه، بل يجب عليه الامتثال للأمر الإلهي، مهما كانت صعوبة ذلك الأمر، والجهاد أحد فقرات النظام الإسلامي في الدفاع على المقدسات، ويجب علينا التمسك به وإن كان فيه من الأذى ظاهراً، ولكن

الشريعة لا تريد للمؤمنين إلا الخير المطلق، فضلاً عن الثواب العظيم الذي أعدّه الله للمجاهدين^(١)، قال -تعالى-: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

٢- إنَّ المقدسات في الشريعة الإسلامية من أعظم ما يجب علينا الدفاع عنها، مهما كان ثمن ذلك، وإن كان التضحية بالنفس والأهل والأصحاب والأموال، وهذا ما كان جلياً يوم الطف العظيم، فقد ضحى الإمام أبو عبد الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه بأنفسهم الطاهرة، ودمائهم الزاكية، من أجل ترسيخ مبادئ الشريعة المقدسة وعدم الرضوخ في مبايعة حكام الجور والمفسدين، الذين يريدون أن يتسلطوا على المسلمين بخلافة باطلة زائفة، تتمثل بها العقيدة الفاسدة من ظلم وجور وسفك دماء الأبرياء من أجل شهوة سلطان، ولذّة حكم.

٣- إنَّ نصرته الحق ومبادئه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر غير متوقفة على مجموعة معينة من أبناء المجتمع الإسلامي، وإنما هي فقرات التشريع الإسلامي في نظامه الكامل، ويجب على المسلمين جميعاً التمسك به، والتعامل مع الآخرين على أساسه، مهما كان الآخرون مقامهم الاجتماعي، وهذا ما أراد أن يؤكده الإمام الحسين عليه السلام، إذ بيّن للأمة صفات ذلك السلطان الجائر، وما يتصف من صفات رذيلة، تستوجب جهاده وقاتاله، وأنه أولى به من غيره كما ورد عنه في ذلك، وفي هذا رسالة صادقة في تطبيق تعاليم الشريعة المقدسة

١- ينظر: ميزان الحكمة ١/ ٤٤٨-٤٤٩ باب (الجهاد).

٢- سورة البقرة: الآية ٢١٦.

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآثار العظيمة التي فيها.^(١)
٤- إنَّ يومَ الطفِّ العظيم أصبح شعاراً خالدًا لكلِّ الثائرين ضدَّ الباطل،
ورسالة واضحة لكلِّ حاكم ظالم، وقد أسس ذلك اليوم لانتهيار الحكم
الأموي، وزوال ملكهم، بسبب تلك الدماء الزاكية التي بعثت في الأمة روح
الجهاد، وبذل النفس من أجل مقدَّساتها، فكم من ثورة أعقبت نهضة الإمام
الحسين عليه السلام من أجل الحفاظ على الشريعة المقدسة، وكرامة الإنسان من الظلم
والفساد والطغيان.^(٢)

٥- إنَّ يومَ الطفِّ قد أسَّس إلى تعظيم الشعائر الإسلامية كما حثت الشريعة
المقدسة على ذلك، فأصبحت فريضة الجهاد بالنفس حاضرة عند المؤمنين في
التضحية بها في سبيل المقدسات، وغدا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
شعاراً عظيماً لدى المؤمنين من أجل إحياء تعاليم الشريعة في الدفاع عن
المقدسات، وتحول المنبر الإسلامي من منبر وعظ وإرشاد فقط، إلى منبر حياة
كريمة بعز وإباء وكرامة، فأصبح المنبر الحسيني من أعظم سبُل تعظيم الشعائر
الإسلامية، بل صار ثورة ضد الحكام الطغاة، فكان له دور عظيم على مدى
التاريخ، فضلاً عن آثار زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، وإقامة الشعائر الحسينية
المختلفة في جميع بلدان العالم.^(٣)

إنَّ هذه أهم الآثار التي حاولت بيانها، والتركيز عليها، لما فيها من دروس
وعبر عظيمتين في آثار الجهاد والدفاع عن المقدسات، وما سجَّله يوم الطفِّ

١- ينظر: الكافي ٥/ ٥٥-٦٠.

٢- شمس الدين، محمد مهدي: ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية ص ١٩٩-
٢١٩.

٣- الشهرستاني، هبة الدين: نهضة الحسين ص ١٩٩-٢٢٥.

العظيم، وإلا فهي كثيرة جدًا، وتحتاج إلى مؤلّفٍ خاصٍّ^(١)، فيجب علينا أن نقرأها بتأمّلٍ لأنها كتبتْ بدماء سيد شباب أهل الجنة، وبدماء أهل بيته الذين هم من أبرِّ وأوفى أهل بيت في الإسلام، وبدماء أصحابه الذين هم أعظم أصحاب عرفهم التاريخ الإنساني والإسلامي.

وفي جهاد يوم الحشد الأكبر فقد رأينا آثارًا عظيمة استمدت آثارها من يوم الطف العظيم، نذكر منها ما يأتي:

١- عظمة المقدّسات عند المؤمنين، واستعدادهم التام في بذل أنفسهم من أجل الدفاع عنها، والحفاظ عليها من كلِّ خطرٍ أو سوء، وخصوصًا ما تمثل اليوم في هذا الفكر الإرهابي المنحرف عن تعاليم الشريعة المقدّسة، والذي تبنّى عقيدة سفك الدماء، وقتل المؤمنين الأبرياء، وهدم المراقد المقدّسة، ومحي آثار الحضارة الإنسانية، فكانت هذه المقدّسات من أهم وأعظم غايات رجال فتوى الحشد وتليبيتهم لنداء صاحب الفتوى، بهجر الأهل والديار من أجل الدفاع.

٢- تأكيد العلاقة الوثيقة بين المؤمنين ومرجعيتهم الدينية التي تمثل امتدادًا طبيعيًا لخلافة المعصومين عليه السلام في الأمة، فكان التلاحم وثيقًا جدًا بينهما، من خلال الاستجابة الكبيرة والسريعة للفتوى، من داخل العراق وخارجه، على الرغم من كونها واجبة بالوجوب الكفائي لا العيني، فأعدت للأمة ثقنها واطمئنائها بالقائد والأمة، وبالإمام ورعيته، فأذهل الأعداء ذلك التلاحم المعنوي والمادي بينهما.

١- وقد وفقنا الله تعالى لإصدار كراسين حول دروس يوم عاشوراء، فكان الأول قد تناول درس الصلاة، وتناول الآخر درس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولعلنا نوفق لإتمام الدروس الأخرى إن شاء الله تعالى؛ لنبيّن ونؤكد أن عاشوراء مدرسة عظيمة من مدارس الحياة لمن أراد حياة عز وكرامة مع الله.

٣- إعادة الأمان والثقة بالنفس لجميع العراقيين شيوفاً ونساءً وأطفالاً بوجود رجال قلوبهم كالحديد، يضحون بأنفسهم من أجلهم، فضلاً عن الدعم الكبير لقوات الجيش ومؤسسات الدولة الأخرى من الانهيار الذي كان يحيط بها، بسبب الإعلام الموالي للإرهابيين، والتفجيرات التي كانوا يقومون بها، وقصف المناطق المحيطة بالعاصمة تمهيداً لإحداث الفوضى في جميع مؤسسات الدولة، ولكن التوقيت الحكيم لصدور الفتوى، وسرعة استجابة المؤمنين لها قد حطمت كل تلك الأمانى الإجرامية.

٤- لقد أكدت الفتوى العظيمة وحده منهج المرجعية الدينية العليا في التعامل مع أعداء الشريعة المقدسة، ومدى استجابة المؤمنين في الجهاد والدفاع عن وطن المقدسات، فقبل مائة عام على إصدار فتوى الحشد كانت للمرجعية فتوى خالدة في الجهاد ضد المستعمرين الإنكليز عام ١٩١٤م عند هجومهم على العراق للسيطرة على خيراته، ونهب ثرواته، وتدنيس مقدساته، فكان ذلك اليوم للمؤمنين يوماً مشهوداً في الدفاع، وما أعقبه من ثورة العشرين، ودور العلماء المجاهدين فيها.

٥- لقد كان لآثار فتوى الحشد صدى كبير في المجتمع العراقي وتلاحمهم مع بعضهم للدفاع عن مقدساتهم، على الرغم من الاختلافات الاجتماعية والسياسية فيما بينهم، ولكن الفتوى كانت مصدر الوحدة بينهم من جهة، وبين الحكومة من جهة أخرى من أجل رد كيد أولئك الأعداء الذين قد أفرطوا في دماء الأبرياء، فأثبتت الفتوى بقوة الشريعة المقدسة في التوحيد بين أبناء المجتمع، وقدرتها الإلهية في النصر والغلبة لمبادئ الشريعة المقدسة.

إنَّ هذه أهم ما حاولت بيانه من آثار الجهاد التي كانت ليوم الطف الأعظم، ويوم الحشد الأكبر، وبذلك نكون على أعتاب نهاية صفحات هذه القراءة الموازنة لهذين اليومين الجهاديين في تأريخ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في الدفاع عن المقدَّسات، وإحياء للشريعة المقدسة، والحفاظ عليها من الأعداء، نرجو أن تكون قراءة موفقة تحيي في نفوسنا نور الفطرة في التمسك بتعاليم الشريعة المقدسة، وأن يكون لهذه الكلمات موقف راسخ في الاستجابة لتلبية فتوى الجهاد الكفائي في الدفاع عن المقدسات، فيفخر بها أبناء وطننا بتأريخ أمتهم ورجالها، ويستمد أبناؤنا من عزم أئمتهم وآبائهم، كما كان لرجال الحشد موقفهم في ذلك.

أسأل الله تعالى أن ينصر المجاهدين نصرًا عزيزًا، ويثبت أقدامهم، ويسدّد رميتهم، ويكتب لهم الأمن والسلامة والأمان، وأن يشركهم بثواب أعمالنا، إنَّه سميع مجيب، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

خاتمة وتوصيات:

- حاول الباحث أن تكون قراءته لذينك اليومين من خلال النصوص الواردة التي توثق لهما، مع استدلال موجز في انطباقه على عنوان كل مبحث، لتكون القراءة واقعية، وتستمد قوتها من الوثائق التاريخية الثابتة التي لا يشوبها تحريف، أو رفض، أو شك.

- في المباحث الأربعة للبحث كان هناك تأكيد على أهمية بيان عظمة التشريع الإسلامي، وأهمية التمسك بتعاليمه للوصول إلى حالة العز والكرامة التي أرادها الله تعالى لعباده المؤمنين، الذين يستمدون عزتهم وكرامتهم من تعاليم شريعتهم، وأمنائها من النبي والأئمة عليهم السلام وخلفائهم من العلماء.

- من خلال مباحث البحث قد ثبت أن يوم الطف الأعظم لا يمكن أن يختزل جغرافياً وتاريخياً، فلن تكون له حدود أرض كربلاء، أو زمان يوم عاشوراء، بل أصبحت كل أرض حق وفداء كربلاء، وكل زمان دفاع عن المقدسات عاشوراء، يستلهم المؤمنون منه العزيمة والإباء.

- لقد أظهر البحث التسديد الإلهي لصاحب فتوى الحشد الأكبر في دفاع عن المقدسات، وقهر الأعداء، ورد كيدهم إلى نحورهم، من خلال تأثيرها في نفوس المؤمنين، فجعلتهم يتسابقون نحو المعارك للجهاد ضد الأعداء.

- يوصي الباحث بضرورة الاعتناء بأولئك المجاهدين من خلال دعمهم مادياً ومعنوياً، وإنشاء جيش عقائدي قادر على المشاركة في المعارك الكبيرة ضد الأعداء، وحفظ المقدسات والوطن، ليكون جيشاً ممهّداً لدولة العدل الإلهي للإمام المنتظر عليه السلام، فضلاً عن الاعتناء الكبير بعوائل الشهداء، ومساعدة الجرحى.

- يوصي الباحث بضرورة توثيق تلك المعارك العسكرية العظيمة التي شارك فيها المجاهدون في تحرير المحافظات التي سيطر عليها كيان داعش الإرهابي، توثيقاً علمياً، وعسكرياً، وأدبياً، وفنياً؛ لتثبيت هذه المواقف على مستويات متعددة، وتكون معدة للدراسات الاستراتيجية والبحثية.

- يوصي الباحث بأهمية جمع البيانات والفتاوى الصادرة من المرجعية الدينية المتعلقة بفتوى الجهاد الكفائي وطبعتها في مجلد خاص، وترجمة نصوص سماحة صاحب الحشد إلى المقاتلين، وإرسالها إلى المنظمات العالمية لحقوق الإنسان؛ لتكون وثيقة أخلاقية في التعامل عند الحرب، لما فيها من تعاليم إنسانية مهمة، تعكس مدى اعتناء الشريعة المقدسة بالإنسان وكرامته.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م):
الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، د.ط.).
- ٢- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩هـ / ٨٩٢م): سنن الترمذي، تحقيق
وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، (دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ٣- الحلي، الحسن بن يوسف (العلامة) (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م): تذكرة الفقهاء،
تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤١٩هـ).
- ٤- الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم
(ت ٥٦٨هـ / ١١٧٣م): مقتل الحسين (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ محمد الساوي، (مط
مهر، الناشر: أنوار الهدى، قم، ط ١، ١٤١٨هـ).
- ٥- الريشهري، محمد: ميزان الحكمة، تح: دار الحديث، (دار الحديث، الناشر: دار
الحديث، قم، ط ٢، ١٤١٦هـ).
- ٦- الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ / ١٠٦٨م): نهج البلاغة، شرح:
الشيخ محمد عبده، (مط النهضة، الناشر: دار الذخائر، قم، ط ١، ١٤١٢هـ).
- ٧- شمس الدين، محمد مهدي: ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها
الإنسانية، (الناشر: مؤسسة الصديقة الطاهرة «عليها السلام» للإعلام الإسلامي،
بغداد، د.ط، د.مط).
- ٨- الشهرستاني، هبة الدين الحسيني (ت ١٣٦٨هـ / ١٩٦٧م): نهضة الحسين،
(منشورات الاجتهاد، قم، ط ١، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م).
- ٩- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (الشيخ) (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م): الأمالي،
تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، (الناشر: مركز الطباعة
والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ط ١ / ١٤١٧هـ، د.مط).
- ١٠- ابن طاووس، علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م): اللهوف على قتلى
الطفوف، (مط مهر، الناشر: أنوار الهدى، قم، ط ١، ١٤١٧هـ).
- ١١- الطباطبائي، محمد حسين بن محمد (السيد) (ت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م): الميزان
في تفسير القرآن، نص: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١،
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- ١٢- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (الشيخ) (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م): مجمع

- البيان في تفسير القرآن، تح: لجنة من العلماء والمحققين، قدّم له: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- ١٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تأريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ط، د.مط).
- ١٤- الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م): التفسير الكبير، تص: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- ١٥- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ/٩٤١م): الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مطبعة حيدري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٦٥ش).
- ١٦- المتقي الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م): كنز العمال، تصحيح: الشيخ صفوة الصفا، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، د.ط).
- ١٧- المجلسي محمد باقر (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م): بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- ١٨- المدرسي، محمد تقى: من هدي القرآن، (دار القارىء، بيروت، ط ٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- ١٩- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م): الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام (دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

* المواقع الإلكترونية

- ١- موقع سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) www.sistani.org
- ٢- موقع مجلس النواب العراقي ar.parliament.iq

ملحق



1- صورة لموقع السيد علي السيستاني وإعلانه لخطبة الجمعة التي أعلن فيها الجهاد الكفائي



2- صورة لنص خطبة الجمعة التي أعلن فيها الجهاد الكفائي المنشورة على موقع السيد علي السيستاني



3- صورة تكملة نص خطبة الجمعة التي أعلن فيها الجهاد الكفائي المنشورة على موقع السيد علي السيستاني

4- النص الكامل لخطبة الجمعة التي أعلن فيها الجهاد الكفائي التي ألقاها ممثل المرجعية أمين العتبة الحسينية المقدسة الشيخ المجاهد عبد المهدي الكربلائي

ما ورد في خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة

الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (١٤ / شعبان / ١٤٣٥ هـ)

الموافق (١٣ / ٦ / ٢٠١٤ م)

قال الشيخ الكربلائي في خطبة صلاة الجمعة الثانية من الصحن

الحسيني الشريف ما يأتي:

إنَّ العراق وشعبه يواجه تحديًا كبيرًا، وخطرًا عظيمًا، وإنَّ الإرهابيين لا يهدفون إلى السيطرة على بعض المحافظات كنيوى وصالح الدين فقط، بل صرَّحوا بأنَّهم يستهدفون جميع المحافظات، ولا سيما بغداد وكربلاء المقدَّسة والنَّجف الأشرف، فهم يستهدفون كلَّ العراقيين وفي جميع مناطقهم، ومن هنا فإنَّ مسؤولية التصدِّي لهم ومقاتلتهم، هي مسؤولية الجميع، ولا يختص بطائفةٍ دون أخرى، أو بطرفٍ دون آخر.

وأكدَّ الكربلائي: إنَّ التحدي وإنَّ كان كبيرًا إلا أنَّ الشعب العراقي

الذي عرف عنه الشجاعة والإقدام، وتحمُّل المسؤولية الوطنية والشرعية في الظروف الصعبة، أكبر من هذه التحديات والمخاطر .

وأضاف الكربلائي: إنَّه لا يجوز للمواطنين الذين عهدنا منهم الصبر والشجاعة والثبات في مثل هذه الظروف، أنْ يدبَّ الخوفُ والإحباطُ في نفسٍ أيٍّ واحدٍ منهم، بل لا بدَّ أنْ يكون ذلك حافزًا لنا للمزيد من العطاء في سبيل

حفظ بلدنا ومقدساتنا.

ودعا الكربلائي القيادات السياسية إلى ترك الاختلاف والتناحر، ولا سيما خلال هذه الفترة العصيبة، وحثَّهم على توحيد مواقفهم، ودعمهم وإسنادهم للقوات المسلحة؛ ليكون ذلك قوة إضافية لأبناء الجيش العراقي في الصمود والثبات.

موضحًا أنهم -أي القيادات السياسية- أمام مسؤولية تاريخية، ووطنية، وشرعية كبيرة.

وأضاف الكربلائي: إنَّ دفاع أبنائنا في القوات المسلحة، وسائر الأجهزة الأمنية هو دفاع مقدس، ويتأكد ذلك حينما يتضح أنَّ منهج هؤلاء الإرهابيين المعتدين هو منهج ظلامي، بعيد عن روح الإسلام، يرفض التعايش مع الآخر بسلام، ويعتمد العنف، وسفك الدماء، وإثارة الاحتراب الطائفي، وسيلة لبسط نفوذه وهيمنته على مختلف المناطق في العراق، والدول الأخرى.

وخاطب الكربلائي أبناء القوات المسلحة قائلاً: اجعلوا قصدكم ونيتكم ودافعكم هو الدفاع عن حرمة العراق، ووحدته، وحفظ الأمن للمواطنين، وصيانة المقدسات من الهتك، ودفع الشر عن هذا البلد المظلوم، وشعبه الجريح.

ثم قال الكربلائي: وفي الوقت الذي تؤكِّد فيه المرجعية الدينية العليا دعمها وإسنادها لكم، فإنَّها تحثُّكم على التحلي بالشجاعة، والبسالة، والثبات، والصبر، وتؤكد على أنَّ مَنْ يضحِّي بنفسه منكم في سبيل الدفاع

عن بلده وأهله وأعراضهم فإنه يكون شهيداً إن شاء الله تعالى.
وأضاف: المطلوب أن يَحْتَّ الأبُّ ابنه، والأُمُّ ابنتها، والزوجة زوجها
على الصمود والثبات، دفاعاً عن حرمت هذا البلد ومواطنيه.
وتابع قائلاً: إنَّ طبيعة المخاطر المحدقة بالعراق وشعبه في الوقت
الحاضر، تقتضي الدفاع عن هذا الوطن، وأهله، وأعراض مواطنيه، وهذا
الدفاع واجب على المواطنين بالوجوب الكفائي، بمعنى أنه إذا تصدَّى له من
بهم الكفاية بحيث يتحقَّق الغرض، وهو حفظ العراق، وشعبه، ومقدساته
يسقط عن الباقيين .

ثم قال: ومن هنا فإنَّ المواطنين الذين يتمكَّنون من حمل السلاح
ومقاتلة الإرهابيين دفاعاً عن بلدهم، وشعبهم، ومقدساتهم عليهم التطوع
للانخراط في القوات الأمنية.

واختتم ممثل المرجع السيستاني كلامه بقوله: إنَّ كثيراً من الضباط
والجنود قد أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع، والصمود، وتقديم التضحيات،
فالمطلوب من الجهات المعنية تكريم هؤلاء تكريماً خاصاً؛ لينالوا استحقاتهم
من الثناء والشكر، وليكون حافزاً لهم ولغيرهم على أداء الواجب الوطني
الملقى على عاتقهم.



5- صورة لنصائح المرجعية للمقاتلين في ساحات الجهاد المنشورة على موقع السيد علي السيستاني



6- صورة لبداية نصائح المرجعية للمقاتلين في ساحات الجهاد المنشورة على موقع السيد علي السيستاني

7- نص نصائح المرجعية للمقاتلين في ساحات الجهاد المنشورة
على موقع السيد علي السيستاني

نصائح وتوجيهات للمقاتلين في ساحات الجهاد

إصدار مكتب سماحة السيد السيستاني دام ظله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله

الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد: فليعلم المقاتلون الأعزّة الذين وفّقهم الله عزّ وجلّ للحضور

في ساحات الجهاد وجهات القتال مع المعتدين:

١- إنّ الله سبحانه وتعالى كما ندب إلى الجهاد ودعا إليه وجعله دعامةً من دعائم الدين، وفضل المجاهدين على القاعدين، فإنّه عزّ اسمه جعل له حدوداً وآداباً أو جبتها الحكمة، واقتضتها الفطرة، يلزم تفقّهما ومراعاتها، فمن رعاها حق رعايتها أو جب له ما قدره من فضله، وسنّه من بركاته، ومن أخلّ بها أحبط من أجره ولم يبلغ به أمله .

٢- فللجهاد آدابٌ عامّة لا بُدّ من مراعاتها حتى مع غير المسلمين، وقد كان النبي ﷺ يوصي بها أصحابه قبل أن يبعثهم إلى القتال، فقد صحّ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: (كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا أراد أن يبعث بسريّة دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا باسم الله، وبالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تغلوا، ولا تمثّلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً

إلا أن تضطروا إليها.

٣- كما أن للقتال مع البغاة والمحاربين من المسلمين وأضرامهم أخلاقاً وآداباً أثرت عن الإمام علي عليه السلام في مثل هذه المواقف، مما جرت عليه سيرته، وأوصى به أصحابه في خطبه وأقواله، وقد أجمعت الأمة على الأخذ بها، وجعلتها حجةً فيما بينها وبين ربها، فعليكم بالتأسي به، والأخذ بمنهجه، وقد قال عليه السلام في بعض كلامه مؤكداً لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم - في حديث الثقلين والغدير وغيرهما -: (انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبُدوا فالبُدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا).

٤- فالله الله في النفوس، فلا يُستحلن التعرّض لها بغير ما أحله الله تعالى في حال من الأحوال، فما أعظم الخطيئة في قتل النفوس البريئة، وما أعظم الحسنة بوقايتها وإحيائها، كما ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه، وإن لقتل النفس البريئة آثاراً خطيرة في هذه الحياة وما بعدها، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام شدة احتياطه في حروبه في هذا الأمر، وقد قال في عهده لملك الأشر - وقد علمت مكانته عنده ومنزلته لديه -: (إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيء أدعى لثقمة، وأعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة، وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدأ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإنّ ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة؛ لأنّ فيه قود البدن).

فإن وجدتم حالة مشتبهة تخشون فيها المكيدة بكم، فقدّموا التحذير بالقول، أو بالرمي الذي لا يصيب الهدف، أو لا يؤدي إلى الهلاك، معذرةً إلى ربّكم، واحتياطاً على النفوس البريئة.

٥- الله الله في حرّات عامة الناس ممن لم يقاتلوكم، ولا سيّما المستضعفين من الشيوخ والولدان والنساء، حتى إذا كانوا من ذوي المقاتلين لكم، فإنّه لا تحلُّ حرّات مَنْ قاتلوا غير ما كان معهم من أموالهم.

وقد كان من سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان ينهى عن التعرّض لبيوت أهل حربهم، ونسائهم، وذرائعهم، رغم إصرار بعض مَنْ كان معه - خاصة من الخوارج - على استباحتها، وكان يقول: (حاربنا الرجال فحاربناهم، فأما النساء والذرائع فلا سبيل لنا عليهم، لأنهن مسلمات وفي دار هجرة، فليس لكم عليهن سبيل، فأما ما أجلبوا عليكم واستعانوا به على حربكم وضمّهم عسكريهم وحواه فهو لكم، وما كان في دورهم فهو ميراث على فرائض الله تعالى لذرائعهم، وليس لكم عليهنّ ولا على الذرائع من سبيل .

٦- الله الله في اتهام الناس في دينهم نكايّة بهم، واستباحةً لحرّاتهم كما وقع فيه الخوارج في العصر الأول، وتبعه في هذا العصر قوم من غير أهل الفقه في الدين، تأثراً بمزاجياتهم وأهوائهم، وبرّروه ببعض النصوص التي تشابهت عليهم، فعظم ابتلاء المسلمين بهم.

واعلموا أنّ مَنْ شهد الشهادتين كان مسلماً يُعصم دمه وماله، وإن وقع في بعض الضلالة وارتكب بعض البدعة، فما كلّ ضلالة بالتي توجب الكفر، ولا كلّ بدعة تؤدي إلى نفي صفة الإسلام عن صاحبها، وربما استوجب المرء القتل بفساد، أو قصاص، وكان مسلماً .

وقد قال الله سبحانه مخاطبًا المجاهدين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ واستفاضت الآثار عن أمير المؤمنين عليه السلام نهيته عن تكفير عامة أهل حربه - كما كان يميل إليه طلائع الخوارج في معسكره-، بل كان يقول إنهم قوم وقعوا في الشبهة، وإن لم يبرر ذلك صنيعهم، ولم يصح عذرًا لهم في قبيح فعالهم، ففي الأثر المعتبر عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام: (إنَّ عَلِيًّا عليه السلام لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكن يقول: هم إخواننا بغوا علينا)، (وكان يقول لأهل حربه: إنَّا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا).

٧- وإيّاكم والتعرّض لغير المسلمين أيًّا كان دينه ومذهبه فإنّهم في كنف المسلمين وأمانهم، فمن تعرّض لحرمتهم كان خائنًا غادرًا، وإنّ الخيانة والغدر لهي أقبح الأفعال في قضاء الفطرة ودين الله سبحانه، وقد قال عزّ وجلّ في كتابه عن غير المسلمين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين). بل لا ينبغي أن يسمح المسلم بانتهاك حرّمات غير المسلمين ممّن هم في رعاية المسلمين، بل عليه أن تكون له من الغيرة عليهم مثل ما يكون له على أهله، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لما بعث معاوية (سفيان بن عوف من بني غامد) لشن الغارات على أطراف العراق - تهويلاً على أهله - فأصاب أهل الأنبار من المسلمين وغيرهم، اغتمّ أمير المؤمنين عليه السلام من ذلك غمًّا شديدًا، وقال في خطبة له: (وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أنّ الرجل

منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً).

٨ - الله الله في أموال الناس، فإنه لا يحل مال امرئ مسلم لغيره إلا بطيب نفسه، فمن استولى على مال غيره غصباً فإنها حاز قطعة من قطع النيران، وقد قال الله سبحانه: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً). وفي الحديث عن النبي ﷺ إنه قال: (من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقه لم يزل الله معرضاً عنه ماقتاً لأعماله التي يعملها من البر والخير لا يثبتها في حسناته حتى يتوب ويرد المال الذي أخذه إلى صاحبه).

وجاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه نهى أن يُستحلَّ من أموال من حاربه إلا ما وجد معهم وفي عسكرهم، ومن أقام الحجّة على أن ما وجد معهم فهو من ماله أعطى المال إياه، ففي الحديث عن مروان بن الحكم قال: (لما هزمنا علياً بالبصرة ردّ على الناس أموالهم من أقام بيّنة أعطاه ومن لم يقدّم بيّنة أحلفه).

٩ - الله الله في الحرمات كلّها، فإياكم والتعرض لها أو انتهاك شيء منها بلسان أو يد، واحذروا أخذ امرئ بذنوب غيره، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، ولا تأخذوا بالظنّة وتشبهوه على أنفسكم بالحزم، فإنّ الحزم احتياط المرء في أمره، والظنّة اعتداء على الغير بغير حجّة، ولا يحملنكم بغض من تكرهونه على تجاوز حرماته كما قال الله سبحانه: (ولا يجرمنكم

شأن قومٍ على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) .

وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة له في وقعة صفين في جملة وصاياه : (ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترًا ولا تدخلوا دارًا، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهبجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين أمراءكم وصلحاءكم)، وقد ورد أنه عليه السلام في حرب الجمل - وقد انتهت - وصل إلى دار عظيمة فاستفتح ففتحت له، فإذا هو بنساء يبكين بفناء الدار، فلما نظرن إليه صحن صيحة واحدة وقلن هذا قاتل الأحبة، فلم يقل شيئًا، وقال بعد ذلك لبعض من كان معه مشيرًا إلى حجرات كان فيها بعض رؤوس من حاربه وحرّض عليه كمروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير: (لو قتلت الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة).

كما ورد أنه عليه السلام قال في كلام له وقد سمع قومًا من أصحابه كحجر بن عدي وعمرو بن الحمق يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين: (اني أكره لكم ان تكونوا سبّايين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم (اللهم احقن دماءنا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به) فقالوا له يا أمير المؤمنين: نقبل عظمتك ونتأدب بأدبك.

١٠ - ولا تمنعوا قومًا من حقوقهم وإن أبغضوكم ما لم يقاتلوكم، وقد جاء في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه جعل لأهل الخلاف عليه ما لسائر المسلمين ما لم

يجاربه، ولم يبدأهم بالحرب حتى يكونوا هم المبتدئين بالاعتداء، فمن ذلك أنه كان يخطب ذات مرة بالكوفة فقام بعض الخوارج وأكثروا عليه بقولهم (لا حكم إلا لله) فقال: (كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدأكم بحرب حتى تبدؤونا به).

١١ - واعلموا أن أكثر من يقاتلكم إنما وقع في الشبهة بتضليل آخرين، فلا تعينوا هؤلاء المضللين بما يوجب قوة الشبهة في أذهان الناس حتى ينقلبوا أنصاراً لهم، بل ادروها بحسن تصرفكم ونصحكم وأخذكم بالعدل والصفح في موضعه، وتجنب الظلم والإساءة والعدوان، فإن من درأ شبهة عن ذهن امرئ فكأنه أحياه، ومن أوقع امرئ في شبهة من غير عذر فكأنه قتله.

ولقد كان من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام عنايتهم برفع الشبهة عن يقاتلهم، حتى إذا لم ترج الاستجابة منهم، معذرة منهم إلى الله، وتربية للأمة، ورعاية لعواقب الأمور، ودفعا للضغائن ولاسيما من الأجيال اللاحقة، وقد جاء في بعض الحديث عن الصادق عليه السلام أن الإمام علياً عليه السلام في يوم البصرة لما صلا الخيول قال لأصحابه: (لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم، فقام إليهم، فقال: يا أهل البصرة هل تجدون علياً جوراً في الحكم؟ قالوا: لا، قال: فحيفاً في قسم؟ قالوا: لا. قال: فرغبة في دنيا أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم فنقمتم علياً فنكثتم بيعتي؟ قالوا: لا، قال فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا). وعلى مثل ذلك جرى الإمام الحسين عليه السلام

في وقعة كربلاء، فكان معنيًا بتوضيح الأمور ورفع الشبهات حتى يجيا من حي عن بيّنة ويهلك من هلك عن بيّنة، بل لا تجوز محاربة قوم في الإسلام أيًا كانوا من دون إتمام الحجّة عليهم ورفع شبهة التعسّف والحيف بما أمكن من أذهانهم كما أكّدت على ذلك نصوص الكتاب والسنة .

١٢ - ولا يظنّ أحدٌ أنّ في الجور علاجًا لما لا يتعالج بالعدل، فإنّ ذلك ينشأ عن ملاحظة بعض الوقائع بنظرة عاجلة إليها من غير انتباه إلى عواقب الأمور ونتائجها في المدى المتوسط والبعيد، ولا اطلاع على سنن الحياة وتاريخ الأمم، حيث ينبّه ذلك على عظيم ما يخلفه الظلم من شحنٍ للنفوس ومشاعر العداة مما يهدّد المجتمع هداً، وقد ورد في الأثر: (أنّ من ضاق به العدل فإنّ الظلم به أضيّق)، وفي أحداث التاريخ المعاصر عبرةً للمتأمل فيها، حيث نهج بعض الحكّام ظلم الناس تشبّهًا لدعائم ملكهم، واضطهدوا مئات الآلاف من الناس، فأتاهم الله سبحانه من حيث لم يحتسبوا حتى كأنهم أزالوا ملكهم بأيديهم .

١٣ - ولئن كان في بعض الثبّت وضبط النفس وإتمام الحجّة - رعاية للموازنين والقيم النبيلة - بعض الخسارة العاجلة أحياناً فإنّه أكثر بركة وأحمد عاقبة وأرجى نتاجاً، وفي سيرة الأئمة من آل البيت (عليهم السلام) أمثلة كثيرة من هذا المعنى، حتى أنهم كانوا لا يبدؤون أهل حربهم بالقتال حتى يبدؤوا هم بالقتال وإن أصابوا بعض أصحابهم، ففي الحديث أنه لما كان يوم الجمل وبرز الناس بعضهم لبعض نادى منادي أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يبدأ أحدٌ منكم بقتالٍ حتى أمركم)، قال بعض أصحابه: فرموا فينا، فقلنا يا أمير المؤمنين: قد رُمينا،

فقال: (كفّوا)، ثم رمونا فقتلوا منا، قلنا يا أمير المؤمنين: قد قتلونا، فقال: (احملوا على بركة الله)، وكذلك فعل الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء.

١٤ - وكونوا لمن قبلكم من الناس حماة ناصحين حتى يأمنوا جانبكم ويعينوكم على عدوكم، بل أعينوا ضعفاءهم ما استطعتم، فإنهم إخوانكم وأهاليكم، واشفقوا عليهم فيما تشفقون في مثله على ذويكم، واعلموا أنكم بعين الله سبحانه، يحصي أفعالكم ويعلم نياتكم ويختبر أحوالكم.

١٥ - ولا يفوتنكم الاهتمام بصلواتكم المفروضة، فما وفد امرئ على الله سبحانه بعمل يكون خيراً من الصلاة، وإن الصلاة هي الأدب الذي يتأدّب الإنسان مع خالقه والتحية التي يؤديها تجاهه، وهي دعامة الدين ومناط قبول الأعمال، وقد خففها الله سبحانه بحسب مقتضيات الخوف والقتال، حتى قد يكتفى في حال الانشغال في طول الوقت بالقتال بالتكبير عن كل ركعة ولو لم يكن المرء مستقبلاً للقبلة كما قال عزّ من قائل: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ، فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ).

على أنه سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم وأسلحتهم ولا يجتمعوا للصلاة جميعاً بل يتناوبوا فيها حيطةً لهم. وقد ورد في سيرة أمير المؤمنين وصيته بالصلاة لأصحابه، وفي الخبر المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال في صلاة الخوف عند المطاردة والمناوشة: (يصلّي كل إنسان منهم بالإيماء حيث كان وجهه وإن كانت المسابقة والمعانقة وتلاحم القتال، فإن أمير المؤمنين عليه السلام صلى ليلة صفين - وهي ليلة الهريز - لم تكن صلاتهم الظهر والعصر

والمغرب والعشاء - عند وقت كل صلاة - إلا التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد والدعاء، فكانت تلك صلاتهم، لم يأمرهم بإعادة الصلاة).

١٦ - واستعينوا على أنفسكم بكثرة ذكر الله سبحانه وتلاوة كتابه واذكروا لقاءكم به ومنقلبكم إليه، كما كان عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ورد انه بلغ من محافظته على ورده أنه يُسَطُّ له نَطْعٌ بين الصفين ليلة الهيرير فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صياخيه يمينا وشمالاً فلا يرتاع لذلك، ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته.

١٧ - واحرصوا أعانكم الله على أن تعملوا بخُلق النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) مع الآخرين في الحرب والسلم جميعاً، حتى تكونوا للإسلام زينةً ولقيمته مثلاً، فإن هذا الدين بُني على ضياء الفطرة وشهادة العقل ورجاحة الأخلاق، ويكفي منبهاً على ذلك أنه رفع راية التعقل والأخلاق الفاضلة، فهو يرتكز في أصوله على الدعوة إلى التأمل والتفكير في أبعاد هذه الحياة وآفاقها، ثم الاعتبار بها والعمل بموجبها، كما يرتكز في نظامه التشريعي على إثارة دفائن العقول وقواعد الفطرة، قال الله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاهَا وقد خاب من دسّاهَا) وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (فبعث - الله - فيهم رسله وواتر أنبياءه إليهم ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكرهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول)، ولو نفقّه أهل الإسلام وعملوا بتعاليمه لظهرت لهم البركات وعمّ ضياؤها في الآفاق، وإياكم والتشبّث ببعض ما تشابه من الأحداث والنصوص فإنّها لو رُدّت إلى الذين يستنبطونه من أهل العلم - كما أمر الله سبحانه - لعلموا

سبيلها ومغزاها.

١٨ - وإياكم والتسرّع في مواقع الحذر فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة، فإن أكثر ما يراهن عليه عدوكم هو استرسالكم في مواقع الحذر بغير تروٍّ، واندفاعكم من غير تحوُّط ومهنية، واهتموا بتنظيم صفوفكم والتنسيق بين خطواتكم، ولا تتعجلوا في خطوةٍ قبل إنضاجها وإحكامها وتوفير أدواتها ومقتضياتها وضمان الثبات عليها والتمسك بنتائجها، قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا تُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا)، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُيُوتًا مَرْصُورًا)، وكونوا أشدَّاء فوق ما تجدونه من أعدائكم فإنكم أولى بالحق منهم، وإن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون، اللهم إلا رجاءً مدخولاً وأمانى كاذبة واوهاماً زائفة كسراب ببيعةٍ يحسبه الظمان ماءً، حجبتهم الشبهات بظلماتها وعميت بصائرهم بأوهامها .

١٩ - هذا وينبغي لمن قبلكم من الناس ممن يتترس بهم عدوكم أن يكونوا ناصحين لحماهم يقدِّرون تضحياتهم ويعدون الأذى عنهم ولا يثيرون الظنة بأنفسهم، فإن الله سبحانه لم يجعل لأحدٍ على آخر حقاً إلا وجعل لذلك عليه حقاً مثله، فلكلِّ مثل ما عليه بالمعروف .

واعلموا أنكم لا تجدون أنصح من بعضكم لبعض إذا تصافيتم واجتمعتم فيما بينكم بالمعروف حتى وإن اقتضى الصفح والتجاوز عن بعض الأخطاء بل الخطايا وإن كانت جليلة، فمن ظنَّ غريباً أنصح له من أهله وعشيرته وأهل بلده ووالاه من دونهم فقد توهم، ومن جرّب من الأمور ما جرّبت من قبل أوجبت له الندامة. وليعلم أن البادئ بالصفح له من الأجر مع أجر

صفحه أجر كل ما يتبعه من صفح وخير وسداد، ولن يضيع ذلك عند الله سبحانه، بل يوفيه إيّاه عند الحاجة إليه في ظلمات البرزخ وعرصات القيامة. ومن أعان حامياً من حمّة المسلمين أو خلفه في أهله وأعانه على أمر عائلته كان له من الأجر مثل أجر من جاهد.

٢٠- وعلى الجميع أن يدعوا العصبية الذميمة ويتمسكوا بمكارم الأخلاق، فإنّ الله جعل الناس أقواماً وشعوباً ليتعارفوا ويتبادلوا المنافع ويكون بعضهم عوناً للبعض الآخر، فلا تغلبنكم الأفكار الضيقة والأنانيات الشخصية، وقد علمتم ما حلّ بكم وبعمامة المسلمين في سائر بلادهم حتّى أصبحت طاقاتهم وقواهم وأموالهم وثوراتهم تُهدر في ضرب بعضهم لبعض، بدلاً من استثمارها في مجال تطوير العلوم واستنماء النعم وصلاح أحوال الناس. فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصّة، أمّا وقد وقعت الفتنة فحاولوا إطفاءها وتجنّبوا إذكاءها، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا، واعلموا أنّ الله إن يعلم في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم، إنّ الله على كلّ شيءٍ قدير.

صدر في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام 1436 هـ



8- نشر قانون هيئة الحشد الشعبي بعد إقراره من مجلس النواب العراقي المنشور على موقع مجلس النواب

9- نص قانون هيئة الحشد الشعبي بعد إقراره من مجلس النواب العراقي المنشور على موقع مجلس النواب

قانون هيئة الحشد الشعبي المنشور على الموقع الإلكتروني

لمجلس النواب العراقي

ar.parliament.iq

القوانين الصادرة

قانون هيئة الحشد الشعبي

٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٦

بناءً على ما أقره مجلس النواب وصادق عليه رئيس الجمهورية استناداً إلى أحكام البند (أولاً) من المادة (٦١) والبند (ثالثاً) من المادة (٧٣) من الدستور صدر القانون الآتي:

رقم (٩١) لسنة ٢٠١٦

قانون هيئة الحشد الشعبي

المادة -١-

أولاً: تكون هيئة الحشد (الشعبي) المعاد تشكيلها بموجب الأمر الديواني المرقم (٩١) في ٢٤/٢/٢٠١٦ تشكيلاً يتمتع بالشخصية المعنوية، ويعد جزءاً من القوات المسلحة العراقية، ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة .
ثانياً: يكون ما ورد من مواد بالأمر الديواني (٩١) جزءاً من هذا القانون وهي:

١- يكون الحشد الشعبي تشكيلاً عسكرياً مستقلاً، وجزءاً من القوات

- المسلحة العراقية، ويرتبط بالقائد العام للقوات المسلحة.
- ٢- يتألف التشكيل من قيادة، وهيئة أركان، وصنوف، وألوية مقاتلة.
- ٣- يخضع هذا التشكيل للقوانين العسكرية النافذة من جميع النواحي، ماعدا شرط العمر والشهادة.
- ٤- يتم تكييف منتسبي ومسؤولي وأمري هذا التشكيل وفق السياقات العسكرية من تراتبية، ورواتب، ومخصصات، وعموم الحقوق والواجبات.
- ٥- يتم فك ارتباط منتسبي هيئة الحشد الشعبي الذين ينضمون إلى هذا التشكيل عن كافة الأطر السياسية والحزبية والاجتماعية، ولا يسمح بالعمل السياسي في صفوفه.
- ٦- يتم تنظيم التشكيل العسكري من هيئة الحشد الشعبي بأركانه وألويته ومنتسبيه ممن يلتزمون مما ورد آنفاً من توصيف لهذا التشكيل، وخلال المدة (٣) (ثلاثة أشهر).
- ٧- تتولى الجهات ذات العلاقة تنفيذ أحكامه .
- ثالثاً: تتألف قوة الحشد (الشعبي) من مكونات الشعب العراقي، وبما يضمن تطبيق المادة (٩) من الدستور .
- رابعاً: يكون إعادة انتشار وتوزيع القوات في المحافظات من صلاحيات القائد العام للقوات المسلحة حصراً.
- المادة ٢-٢
- يتم تعيين قائد الفرقة بموافقة مجلس النواب، واستناداً لأحكام المادة ٦١ / خامساً / ج من الدستور .
- المادة ٣-٣

تسري أحكام هذا القانون على منتسبي التشكيل اعتباراً من تاريخ قرار مجلس الوزراء (٣٠٧) بتاريخ ١١/٦/٢٠١٤.

الأسباب الموجبة

تكريماً لكلِّ مَنْ تطوع من مختلف أبناء الشعب العراقي دفاعاً عن العراق في حفظ الدولة العراقية من هجمة الدواعش، وكلِّ مَنْ يعادي العراق ونظامه الجديد، والذين كان لهم الفضل في رد المؤامرات المختلفة، ومن أجل حفظ السلاح بين القوات المسلحة العراقية وتحت القانون، وتعزيز هيبة الدولة، وحفظ أمنها، وجعل السلاح بيد الدولة فقط، وتكريماً لكلِّ مَنْ ساهم في بذل دمه في الدفاع عن العراق من المتطوعين والحشد الشعبي والحشد العشائري شرّع هذا القانون .



70- غلاف جريدة الوقائع العراقية العدد 4429 في 27 ربيع الأول 1438هـ الموافق 26 كانون الأول 2016م وقد نشرت فيها قانون هيئة الحشد الشعبي بعد مصادقة السيد رئيس الجمهورية



11- قانون هيئة الحشد الشعبي بعد مصادقة السيد رئيس الجمهورية عليه المنشور في جريدة الوقائع العراقية العدد 4429 في 27 ربيع الأول 1438هـ الموافق 26 كانون الأول 2016م



قوانين



٤. يتم إخطار رئيس مجلس إدارة البنك الشعبي الذي يتخون في هذا الشأن، من قِبل الإدارة النسائية والخدمية والاقتصادية ولا صلاح بشأن التسيير في صفوفه .
١. يتم تقديم الشكاوى المتعارية من إدارة البنك الشعبي بإدارة وإيقافه وإشتماله ضمن بتكثوره بما ورد لنا من توصيف لهذا الشكاوى .
٢. تولى الجهات ذات العلاقة تطبيق المادة .
- لذا، تلقى قرار المجلس الشعبي من مخرجات اللجنة العراقية وما ضمن تطبيق المادة (٢) من الدستور .
- وبما يكون لهذا الشكاوى وتكرارها في المستقبل من صلاحيات اللجان المختصة بالتنسيق معها .
- المادة ٢٠- يتم تعيين قائد الفرقة لواء فوق بوزارة مجلس النواب واستناداً للمادة (١٦١) من الدستور .
- المادة ٢١- يتم نشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ونسري تطبيق هذا القانون على المجلس الشعبي .
- المادة ٢٢- من تاريخ قرار مجلس النواب (٢٠١١/٢٠١٢) .

قررت بصور
رئيس الجمهورية

قوانين العراقية - العدد ٢٠١٢ (١) ٢٠١٢/٢٠١٢



قوانين



التعليق التوضيحية

تاريخها كان من خروج من مكتب لواء الشعب العراقي قادما من العراق في حقل دولة العراقية من جهة الموصل والى من رعدى العراق وبقائه اجنبا وقادى ان لهم الفصل في رة التوقيتات المتعلقة ومن بان حقل الشكاوى مع القوات المسلحة والقضية العراقية وبحث القانون وتكرار هذه الحالة ونظرا لانهما وعلى الشكاوى مع الدولة الفاعل وتكرارها كان من ساموا في بان منه في الفاعل من العراق من الشكاوى من لواء الشعب الشعبي والقضية المتعارية .

شروع هذا القانون .

قوانين العراقية - العدد ٢٠١٢ (١) ٢٠١٢/٢٠١٢



٦٢- الإعلام يعلن صدور فتوى الجهاد الكفائي من المرجعية الدينية العليا في خطبة الجمعة على لسان ممثلها إمام الجمعة أمين العتبة الحسينية المقدسة الشيخ المجاهد عبد المهدي الكربلائي



٦٣- توافد الآلاف على معسكرات التدريب بعد صدور فتوى الجهاد الكفائي من المرجعية الدينية العليا للالتحاق بساعات القتال



٦٤- لقاء وفد العتبة الكاظمية المقدسة بالمجاهدين من أنصار لواء المرجعية في "تل عبط" إحدى نواحي محافظة نينوى وهم يستعدون لتحرير تلعفر فالموصل بتاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ الموافق 2017/1/10م



٦٥- لقاء وفد العتبة الكاظمية المقدسة بالمجاهد السيد حميد الياسري آمر لواء أنصار لواء المرجعية في "تل عبط" إحدى نواحي محافظة نينوى وهم يستعدون لتحرير تلعفر فالموصل بتاريخ ١٦ ربيع الثاني ١٤٣٨هـ الموافق 2017/1/10م

أيدولوجية الجماعات التي تتبنى التطرف والإرهاب وتصدي أهل البيت عليهم السلام لهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً

الدكتور عباس فاضل السراج/العراق-النجف الاشرف

لم تعد ذهنية العنف التكفيرى الكامنة وراء الإرهاب حكراً على العناصر التكفيرية التي تؤمن بالممارسات التي تتسم كلياً بالعنف والتطرف بل أسست في اتساعها لتشمل مساحات واسعة في دول إسلامية وعربية عديدة تعرّضت على مدار سنوات الى عدوٍ يتبنى استراتيجيات تعتمد على عمليات غسيل الأدمغة تحت وطأت وضغط السياسات الاقتصادية التي تمر بها المنطقة، ولأنّ أهل البيت عليهم السلام بحكم كونهم مرشدين، وأمّرين بالمعروف قد واجهوا هذا التطرف التكفيرى، وابتدأت هذه المواجهة من رسول الرحمة صلوات الله عليه وآله وانتهت بأتباع أهل البيت عليهم السلام في هذا العصر والزمان، وأظهر مصداق للتصدي للمنكر والانحراف هو ما واجهه أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين كان لهم النصيب الأوفر من هذا الفكر المتطرّف، وقد تضمن البحث تمهيداً وثلاثة مباحث:

التمهيد

تعرض الباحث فيه إلى معنى الإرهاب والتطرف من حيث اللغة والاصطلاح. فالإرهاب لغةً: من الرهب أو الخوف.

أمّا اصطلاحاً: نجد أنّ الأعلام والفقهاء المتقدمين قد فسّروا الإرهاب بتفسير قد يختلف عن العصر الحاضر، فنجد أنّ الشيخ الطوسي -رحمه الله- عندما عرّف المحارب أو المفسد الذي هو معنى آخر للإرهاب بأنه: الذي يجرد السلاح، ويكون من أهل الريبة في مصر كان أو غير مصر، وفي بلاد الشرك كان أو في بلاد الإسلام، وليلاً كان أو نهاراً، فمتى فعل ذلك كان محارباً. بمعنى أنّ المصطلح نفسه كان عند القدماء، ولا توجد مفردة الإرهاب بل كانت هناك مفردة المحارب أو المفسد، وتُسمى هذه الجناية آنذاك بجناية الإفساد أو جناية الحراية، والآن بالنسبة للتعريف المعاصر للإرهاب فقد وقع الاختلاف الكثير في تعريفه. فلا نغالي إن قلنا من أكثر المفاهيم التي وقع الاختلاف في تعريفها هو الإرهاب؛ لأنّ هذه المفردة على ضوء التعريف تبني قضايا كثيرة.

وعلى ضوء هذا الاختلاف تبني الباحث ما ذكره بعض أعلام مدرسة النجف الحديثة ألا وهو سماحة الشيخ محمد السند إذ عرّف الإرهاب أنه «عبارة عن استخدام الرعب كعمل رمزي؛ للتأثير على العمل السياسي بوسائل مهددة عنيفة غير معتادة» وقد قام بربط الإرهاب بالتطرف بقوله: «إنّ الإرهاب هو عبارة عن العنف المتطرّف لأهدافٍ سياسية تنتهك المعتقدات الإنسانية والأخلاقية»، ولا يمكن أن نفكّك بين الفكر التّكفيرى والتطرف الذي يتبناه أصحاب هذه المدرسة التّكفيرية، وأمّا ما يتعلّق بموقع جناية الإرهاب

في الجانب الفقهي فنجد أنّ أعلام المدرستين قد بحثوه تحت عنوان جناية المحاربة، وقد وضعوا له تفاصيل من شروطٍ وحدودٍ وتعريفاتٍ متعدّدة، ويتفق علماء الإمامية وكذلك علماء المدارس الإسلامية الأخرى على أنّ هذه الجناية من أشدّ الجنايات التي يعاقب عليها الشرع .

المبحث الأول:

أيدولوجية الجماعات التي تتبنى التطرف والإرهاب

من أبرز ما يكون سبباً في التطرف هو القناعات والتأثر بأفكار شخصيات يعتقد البعض أنها مقدّسة، ويأخذ بأفكار يعتبرها من المسلّمات-فكراً وعقيدة وسلوكاً-، وجوهر الخطأ الذي مُني به المتطرفون والتكفيريون أخذهم الحق من الأشخاص الذين يحبونهم مع اعتبار كل ما يصدر منهم حقاً، وعدّ كل ما يصدر على خلاف فكرهم باطلاً وظلماً، وقد اعتمدوا في مقياس الحق على الرجال، بينما نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام قد وضع قانوناً بقوله: «لا يُعرف الحق بالرجال بل تُعرف الرجال بالحق، اعرف الحقّ تعرف من أتاه، واعرف الباطل تعرف من أتاه» وقوله: أيضاً عليه السلام في تشخيص هذه المسألة «الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحقّ تعرف أهله».

إنّ الفكر التّكفيرى ساعد بشكل أو بآخر على أن يكون مشروعاً لنخر الأمة من خلال ظهور مجموعة تتبنى أفكاراً متحجرة أسست لعقيدة التطرف، والقتل، والتكفير، وترويع الأمنين، ونجد أنّ هذا الأمر ليس وليد اليوم بل أوّل من ابتلي به الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله قبل الهجرة، وبعدها، وقد واجه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام النصيب الأوفر من هذا الإرهاب خصوصاً فيما يتعلق بالناكثين، والمارقين، والقاسطين، وقد كانت حركة الخوارج من أبرزها، وما إن انتهت حقبة الخوارج حتى دخلت مرحلة الدولة الأموية التي تبنّت ارهاب الدولة، وساعدت على ذلك، إلى أن وصل الأمر إلى تبني فكر ممنهج لترويع الناس.

أمَّا التسلسل التاريخي للإرهاب فإنَّ أوَّل من أسَّس لهذه الفكرة هو ابن تيمية عندما كان المنظر الأوَّل لهذه الحركات، وقام من بعده محمد بن عبد الوهاب الذي حوَّل الفكر التكفيرى من مقام النظرية إلى مقام التطبيق، بينما نجد أنَّ الفكر التكفيرى المعاصر قد تطرَّف أكثر من فكر محمد بن عبد الوهاب الذي كان ينتمى الى تكفير جماعات، فالفكر المعاصر تبنَّى حتى تكفير الحُكَّام، بينما لا نجد هذه الفكرة موجودة في أدبيات المؤسِّس الثانى للفكر التكفيرى محمد بن عبد الوهاب .

أبرز مميزات الحركات التكفيرية:

ويمكن إيجازها في النقاط الآتية:

١- التخبط في فهم الدليل الشرعى الذى يكون ناتجاً عن الجهل، وقلة المعرفة، والتفوق النفسى.

٢- العنف والقسوة: وما نشاهده اليوم خير شاهد.

٣- الانغلاق والتعصُّب: وتتمثل بشكل جليِّ في عدم استعدادهم لمراجعة أفكارهم حتى رفضوا الحوار مع الآخرين، وعدَّوا أنَّ فكرة التقارب بين المذاهب يُراد منها أن تكون فخاً للسنة والجماعة.

٤- سرعة التقلب وتغيير الآراء.

٥- أتباع أهل البيت عليهم السلام كان لهم النصيب الأوفر في محاربة هذا الفكر.

المبحث الثاني:

أذكر فيه تصدي أهل البيت عليهم السلام لهذا الفكر، وقد عرضت بعض النماذج التي واجهت الإرهاب، فقد واجه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إرهاباً من قريش قبل الهجرة وبعد الهجرة، لكن السؤال هل واجه الرسول صلى الله عليه وآله هذا الإرهاب بالإرهاب؟
لقد واجهه بالتسامح والعفو، وكان الرسول صلى الله عليه وآله من أشدّ المستنكرين والرافضين للإرهاب ولكل أشكال الفساد دون أن يتلون بتلك الجريمة.

المبحث الثالث:

تصدي الإمام الحسين عليه السلام للإرهاب

وعرضت فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: المبنى الفقهي لثورة الإمام الحسين عليه السلام (مسوغات ومبررات هذه الثورة).

ففي العصر الحالي نسمع من هنا وهناك من يتهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام بأنها إرهاب، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام بخروجه عن الحاكم كان نوعاً من الإرهاب، فكان لزاماً ذكر هذا المطلب لبيان وجهة النظر الفقهية، ولم أقصر في ذلك على ما ذكر في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وقد حشّدت مجموعة من المصادر دفعت تهمة الإرهاب لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وبينت أسباب خروجه عليه السلام.
المطلب الثاني الإرهاب الذي تعرّض له الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه، وأثناء الخروج، وحتى بعد الخروج، وكيف تعامل الإمام مع هذا الإرهاب.

المطلب الثالث: ذكر فيه مسألة في غاية الأهمية، ألا وهي أخلاقيات ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ومن أبرز أخلاقيات الإمام خصوصاً ما يتعلق بالإرهاب فإنه عليه السلام وهو أمام الموت كان حريصاً على عدم سفك الدماء، وأن يبدأ الأعداء بقتال.

وكانت نتائج البحث متعددة خرجت من خلالها بتوصيات أهمها:

- ١- أن يضع المسلمون جميعاً -بل الإنسانية بأكملها- الفكر التكفيري على أنه الخطر الكبير ضد الإنسانية، وتحاول تجفيف منابعه وعقيدته.
- ٢- إنَّ المعيار الذي تصدَّى به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام الحسين عليه السلام للفكر التكفيري ينبغي أن يكون منهجاً نحارب به هذه الأفكار الهدامة، والمنحرفة.



الآخِر في المنظور السلوكي والمعرفي عند الإمام الحسين عليه السلام (قراءة تحليلية: الأعراب أنموذجا)

أ.م.د. هناء كاظم خليفة أ.م.د. رديم مزهر جبر العتابي
العراق- بقداد العراق- بقداد

المقدمة

الحمد لله الرَّؤُوف الرَّحْمَن، خلق الإنسان، علمه البيان، ووضع الميزان، والصلاة والسلام على من أرسله بالقرآن محمد المصطفى وعلى أهل بيته معادن الحكمة ومعالم البرهان، واللعنة الدائمة على أعدائهم عبدة الأوثان، وأولياء الشيطان، وبعد:

لا يخفى على الجميع أنَّ سيرة الإمام الحسين عليه السلام قد أشبعت بحثاً ودراسة، وبالرغم من ذلك فلا يزال معيناً لا ينضب، لذا فقد ارتأينا أن نختار موضوعاً لم تسلط الأضواء عليه، فقد عمدنا الى دراسة تلك المواقف التي دارت رحاها بين الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وبين فئة من الناس فرضت وجودها في أحداث المجتمع عموماً، ألا وهي فئة الأعراب.

ولاسيما أنَّ لحياته عليه السلام في عموم المجتمع الإسلامي دوراً لا يغفله أحد، وأخذ يترك طابعاً ينسجم مع موقعه الذي أضحي مرتكزاً للمواقف، ومع المهمات التي لا بد له أن يضطلع بها، ولا يخفى كذلك أنَّ طبيعة تعامله مع هذه المواقف بما هو عليه من خلق النبوة قد أسفر عن نتائج سنراها بوضوح في طيَّات هذا البحث .

أهداف البحث:

يهدف إلى إبراز جملة من الأمور من بينها مايلي:

١- بيان أخلاقيات تعامل الإمام الحسين عليه السلام الذي التزم جانب الحق مع الجميع حتى مع أعدائه، وأنه لا يمكن أن يتعامل إلاّ بمثل هذا الخلق مع الآخرين من أفراد المجتمع ومنهم تلك العينة التي كانت محط دراستنا في هذا البحث ألا وهم «الأعراب».

٢- توضيح طبيعة العلاقة التي جمعت بين الإمام الحسين عليه السلام والأعراب من خلال تلك المواقف التي جمعتهم، مع تسليط الضوء على ما واجهه -سلام الله عليه- من تحديات لأنواع متباينة من الكيد، والمكر، والاختبار، ودراسة ردود فعل الأعراب بعد مشاهدتهم لذلك الخلق النبوي الرفيع.

٣- دراسة الطرق التي اتبعتها الإمام الحسين عليه السلام لمعالجة بعض الانحرافات الفكرية التي بدرت من بعض الأعراب، أو ضيق ومحدودية الطرح من قبلهم، وذكر أمثلة على ذلك، مع مراعاة إبراز الجانب الأخلاقي والمعرفي للإمام الحسين عليه السلام من خلال السلوك الإنساني الذي تعامل به معهم.

٤- تسليط الضوء على ما أفرزته تلك المواقف والأحداث، ودورها في إحداث تغيير سلوكي ومعرفي عند الأعراب .

٥- إثارة الرغبة لدى كثير من الباحثين وممن هم من ذوي التخصص بضرورة معالجة تلك المواضيع التي أغفلتها يد البحث فطويت بين صفحات الكتب، ولاسيما وأن ما يرتبط بحياة الإمام الحسين -سلام الله عليه- ليس محصوراً في حوادث تحددت بين الفترة الزمنية التي تراوحت بين رعاية المصطفى عليه السلام

وبين واقعة الطّف الأليمة. وأنّ أحداث حياته الشريفة، وأخبارها قد تناثرت
بين صفحات الكتب بحاجة الى جمعها، وتقديمها بأتم ما يمكن أن تكون
عليه.



منهج البحث:

لا تخلو الكثير من الروايات من حالة الغموض، ويحتاج بعضها الآخر إلى شيء من التوضيح، ولإبراز البعض منها لما احتوته من معلومات قيّمة ومهمة فقد ارتأينا أن نعتمد المنهج التحليلي في عرض الرواية. ولا سيما أننا قد حاولنا ما أمكننا من الوقوف على تلك الروايات التي احتاجت لدراسة وتحليل. أمّا التعليقات والمناقشات على تلك النصوص، فمعظمه قد أفرز نتائج مهمة. مع الاعتماد في توثيق المعلومات على عددٍ وافٍ من المراجع الأولية، والمصادر الثانوية.

خطة البحث:

١. الاعراب لغةً واصطلاحاً.
٢. الاعراب في الآيات القرآنية الكريمة.
٣. الإمام الحسين عليه السلام بين مبادئ و حاجة الاعراب في التعليم والاستفسار.
٤. الامام الحسين عليه السلام بين دائرة اختبار الاعراب و يقين الاستزادة من علمه).
٥. ترسيخ السلوكيات الأخلاقية من خلال تعامل الامام الحسين عليه السلام مع الاعراب.
٦. تأكيدات على انماط الخلق الرفيع (مراعاة الاخر، ورياضة النفس و تحريم السؤال من غير حاجة، و كراهته معها ما لم يضطر و حليته عند الضرورة و الاضطرار.

٧. مكانة الإمام الحسين عليه السلام بين التقدير والاعجاب عند الأعراب.
٨. الأعراب وإرشاد الامام الحسين عليه السلام لضعفهم.
٩. خاتمة تضم ابرز النتائج التي توصلنا اليها.
١٠. قائمة المصادر الأولية والمراجع الثانوية التي اعتمدناها في توثيق معلومات البحث.

الاعراب لغةً واصطلاحاً:

الاعراب لغة:

سكان البادية خاصة، والعرب جيل من الناس، والنسبة إليهم عربي، وهم أهل الأمصار. وجاء في الشعر الفصيح، الأعراب. والنسبة إلى الأعراب أعرابي؛ لأنه لا واحد له. وليس الاعراب جمعاً لعرب، كما كان الأنباط جمعاً لنبط، وإنما العرب اسم جنس. والعرب العاربة هم الخالص منهم، وأخذ من لفظه فأكد به، كقوله ليل لائل. وربما قالوا: العرب العرباء. وتعرب، أي تشبه بالعرب. وتعرب بعد هجرته، أي صار أعرايياً. والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص، وكذلك المتعربة^(١) وجعل المهاجر ضد الأعرابي. والأعراب، ساكنو البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار، ولا يدخلونها إلا لحاجة^(٢). وتعرب: تشبه بالعرب، أقام بالبادية، وصار أعرايياً^(٣).

والعَرَبِيُّ منسوب إلى العَرَب، وإن لم يكن بَدَوِيًّا. والأَعْرَابِيُّ : هو البَدَوِيُّ، وهم الأَعْرَابُ، والأَعْرَابِيُّ: جمع الأَعْرَابِ. وجاء في الشعر الفصيح الأَعْرَابِيُّ، وقيل: ليس الأَعْرَابُ جمعاً لَعَرَبٍ، كما كان الأَنْبَاطُ جمعاً لَنَبَطٍ، وإنما العَرَبُ اسم جنس. والنَّسَبُ إلى الأَعْرَابِ: أَعْرَابِيٌّ، قال سيبويه: إنما قيل في النسب إلى الأَعْرَابِ أَعْرَابِيٌّ؛ لأنه لا واحد له على هذا المعنى. وَعَرَبِيٌّ: بَيْنُ العُرُوبَةِ والعُرُوبِيَّةِ، وهما من المصادر التي لا أفعال لها. وحكى الأزهري: رجل عَرَبِيٌّ إذا كان نسبه في العَرَبِ ثابتاً، وإن لم يكن فصيحاً،

وجمه العَرَبُ، ورجل أَعْرَابِيٌّ، بالألف، إِذَا كَانَ بَدْوِيًّا، صَاحِبَ نَجْعَةٍ وَأَنْتَوَاءٍ
وَأَزْيَادٍ لِلْكَأَلِ، وَتَبِعَ لِمَسَاقِطِ الْغَيْثِ، وَسِوَاءِ كَانَ مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ مَوَالِيهِمْ
. وَالْأَعْرَابِيُّ إِذَا قِيلَ لَهُ: يَا عَرَبِيُّ فَرِحَ بِذَلِكَ وَهَشَّ لَهُ. وَالْعَرَبِيُّ إِذَا قِيلَ لَهُ: يَا
أَعْرَابِيُّ غَضِبَ لَهُ. فَمَنْ نَزَلَ الْبَادِيَةَ، أَوْ جَاوَرَ الْبَادِيَيْنِ وَظَعَنَ بَطْعَنِهِمْ، وَأَنْتَوَى
بِأَنْتَوَائِهِمْ: فَهِيَ أَعْرَابٌ، وَمَنْ نَزَلَ بِلَادَ الرَّيْفِ وَأَسْتَوَطَنَ الْمُدْنَ وَالْقُرَى الْعَرَبِيَّةَ
وغيرها ممن يَنْتَمِي إِلَى الْعَرَبِ: فَهِيَ عَرَبٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا فُصْحَاءَ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَعْرَابٌ، إِنَّمَا هُمْ عَرَبٌ؛ لِأَنَّهُمْ
أَسْتَوَطَنُوا الْقُرَى الْعَرَبِيَّةَ، وَسَكَنُوا الْمُدْنَ، وَسِوَاءِ مِنْهُمْ النَّاشِئُ بِالْبَدْوِ ثُمَّ
أَسْتَوَطَنَ الْقُرَى، وَالنَّاشِئُ بِمَكَّةَ ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَإِنْ لَحِقَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
بِأَهْلِ الْبَدْوِ بَعْدَ هِجْرَتِهِمْ، وَاقْتَنَوْا نَعْمًا، وَرَعَوْا مَسَاقِطَ الْغَيْثِ بَعْدَ مَا كَانُوا
حَاضِرَةً أَوْ مُهَاجِرَةً، قِيلَ: قَدْ تَعَرَّبُوا أَيْ صَارُوا أَعْرَابًا، بَعْدَ مَا كَانُوا عَرَبًا. (٤)

الأعراب اصطلاحاً:

من خلال استعراض آراء الفقهاء - قدس الله أسرار الماضين منهم وحفظ الباقيين - يستفاد أمور مهمة في المقام، خاصة فيما يرتبط بفهم موضوع الحكم وتحديدته .

إنَّ التعرّب والبعد عن الفقه والمسائل والأحكام شيء واحد . وهذا تصريح واضح أن التعرّب ليس مجرد سكنى البادية سواء أقام فيها المشركون أو الكفار أو لا، وإنما حقيقة الموضوع هو السكنى حيث يقلّ الدين، ولا يمكن معه معرفة الأحكام، وإظهار شعائره، وهذا غالباً ما يكون في بلاد الكفر والشرك.

والتعرُّب بعد الهجرة: أن يعود إلى البادية، ويقوم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرًا. وكان من رجع بعد الهجرة إلى موضعه من غير عذر يعدونه كالمترد. فالتعرّب أن يشتغل الإنسان بتحصيل العلم ثمّ يتركه. (٥) لذا فقد اختلفت عبارات الفقهاء في تفسير الأعرابي - عند تعرضهم له في شروط إمام الجماعة - ولعلّه لأجل ذلك اختلفت آراؤهم في الحكم، فالأعرابي: - كما وضعنا سابقاً - المنسوب إلى الأعراب، وهم سكان البادية، ثمّ قد يراد به: من لا يعرف محاسن الإسلام وتفصيل أحكامه من سكان البوادي المعني بقوله - تعالى - في سورة التوبة (٩٧): (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ). وقد يطلق على من يلزمه الهجرة منهم، ولم يهاجر، وإن كان عارفاً بالأحكام. وعلى مطلق المنسوب إليهم.

والأعرابي وإن فسر بساكن البادية إلا أن منصرفه من كان متخلفاً بأخلاقهم
الدينية المبنية على المسامحات، وإن لم توجب فسقاً^(٦).

الأعراب في الآيات القرآنية الكريمة:

لقد تحدثت الآيات الكريمة عن الأعراب في مواطن عديدة، ووصفتهم
في بعضها أنهم أبغض الناس إلى الله -تعالى- لكفرهم، ونفاقهم، وأبعدهم
عن رحمته ورضوانه، فقال -تعالى-: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا
يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).^(٧)

وظاهر الآية أن وصفهم بالكفر والنفاق لعلّة واحدة هي جهلهم،
وبعدهم عن الدين ومعرفة أحكامه، وامتنال آدابه إذ الإنسان بلا قيم تحكمه،
ولا علم ينفعه ولا عقيدة تميزه عن غيره من المخلوقات هو أخط من البهيمة
وأرذل الموجودات، ولذا كان التقريع قاسياً؛ لعدم معرفتهم بما أنزل الله على
نبيه -صلى الله عليه وآله وسلم-.^(٨) وقال -تعالى-: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ
لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).^(٩)

لقد ميّزت هذه الآية المباركة بين الإيمان والإسلام، ولا شك أن كلّ
مؤمن مسلم، ولا عكس، فليس لنا أن نصف كلّ مسلم بالإيمان، والقرآن
صاعد بالتميز، ومثالهما في الروايات إنه يمكننا أن نشهد على من دخل الكعبة
المشرفة أنه دخل المسجد الحرام؛ لأن الكعبة في المسجد، ولا يمكننا أن نشهد
على من دخل المسجد الحرام إنه دخل الكعبة؛ لأن المسجد ليس من الكعبة.

وعليه فالإيمان منزلة رفيعة، وشرف عظيم به تنال الجنان؛ ورضا الرحمان. ولا يكون المسلم مؤمناً إلا بالإخلاص، والتصديق لما جاء به النبي الكريم -صلى الله عليه وآله وسلم- وإلا فإنَّ النِّفاق ليس عنه ببعيد. (١٠)

كما وصفهم في الآية التالية بأهل النفاق المعذبين في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم. إذاً لا ينفع بعد الإسلام إلا الرقي في درجات الإيمان، وتعلم أحكام القرآن وسنة من بعث رحمة للأنام محمد وآله الأطهار -عليهم السلام-، وترك ذلك تعرّب بعد الإسلام نعوذ بالله من مضلات الفتن ووساوس الشيطان، وقال -تعالى-: (وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ). (١١)

هذه الآية سلطت الضوء على أن قسماً من الأعراب يتمكن في أنفسهم النفاق، والظاهر أنهم أقرب إليه لبعدهم عن معرفة الدين؛ ولأنهم لا يملكون عقيدة راسخة، وهذا يجعلهم يعيشون في ظاهرهم غير واقعهم. فالمعرفة بأحكام الدين والسعي إلى تربية النفس على تطبيق المعارف والآداب الإسلامية هو السبيل الوحيد للابتعاد عن النفاق وعن حياة الأعراب. وبالتأمل نجد أن الآيات التي تحدثت عن الأعراب في القرآن الكريم عشر آيات في أغلبها تهديد، وفضح لمكائدهم، وبيان لنقص دينهم إلا آية حيث ذكرت قسماً منهم آمنوا إيماناً صادقاً. (١٢)

وقال تعالى: (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ

وَرَسُولُهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. (١١٣) (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ
 يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ). (١١٤) فقال الله - تعالى -: (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ
 اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). (١١٥) (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ
 الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرْعَبُوا بَأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ
 الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ
 أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (١١٦) (يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ
 أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا
). (١١٧) (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ
 لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
 بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا). (١١٨) (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ
 مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمِ بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ
 تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا
 أَلِيمًا). (١١٩)

الإمام الحسين عليه السلام بين مبادئ و حاجة الأعراب في التّعليم والاستفسار:

بما أنّ الامام الحسين عليه السلام شكّل هدفًا بكلّ ما تعنيه الكلمة من معاني، لذا فقد أضحى محط ومنبع الجميع ممن يرغب التروي منه، والأخذ عنه، فعلى سبيل المثال لا الحصر أنّ أعرابي استفتى عبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان فتواكلا* فقال: اتقيا الله فاني أتيتكما مسترشدًا أمواكلة في الدين؟ فأشارا عليه بالحسن والحسين فأفتياه فأنشأ أبياتا منها:

جعل الله حر وجهيكما نعلين سبتا يطأهما الحسنان^(٢٠)

وقد جاء في بيان العلامة المجلسي أنّ السبت بالكسر جلود البقر المدبوغة بالقرظ* يتخذ منها النعال سميت بذلك؛ لأنّ شعرها قد سبت عنها أي حلق وأزيل، وقيل: لأنّها انسبت بالدباغ أي لانت، يريد: يا صاحب النعلين وفي تسميتهم للنعل المتخذة من السبت سبتا اتساع مثل قولهم: فلان يلبس الصوف والقطن والإبريسم أي الثياب المتخذة منها.^(٢١)

لا بد لنا من قول ما يلي من الأمور حول هذه الرواية:

- ١ - إنّ الائمة عليهم السلام والامام الحسين عليه السلام كانوا أنموذجًا، وعلى الدوام يقومون بمحاولة إعطاء وصف دقيق لطبيعة تعاملهم مع المواقف التي تجمعهم بالناس وعلى اختلاف انحدراتهم ومستوياتهم الطبقية، وخلفياتهم المعرفية.
- ٢ - إنّ الرواية السابقة مثلًا تلقي نظرة دقيقة على أنّ اهل البيت عليهم السلام كانوا ملاذ الناس، ليس هذا فحسب بل أنّ هناك ادراك ووعي تام بأنّ لديهم الامكانية والقدرة على حل المشكلات، وخروجهم من المأزق.

٣- نلاحظ كيفية الاستفادة من ذلك العلم الجم الذي يملكه الامام عليه السلام والاشارة اليه بالبنان بعد ان اتكل عبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان أحدهما على الآخر، ليس لثقة أحدهما بامكانية الآخر بل لابعاد الحرج عن نفسه بتوجيه الأعرابي الى صاحبه الآخر.

٤- بيّنت الرواية افلاس عبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان من ايجاد الجواب مما اثار حفيظة الأعرابي الذي اتاهما مستفتياً حتى وبخهما وبدون حرج قائلاً: اتقيا الله فاني أتيتكما مسترشداً أموأكلة في الدين؟

٥- لم يردا عليه إلا بجواب واحد كانا متأكدين منه بأن مبتغى الأعرابي عند الحسين عليه السلام فليذهب عنهما؛ ليجد ضالته لديهما عليهما السلام وهذا ما حدث بالفعل.

٦- قد يتبادر الى ذهن البعض منا استفسار يدور حول مسألة ما وهي: لماذا لم يوجه عبد الله بن الزبير وعمرو بن عثمان هذا الاعرابي المستفتي الى الامام مباشرة؟ افضل لهما واحفظ لهما وجههما للموقف الذي جعلنا نفسيهما فيه. وربما أرادا أن يثبتا قدرتهما في الإجابة عن استفسار الأعرابي، ويؤكد له وللاخرين أنّها أجدر بالاجابة فيحظيان بالاهتمام، لكن (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ). التوبة: ٣٢

وكثيراً ما صاحب إعطاء وأخذ المعلومة منه عليه السلام كرم يثير الانتباه لجوده فهذا أعرابي جاء اليه عليه السلام فسلم عليه وسأله حاجة، فقال سمعت جدك يقول: « إذا سألتكم الحاجة فاسألوها من أحد أربعة: إمّا عربي شريف، أو مولى كريم، أو حامل قرآن، أو صاحب وجه صبيح » فأما العرب فشرفت بجدك، وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم، وأما القرآن ففي بيوتكم نزل، وأما الوجه الصبيح

فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول : « إذا أردتم أن تنظروا إليّ فانظروا إلى الحسن والحسين » فقال الحسين : ما حاجتك. (٢٢)

فقال : يا بن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائه، فقلت في نفسي : أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال الحسين عليه السلام : يا أبا العرب أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنين أعطيتك ثلثين، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل، فقال الاعرابي : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمثلك يسأل عن مثلي وأنت من أهل بيت العلم والشرف؟

فقال الحسين عليه السلام : بلى سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : المعروف بقدر المعرفة. (٢٣) وسمعت أبي علياً يقول : « قيمة كل امرئ ما يحسنه ». (٢٤)

فقال الاعرابي : سل عما بدالك، فإن علمت أجبت، وإلا تعلمت منك، ولا قوة إلا بالله، فقال الحسين عليه السلام : أي الأعمال أفضل؟ فقال الاعرابي: الايمان بالله، فقال الحسين عليه السلام : فما النجاة من المهلكة؟ فقال الاعرابي : الثقة بالله، فقال الحسين عليه السلام : فما يزين الرجل؟ فقال الاعرابي : علم معه حلم، فقال : فإن أخطأه ذلك؟ فقال : مال معه مروءة، فقال : فإن أخطأه ذلك؟ فقال : فقرر معه صبر . فقال الحسين عليه السلام : فإن أخطأه ذلك؟ فقال الاعرابي : فصاعة تنزل من السماء، وتحرقه فإنه أهل لذلك، فضحك الحسين عليه السلام ورمى بصره إليه فيها ألف دينار وأعطاه « خاتماً وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال : يا

أعرابي أعطى الذهب إلى غرمائك، و اصرف الخاتم في نفقتك، فأخذه الأعرابي وقال : « الله أعلم حيث يجعل رسالته ». (٢٥)

هذه الرواية تستوقف الكثير منا، ولو امعنا فيها بعض النظر الدقيق

فتبرز لنا الكثير من الأمور، ولعل من أبرزها ما يلي:

١ - لا شكَّ أنَّ هذه الحادثة فيها الشيء الكثير من مكارم أخلاق الامام ﷺ و سخاؤه.

٢- لا تخلو الرواية من التأكيد في فضيلة العلم من قبله ﷺ وحرصه الشديد على تفعيل الجانب المعرفي عند الأفراد لا سيما وأنه سبباً - في كثير من الأحيان اذا لم يكن معظمها من أبرز، وأهم السبل للوصول الى مبتغاة الافراد، والخروج من المأزق.

٣- من الملفت للانتباه ذلك النهج الذي الذي نهجه الامام الحسين ﷺ مع الأعرابي، وذلك الأسلوب الذي اتبع في إدارة الحوار بينهما، بالتدرج الممتع في الانتقال من بداية اللقاء وانتهاءً بالنتيجة النهائية.

٤- يبدو أنَّ تصرفات هذا الأعرابي وسلوكياته في طلب حاجته لم تأت من فراغ، وإنما هي من نتاج معرفي متأني من معرفته بحقيقة آل البيت -عليهم السلام- ومكانتهم، فسرعان ما بدأ الأعرابي بما سمعه من الرسول الكريم ﷺ فاختر موقفاً حديثاً للرسول ﷺ أشارته لتلك الأبواب التي يأخذ منها السائل حاجته.

٥ - إنَّ في قول الأعرابي للإمام الحسين ﷺ إشارة واضحة على ذلك الأمان

الذي يوفره آل البيت ﷺ لا رواء ظمأ طالبي الحاجة، حتّى أنه أخذ يصرح بتوليفة من مكارم الأخلاق التي جمعت بين التّشريف بالنبوة، وجمع معها الكرم، وأنّ القرآن الذي نزل بهذا البيت ﷺ والانتهاه بالنظر للوجه الصّحيح المتمثل بوجه الإمامين الحسين ﷺ الذي هو إمتداد للرسول ﷺ.

٦- ينتقل الحوار بعد هذه التوطئة من قبل ذلك الأعرابي إلى شخص الإمام الحسين ﷺ.

٧- عرض الأعرابي كلّ دقائق، وتفاصيل حاجته باختصار موجز، وبدون إخلال في العرض معللاً سبب اختياره للإمام الحسين ﷺ دون سواه باستفسار محدد.

٨- لا يخفى على القارئ لهذه الرواية أنّ للإمام الحسين ﷺ في تعامله مع الأعرابي أساليبه التربوية الخاصة، وطريقة تعامله معه. وكيفية ربط حاجة الأعرابي وتلبية طلبه بطريقة تؤصل فيه وفيها ضرورة تكريس الجانب المعرفي، ولعله ﷺ كان بإمكانه أن يكتفى باعطائه ما يريد وهو الكريم ابن الكرماء، كما يفعل مع غيره من السائلين. وهذا يجعلنا نتساءل عن سبب اتباع الإمام ﷺ هذا الأسلوب مع هذا الأعرابي؟

لعلّ الإجابة تأخذ أكثر من محور منها؛ ربما أدرك الإمام ﷺ أنّ هذا الأعرابي يمتلك شيئاً غير قليل من الجانب المعرفي، وهذا واضح تماماً من الاستهلال الذي بدأ به لطرح حاجته التي أثارت في نفس الامام ﷺ حالة الاسترسال، ومواصلة الحديث مع هذا الأعرابي. أو ربما أراد الإمام ﷺ أن

يعزز شيئاً مهماً في نفس هذا الأعرابي، ومفاده: أن ما سيأخذه ليس هبة أو عطية، وإنما هو جزء ما كشفه من جانب معرفي، فيحفظ بذلك ماء وجه الأعرابي. أو ربما كانت إحدى وسائله ﷺ لتأصيل تداول الجانب المعرفي بين الأفراد؛ ليكون جزءاً مهماً من تعاملاتهم اليومية.

٩ - يبدو أن الإمام الحسين ﷺ كان قد اختار استراتيجية خاصة قائمة على أساس التدرج في تقسيم العطاء وفقاً لمقدار المعرفة عند الأعرابي. ولعلَّ السر في ذلك يكمن في اتقانه ﷺ فنَّ التأثير في الآخر، واختباره لتقديم دروس للمطلع المهتم بحيث يمكن لمثل هكذا مواقف بسيطة أن تعطي دروساً عميقة. وربما أراد الامام ﷺ أن يشجع الأعرابي في إظهار معلوماته والاعتماد عليها.

١٠ - إنَّ سؤال الأعرابي بدأ قبل سؤال الإمام ﷺ وبطريقة تعبر عن دهشة الأعرابي اذ استفهم وبكلِّ ثقة قائلاً: أمثلك يسأل عن مثلي، وأنت من أهل بيت العلم والشرف؟ فجاءه الرد اسهل مما يتوقع بقوله ﷺ: بلى ثمَّ أردف معللاً بحجة دامغة وواضحة تماماً بأنه ﷺ قد سمع الرسول «الله صلى الله عليه وآله» يقول: المعروف بقدر المعرفة .

والمثير أنه ﷺ لم يكتف بذلك، وإنما جمع مع قوله ﷺ قول أبيه ﷺ، وكأنَّه أراد التأكيد لهذه الفئة الاجتماعية من الأعراب أنَّهم ينهلون من نبع أصيل واحد وان علياً ﷺ هو ظل محمد -صلوات الله عليه واله وسلم-.

في حين كان بإمكانه ﷺ أن يكتفي بقول جده ﷺ، لا بل أكثر من ذلك

نلاحظه ﷺ أنه قد استخدم ألفاظ القرب منها - صلوات الله عليهما - بقوله: (جدي، وأبي).

١١ - إن هذا الحوار الممتع بينهما كان في غاية الآثار وحسن اختيار كل منهما لألفاظه، وطرح افكاره، اذ بادر الاعرابي بموافقتة على مشروع الاخبار الذي طرحه ﷺ معززاً موقفة بأنه ربما قد لا يمتلك الثقة في الإجابة إدراكاً منه بأن من يختبره ليس شخصاً عادياً، وإنما هو عالم متفحص يعلم الإجابة بكل حيثياتها. لذا أطرق موضعاً انه إذا أصاب في الإجابة كان خيراً، وإلا فهو لا يخسر شيئاً؛ لأنه سيتعلم من اخفاقاته .

١٢ - لو أمعنا النظر في طبيعة الأسئلة الموجهة للأعرابي من قبله ﷺ والتدرج في الانتقال من سؤال لآخر لوجدنا أن هناك رسالة في غاية العمق حاول الإمام إيصالها للمجتمع، وبطريقة تربوية تنم عن طبيعتهم ﷺ والتي كانت تدور في حلقة من المبادئ، والقيم، وأسلوب التّعامل والعيش في الحياة عموماً.

١٣ - كانت النهاية التي جذبتنا حقيقةً، اذ انها انتهت بضحك الامام ﷺ فالروايات التي تشير الى ضحك و ابتسامة الامام ﷺ تكاد تكون قليلة، فما أحسنه ذلك الأعرابي الذي جعلنا نرى الابتسامة على تلك الشفاه التي ذبلت فسلام الله على الشفاه الذابلات.

١٤ - لم يكتف الإمام الحسين ﷺ باعطاء المال كاملاً للأعرابي وإنما زاد عليه جوداً وكرماً بإعطائه خاتماً؛ لينفقه على نفسه، فقد ظهرت علامات السرور

والانبساط عند الاعرابي فأخذ يؤكد لنفسه أولاً إنَّ الله أعلم حيث يجعل رسالته.

ومن الجوانب المعرفية التي طرحت بين الإمام الحسين سلام الله عليه والاعرابي أنه عليه السلام كان جالساً في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء اعرابي على ناقه، فعقلها بباب المسجد، ودخل فوقف على عتبة بن أبي سفيان فسلم عليه، فرد عليه السلام، فقال له الاعرابي: **إني قتل ابن عم لي، وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟** فرفع رأسه إلى غلامه وقال: **ادفع إليه مائة درهم . فقال الاعرابي: ما أريد إلا الدية تماماً.** ثم تركه وأتى عبد الله بن الزبير، وقال له مثل ما قال لعتبة . فقال عبد الله لغلامه: **ادفع إليه مائتي درهم . فقال الاعرابي: ما أريد إلا الدية تماماً .** ثم تركه وأتى الحسين عليه السلام فسلم عليه، وقال: **يا ابن رسول الله إني قتل ابن عم لي، وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟** فقال له: **نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة . فقال : سل ما تريد . فقال له الحسين: يا أعرابي ما النجاة من الهلكة ؟ قال : التوكل على الله عز وجل . فقال : وما المهمة ؟ قال : الثقة بالله . ثم سأله الحسين عليه السلام غير ذلك . وأجاب الاعرابي . فأمر له الحسين -سلام الله عليه- بعشرة آلاف درهم، وقال له : **هذه لقضاء ديونك، وعشرة آلاف درهم أخرى وقال : هذه تلم بها شعثك، وتحسن بها****

حالك وتنفق منها على عيالك، فاستولت على الأعرابي موجات من السرور
واندفع يقول:

طربت وما هاج لي معبق ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول ل فلذ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات فقصر عن سبقك السبق
بكم فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكم معلق^(٢٦)

من المفيد أن نذكر أنّ هناك كثيراً من مثل هكذا مواقف قد جمعت الإمام
الحسين عليه السلام بالأعراب وفي كل منها يقدم الإمام عليه السلام ما يطلبه الأعرابي بعد
تكريس الجانب المعرفي عند طالب الحاجة ويزيد على ما طلب الكثير فالكثير.
لكن لعل البعض يسأل لماذا لم يأت الأعرابي إلى الإمام الحسين عليه السلام مباشرة وهو
يدرك تماماً ومسبقاً أنه عليه السلام سيلبي طلبه حتى لو اضطر أن يأخذ قوت عياله
ويعطيه للسائل.

إذاً ما داعي كل هذا؟ إذ بادر بسؤال عتبة بن أبي سفيان، ومن ثم توجه
إلى عبد الله بن الزبير بعد أن أدرك تماماً أنّ عطاء عتبة لا يسمن ولا يغني من
جوع، وكذا ما قرّره عبد الله بن الزبير. بعد كلّ ذلك ما كان أمامه إلا الإمام
عليه السلام. فهل كان الأعرابي جاهلاً للإمام عليه السلام؟ أم أنّه أراد أن يختبر كلاً من عتبة
وابن الزبير ويفرغ ساحتها الاحتجاجية إذ ما احتجّ عليه لو أنّه بادر بسؤال
الحسين عليه السلام فربما سيعاتبانه ويبينان له بإمكانية سدّ ما يحتاجه فيها لو بادرهما

أولاً؟ فإذا كان الوضع كذلك فإننا نشني على تفكير الاعرابي وقبلياته في افلاس ساحة عتبة وابن الزبير.

وعن يحيى بن يعمن (نعمان) قال: كنت عند الحسين عليه السلام إذ دخل عليه رجل من الأعراب مثلثاً أسمر شديد السمرة، فسلم وردّ الحسين عليه السلام «فقال: يا بن رسول الله! مسألة؟ قال عليه السلام: هات. قال: كم بين الإيما واليقين؟ قال عليه السلام: أربع أصابع. قال: كيف؟ قال عليه السلام: الإيما ما سمعناه، واليقين ما رأيناه، وبين السمع والبصر أربع أصابع.

قال: فكم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. قال: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس. قال: فما عز المرء؟ قال: استغناؤه عن الناس. قال: فما أقبح شيء؟ قال: الفسق في الشيخ قبيح، والحدّة في السلطان قبيحة، والكذب في ذي الحسب قبيح، والبخل في ذي الغناء، والحرص في العالم.

قال: صدقت يا بن رسول الله فأخبرني عن عدد الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

قال: إثنا عشر، عدد نعباء بني إسرائيل. قال: فسمهم لي.

فأطرق الحسين عليه السلام ملياً ثم رفع رأسه فقال: نعم، أخبرك يا أبا العراب إن الإمام والخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي عليه السلام «والحسن وأنا وتسعة من ولدي منهم علي ابني، وبعده محمد ابني، وبعده جعفر ابني، وبعده موسى ابني وبعده علي ابني، وبعده محمد ابني، وبعده علي ابني، وبعده الحسن ابني، وبعده الخلف المهدي هو التاسع من ولدي، يقوم بالدين في آخر الزمان.

فقام الأعرابي وهو يقول:

مسح النبيّ جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من أعلا قريش وجدّه خير الجدود (٢٧)

ولا بد لنا في هذا المقام أن نذكر بأنّ الكثير من الروايات اذا لم يكن جميعها قد تستوفينا لدراستها، ولفت الانتباه لتلك المواقف التي جمعت الإمام الحسين عليه السلام بالأعراب، وهذه الرواية فيها ما فيها من الملاحظات التي نرى بضرورة إبرازها ومنها ما يلي:

١ - أنّ من الأعراب من يطرح أسئلته على الإمام عليه السلام مباشرة دون تمهيد او دياجة، إما رغبة منه في الحصول على الإجابة بأسرع وقت ممكن، وربما لكثرة ما في جعبته من أسئلة، أو ربما لا يمتلك القدرة او الامكانية اللغوية التي تؤهله لتقديم دياجة كما مر بنا سابقاً من الأعراب. لذا نلمس استعجال الاعرابي بطرح السؤال بعد السلام مباشرة.

٢ - ينبغي التركيز على أنّ الاستفهام من قبل الاعرابي على جواب الإمام عليه السلام للاستيضاح منه أكثر لإدراك جواب المسألة المطروحة من قبله تارة ولدهشته من الجواب تارة أخرى.

٣- لم تكن الأسئلة المطروحة على مستوى واحد من حيث الموضوع والمحتوى، والأهم أنّ الإمام عليه السلام قد أجابه بما يفهمه دون اختلاط وبمنتهى البيان وفي غاية الوضوح. مع الإشارة أنّ ما قدّمه الإمام عليه السلام كان منهاج حياة ومبادئ تعامل، مما أثار إعجاب الأعرابي واسترساله بالطرح، واستمتاعه بالإجابة.

٤ - ختم الاعرابي حوارَه بسؤال جعل الإمام الحسين عليه السلام يُطرق برأسه الشريف ملياً قبل الإجابة. يا ترى لم هذا التمهّل بالردّ؟ بالتأكيد ليس عن جهلٍ لأنّه عليه السلام قد ذكرهم بأسمائهم واحداً تلو الآخر سلام الله عليهم أجمعين. أم لأن هناك مكاناً للخلل أخذت تعج بها أحداث ذلك العصر جعلت التفكير في طرق هذه المواضيع يجب أن تأخذ حيزها من المعرفة والنشر، أم أنّ الوقت كان غير مناسب لمثل هكذا طروحات. وربما أن هناك أسباباً كانت تتعلق في ذات الأعرابي نفسه من حيث كونه يمتلك وسائل الفهم الناضج والادراك الحقيقي لمنظومة الإدارة النبوية التي كان المفروض إقامتها من عهد الرسول صلى الله عليه وآله وانتقالها مباشرة بعد استشهاده لخليفته من بعده الإمام علي بن أبي طالب وأبنائه «سلام الله عليهم أجمعين».

ولعل الإمام الحسين عليه السلام أراد اعطاء كل جزء من الأسئلة حقّه من الإجابة، وربما غير ذلك من التساؤلات التي يثيرها وجدان البعض منّا في خلجات تفكيره.

٥ - تكاد تكون نهاية اللقاءات التي جمعت الأعراب بالإمام الحسين واحدة، تكمن في رضا واستئناس مع كثير من الإعجاب بردود الإمام عليه السلام بالرغم من اختلاف المسائل، وتباين تفكير هؤلاء الاعراب من شخص لآخر، لكن النتيجة واحدة لماذا؟ لسبب واضح وهو أنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام أن يكون دليلهم للوصول الى المعرفة وبأسمى ما كان عليه من الخلق الرفيع، لذا نلاحظه دائماً يوجب ليس مجرد صاحب معرفة ومعلومة بقدر ما أراد تكريس

مبادئ التعامل الرفيع الذي يسمو لأعلى درجات الإنسانية.

الإمام الحسين عليه السلام بين دائرة اختبار الاعراب و يقين الاستزادة من علمه:

لاغرو أن كثيراً من المواقف التي جمعت الأعراب بالإمام الحسين عليه السلام قد دار فلکها في جعله عليه السلام محط اختبارهم لجهلهم بيقينية الإمام على أنه زق العلم زقا، وتحول جهلهم هذا الى يقين بإبداعه عليه السلام باستخدام الحجة الرادعة والأسلوب التربوي البناء، والخلق الرفيع المتسامي من خلال التعامل الراقى .

فقد دخل أعرابي مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فوقف على الإمام الحسن بن علي عليه السلام وحوله حلقة مجتمعة من الناس فسأل عنه، فقيل له: إنه الحسن بن علي عليه السلام فقال: إياه أردت . بلغني أنهم يتكلمون فيعربون في كلامهم، وإني قطعت بوادي وقفاراً وأودية وجبالاً، وجئت لأطارحه * الكلام وأسأله عن عويص * العريية ! فقال له أحد جلساء الإمام: إن كنت جئت لهذا فابدأ بذلك الشاب، وأوماً إلى الحسين عليه السلام . فبادر إليه، ووقف فسلم عليه، فردّ الإمام عليه السلام، فقال له: ما حاجتك ؟

قال: جئتك من الهرقل والجعلل والأينم والهمهم ! فتبسم الإمام الحسين عليه السلام، وقال له: يا أعرابي ! لقد تكلمت بكلام ما يعقله إلا العالمون .

فقال الأعرابي: وأقول: أكثر من هذا، فهل أنت مجيبي على قدر كلامي ؟ فقال له الحسين عليه السلام: قل ما شئت فإني مجيبك

قال: إني بدوي، وأكثر مقالي الشعر، وهو ديوان العرب . فقال عليه السلام: قل ما شئت فإني مجيبك .

وأنشأ الأعرابي يقول:

هفا قلبي إلى اللهو
وقد كان أنيقاً
عيالات ولذات
فلما عمم الشيب
وأمسى قد عناني
تسليت عن اللهو
فاجابه الإمام الحسين عليه السلام ارتجالاً:

وفي الدهر أعاجيب
فلو يعمل ذو رأي
لألفى عبرةً منه
فما رسم شجاني قد
سفور درجت ذيلين
هتوف حرجف** تترى
ولاح مزن المزن
أتى مُعْجِر** الودق
وقد أحمد برقاه
وقد جَلَّ رعداه
لمن يلبس حاله
أصبل فيه رأيه
له في كـر عصريه
محت آيات رسـميه
في بـوغاء* قاعيه
على تليد توييه
دنانوء سـمـاكه
بجود في خـلاله
فلا ذم لبرقيه
فلا ذم لرعديه

تَجِيْتُجُ **** الرِّعْدِ تَجَّاجُ إِذَا أَرَّخِي نِطَاقِيهِ
فَأَضْحَى دَارِسًا **** قَفْرًا لِيُنُونَةَ أَهْلِيهِ
فلما سمع الأعرابي ذلك بهر وانطلق يقول : ما رأيت كالיום أحسن من هذا
الغلام كلاماً وأذرب لسانا ولا أفصح منه نطقاً . (٢٨)

فقال له الحسن عليه السلام : يا أعرابي :

هذا غلام كرم الرحمن بالتطهير جديده
كساه القمر القمقام * من نور سنائيه
ولو عدد طماح نفحنا عن عداديه
وقد أرضيت من شعري وقومت عروضيه
فلما سمع الأعرابي قول الحسن عليه السلام قال : بارك الله عليكما مثلكما بخلته الرجال
وعن مثلكما قامت النساء فوالله لقد انصرفت وأنا محب لكما راض عنكما
فجزاكم الله خيرا . وانصرف . (٢٩)

لا شك أنَّ هذه الرواية ليست كمثيلاتها من الروايات التي تابعت علاقة
الإمام الحسين عليه السلام بالأعراب وعلى اختلاف الأزمنة التي كانوا يأتون للإمام
عليه السلام لسبب ولآخر، ولعل الذي يميزها عدد من الأمور ومنها ما يلي :

١ - عزم الأعرابي على لقاء أبناء علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأنَّ في لهجته ما يشير
الى إصراره على لقاءهم، فصادف لقاءه بمسجد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وحلقة
درس الإمام عليه السلام قائمة .

٢ - سبب اللقاء بالنسبة للأعرابي واضح ومحدد يدور حول مسألة في غاية

الأهمية بالنسبة له، إذ صرح بلسانه أنه عانى ما عاناه لتحقيق هذا اللقاء. «إيَّاه أردت» تلك العبارة التي فيها ذلك التأكيد على عدم تأجيل مجيء الاعرابي باحثًا عن الإمام عليه السلام، قاطعًا البوادي والقفار والأودية والجبال، وكأنه يريد أن يوضح مقدار العناء الذي صادفه، وحجم الأهمية التي دفعته للقاء الإمام عليه السلام لا غيره .

٣ - يبدو أن الإمام عليه السلام قد اعتاد على أن الأعراب في كثير من الأحيان يأتون لطلب الحاجة، لذا نرى سرعان ما بادر الإمام عليه السلام بالسؤال عن حاجته، معربًا في موقفه هذا حالة الاستعداد لطلب الاعرابي.

٤ - نلاحظ أن هذا الاعرابي ليس كغيره من الاعراب الذين تشرفوا بلقاء الإمام عليه السلام فغايتته وطريقته مجيئه فيها ما فيها مما يدعوننا لإمعان النظر أكثر في مبتغاه. ليس لشيء إلا لكونه قد أراد أن يَطْرَحَ على الإمام عليه السلام مسألة لكن أية مسألة؟ الغاية منها ليس إضافة المعرفة أو كشف المجهول، وإنما وضع الإمام عليه السلام في موضع الاختبار بطرح كلام عويص صَعَب الاستخراج .

كيف الحال إذا كان هذا الكلام من الشعر، ولاسيما أن العويص من الشُّعْر : ما يصعب استخراج معناه. لكن هيهات وأبناء النبوة الذين زقوا العلم زقًا من جدتهم وأبيهم - صلوات الله عليهم - لا يضعهم موضع الاختبار إلا من جهلهم.

٥ - تبسّم الإمام الحسين عليه السلام بعد سماع الاستهلال الأول لكلام الاعرابي يشير الى أكثر من مسألة منها: أنه عليه السلام ربما قد أدرك مبتغى الاعرابي وقصده، وأنه

سيجعله في موضع الاختبار وإنما لقاءه به لهذا الغرض - الاختبار - ليس إلا . أو لعله استحسّن كلام الاعرابي وما يظهره من فصاحة لعلها قليلة الانتشار بين الاعراب عموماً. لذا فقد أظهر عليه السلام موقفه بتعليقة بسيطة لكنها في غاية العمق عندما أشار بقوله الكريم: « لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا يَعْقِلُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ » .

٦ - من المفيد الإشارة الى أنّ الاعرابي قد أكّد امكانيته المعرفية وقدرته على قول المزيد مما قاله، وهو بهذا يكون قد أكّد قول الإمام الحسين عليه السلام بأنه ممن يعقلون قول العلماء، إنّ حوارهِ حوار الاختبار مما استدعاه الى عرض سؤاله المباشر وبدون أي تردد مستفهماً منه عليه السلام الاجابة عن سؤاله. لكن بشرط مبطن قائم على أساس الإجابة تكون بمستوى كلامه. أي أن يجيبه عليه السلام بأسلوب لا يعقله إلا العلماء. فكان الجواب وبدون تردد أيضاً وبغاية الثقة: « قُلْ مَا شِئْتَ فَإِنِّي مُجِيبٌ » .

٧ - لا بد من القول أنّ هذا الاختبار قد أكّد عند الاعرابي مدى مساهمة الأئمة عليهم السلام في النهضة العلمية، وأنّ تصريحاتهم أو تلميحاتهم إلى حقائق علمية، او أسلوب لغوي رصين، ومقدرة علمية فذة إنّما هذا جزء يسير مما لديهم . لذا فقد اندهش الاعرابي من إجابة الإمام الحسين عليه السلام ووصل الى مستوى الانبهار.

٨ - لا يفوتنا أن ننوه أنّ الإمام الحسين عليه السلام ومن ثم - كما سيأتي - الحسن عليه السلام كانا قد استخدمنا قافية الاعرابي نفسها من خلال الشعر الغريب الفصيح.

٩ - لقد أضاف الإمام الحسن عليه السلام -والذي أظهرت الرواية- أنّه كان متابع لكل جزئية من جزئيات الحوار دون ان ينطق عليه السلام ببنت شفة الا بعد انتهاء

جواب الحسين عليه السلام إدراكاً منه أن أخيه سيفحّم الاعرابي، وليدرك هذا الأخير امكانية ومقدرة الإمام الحسين عليه السلام والتي جاء ليختبرها، فما كان من الإمام الحسن عليه السلام إلا أن أضاف الى وعاء علم أخيه عليه السلام مما لديه . عندها ازداد الاعرابي بهما -سلام الله عليهما- إعجاباً وتحسراً على عدم وجود امثالهم، وزاد بالدعاء لهما وانصرف جامعاً مع الحب الرضا عنهما .

ومن مواقف الاختبار أيضاً أن أعرابياً أقبل إلى المدينة فلما قرب المدينة أجنب ودخل على الحسين عليه السلام وهو جنب فقال له: يا أعرابي أما تستحي الله تدخل على إمامك وأنت جنب؟ - وفي رواية- هكذا تدخل بيوت الأنبياء وأنت جنب؟ فقال أعوذ بالله من غضب الله وغضبك وقال استغفر الله . (٣٠)

ترسيخ السلوكيات الأخلاقية من خلال تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع الأعراب:

كثيراً ما سعى الإمام الحسين عليه السلام الى جعل المبدأ الأخلاقي أساس التعامل العملي مع الآخر، في كل المواقف ومهما تباينت الظروف واختلفت الحاجات، لذا فإننا نلاحظ أن اعرابياً - سائلاً - خرج يتخطى أزقة المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدل على الحسين عليه السلام فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بإزائه وأنشأ:

لم يخب الآن من رجاك ومن حرك من دون بابك الحلقة
أنت جواد وأنت معتمد أبوك قد كان قاتل الفسقة
لولا الذي كان من أوائلكم كانت علينا الجحيم منطبقة

وكان الحسين عليه السلام واقفاً يصلي، فخفف من صلاته وخرج إلى الاعرابي،
فسلم الحسين عليه السلام فرأى أثر ضر وفاقه، فرجع ونادى بقنبر، فأجابه لبيك يا بن
رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: ما تبقى معك من نفقتنا؟ قال: مائتا درهم - وفي رواية
أربعة آلاف دينار - أمرتني بتفريقها في أهل بيتك. فقال: هاتها، فقد أتى من
هو أحق بها منهم، فأخذها ثم نزع برده ولفَّ الدنانير فيها وأخرج يده من
شق الباب حياء من الاعرابي، وأنشأ:

خذها فإني إليك معتذر واعلم بأني عليك ذو شفقة
لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفقة
لكن ريب الزمان ذو غير والكف مني قليلة النفقة

فأخذها الاعرابي وبكى، فقال: لعلك استقلت ما أعطيناك، قال: لا
ولكن كيف يأكل التراب جودك. وفي توضيح قوله: «عصا» لعل العصا
كناية عن الإمارة والحكم، ويقال أيضاً: إنه لين العصا أي رفيق حسن
السياسة لما ولى. أي لو كان لنا في سيرنا في هذه الغداة ولاية وحكم أو قوة
لامست يد عطائنا عليك صباية، و «السماء» كناية عن يد الجود والعطاء،
و«الاندفاق» الانصباب، و «ريب الزمان» حوادثه، وغير الدهر أحداثه أي
حوادث الزمان تغير الأمور. وقوله: «كيف يأكل التراب جودك» أي كيف
تموت وتبيت تحت التراب فتمحى وتذهب جودك وكرمك.

فأخذها الاعرابي وولى وهو يقول:

مطهرون نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

- وأنتم أنتم الأعلون عندكم علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علويًا حين تنسبه فما له في جميع الناس مفتخر^(٣١)
- إذا ما دققنا قراءة هذه الرواية فسنجد وبدون ريب عددًا من المبادئ الأخلاقية التي كشف عنها الإمام الحسين عليه السلام من خلال تعامله الراقي مع هذا الأعرابي، ولعلّ من أبرزها:
- ١ - إنّ الإمام الحسين عليه السلام يشار إليه بالبنان لكرمه وسخاءه فما إن سأل الأعرابي عن أكرم الناس لم يبذل جهدًا في إيجاده؛ لبروزه عند القاضي والداني من أهل المدينة.
 - ٢ - وجد الأعرابي أنّ الإمام عليه السلام يصلي فلم يتعد عنه، وإنّما وقف بإزائه، فما كان منه عليه السلام إلاّ وقد خفف من صلاته . ولعلّ في ذلك إشارة إلى إدراك الإمام عليه السلام أن هناك ملهوفًا يحتاجه بغض النظر إن كان هذا الملهوف من العرب أو الأعراب، وبادره بالسلام.
 - ٣ - من المثير أنّ الأعرابي قد استخدم أسلوبًا خاصًا في عرض مسأله، مؤكّدًا بأبيات شعرية قالها بحقهم أهل البيت -سلام الله عليهم- لا تتعد عن مزاياهم وخصال الجود والكرم التي لديهم . ثمّ سرعان ما عرج الأعرابي على مكانة أبيه عليه السلام ، وأنّه لا أحد يستطيع مهما بلغ من العلو أنّ يبلغ مكانتهم -سلام الله عليهم- فهم باب رحمة الرب للعباد.
 - ٤ - إنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استخدم آية خاصّة في تعامله مع الأعرابي بدأت بعد السلام عليه، ومشاهدة مستوى الضرر والفاقة التي كان عليه هذا

الأعرابي، لذا فإنه لم يدخر شيئاً، وسرعان ما طلب من قنبر أن يأتيه بأموال كانت مخصصة أصلاً لسد حاجة أهل بيته إلا أنه آثر الأعرابي عليهم موضعاً أنه أحق بالأموال منهم لادراكه مستوى الفقر الذي كان عليه الأعرابي فعزَّ عليه أن يشاهد مثل هكذا حالات دون أن يغيثها، وبدون تردد.

٥- لا شكَّ أنَّ ما سنذكره يثير في نفس الكثير من القراء حالة من الوقوف عند الذات الإنسانية للطريقة العذبة الراقية التي اتبعها الإمام الحسين عليه السلام في إعطاء الأعرابي مسألته إذ نزع بردته الطاهرة لاختفاء الأموال ثمَّ أخرج يده الكريمة، وبدأ بما انتهى به الأعرابي من حيث استخدام الشعر في إدارة هذا الحوار، ليس هذا فحسب وإنما استخدم عليه السلام نفس القافية.

٦- يبدو أنَّ الأعرابي كان قد تأثر بمثل هذه التدابير ومثل هذا السلوك الملائكي حتَّى أنه بكى، مما أثار حفيظة الإمام عليه السلام فأثار سؤالاً قد خطر في خلد الطاهر أنَّ الأعرابي ربما استقلل ما أعطاه إياه، لكن جواب الأعرابي بدد هذه التساؤلات بأنَّه قد أخذ ما يفوق تصوره.

٧- لا يستغرب من يعرف الإمام الحسين عليه السلام أنه من آل بيت النبوة -سلام الله عليهم- الذين كانوا ممن يقدرُّ موقف الآخرين، ويحرص تماماً على عواطفهم، وينظر للأمر بمنظار رؤية الآخر لها مع رؤيته الكريمة.

تأكيدات على انماط الخلق الرفيع منها (مراعاة الآخر، ورياضة النفس، وتحريم السؤال من غير حاجة وكرهته معها ما لم يضطر وحليته عند الضرورة والاضطرار)

ومن مبادئ سمو الاخلاق

مرعاة الاخر:

إن من المبادئ التي اكدت عليها سلوكيات الائمة - سلام الله عليهم - مراعاة الاخر بعدم خدش مشاعره، ومنها استخدام الطرق غير المباشرة في تصحيح الخطأ.

أي أخلاق هي! وهما صغيران لم يخرجا شيخاً يتوضأ ولا يعرف كيف ينبغي أن يتوضأ، فعلماه دون أن يخدشا شعوره. رأى رجلاً لا يحسن الوضوء، فأراد أن يعلمه فاستحى من ذله حين يتعلم، فقال لأخيه: نحن نتوضأ قدامه ثم نسأله أي الوضوئين أحسن؟ ففعلاً ذلك، فقال الأعرابي: كلاكما تحسنان الوضوء ولكن هذا الشيخ الجاهل - يعني نفسه - هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلم الآن منكما، وتاب على يديكما، ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما. (٣٢)

وكذلك من أنماط الخلق الرفيع.

رياضة النفس:

اذ يروى أن الامام علي (عليه السلام) كان معتكفاً في مسجد الكوفة، جاء اعرابي وقت إفطاره فأخرج على من جراب سويق شعير فأعطاه منه شيئاً، فلم يأكله الأعرابي، فعقده في طرف عمامة، فجاء إلى دار الحسين (عليه السلام) فأكل معها فقال لهما: رأيت شيخاً غريباً في المسجد لا يجد غير هذا السويق فترحمت عليه، فاحمل من هذا الطعام إليه؛ ليأكله، فبكيا وقالوا، إنه أبونا أمير المؤمنين على يجاهد نفسه بهذه الرياضة. (٣٣)

وان كانت هذه الرواية غير مقصورة في احداثها بين الامام الحسين -سلام الله عليه- والاعرابي، إلا أنّها اعطت صورة من بين الكثير من المواقف الناصعة التي جمعت الإمام علي وولديه عليه السلام بالاعراب . ولعل من الأمور التربوية التي قدمها ال بيت النبوة عليه السلام ما يأتي:

١ - إنهم يقدمون ما لديهم، وإن كان هذا كل ما يمتلكونه، وهذا ديدنهم، ولا نستغرب له فهم قدوتنا، وما أمس الحاجة اليوم لقدوة مثلهم عليه السلام.

٢ - الحقيقة الراسخة أنّ ال بيت النبوة عليه السلام كانوا يشاركون غيرهم على موائدهم، كرماء يبادرونهم بالعوة، لكن الملفت أن هذا الأعرابي كان يشفق على الإمام عليه السلام وهو جاهل لشخصه، ولشدة ما كان به عليه السلام طلب الأعرابي ان يأخذ الطعام له من بيته الكريم، مع أنّ الإمام عليه السلام قد ضيّف الأعرابي مرتين دون أن يدرك. الأولى في المسجد، والثانية في منزله وعلى يد الحسين -سلام الله عليهم أجمعين-.

٣ - اثار الاعرابي بكاء الحسين -سلام الله عليهما- لمجاهدة ابوهما عليه السلام لنفسه، وهم جميعا سلام الله عليهم قد تفانوا باعطاء اجمل صور الايثار والكرم وبابسط الطرق.

وفي ميدان ترسيخ السلوكيات الحياتية الرفيعة تحريم السؤال من غير حاجة وكرهته معها ما لم يضطر وحليته عند الضرورة والاضطرار: لا بد من القول أنّ من الطبيعي إعطاء لمحة عن بعض الأساليب التربوية والتي اكتنفتها الكثير من الجوانب العلمية والمعرفية التي حاول الائمة -سلام الله

عليهم - تفعيلها كلما دعت الحاجة الى ذلك، وكلما اقتضت الضرورة اليها. ومنها تحريم السؤال من غير حاجة وكراهته معها ما لم يضطر وحليته عند الضرورة والاضطرار، لذا سنلاحظ كيف تعامل آل البيت -سلام الله عليهم- بمثل هكذا مواقف وكيف قدموا صورة من ارقى السلوكات .

فقد مر اعرابي بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم فقال له الرجل: أرشدني فقال له عثمان : دونك الفتية الذين ترى وأوماً بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر . فمضى الرجل نحوهم حتى سلم عليهم وسألهم فقال له الحسن عليه السلام : يا هذا إن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث: دم مفجع، أو دين مقرح، أو فقر مدقع ففي أيها تسأل؟

فقال : في وجه من هذه الثلاث، فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً وأمر له الحسين عليه السلام بتسعة وأربعين ديناراً، وأمر له عبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين ديناراً . فانصرف الرجل فمر بعثمان فقال له: ما صنعت ؟ فقال مررت بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت، ولم تسألني فيما أسأل، وإن صاحب الوفرة لما سألته قال لي : يا هذا فيما تسأل، فإن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة، فأعطاني خمسين ديناراً وأعطاني الثاني تسعة وأربعين ديناراً وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً فقال عثمان : ومن لك بمثل هؤلاء الفتية أولئك فطموا العلم فطموا وحازوا الخير والحكمة. (٣٤)

مكانة الإمام الحسين عليه السلام بين التقدير والإعجاب عند الأعراب:

هناك الكثير من المواقف التي أثارها البعض من الاعراب ففتجت عنها أحداث منها ما كان يبرز مكانة السبطين عليهما السلام عند الرسول الأكرم عليه السلام، ومنها ما يشير الى مكانة الحسين عليه السلام في ذاتهم ويقينهم بحقه وسمو مكانته.

ويبدو أن الواقع قد فرض نفسه، وأنَّ مكانة آل بيت النبوة لا يمكن غض النظر عنها وإن حاول المغرض تعميمها (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).^(٣٥)

ومع كل الأساليب التي اتبعت لتغيب دورهم إلا ان نور الحقيقة ساطع؛ لأنهم هم الحقيقة بعينها . واعترف بمكانتهم التي جذبت القاصي والداني، ومنهم الاعراب فعلى سبيل المثال يروى ان صعصعة بن صوحان قال: خرجنا مع الحجاج حاجًا إلى بيت الله الحرام، فبينما نحن في بعض الطريق إذا نحن بصوت أعرابي يلبي بين الغيضة - إلى أن قال : فقال الحجاج : ما تقول في حق علي بن أبي طالب ؟ قال: الأعرابي : وما عسى أن أقول في ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وزوج ابنته البتول، ومن قال له رسول الله عليه السلام (يا علي إن الله أَلْفَ بين رُوحِي وروحي وكان عرشه على الماء وزوجك فاطمة واختارك لها من قبل أن يخلق الدنيا بألف عام) فقال الحجاج: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال الأعرابي: وما عسى أن أقول فيمن ولدتهما البتول ورباهما الرسول وراعاهما جبرائيل، فهل لهما مثل وعديل ؟^(٣٦)

ومنها أن أعرابيا أتى الرسول عليه السلام فقال له: يا رسول الله لقد صدت خشفة

غزالة وأتيت بها إليك هدية لولديك الحسن والحسين ﷺ، فقبلها النبي ﷺ ودعا له بالخير، فإذا الحسن ﷺ واقف عند جده فرغب إليها فأعطاه إياها، فما مضى ساعة إلا والحسين ﷺ قد أقبل ورأى الخشفة عند أخيه يلعب بها فقال: يا أخي من أين لك هذه الخشفة؟ فقال الحسن ﷺ: أعطانيها جدي رسول الله -صلى الله عليه وآله-، فسار الحسين ﷺ مسرعاً إلى جده فقال: يا أبة أعطيت أخي الخشفة يلعب بها ولم تعطني مثلها، وجعل يكرر القول على جده وهو ساكت لكنه يسلي خاطره ويلطفه بشي، من الكلام حتى أفضى من أمر الحسين ﷺ إلى أن هم يبكي، فبينما هو كذلك إذ نحن بصياح قد ارتفع عند باب المسجد، فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفها و من خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله وتضربها بأحد أطرافها حتى أتت بها إلى النبي -صلى الله عليه وآله- . ثم نظقت الغزالة بلسان فصيح، وقالت: يا رسول الله قد كانت لي خشفتان إحداهما صادها الصياد وأتى بها إليك، وبقيت لي هذه الأخرى وأنا بها مسرورة وإني كنت الآن أرضعها، فسمعت قائلاً يقول: أسرعي أسرعي يا غزالة بخشفتك إلى النبي محمد ﷺ وأوصليه سريعاً لان الحسين واقف بين يدي جده وقد هم أن يبكي والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة ولو بكى الحسين ﷺ لبكت الملائكة المقربون لبكائه، وسمعت أيضاً قائلاً يقول: أسرعي يا غزالة قبل جريان الدموع على خد الحسين ﷺ فإن لم تفعلي سلطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفتك فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله وقطعت مسافة بعيدة، ولكن طويت لي الأرض حتى أتيتك سريعة وأنا أحمد الله ربي أن جئتك قبل

جريان دموع الحسين عليه السلام على خده فارتفع التكبير والتهليل من الأصحاب، ودعا النبي - صلى الله عليه وآله - للغزاة بالخير والبركة، وأخذ الحسين عليه السلام الحشفة وأتى بها إلى أمه الزهراء فسرت بذلك سرورًا عظيمًا. ^(٣٧)

وعلى كل حال فقد تعلق الكثير ومنهم الاعراب ممن من الله عليهم برحمته أن يحبوا الحسين عليه السلام حيا وشهيداً ومن الأمثلة على ذلك من باب الذكر لا الحصر أن الماء لما أجري على قبر الحسين عليه السلام ليعفى قبره وأثره فنضب الماء بعد أربعين يوماً فجاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ من التراب قبضة قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين عليه السلام فشم رائحته أزكى من المسك فبكى وقال: بأبي أنت وأمي ما أطيبك وما أطيب تربتك وما حوت ثم أنشد:

أرادوا ليخفوا قبره عن وليه * وطيب تراب القبر دل على القبر ^(٣٨)

الأعراب وإرشاد الإمام الحسين عليه السلام لضالتهم:

روى عبد الله بن عباس قال: كنت جالساً عند الحسين عليه السلام فجاءه أعرابي وقال: ضلّ بعيري وليس لي غيره، وأنت ابن رسول الله أرشدني إليه. فقال عليه السلام: إِذْهَبْ إِلَى مَوْضِعِ كَذَا فَإِنَّهُ فِيهِ، وَفِي مُقَابِلِهِ أَسَدٌ، فَذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ عليه السلام. ^(٣٩)

لا يخفى أن الأعراب كغيرهم ممن عرف من هو الحسين بن علي عليه السلام كانوا يلجأون إليه؛ ليغيثهم في الكثير من أمور حياتهم ولعل منها إرشاده - سلام الله عليه - لما فقدوه من انعامهم فعلى سبيل المثال أن أعرابياً قال للحسين عليه السلام

: يا ابن رسول الله! فقدت ناقتي ولم يكن عندي غيرها، وكان أبوك يرشد الضالّة، ويبلغ المفقود إلى صاحبه! فقال له الحسين عليه السلام: **إِذْهَبْ إِلَى الْمَوْضِعِ الْفُلَانِي تَجِدْ نَاقَتَكَ وَاقِفَةً وَفِي مُوْجِهَا ذَنْبٌ أَسْوَدٌ!** قال: فتوجّه الأعرابي إلى الموضع ثم رجع فقال للحسين عليه السلام يا ابن رسول الله وجدت ناقتي في الموضع الفلاني. ^(٤٠) هكذا كان الإمام الحسين عليه السلام مهتماً بأمور المسلمين، يرشدهم ويقضي حوائجهم، وذلك هو ما أكدت عليه الروايات الإسلامية كثيراً. فمن الدروس المستفادة هنا ان من الأخلاق إرشاد السائل إلى مطلوبه بكل سعة صدر ووضوح في الكلام. ^(٤١)

وتارة نجد الاعرابي ناقل للحدث الابرز في ساحة الاحداث التي كان الامام الحسين عليه السلام هو العنصر الأبرز ومنها ان جاء أهل الكوفة إلى علي عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا، فقال للحسين عليه السلام: قم واستسق، فقام وحمد الله وأثنى عليه و صلى على النبي -صلى الله عليه وآله- ، وقال: اللهم معطي الخيرات ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدراراً واسقنا غيثاً مغزراً، واسقنا غدقاً مجللاً، سحاً سفوحاً ثجاجاً، تنعش به الضعيف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك آمين يا رب العالمين . فما فرغ من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثاً بغتة، وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة، فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض. ^(٤٢)

الخاتمة

اتخذ بعض الأعراب ممن اجتمع بالإمام الحسين عليه السلام وسيلة اختبار عليه السلام، أملا ان يجيب الإمام عليه السلام في الاجابة؛ ليتخذ ذلك ذريعة للطعن في سلامة معرفته، وأن ينسب الخلل إليه بطريقة او بأخرى. لكن ماذا لاحظنا؟ شاهدنا مقدار الاعجاب مع الاعتراف الصريح بعلم الإمام وخلقه وسمو نفسه الكريمة وادراكه الواعي لطبيعة ما طرح عليه مراعي مستوى وخلفية المحاور له .

معايير التعامل بين الإمام الحسين عليه السلام والأعراب قد تباينت من اعرابي لآخر وفقا لموضوعة تلك المواقف، على أن لا يغيب عن بالنا، انه مهما اختلفت تلك المواقف ومضمونها الا أن دلالة الاسلوب وطريقة ترسيخ الإمام الحسين سلام الله عليه لمبادئ الخلق السامي الرفيع بقيت نفسها، لسبب بسيط وعميق في ذات الوقت الا وهو أن الإمام عليه السلام لا يعرف أن يتعامل مع الآخرين الا باحترام.

بدى لنا وبوضوح تام أن هناك رفض للالتزام بها كان عليه الاعرابي قبيل لقاءه بالإمام الحسين عليه السلام، اذ سرعان ما يستجيب لمنطقه وفكره عليه السلام. لذا فقد خلت تلك المواقف من قبل الاعرابي- من حالة التزمت، بل على العكس لاحظنا أن اللقاءات انتهت بنهاية تكاد تكون واحدة من حيث حالة الرضا والارتياح والقناعة التي تركت في نفس الاعراب .

تيسير وصول الأعراب الى الإمام الحسين عليه السلام ما ان يسألوا عن اكرم اهل المدينة او اعلمهم . وفي المقابل كان -سلام الله عليه- ابوابه مشرعة للجميع

لاغاثة الملهوف او حفظ ماء وجه السائل او للارتواء من علمه الثر. ولا بد أيضاً من إلماحة سريعة بعد الذي ذكرناه إلى ان الاعراب كانوا يعلمون المكانة العظيمة للإمام الحسين عليه السلام وبيت النبوة عليه السلام بصورة عامة. ولعلها زادت من خلال لقاءهم باهل البيت سلام الله عليهم .

لقد قدم الاعراب لمحة واسعة عن نشاطاتهم مع الإمام عليه السلام مع تباينها إلا أنها كشفت عن محاولاتهم، رغبتهم في الاستزادة من علمه وجوده .

اظهر البحث ذلك الابداع القيادي الأخلاقي المتميز للإمام الحسين عليه السلام في ادارة المواقف التي جمعتها بالاعراب، والرؤية التربوية في تقديم التوجيه والارشاد الذي كان يحتاجه الاعراب .

لا تخلو طبيعة اللقاءات بين الإمام الحسين عليه السلام والاعراب من استخدامه سلام الله عليه لاستراتيجيات ومهارات تتناسب مع طبيعة تفكير الاعرابي وموقع المعلومة التي يقدمها عليه السلام في نفس الاعراب بحيث تترك ذلك الوقع المؤثر في خلجات نفسه لانشاء تغيير جذري وجذري في ان الوقت .

وإن اختلفت تحديات الخطاب الاعرابي- ان صح التعبير- مع الإمام الحسين عليه السلام إلا أن سمات التفاعل من قبل الإمام كانت على درجة عالية من الاستيعاب والاحتواء، لسبب واضح يكمن في أن اساس خطاب الإمام عليه السلام معهم قائم على أساس ترسيخ مبادئ الخلق مقتديا بقول جده -صلوات الله عليه وآله-: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

الهوامش:

- (١) ابن فارس: احمد بن فارس بن زكريا (ت، ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (قم المشرفة، ١٤١٤)، ج ٤، ص ٢٩٨-٢٩٩؛ الجوهري: اسماعيل بن حماد (ت، ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، (بيروت-١٩٨٧)، ج ١، ص ١٧٨ / ١٨٠.
- (٢) ابن الاثير: مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصل الشافعي (ت، ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ج ٤، (قم المشرفة- ١٣٦٤)، ج ٣، ص ٢٠٢.
- (٣) أبو حبيب: الدكتور سعدي، القاموس الفقهي، ط ٢، (دمشق- ١٩٨٨)، ص ٢٤٦.
- (٤) ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ)، لسان العرب، (قم المشرفة- ١٤٠٥)، ج ١، ص ٥٨٦ / ٥٨٧؛ الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت، ١٢٠٥)، تاج العروس جواهر القاموس، (بيروت- ١٩٩٤)، ج ٢، ص ٢١٤ / ٢١٥.
- (٥) العاملي: الشيخ قاسم محمد مصري، رسالة في التعرب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، (قم المشرفة- ٢٠٠٣)، ص ٢٤ - ٣٢.
- (٦) الأنصاري: الشيخ محمد علي، الموسوعة الفقهية الميسرة، (قم المشرفة-

١٤١٥)، ج ٤، ص ١٩١ - ١٩٣

(٧) التوبة: ٩٧.

(٨) العاملي، رسالة في التعرب بعد الهجرة، ص ١٣.

(٩) الحجرات: ١٤

(١٠) العاملي، رسالة في التعرب بعد الهجرة، ص ١٣ - ١٤.

(١١) التوبة: ١٠١.

(١٢) العاملي، رسالة في التعرب بعد الهجرة، ص ١٥ - ٢١.

(١٣) التوبة: ٩٠.

(١٤) التوبة: ٩٨.

(١٥) التوبة: ٩٩.

(١٦) التوبة: ١٢٠.

(١٧) الاحزاب: ٢٠.

(١٨) الفتح: ١١.

(١٩) الفتح: ١٦.

*تواكل القوم تواكلا: اتكل بعضهم على بعض. ابن سيده: علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت، ٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت-بلاط)، ج ١ ق ٢، ص ١٠٣؛ أبو حبيب، القاموس الفقهي، ص ٣٨٦.

(٢٠) ابن شهر آشوب: حمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي

السروي المازندراني(ت،٥٨٨هـ)،مناقب آل أبي طالب، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الاشرف، (النجف الاشرف- ١٩٥٦)، ج ٣، ص ١٦٨.

*القرظ: ورق السلم، يدبغ به الأدم، وتقول: قرظته أقرظه قرظا .
الفراهيدي:الخليل بن احمد (ت،١٧٥هـ)، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي، ط ٢، (قم المشرفة- ١٤٠٩)، ج ٥، ص ١٣٣. واليمن منابت القرظ . الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١١٧٧.

(٢١)العلامة المجلسي : محمد باقر(ت،١١١١هـ)، بحار الأنوارالجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط ٢، (بيروت- ١٩٨٣)، ج ٤٣، ص ٣١٨.
(٢٢)فخر الدين الرازي: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني(ت،٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، ط ٣، (بلامكان- بلاتا)، ج ٢، ص ١٩٨؛ الامين :محسن، اعيان الشيعة، تحقيق: تحقيق وتخرىج : حسن الأمين، (بيروت- ١٩٨٣)، ج ١، ص ٥٧٩؛ الخطيب: السيد عبد الزهراء الحسيني، مصادر نهج البلاغة وأسانيده، (بيروت- ١٩٨٨)، ج ٤، ص ٧٣.

(٢٣)السبزواري: الشيخ محمد بن محمد(ت،ق٧هـ)، معارج اليقين في أصول الدين، تحقيق : علاء آل جعفر،(قم المشرفة-١٩٩٣)، ص ٣٨٢؛ السيد المرعشي: نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت،١٠١٩)، شرح احقاق الحق وإزهاق الباطل، تحقيق: تعليق : السيد شهاب الدين المرعشي النجفي،

تصحيح : السيد إبراهيم الميانجي، (قم المشرفة - بلا تا)، ج ٢٧، ص ١٢١؛
البحراني: الشيخ عبد الله (ت، ١٣٠ هـ)، عوالم العلوم والمعارف والأحوال
من الآيات والأخبار والأقوال، الإمام الحسين عليه السلام، تحقيق: مدرسة الإمام
المهدي - عجل الله فرجه -، (قم المشرفة - ١٤٠٧ هـ)، ١٧، ص ٥٩ - ٦٠.
(٢٤) فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ج ٢، ص ١٩٨؛ الخطيب، مصادر
نهج البلاغة وأسانيده، ج ٤، ص ٧٣ - ٧٦.
(٢٥) فخر الدين الرازي، تفسير الرازي، ج ٢، ص ١٩٨؛ العلامة، بحار
الانوار، ج ٤٤، ص ١٩٦؛ البحراني، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، ص ٥٩
- ٦٠؛ الأبطحي: السيد علي، الإمام الحسين في أحاديث الفريقين من قبل
الولادة إلى بعد الشهادة، (قم المشرفة - ١٤١٨)، ج ٢، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.
(٢٦) الامين، اعيان الشيعة، ج ١، ص ٥٨٠؛ القرشي: باقر شريف، حياة الامام
الحسين عليه السلام، (النجف الاشرف - ١٩٧٤)، ج ١، ص ١٣٠؛ الشيخ المحمودي
: الشيخ محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، (بيروت - بلا تا)، ج
٨، ص ٢٨٦ - ٢٨٩؛ السيد المرعشي، شرح احقاق الحق، ج ١٩، ص ٤٣٤.
(٢٧) الخزار القمي: علي بن محمد بن علي الرازي (ت، ٤٠٠ هـ)، كفاية الاثر
في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني
الكوهكمري الخوئي، (قم المشرفة - ١٤٠١)، ص ٢٣٤؛ الكوراني: الشيخ علي
العاملي، معجم احاديث الامام المهدي - عجل الله فرجه -، إشراف: الشيخ
علي الكوراني العاملي، (قم المشرفة - ١٤١١)، ج ٣، ص ١٨٦؛ لجنة الحديث

في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، (قم المشرفة -
١٤٢٣)، ص ٨٩٠ / ٨٩٣.

﴿مُطَارَحَةُ الْكَلَامِ﴾ : أَي مَعْرُوفٌ . يُقَالُ : طَرَحَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ، إِذَا أَلْقَاهَا،
قال ابن سيده : وأراه مؤلداً . والأطروحة: المسألة تطرحها . الزبيدي، تاج
العروس، ج ٤، ص ١٣٨

﴿يُقَالُ اعْتَاَصَ الشَّيْءَ إِذَا لَمْ يُمْكِنِ وَالْعَوَصُ مَصْدَرُ الْأَعْوَصِ وَالْعَوِيصُ
ومنه كلام عويص وكلمة عوصاء. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٤،
ص ١٨٧ . وَالْعَوَصُ: ضِدُّ الْإِمْكَانِ وَالْيُسْرِ؛ شَيْءٌ أَعْوَصُ وَعَوِيصٌ وَكَلَامٌ
عَوِيصٌ؛ قَالَ: وَأَبْنِي مِنَ الشَّعْرِ شِعْرًا عَوِيصًا، عَوَّصَ فَلَانٌ إِذَا أَلْقَى بَيْتَ
شِعْرٍ صَعَبَ الْاسْتِخْرَاجِ . وَالْعَوِيصُ مِنَ الشَّعْرِ: مَا يَصْعَبُ اسْتِخْرَاجُ مَعْنَاهُ .
وَالْكَلِمَةُ الْعَوَصَاءُ: الْغَرِيبَةُ . يُقَالُ: قَدْ أَعْوَصْتَ يَا هَذَا . وَقَدْ عَوَّصَ الشَّيْءُ،
بِالْكَسْرِ، وَكَلَامٌ عَوِيصٌ وَكَلِمَةٌ عَوِيصَةٌ وَعَوَصَاءُ . وَقَدْ اعْتَاَصَ وَأَعْوَصَ
فِي الْمَنْطِقِ: غَمَّضَهُ . وَقَدْ عَاَصَ يَعَاصُ وَعَوَّصَ يَعَوَّصُ وَاعْتَاَصَ عَلَيَّ هَذَا
الْأَمْرُ يَعْتَاَصُ، فَهُوَ مُعْتَاَصٌ إِذَا التَّاثَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَلَمْ يَهْتَدِ لِحُجَّةِ الصَّوَابِ فِيهِ .
وَأَعْوَصَ فَلَانٌ بِخَصْمِهِ إِذَا أَدْخَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُجَجِ مَا عَسَرَ عَلَيْهِ الْمَخْرُجَ مِنْهُ .
وَأَعْوَصَ بِالْخَصْمِ: أَدْخَلَهُ فِيهَا لَا يَفْهَمُ . ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص
٥٨ / ٥٩ .

﴿شرح: شرح الرحل: آخرته وواسطته، ويقال: قادمته وآخرته الشرخ:
نتاج كل سنة من أولاد الإبل. وشرخ الشباب: أوله . الفراهيدي، العين، ج ٤،
ص ١٦٩ .

*البوغاء : التراب الناعم. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ١٦٢.

**الحرجف: الريح الباردة. الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٣٢٧.
*** المُتَعَجِرُ: السائل من الماء والدمع . ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٠٣

***تَجِيجُ المَاءِ : صوتُ انْصِبَابِهِ . وَتَجَّاجٌ : مَصْبُوبٌ، وفي التنزيل العزيز : (وَأَنْزَلْنَا مِنْ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا) وَدَمٌ ثَجَّاجٌ : مُنْصَبٌ مُصَوَّبٌ، وَمَطَرٌ ثَجَّاجٌ: شديدُ الأنْصِبَابِ جِدًّا .

الزيدي، تاج العروس، ج ٣، ص ٣٠٨.

****درس: الدرس : ضرب من الجرب يبقى له أثر متفش في الجلد. و

الدرس: بقية أثر الشيء الدارس . الفراهيدي، العين، ج ٧، ص ٢٢٧.

(٢٨) الشافعي: الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن (ت، ٦٥٢هـ)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية، (بلامكان-بالاتا)، ص ٣٦٠؛ النباطي: علي بن يونس العمالي البياضي (ت، ٨٧٧هـ)، الصراط المستقيم، تحقيق: تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهبودي، (مطبعة الحيدري-١٣٨٤)، ج ٢، ص ١٧٢؛ القرشي، حياة الامام الحسين (عليه السلام)، ج ١، ص ١٨٤؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ١٠٠٢ / ١٠٠٥.

* القمقام : العدد الكثير، وسيد قمقام وقمام لكثرة خيره . يشبه به

السيد الجامع للسيادة الواسع الخير. و القمقام: البحر لأنه مجتمع للماء .
الفراهيدي، العين، ج ٥، ص ٣١؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥،
ص ٤.

(٢٩) السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ٣٣، ص ٦٢١ - ٦٢٧ .
(٣٠) شبر: السيد علي الحسيني، العمل الأبقى في شرح العروة الوثقى،
(النجف الاشرف - ١٣٨٣)، ج ١، شرح ص ٤٤٠ / ٤٤٧؛ الهمداني: آقا
رضا بن محمد هادي، مصباح الفقيه، تحقيق: محمد الباقرى - نور علي النوري
- محمد الميرزائي - الإشراف: السيد نور الدين جعفریان، (قم المشرفة -
١٤١٧)، ج ٣، ص ٣١٥ - ٣١٦.

(٣١) ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ هـ)، ترجمة
الإمام الحسين (عليه السلام) ريجانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين (عليه السلام) من
تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط ٢، (قم المشرفة -
١٤١٤)، ص ٢٢٨ / ٢٣٣؛ البحراني، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، ص
٦٢ - ٦٥؛ الشيخ المحمودي، نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، ج ٨،
ص ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(٣٢) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٣١٩؛ الأمين، اعيان
الشيعة، ج ١، ص ٥٦٤؛ الشهرستاني: السيد علي، وضوء النبي (عليه السلام)، (قم
المشرفة - ١٤١٥)، ج ٢، ص ٣٥٨؛ البياتي: جعفر، الأخلاق الحسينية، (قم
المشرفة - ١٤١٨)، ص ٣٢ - ٣٥.

(٣٣) القندوزي: الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي، يبايع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، (مطبعة اسوة-١٤١٦)، ج ١، ص ٤٤٨.

(٣٤) الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت، ٣٨١هـ)، الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (قم المشرفة- ١٤٠٣)، ص ١٣٦؛ العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٣٣٢ / ٣٣٣؛ السيد البروجردي: آقا حسين الطباطبائي، جامع احاديث الشيعة (قم المشرفة- ١٣٩٩)، ج ٨، ص ٤٥٤؛ الكجوري: الشيخ محمد باقر، الخصائص الفاطمية، ترجمة: سيد علي جمال أشرف، (مطبعة شريعت- ١٣٨٠)، ج ١، ص ٢٨٧.

(٣٥) التوبة: ٣٢.

(٣٦) السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق، ج ٢٣، ص ٤٩٩ / ٥٠٠.

(٣٧) العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٣١٢؛ البحراني: السيد هاشم (ت، ١١٠٧هـ)، مدينة المعاجز لأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني (قم المشرفة- ١٤١٣)، ج ٣، ص ٥٢٩؛ الشيخ البحراني، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ٤١ - ٤٣.

(٣٨) ابن عساكر، ترجمة الامام الحسين (عليه السلام)، ص ٤٠٨؛ الباعوني: محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت، ٨٧١هـ)، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، (قم المشرفة- ١٤١٥)، ج ٢، ص ٣٠٠-٣٠٢؛ الشاهرودي: الشيخ

علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، (قم المشرفة- ١٤١٨)، ج ٨، ص ٣٨٧.

(٣٩) ال درويش: الشيخ عبد الله ابن الحاج حسن، المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، (قم المشرفة- ١٤٢٨)، ص ٥٤٩؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ٧٦٤.

(٤٠) ال درويش، المجالس العاشورية، ص ٥٤٩؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ٧٦٤.

(٤١) البحراني، من أخلاق الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ١٠٣.

(٤٢) عبد الوهاب: حسين (ت، ق ٥٥هـ)، عيون المعجزات، (النجف الاشرف- ١٣٦٩)، ص ٥٦؛ العلامة المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٤، ص ١٨٧؛ البحراني، العوالم، الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ٥١.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

أولاً: المصادر الاولية

- ١- ابن الاثير: مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ثم الموصلبي الشافعي (ت، ٦٠٦هـ)
النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط٤، (قم المشرفة- ١٣٦٤).
- ٢- الباعوني: محمد بن أحمد الدمشقي الشافعي (ت، ٨٧١هـ)
جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، (قم المشرفة- ١٤١٥).
- ٣- البحراني: السيد هاشم (ت، ١١٠٧هـ).
مدينة المعاجز لأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق: الشيخ عزة الله المولائي الهمداني (قم المشرفة- ١٤١٣هـ).
- ٤- البحراني: الشيخ عبد الله (ت، ١١٣٠هـ).
عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الإمام الحسين (عليه السلام)، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي -عجل الله فرجه-، (قم المشرفة- ١٤٠٧هـ).

- ٥- الجوهري: إسماعيل بن حماد(ت،٣٩٣هـ)
- ٦- الخزاز القمي: علي بن محمد بن علي الرازي(ت،٤٠٠هـ).
- ٧- الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي(ت،١٢٠٥هـ).
- ٨- السبزواري: الشيخ محمد بن محمد(ت،٧هـ).
- ٩- ابن سيده: علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي(ت،٤٥٨هـ).
- ١٠- الشافعي: الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن(ت،٦٥٢هـ).
- ١١- ابن شهر آشوب: حمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبشي السروي المازندراني(ت،٥٨٨هـ).
- ١٢- الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت،٣٨١هـ).
- ١٣- عبد الوهاب: حسين(ت،٥هـ).
- ١٤- ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي(ت،٥٧١هـ).
- ١٥- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا(ت،٣٩٥هـ).
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،(قم المشرفة،١٤١٤هـ).

- ١٦- فخر الدين الرازي: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني(ت،٦٠٦هـ).
- تفسير الرازي، ط٣، (بلامكان- بلاتا).
- ١٧- الفراهيدي: الخليل بن احمد (ت،١٧٥هـ)
- العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي، ط٢، (قم المشرفة-١٤٠٩هـ).
- ١٨- العلامة المجلسي: محمد باقر(ت،١١١١هـ).
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٢، (بيروت-١٩٨٣).
- ١٩- السيد المرعشي: نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت،١٠١٩)
- شرح احقاق الحق وإزهاق الباطل، تحقيق: تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي، (قم المشرفة- بلاتا).
- ٢٠- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت،٧١١هـ).
- لسان العرب، (قم المشرفة-١٤٠٥هـ).
- ٢١- النباطي: علي بن يونس العاملي البياضي(ت،٨٧٧هـ).
- الصرط المستقيم، تحقيق: تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهودي، (مطبعة الحيدري-١٣٨٤)، ج٢، ص١٧٢؛ القرشي، حياة الامام الحسين عليه السلام.

ثانياً: المراجع الثانوية

- ٢٢- الأبطحي: السيد علي
- الإمام الحسين في أحاديث الفريقين من قبل الولادة إلى بعد الشهادة، (قم المشرفة-١٤١٨هـ).
- ٢٣- الامين: محسن
- ايعان الشيعة، تحقيق: تحقيق وتخريج: حسن الأمين، (بيروت-١٩٨٣).
- ٢٤- السيد البروجردي: آقا حسين الطباطبائي
- جامع احاديث الشيعة(قم المشرفة-١٣٩٩هـ).
- ٢٥- البياتي: جعفر

- الأخلاق الحسينية، (قم المشرفة- ١٤١٨ هـ).
- ٢٦- أبو حبيب: الدكتور سعدي.
القاموس الفقهي، ط ٢، (دمشق- ١٩٨٨).
- ٢٧- الخطيب: السيد عبد الزهراء الحسيني
مصادر نهج البلاغة وأسانيده، (بيروت- ١٩٨٨).
- ٢٨- ال درويش: الشيخ عبد الله ابن الحاج حسن
المجالس العاشورية في المآتم الحسينية، (قم المشرفة- ١٤٢٨).
- ٢٩- الشاهرودي: الشيخ علي النازي
مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النازي، (قم المشرفة- ١٤١٨ هـ).
- ٣٠- شبر: السيد علي الحسيني
العمل الأبقى في شرح العروة الوثقى، (النجف الأشرف- ١٣٨٣ هـ).
- ٣١- الشهرستاني: السيد علي
وضوء النبي ﷺ، (قم المشرفة- ١٤١٥ هـ).
- ٣٢- العاملي: الشيخ قاسم محمد مصري
رسالة في التعرّب بعد الهجرة ويليها نظرة في الحفاظ علي المجتمع المؤمن، (قم المشرفة- ٢٠٠٣).
- ٣٣- القرشي: باقر شريف
حياة الامام الحسين ﷺ، (النجف الاشرف- ١٩٧٤).
- ٣٤- القندوزي: الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفي
ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، (مطبعة اسوة- ١٤١٦).
- ٣٥- الكجوري: الشيخ محمد باقر
الخصائص الفاطمية، ترجمة: سيد علي جمال أشرف، (مطبعة شريعت- ١٣٨٠).
- ٣٦- الكوراني: الشيخ علي العاملي
معجم احاديث الامام المهدي-عجل الله فرجه-، إشراف: الشيخ علي الكوراني

- العالمي، (قم المشرفة- ١٤١١هـ).
- ٣٧- الشيخ المحمودي: الشيخ محمد باقر
نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، (بيروت- بلاتا).
- ٣٨- الهمداني: آقارضا بن محمد هادي
مصباح الفقيه، تحقيق: محمد الباقر - نور علي النوري - محمد الميرزائي - الإشراف :
السيد نور الدين جعفریان، (قم المشرفة- ١٤١٧هـ).

ثالثاً: الموسوعات

- ٣٩- الأنصاري: الشيخ محمد علي
الموسوعة الفقهية الميسرة، (قم المشرفة- ١٤١٥هـ).
- ٤٠- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عجته)
موسوعة كلمات الإمام الحسين (عجته)، (قم المشرفة- ١٤٢٣هـ).



الخطاب الحسيني من أنسنة الخطاب إلى تكامل الذات

م . د . حازم طارش حاتم / العراق-بغداد

ملخص البحث :

يستكشف هذا البحث، الملمح الإنساني في الخطاب الحسيني في ضوء قراءة معاصرة في انثروبولوجيا الثقافة، التي شكَّلت فيها اللغة الحسينية الحيِّز الأكبر في المنظومة المعرفية؛ لأنَّ اللغة العين الكاشفة عن المجتمع، والمرآة العاكسة للسلوك الإنساني الذي تتجسد فيه القيم والعادات وأنساق الفكر. واللغة سلوك اجتماعي تمثل عصب الحياة، بها نتواصل، وفيها نُجسد الحضارة، وبها يزداد النشاط المعرفي، وعن طريقها يتفاعل الأفراد في المجتمع، فينشأ التلاقي، وتتحقق الأغراض، ويقع التأثير والتأثير، فاللغة وجه المجتمع، والوجه الآخر للغة حضارة المجتمع، وعن طريقها نكشف خصائص المجتمع وحضارة المجتمع، وبذلك يمكن تصنيف المجتمع إلى "بدوي، أو زراعي، أو صناعي أو معرفي أو ..."، وبذلك ندرك كيف أثرت خصائص المجتمع والمستوى الثقافي الحضري في بناء اللغة وتشكيلاتها ولاسيما في الخطاب الحسيني. الخطاب الكاشف عن المظاهر السلوكية العامة للإنسان من حيث "النوازع والأهواء" وكيف تشكلت هذه في البيئة المجتمعية التي عاش فيها الإمام (عليه السلام)؛

لذا يصنف الخطاب الحسيني بالخطاب الكوني؛ لأنه خطاب قيمي مدار
حركتها مرهون بحركة الإنسان، الذي مثل فيه الخطاب حركة تكاملية
بالارتقاء بالإنسان إلى مستوى الإنسانية التي تمثّلت بشخص الإمام عليه السلام، وأهل
بيته، والذين لحقوا به من الأوّلين والآخريين .
فالتقابل الأضداد وحضورها في الخطاب الحسيني ولّد خطين بيانين:
خط قيمي متعالٍ ” حب الخير، الصلاح، الإيثار، مناهضة الباطل ”
خط قيمي هابط ” الاستئثار، الكراهية، اغتصاب الحقوق .

المقدمة :

هذا البحث، ما هو إلا محاولة قائمة على استكشاف الملمح الإنساني في النص الحسيني في ضوء قراءة معاصرة في انثروبولوجيا الثقافة، التي شكّلت فيها اللغة الحسينية الحيز الأكبر في المنظومة المعرفية للمجتمع الذي عاش فيه الإمام عليه السلام؛ لأن اللغة العين الكاشفة عن المجتمع، والمرآة العاكسة للسلوك الإنساني .

واللغة تُعدّ عصب الحياة؛ فيها تُجسد الحضارة، وبها يزداد النشاط المعرفي، وعن طريقها يتفاعل الأفراد في المجتمع، فينشأ التواصل وتتحقق الأغراض ويقع التأثير والتأثير، فاللغة وجه المجتمع، وعن طريقها تكشف خصائص المجتمع، وندرك كيف أثرت خصائص المجتمع في بناء اللغة وتشكيلاتها. ولغة الإمام الحسين عليه السلام لغة إصلاحية قيمة، تهدف إلى حفظ كرامة الإنسان، وتسعى إلى حفظ هويته؛ لذا أوضحت لغة الإمام الحسين عليه السلام لغة مناهضة للغات الأخرى التي تسعى إلى امتهان كرامة الإنسان، ومسخ هويته الإنسانية، فلغة الإمام الحسين عليه السلام تعكس تعدد الأصوات داخل المجتمع، فضلاً عن ذلك التجاذب الحاصل في فرض سلطة القول، العاكس لسلوك الأفراد، والكاشف عن القيم التي يؤمنون بها؛ لذلك أضحى الخطاب الحسيني خطاباً انثروبولوجياً تقاطعت فيه لغتان:

- لغة الإصلاح: التي استدعاها المتكلم من أجل كشف الحقائق وبيانها للمجتمع عسى أن يستجيبوا النداء الإصلاح، فيتحقق الإقناع المرجو في أصل الخطاب، فضلاً عن ذلك إلزامهم الحجّة، وبيان زيف دعواهم، وإسقاط الحجّة التي بين أيديهم .

- ولغة مناهضة للإصلاح: التي تعكس واقع المجتمع الذي يحيط بالإمام، التي جسّدت سلوكًا لا يُمدد للإنسانية بشيء، وهذه الأنساق التي اقتضتها لغة الإمام مثّلت المناسبة بين اللغتين وانعكست بشكل متضاد .

فالخطاب الحسيني رسم بشكلٍ متوازٍ بين القيم والمبادئ الصاعدة التي تحفظ للإنسان كنه هويته، والقيم والمبادئ الهابطة، التي تنسخ هذه الهوية، ونتائج ذلك السلوك الذي يؤمن به الإنسان في ذلك المجتمع .

المحور الأول: الخطاب الحسيني: بين استراتيجيات الإقناع ومناطق الاشتغال:

استراتيجية الإقناع: المفهوم والإجراء:

لا مناص من إرساء القواعد الإجرائية لمصطلح «الإقناع» بعد البحث عنه في الحاضنات المرجعية التي تأسس له، وما هذه الحاضنات المرجعية إلا مفاهيم تمثل الخزين الثقافي والمعرفي الذي يؤطر له؛ ولكي يحقق هذا المصطلح «الإقناع» الوظيفة الاستعمالية الإجرائية، يجب الوقوف عند الأسس المفاهيمية؛ ليتسنى تحديد مناطق الاشتغال من أجل تحديد الأبعاد الإجرائية التي تشغلها، والمسارات التي يجب اتخاذها في كل عملية إقناعية تتوخى الحوار وتديم التواصل، ولا سيما أنّها تسعى إلى التأثير في المتلقي، فبناء الاستراتيجية الإقناعية تعتمد السياق؛ لأنّ السياق يعد مرتكزاً من مرتكزات تبني استراتيجية دون سواها، فللسياق الأثر الفعال في الإرسال والتلقي معاً. وتكشف سياقات الاستعمال أنّ مفهوم الإقناع (persuasion) في دلالاته اللغوية مشتق من المادة «ق، ن، ع» التي تتمحور في معنيين: الأول: «السؤال والتذلل»، والآخر «الرضى»^(١)، غير أنّ المدقق في المعاجم العربية يجد هناك معنى آخر وهو «الإقبال» قال: صاحب (مقاييس اللغة) أنّ الإقناع ((مدُّ اليد عند الدُّعاء، وسُمِّيَ بذلك عند إقباله على الجهة التي يمدُّ يده إليها، والإقناع: إمالة الإناء للماء المنحدر))^(٢).

فالدلالة المركزية من ظاهر النص توجه المتكلم نحو المتلقي من أجل إحداث تغير في موقفه من القضية المطروحة، أما الدلالة الهامشية فإنّ المتلقي لا يتقاطع مع المتكلم، أو يختلف معه، وعلى هذا ((يكون النص الخطابي نصّاً

إقناعياً، ولكنه ليس نصاً حجاجياً بالضرورة؛ لأنه لا يعبر بالضرورة عن قضية خلافية، يعني هذا أن كل نص حجاجي نص إقناعي، وليس كل نص إقناعي نصاً حجاجياً^(٣)، فالكفاية التواصلية حاضر في الخطاب الإقناعية ذات البعد التغيري، من دون الإكراه في التغيير؛ لذا قيل: ((حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعل شيء أو اعتقاده))^(٤)، والكفاية الأدائية عند المتكلم تسعى إلى جعل المتلقي يعتقد ما يعتقد المتكلم، فالمتكلم يرغب في اقتسام ما يعتقد به مع الآخرين^(٥)، وحتى يتحقق هذا الجانب الإجرائي يستند المتكلم في عملياته الإقناعية إلى الوسائل اللغوية؛ لأن اللغة في بنيتها تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة إقناعية^(٦)، وكذلك الآليات شبه المنطقية وفعالية هذه الآليات أمّا استدلالية خطابية، لها شكل منطقي ليس حتمي، بل احتمالي^(٧)، فطبيعة هذا النشاط الإجرائي متغير في صيغته اللغوية، غايته الأولى والأخيرة هي التأثير في المتلقي والدفع به إلى تبني موقف ما أو اقتناء منتج أو التخلي عن سلوك^(٨)، فالإجرائية في الخطاب الإقناعي لا تكتسب صبغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، بل تتبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوعة تجر الغير جراً إلى الإقناع، وقد ترافق أساليب الإقناع أساليب الإمتاع فتكون أمكن على التأثير في اعتقاد المتلقي، وتوجيه سلوكه، وذلك لما يهب الإمتاع من قوة في تجسيد الأشياء في ذهن المتلقي، كأنه يراها رأي العين^(٩).

فالنهج المقنن الكلي للعملية الإقناعية كونها انتقالاً، تنطلق من "مبدأ" هو إرادة المتكلم قيام المتلقي بفعل أو ترك، وتكون العملية ناجحة ومنتوية إذا

تحققت هذا الإرادة بالفعل، فهناك "مبدأ" و"منتهى" للعملية الإقناعية^(١٠). وهذا يستلزم مطابقة مقتضى حال المتلقي، حتى يتحقق التواصل، فيقع الإقناع في ضوء المنجز القولي، وحتى يكون ذلك يتبنى المتكلم استراتيجية من دون أخرى من أجل تحقيق الإقناع، وهذا التغير في الاستراتيجيات يكشف عن التغير في السياقات، واستراتيجيات الإقناع ثلاث:

أولاً: الاستراتيجية الدينامية النفسية وأبعادها الإقناعية:

المنطلقات التأسيسية التي تستند إليها هذه الاستراتيجية، والتي يعتمدها المتلقي لتحصيل الإقناع هي: ((مجموعة خطية من المفاهيم هي المعبر عنها بالحاجات النفسية والدوافع والمعتقدات والمصالح، وأسباب القلق والمخاوف والقيم والآراء والمواقف، وتعتبر هذه العناصر بواعث أساسية لسلوك الفرد، ومعيار فهم اختبارات السلوك لدى الفرد وتفضيلاته وأوليّاته أي: إنّها البوابة الرئيسية لفهم أعمق لعملية الإقناع والتأثير))^(١١).

فالمسارات التي تخطها هذه الاستراتيجية تسعى إلى تقويم سلوك الفرد بإثارة العوامل العاطفية أو العوامل الإدراكية؛ لأنّ من المستحيل تعديل عامل بيولوجي كالطول أو القصر أو الجنس...^(١٢) وحتى يكون ذلك يتخذ المتكلم طريقة خاصة في تقديم رسالته تكون لها القدرة على تغيير سلوك الفرد عبر نافذة الوظائف النفسية، بمعنى أنّ مفتاح الإقناع يكمن في تعليم الفرد معلومات جديدة يقدّمها له المتكلم فتسهم هذه المعلومات في تغيير البناء النفسي مما يؤدّي إلى تعديل السلوك، وهذا يُعدّ جوهر الاستراتيجية النفسية^(١٣).

والخطاب الحسيني اتخذ هذه الاستراتيجية سبيلاً؛ لإحداث تغيير في البناء الداخلي النفسي للمتلقي، وذلك بتقريب المشاهد وتجسيدها، فضلاً عن ذلك

سوقها بشكل يتقبله منطق العقل .

قال الإمام الحسين عليه السلام ((الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقي من فتنته، فلا تغرّتكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخب طمع من طمع فيها))^(١٤).

ترسم حوارية الخطاب الحسيني صورة الدنيا وأحوالها، وهي الصورة الأوضح والأقرب إلى ذهن متلقي الخطاب، وهذا المشهد له دلالة إيحائية مؤثرة في النفس؛ لأنها محسوسة ومدركة، وهذا الاستعمال زوّد المتلقي بمعارف لها من الأثر في تغيير المعارف الداخلية للمتلقي، التي تمثل الأساس لكلّ سلوك، وهو ما يستدعيه الخطاب الذي يتناسب ويتناسق مع الموقف حتى يقع الإقناع، ومقتضى الخطاب خرج إلى النصح والإرشاد الذي يستلزم قبول دعوة الإمام الحسين عليه السلام، ويمكن بيان ذلك في ضوء المنطق الاستدلالي الطبيعي الذي خطّه الخطاب الحسيني:

المقدمة الكبرى: الدنيا دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها .

المقدمة الصغرى: والفاني، والزائل، والمتصرف لا يستحق التمسك به والحفاظ عليه .

النتيجة: الدنيا لا تستحق التمسك والحفاظ .

فعملية الإنتاج قائمة على طرفي الخطاب، فالمتكلم ينتج الكلام المصرح به والظاهر، والمتلقي من صنعه الضمني المستفاد من ظاهر النص؛ لأنّ المتكلم صنع كلامه في ضوء عالم خطاب المتلقين^(١٥)، حتى تكون هناك مساحة لإيقاع التأثير وتوليد الإقناع بعدما أخذ الخطاب حيزه الطبيعي في نفوس متلقيه.

والخطاب الحسيني لم يكتفِ بذلك، بل كشف عن صفات الدنيا الذميمة

” الشقاء، والقطع، والخيبة ” المتولدة عن ” الغرور ” ؛ لذا جاء النهي ” فلا تغرنكم هذه الدنيا ”، في دلالة إيجابية على القيم الهابطة التي تنسخ الإنسان عن هيأته الحقيقية، وتجعل منه كائنًا غريبًا عن الجنس البشري تتحكم به ” الأهواء والنوازع ”

ثانيًا: الاستراتيجية الثقافية الاجتماعية وأبعادها الإقناعية:

المباني المعرفية التي تقوم عليها هذه الاستراتيجية في تحقيق التأثير والإقناع في المتلقي هي مباني خارجية، عكس الاستراتيجية النفسية التي تعتمد الجانب العاطفي والإدراكي الداخلي للفرد في تغير وتعديل سلوكه، فثقافة المجتمعية والأعراف والتقاليد تشكل السلوك البشري، فضلاً عن ذلك تتحكم في الأنماط السلوكية الخاصة بالفرد؛ لأنها تمثل الخلفية المعرفية لذلك السلوك، فالثقافة انعكاس للسلوك، والسلوك انعكاس للثقافة^(١٦).

إذًا الآليات التي تشغل عليها هذه الاستراتيجية الثقافة الاجتماعية في تحصيل الإقناع، وهي تغير ثقافة المتلقي؛ لأنَّ الثقافة تشكل قوّة في تعديل سلوك الفرد وتغيره، وهذا ما توصلت إليه الدراسات الاجتماعية^(١٧).

والخطاب الحسيني يروّج لثقافة غير سائدة في الحضرة العربية يبيث فيها القيم الإسلامية، والأخلاق النبيلة، ضد الثقافة السائدة من الأخلاق السيئة والعادات والتقاليد البالية، والخطاب الحسيني حتى يستطيع نشر هذه الثقافة ويكون لها أثر في سلوك المجتمع استعمل استراتيجية الثقافة الاجتماعية حتى يولد قوة ضغط؛ لأنَّ الثقافة التي يقدمها الخطاب الحسيني لها مساس مباشر بالإنسان.

قال الإمام الحسين عليه السلام ((أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَنْ رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)) (١٨).

حوارية الخطاب الحسيني توظف الحديث النبوي الشريف لتوليد ثقافة مجتمعية مضادة للثقافة التي تولدت من سلوك بني أمية التي تركز إلى القبليّة، والروح الجاهلية، وهذه الثقافة " الجور، واستحلال حرم الله، والنكث، ومخالفة سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله، والإثم والعدوان " هي التي كانت سائدة، وقد جاء الخطاب الحسيني، لتغيير هذا الثقافة، فضلاً عن ذلك استهجان هذه الثقافة، وهذا بدوره يشكل طاقة خارجية تأثيرية في المتلقي، مما يستدعي المتلقي تغيير سلوكه تجاه هذه الثقافة، ومظاهر هذا التغيير " بالقول، والفعل ". ويمكن بيان الاستدلال الإقناعي في الخطاب الحسيني:

المقدمة الكبرى: كل سلطان جائر مستحل لحرم الله، ناكث ومخالف لسنة النبي... يجب الخروج عليه .

المقدمة الصغرى: بنو أمية أصحاب سلطة جائرة، وناكثة، ومعترية، وغاصبة. النتيجة: يجب الخروج على بني أمية .

وهكذا ولّد الخطاب قوة إنجازية " يجب عليكم الخروج بالقول والفعل "، فضلاً عن ذلك إيجاد فعل تأثيري " لا يستوي الجائر والعاقل "، وإيجاد هذه الثقافة المجتمعية تكون عاملاً في تغيير السلوك، وتعيد بناء الفرد من جديد .

ثالثاً: استراتيجية إنشاء المعاني وأبعادها الإقناعية:

تتأسس هذه الاستراتيجية على مفاهيم " الأنثروبولوجيا " القاضية بأن المعاني ترتبط بشكل مباشر باللغة، التي عن طريقها يكشف المتكلم عما يجول في خاطره، ويقف أمام العالم الخارجي بناءً على ما يحمله من معانٍ، وهذه البنية المعرفية الدّاخلية للمتكلم تزوّده بتعريفات للمواقف التي تواجهه، فالمتكلم يحكم على العالم الخارجي، ويتبنّى سلوكيات خاصة في ضوء المعاني والمعارف الدّاخلية له (١٩).

فاللغة القاعدة الأساسية في هذه الاستراتيجية لأن تُبنى المعاني الدّاخلية للمتكلم، التي بها يتشكّل سلوكه، ويواجه العالم الخارجي، فالمنظومة المعرفية الدّاخلية للمتلقّي هي الأساس في أيّ تغيير، وما السلوك إلا مظهر من مظاهر هذه المعرفة.

ولغة الخطاب الحسيني تحمل في طيّاتها حمولات ومفاهيم جديدة، ولاسيما أنّها تجسد صورة الأفعال الدّاخلية للأفراد، وتكشف حقيقة الأعمال المعنوية، وهي بذلك تولّد معاني جديدة في بيئة وحاضرة لم تعهد هذه المعاني، وهذا يمثل دعوة في تبني هذه المعاني حتى تنعكس بشكل واضح على السلوك؛ لأنّ حركة الأفراد داخل المجتمعات قائمة على المعاني التي يؤمنون بها، وهنا ينكشف وجه الإقناع الذي تتبنّاه هذه الاستراتيجية في تغيير المعاني الدّاخلية وتعديلها للأفراد عن طريق اللغة الحاملة للمعاني الجديدة .

قال الإمام الحسين عليه السلام ((لعمرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ

بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله (((٢٠).

دلالة السياق الإيحائية تنذر متلقي الخطاب باتباع الحاكم -يزيد-، لذا استلزم الخطاب بعد التحذير بيان الإمام الواجب اتباعه، وتعيينه بالصفات "عاملٌ بالكتاب، عادلٌ، متدينٌ، يدور مع أمر الله حيث دار"، والمتكلم استعمل أسلوب القصر من أجل تخصيصها في ذهن المتلقي، والذي لا يتصف بهذه الصفات، فهو ليس حاكماً، وهو هنا يولد طاقة إنجازية "بطلان البيعة لهذا الحاكم، ووجوب الخروج عليه"، وإنشاء هذه المعاني الجديدة توجد فعل تأثير يقصده المتكلم، ويمكن بيان ذلك في ضوء الاستدلال الإقناعي:

المقدمة الكبرى: كل حاكم عامل بالكتاب، وعادل، يجب إطاعته، والامتثال له.

المقدمة الصغرى: الحسين عليه السلام عامل بالكتاب وعادل.

النتيجة: يجب إطاعة الإمام الحسين عليه السلام.

فالمشهد يصور لنا مقدار المهانة التي منيت بهم؛ لأنهم لم يمتثلوا أوامر الله بل اتبعوا هواهم، وهذه القيمة التأثيرية جاءت تناغم المنطلقات النفسية للمتلقي من أجل إنشاء معانٍ جديدة تكون لها الأثر في الجانب الداخلي للفرد، فينعكس على السلوك، فيتحقق الإقناع.

ويمكن بناء استدلال يقابل الاستدلال السابق:

المقدمة الكبرى: كل حالكم غير عامل بالكتاب وغير عادل يجب مقاتلته.

المقدمة الصغرى: يزيد "لعنه الله" غير عامل بالكتاب وغير عادل.

النتيجة: يجب مقاتلة يزيد "لعنه الله".

وهذا الوجوب هو الذي أخرج الإمام الحسين عليه السلام على الحاكم الجائر؛ لأنه يتبع منظومة معرفية قرآنية تكاملية، تسعى بالإنسان إلى التكامل، وترك هذا الواجب من الآخرين جعلهم يتعدون من دائرة الإنسانية، وإلا كيف يفسر فعلهم وسلوكهم الخارجي إزاء الإمام الحق المبين .

المحور الثاني: الخطاب الحسيني من أنسنة الخطاب إلى هوية الذات:

الخطاب الحسيني في جوهر حركته الإصلاحية يرتكز على المباني القرآنية: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (٢١)، وموضوع هذه الحركة «الإنسان»؛ ووظيفة هذه الحركة القرآنية «الهداية والإرشاد»؛ لأنَّ الإنسان تتجاذبه قوى الخير والشر {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (٢٢)

فالإصلاح هو الباعث الأساس في حركته ﷺ ((إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمي)) (٢٣) وأخذ يؤكد هذا الإصلاح ومحوريته في خطابه ﷺ ((إنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين)) (٢٤). الفضاءات المعرفية التي يؤسّس لها الخطاب في ضوء البنية اللسانية الإشارية الشخصية «الذاتية»، وهذا البعد الذاتي يستدعي صوتاً ذاتياً خارجياً آخر، فالقول «أنا» يقابل «أنت»، وهذا ما يسمى «تقاطع الضمائر».

فالخطاب يعكس الواقع الاجتماعي واقع التجهيل الذي اتخذته الأمويون سبيلاً؛ لتفريق الناس عن الحسين ﷺ، بأنَّ الحسين ﷺ يطلب الحكم والسلطة، فخرج على إمام زمانه، وهو بهذا الفعل يشقّ عصي المسلمين، ويفرق كلمتهم؛ لهذا استدعى السياق الاجتماعي استعمال أسلوب القصر: «وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»؛ لتنبية المتلقي، وتخصيص خروج الخطاب

وتذكيره بأمر ثابت معلوم (٢٥) ألا وهو « الإصلاح » الذي قصر خروجه عليه، وهذه الوظيفة هي الامتداد الطبيعي له ﷺ، الذي يؤكد ذلك استعماله لأسلوب النفي المشحون بقوة إيجابية تعبيرية رافضة لسلوك بيئة مجتمعية محبة للشر والطغيان والفساد والظلم في قوله ﷺ: (لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً)، وهذا السلوك كان متجذراً في سلوك تلك البيئة فظلاً عن ذلك التشارط الذي أوجده الإمام في خطابه « فمن قبلي بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق »، وهو بذلك يؤكد الامتداد الإصلاحي الربّاني في خطابه، وخصائص هذا الإصلاح شكل محاوراً جوهرية في أنسنة خطابه.

الخطاب الحسيني وقرآنية الخطاب:

الخطاب القرآني خطاب كوني يحاكي جميع البشر { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } (٢٦)، والخطاب الحسيني خطاب طولي مع الخطاب القرآني، فقد نُقل عن الحسين ﷺ لما سار إلى مكة، قال: { فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } (٢٧)، وعندما دخل مكة قال: { وَمَا تَوْجَهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ } (٢٨).

ربط الإمام الحسين ﷺ حركته بحركة النبي موسى ﷺ الإصلاحية؛ ليكشف عن خصال القوم وصفاتهم، وهو بذلك يريد أن يقول:
أولاً: أن يزيد «لعنه الله» سار على نهج فرعون الذي بين القرآن الكريم الكثير من ملامحه .

ثانياً: أنَّ الحسين عليه السلام يمثّل نهج نبي الله موسى عليه السلام، الذي سعى إلى تكوين مجتمع قادرٍ على التغيير الجذري والإصلاح الحقيقي، وقد عُرف عن موسى عليه السلام أنه أراد أن يكون من المصلحين، بدلالة قول الإسرائيلي الذي أراد عليه السلام نصرته {وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ} (٢٩).

ثالثاً: إنَّ الحسين عليه السلام لم يخرج هارباً من الخطر متنصلاً من المسؤولية، بل إنَّ هجرته إنَّها هي خطوة في طريق التغيير كما كان خروج موسى عليه السلام (٣٠).

وهذا التوظيف يعكس ملامح المجتمع الذي عاشه الإمام عليه السلام، والتقابل والتقاطع في المواقف، فضلاً عن ذلك استحضار الذاكرة المعرفية لمتلقي الخطاب فيزيد من بُعد المعرفي في كشف ملامح الظروف المحيطة بالخطاب، وهذا ما يفسر صلاح الحركة الحسينية لكل المصلحين، فهي لم تتقيّد بحدود «الزمن والمكان».

وخطب الإمام الحسين عليه السلام فقال: ((أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا؛ حتى أعظكم بما هو حقُّ لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم. فإن قبلتم عذري، وصدقتم قولي، وأعطيتموني النصف من أنفسكم كتتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم {فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ} (٣١)، {إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} ((٣٢)) (٣٣).

يستعمل الإمام الحسين عليه السلام التشارط في خطابه، وهو هذا الأسلوب يوظف نصّين قرآنيين:

الأول: قوله تعالى: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ} (٣٤) ليكشف عن الحالة المجتمعية لقومه عن طريق استحضار المواقف في ذاكرة المتلقي التي جسدت حال قوم نبي الله نوح بقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ} (٣٥)، أي: أخبر قومك الذين كذبوك وخالفوك « نأ نوح » الذين كذبوه كيف أهللكم الله، فعليكم الحذر أن يصيبكم ما أصاب قوم نوح، فضلاً عن ذلك بيان السنن الكونية التي يتعرض لها المصلحون، وهو بذلك يريد أن يوجد قوة إنجازية تدعو المصلحين بالاستمرار على إصلاحهم « إظهاراً لقله مبالاته وثقته بها وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه، وأنهم لن يجدوا إليه سبيلاً » (٣٦)

و الآخر: قوله تعالى: {إِنَّ وَلِيَِّّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} (٣٧) يعرض الإمام الحسين عليه السلام مناصرة الله لنبيه الخاتم، ثم أمره الله أن يقول: للمشركين أن الله ناصرني وحافظي، ودافع شركم عني، والقرآن يؤيدني بنصره؛ لأن الله ينصر المطيعين له المجتنبين المعاصي (٣٨)

فالحسين عليه السلام بسياسته اللغوية وتخطيطه يستثمر النصين القرآنيين، لبيان أنسنة الخطاب، فضلاً عن ذلك هويته الذاتية، وامتداده الرباني في حركته الإصلاحية، رافعاً اللثام عن المعتقدات التي يؤمن بها القوم؛ لأن اللغة التي تكلم بها الإمام الحسين عليه السلام لغة دينية لها امتداد معرفي يتصل بالنبى الخاتم، كاشفة عن عناد القوم وتكبرهم وعدم الامتثال إلى الطاعة والابتعاد عن المعصية، وهذا التوظيف ولد تكثيفاً وزخماً في معرفة الظروف المحيطة بالحسين عليه السلام، فانعكست على لغته المختزلة في سياقها الاجتماعي، وهذا ما استدعى التوظيف.

الخطاب الحسيني وأنسنة الخطاب .

حركة الإمام الحسين عليه السلام حركة إنسانية أراد فيها تحريك وجدان الأمة التي غلب عليها الجهل والظلم، فقال عليه السلام: «أقررتم بالطاعة، وآمتمم بالرسول عليه السلام، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعتوته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين، أيها الناس انسبوني من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم، وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله، والمصدق برسوله بما جاء من عنده .

أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟

أوليس جعفر الطيار عمي؟

أولم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة»^(٣٩).

فحركة استرجاع الذاكرة في «انسبوني من أنا؟»، وتوالي حركة الاستفهامات التي تمثل حضور أطراف الحوار وجهاً لوجه مما أوجد تفاعلاً تواصلياً هياً جواً مثالياً في تقرير الحقائق الواقعية في أذهانهم عن طريق أسلوب الاستفهام الداخلة على الجملة المنفية، وهو بذلك يدعوهم إلى العدول عن قتاله، بأسلوب في غاية الإقناع باستعمال تقنية الحجج المؤسسة على بنية الواقع في ضوء (مبدأ التعاون)، فضلاً عن ذلك التوظيف التناسي في الخطاب «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»^(٤٠)؛ لتعزيز الحجج المتقدمة وتوليد ضغط نفسي على متلقي الخطاب، وهو بذلك يريد أن يوجد فعلاً تأثيرياً عسى أن يعودوا عن بغيتهم وعدوانهم، ويتحرروا من قيود الجهل.

فتنصت (الاسترجاع) و (الواقعية) و (الأخلاق) و (التطبيق) و (التقويم) هي حاضنة قرآنية: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا }^(٤١)، والحسين عليه السلام جسّد هذه المفاهيم؛ لأنّ الإنسان في ميزان الإسلام مركز الكون ومحوره، فإذا صحّ الإنسان صحّ الكون، وإذا فسد الإنسان فسد الكون^(٤٢).

وملابسات الخطاب تستدعي كشف زيف المدّعي «يزيد» واستعمال المتكلم، المشير «أنا» مكنّ المتكلم من إيجاد التقابل بين (الذات المتكلمة) وهي الإمام الحسين عليه السلام المستحق للخلافة، و(الذات الخارجية) وهي يزيد المدعي للخلافة، فالإنجازية التي تحققها وتكشف عنها الميشرات المقامية «الإمام الحسين هو الخليفة الحق».

الخطاب الحسيني وثوابت القيم .

يسعى الخطاب الحسيني إلى غرس القيم السماوية في نفوس الأفراد من أجل تحقيق «العدالة الاجتماعية» بتطبيق قوانين السماء، وفي قبال ذلك نبذ قيم «الفساد، والجور، والجهل،...»، والاحتكام إلى العقل .

فمن القيم السماوية في الخطاب الحسيني قوله عليه السلام: ((فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين))^(٤٣)، فالقبول والحق، والصبر، والحاكمية، قيم سماوية، جاء بها الخطاب من أجل تحقيق التواصل، وإيجاد التفاعل، حتى يقع الأثر، فتلزم الحجة على المتلقي، وهذا السياق الإقناعي زاد في قوته توظيف التناص القرآني: { وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ

الْحَاكِمِينَ} (٤٤) الذي زاد في فاعلية الخطاب، وقوته في النفوس .

فالتلازم الذي أوجده الإمام في بنيته الشرطية هو وظيفة إعلامية الغرض منها إيقاع الأثر في متلقي الخطاب، عن طريق رسم خطين متوازيين: خطٌ يمثل القيم النبيلة التي تمثلت بسلوك الإمام الحسين عليه السلام، وخطٌ يمثل القيم الرديئة التي تمثلت بسلوك القوم، وهذان النمطان يجسّدان هوية الذات المتكلمة والمتلقية، فدلالة النص الاجتماعية كانت السبب الرئيس في بناء النص وتشكيله، والتي توجد كفاية تواصلية قادرة على توليد طاقة إنجازية «كونوا مع الحق وإلا مصيركم الهلاك والخزي؛ لأنَّ الله هو الحاكم وهو ناصر الحق» .

ومن القيم التي كانت محل الرفض والنبذ قوله عليه السلام: ((أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السَّلَةِ وَالذَّلَةِ، وَهِيَ هَاتِئِنَّا مِنَ الذَّلَةِ، يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ لَنَا وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورِ طَابَتْ وَطَهَّرَتْ، وَأَنْوَفٌ حَمِيَّةٌ، وَنَفُوسٌ أَبِيَّةٌ، مِنْ أَنْ نَوْثَرَ طَاعَةَ اللِّثَامِ عَلَى مِصَارِعِ الْكِرَامِ)) (٤٥) .

فالقيم الهابطة «الذل، طاعة غير الله»، رفضها الخطاب الحسيني؛ لأنها ليست محل القبول والرضا من قبل «الله ورسوله والمؤمنين»، قال الله -تعالى-: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (٤٦) .

وقد أكد الرفض وناهضه بشدة بقوله: ((والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد)) (٤٧)، وهذا الرفض يؤكد قيمة حسينية عالية، تمثل «الإرادة، والشجاعة، والقوة، والثبات على الحق» .

وقد تأثر السلوك اللغوي في السلوك الاجتماعي فعرض الحسين عليه السلام بعبيد الله بن زياد الذي حدد الخيارات بأمرين: أما القتل أو الذل، فاختر الإمام القتل

مع العزة خير من الحياة مع الذل، وأشار إلى أن هذا الخيار خيار الله، وهو بذلك يؤسس ثقافة مجتمعية لم تكن حاضرة في نفوس القوم، فكانت لغته كاشفة عن الهوان والذل والمسكنة، وعدم الإرادة والخذلان .

وكذلك من القيم الهابطة في الخطاب الحسيني «الغدر، والخيانة»، قال عليه السلام: ((تَبَّأَ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ، أَحِينِ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَالْهِينِ، فَأَصْرَخْنَاكُمْ مَوْجِفِينَ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا لَنَا فِي إِيْمَانِكُمْ، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارًا اقْتَدَحْنَاهَا عَلَى عَدُونَا وَعَدُوكُمْ))^(٤٨).

الموقف الاجتماعي كان له الأثر البالغ في لغة الإمام، فجاءت لغته محملة بطاقة تعبيرية ذات بعدٍ نفسيٍّ كشفتها النبوة القوية في دعائه على القوم بالهلاك « تَبَّأَ»، وختم خطابه بالدعاء « ترحأً»، وهذا يؤكد شدة الموقف وصعوبته على الإمام من خيانة وغدر القوم، فضلاً عن ذلك عكست اللغة السلوك المتضاد بين النصرة من قبل الإمام الحسين عليه السلام، والغدر والخيانة من قبل القوم عن طريق الاستفهام الذي كشف عن المحيط الخارجي للسياق اللغوي .

وإثبات هذه القيم المراد منه: «ضبط الحركة البشرية حتى لا تصل في مشاعرها وأفكارها وتصوراتها ونظمها الحيوية، إلى الهوى،...، والخرافة»^(٤٩)، وبهذا تحقق السعادة، بإبعاد الإنسان عن كل ما من شأنه يفقده هويته الإنسانية ونقلها من حالٍ إلى حالٍ أحسن تليق بمقام الإنسان .

الأنساق المعرفية في الخطاب الحسيني :

المنظومة المعرفية للخطاب الحسيني منظومة «ملكو تية»، بين ذلك الإمام عليه السلام قبل خروجه إلى العراق، فقال: ((الحمد لله ما شاء الله، ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنَّ بأوصالي تقطَّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيما لأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقر بهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلاً فينا مهجته، وموطنا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبِحاً إن شاء الله تعالى)) (٥٠).

وقد تجسَّد الجانب الملكو توي في قوله: «وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»، وقوله: «رضا الله رضانا أهل البيت»، وهذا التلازم ولَّد تواملاً وتتابعاً بين الحسين عليه السلام وأسلافه، والإمام الحسين عليه السلام مع قومه؛ لأنَّ استحضر واستدعاء هذه المتلازمات تولد مقصداً في تبني المشروع النهضوي، وهذا ما يبرز نعي الحسين نفسه في بداية خطابه، وكانت لغته لغة للتنفيس عن مشاعره وعواطفه وأحاسيسه التي تكشف عن الواقع الاجتماعي الذي يمر به عليه السلام، ثم ينقل الخطاب إلى أتباعه وأنصاره ((من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا))، وهنا ترسم ملامح القائد الناجح في تبني مشروعه الإصلاحية، وإجراءاته التطبيقية المخطط لها مسبقاً، وهو بذلك

يريد ((استحداث بيئة يمكن للأفراد من خلالها تطوير كامل إمكانياتهم وعيش حياة منتجة وفقاً لحاجاتهم ومصالحهم))^(٥١).

فدلالة النص الاجتماعية في الدلالة اللغوية تظهر التسليم والقبول والرضا بالموت من قبل الحسين عليه السلام، فضلاً عن ذلك تكشف إرادة القوم لقتل الحسين عليه السلام، وهذا المحيط الخارجي جسده الإمام عليه السلام بلغته .

في ضوء ما تقدّم نجد خيارات الإنسان مقيّدة ومشروطة؛ لأنّها تقوم على أسس وثوابت قارة، لا تتغيّر بتغير الزمان والمكان؛ لذا ترمي الثورة الحسينية إلى توسيع خيارات الإنسان المشروعة، وتطوير قدراته وإسنادها من أجل استثمارها؛ خدمة لمشروع يكون رأسه الإنسان، وهو الوسيلة والغاية؛ لأنه هو رأس مال الحضارات^(٥٢)، وهنا الخط البياني للقيم يسير نحو التكامل، الذي تجسد بالإمام عليه السلام.

المحور الثالث: الخطاب الحسيني من التأسيس إلى النقد:

هدف الخطاب الحسيني « الإصلاح الإيجابي » الذي يوفر « العدالة الاجتماعية » للأفراد داخل المجتمعات مما يحفظ « كرامة الإنسان »، ويحدّد خياراته، وترسم مساراته في التعاطي مع قضاياها، فالخطاب الحسيني أراد تأسيس قواعد سلوكية يعضد فيها « مفاهيم قرآنية » تمثل السلوك الحق، وهذا الامتداد أشار إليه عليه السلام بقوله: « فمن قبلني بقول الحق فالله أولى بالحق » وقوله « وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يوسف إلى يعقوب ».

وهذه القواعد السلوكية هي على طرف نقيض مع المعسكر الآخر الذي أخذ يكرس كل الطاقات والوسائل في سلب « خيارات الإنسان » التي أتاحها الله

له، فهو خطاب نقدي يعكس وجه المجتمع الحقيقي الذي يعاكس بالاتجاه ما أراده الإمام من تأسيسه، وهو المسوغ في بناء الخطاب وبناء النقد .

الاستخلاف :

الخطابة الحسينية أرادت إثبات بطلان " حاكمة " هؤلاء الأفراد -
الأمويون-، وتولي مسؤولية الأمة، وتولي هؤلاء يعود بالضرر الجسيم على
الأمة، هذا ما يستلزم قيامه؛ لأن منطقه غير "براغماتي" نفعي، ولا بمنطق الغدر
والكبر، بل هو محض إثارة وعقيدة وشهادة في سبيل الرسالة السماوية^(٥٣)،
فالشعور بالمسؤولية الدينية اتجاه إقامة الحكم الإلهي في الأرض؛ كونه الإمام
المعصوم المفترض الطاعة، المحقق للعدل^(٥٤)؛ لذا قال الإمام الحسين عليه السلام ((
أفتشكون إنني ابن بنت نبيكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي
غيري فيكم ولا في غيركم أنا ابن بنت نبيكم خاصة، ويحكم !! أفتطلبوني
بقتيل منكم قتلته أو مال لكم استهلكته أو بقصاص من جراحه؟ فأخذوا لا
يكلّمونه))^(٥٥).

فحركة الاستفهام «أفتشكون» و «أفتطلبوني» مع القسم «والله»، ولدت
تكتيفاً دلاليّاً يعكس فيها حالة الجهل التي تعيشها الأمة في ذلك الوقت، وقد
تجسّد ذلك في استخدامه الضمائر الإشارية «أنا ابن بنت نبيكم خاصّة» بخلق
جوٍّ من المقارنة بينه وبين الآخر - يزيد- وإنه أحقُّ بالخلافة منه؟، وهو
بذلك يريد أن يولّد طاقة نقدية عالية مشحونة بدلالات إيجابية رافضة للذل،
فضلاً عن ذلك تبني أسلوب الإقناع، فقدّم بين أيديهم ثلاث حجج «قتيل
منكم قتلته» و «مال لكم استهلكته» و «قصاص من جراح» غير أنّ القوم لم

يجيبوا؟، والإمام الحسين عليه السلام في كل ذلك يظهر مسؤوليته تجاه الأمة الإسلامية في محاولة فتح خيارات جيّدة أمامها تحفظ لها كرامتها، وهذا التكليف لم يتنصّل منه الإمام الحسين عليه السلام ((وهكذا أسقطت فكرة السلطات والخليفة، باعتبارها حماة الإسلام على حساب الجماهير والفكر الجماهيري الحق، وفرز الجمع إلى معسكرين معسكر الإسلام في جهة ومعسكر الخليفة والسلطان في الجهة المقابلة))^(٥٦). فمبدأ التأسيس والنقد سجّل حضوراً متميّزاً في لغة الإمام في موضوعه.

الطاعة:

سلوكيات الأفراد داخل المجتمعات تحكمها ضوابط، وسلوك الحسين عليه السلام "تحكمه ضابطة" الطاعة"، وهذا ما أراد أن يؤسس له في البيئة المجتمعية، وهو بذلك يولد مبدأ نقد للرافضين لذلك، فقال: " عليه السلام " ((ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً))^(٥٧) والحسين عليه السلام "مع عدم إطاعة الأمة له قام بتكليفه الشرعي، وأدى وظيفته الجوهريّة بتوجيه وإرشاد الأمة إلى الطريق الذي يحقق لها سعادتها، وهذا الإجراء التطبيقي العملي يشكل مفصلاً مهماً في الحركة التنموية في المسيرة الحسينية؛ لأنها تمثل النظرية في بعدها الإجرائي، فيستلزم منها الواقعية، فيتولد الأثر في نفوس الأجيال جيلاً بعد جيل وهذه "الواقعية" من مبادئ الثورة الحسينية.

فحركة التوازي في الخطاب الحسيني، رسمت مبدأ التأسيس ومبدأ النقد في بيان القيم المجتمعية .

المفاهيم جديدة :

الحسين عليه السلام " في لغته يؤسس مفاهيم جديدة عن " اللذة والمنفعة " إذ ينتقل بالإنسان من " اللذة المادية " إلى " اللذة المعنوية "، فالحسين عليه السلام " يقدم أطروحته في " الموت "، فيقول : ((إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما "، وهو بذلك يولد عامل نقد على المتخاذلين الذين رضوا بالحياة الدنيا، ولغة الحسين هنا تجسد الظروف المحيطة بالحدث اللغوي :

الموت = سعادة في تلبية أمر الله .

الحياة = شقاء مع الظالمين .

ومن المفاهيم التي قدمها " إن الأشياء لا قيمة لها إن لم يكن لها حضور وفاعلية في ساحة الله "، وهذا ما دفع به إلى أخذ أهل بيته، وهذا " محض طاعة الله "، وامتنال أمره، وهو بذلك يريد أن يقول: إن الأمر الذي هان عليكم بأبسط الأشياء من زخرف هذه الحياة الدنيا كبر عندي، وهو بذلك يزرع الثقة والروح المعنوية في جسد الأمة من جديد، فالحسين عليه السلام " ((لم يكن يكافح ضد شخص يزيد، فالحسين عليه السلام " أكبر من أن يكون هدفه شخصاً أو فرداً بعينه، فهدفه كان في الحقيقة كلياً، وشاملاً، وأساسياً)) (٥٨).

فمبدأ التأسيس والنقد سجل حضوراً متميزاً في لغة الإمام لاسيما وهو يكشف عن معوقات التنمية البشرية، ومن هذه المعوقات جهل الأمة، فما كان عليه السلام »

إلّا أن يضحى بالغالبي والنفيس عسى أن تستفيق هذه المجتمعات؛ لأنّ الجاهل لا يستطيع أن يحدد خياراته الصحيحة ويكون تحت سلطة السلطان يلعب به كيف شاء، بهذا تسعى السلطات الجائرة إلى تجهيل المجتمعات، حتّى يسهل السيطرة على خياراتها.

ومن المعوقات التي يستهدفها الإمام الحسين عليه السلام (عدم الشعور) بالمسؤولية، والتنصل عن التكاليف المناطة بالأفراد، وهذا مصداق قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) ^(٥٩)

ومن المعوقات (حب الدنيا) مع أن الدنيا متصرفه بأهلها فانية متقلبة الأحوال من حال إلى حال، والجاهل من فُتن بها، فالوقوف عند المعوقات وتشخيصها يحدد نقطة الانطلاق الأولى في بناء الإنسان وصناعته من جديد، وهذه من عوامل التنمية الحقيقية، والأسس الثابتة في الحركة الإنمائية .

الخاتمة

إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تمثل سلوك الفرد داخل المجتمع، وهذا السلوك يتغير بتغير الظروف المحيطة به، وينكشف هذا التغير في أنساق الكلام، الذي يمثل انبعاثاً حياً لواقع المجتمع، وهذا ما كشفته لغة الحسين عليه السلام عن الواقع المجتمعي منها:

كشف البحث عن تعدد مناطق الاشتغال في علم اللغة انثروبولوجيا الثقافة، وهذه التعددية وجدت لها مجالاً رحباً في الخطاب الحسيني، لاسيما وهو يحاكي بيئة مترامية الأطراف.

أثبت البحث أن الخطاب الحسيني خطاب إنساني قيمى إصلاحى، له امتدادات قرآنية يسعى إلى إيجادها في السلوك العملي الإجرائى، وهو بذلك يعكس حال الجهل والظلم في الواقع.

بيّن البحث مشروع الحسين التنموي في ضوء توسيع خيارات الإنسان بتحريره من قيود الظلم والفقر...، حتى ينعم بالسعادة في الدارين، وهذا التغير الإيجابى تجسد بلغته.

أثبتت اللغة الهوية الذاتية للإمام الحسين عليه السلام، والصفات والخصال التي تتمتع بها، وهو بذلك يقابل ذات خارجية، تفسح المجال أمام متلقي الخطاب بالاختيار بين الذات المتصلة بالله، عن الذات المتصلة بالشيطان.

أثبت البحث أن لغة الحسين عليه السلام لغة حجاجية تتبنى الحجج الواقعي، القائمة على (مبدأ التعاون) في إيجاد أرضية مناسبة للتفاعل، من أجل تحصيل قناعات المتلقي أثبت البحث الكفاية التواصلية العالية للخطاب الحسيني في

أدائه الكلامي، وهو يأشر سماته الشخصية وخصال المجتمع الذي عاش به، وكيف كشف ذلك في خطابه .
أوضح البحث مبادئ الكمال التي يدعو إليها الإمام الحسين عليه السلام، وكيف تجسدت في سلوكه الخارجي إزاء القوم .

الهوامش :

- ١ - ينظر: لسان العرب: لابن منظور، مادة (قنع).
- ٢ - مقاييس اللغة: لأبي فارس: ٥: ٣٢.
- ٣ - النص والخطاب والاتصال: د. محمد العبد: ١٩٢.
- ٤ - منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني: ٢٠.
- ٥ - ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري: الحبيب أعرب (بحث): ٣: ٤٥.
- ٦ - ينظر: الحجاج في اللغة: أبو بكر العزاوي: ١٤.
- ٧ - ينظر: في بلاغة الخطاب الإقناعي: محمد العمري: ٧٦-٧٧.
- ٨ - ينظر: الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة: سعيد بنكراد: ١٨٧-١٨٨.
- ٩ - ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: د. طه عبد الرحمن: ٣٨.
- ١٠ - ينظر: حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم «الموضع»: د. د. حمو النقاري (بحث): ٣: ٢.
- ١١ - الإقناع الاجتماعي خلفياته النظرية وآلياته الاجتماعية: عامر مصباح: ٥١.
- ١٢ - ينظر: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم: معتصم بابكر مصطفى: ٣٧-٣٨.
- ١٣ - ينظر: نظريات وسائل الإعلام: دلفلير ملفين، وساندرا بروكتيش: ٣٨٠.

- ١٤ - بحار الأنوار : ٤٥ : ٨ .
- ١٥ - ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د. عبد الله صولة: ٥٦٣ .
- ١٦ - ينظر: الإقناع الاجتماعي خلفياته النظرية وآلياته الاجتماعية: ٥٢ .
- ١٧ - ينظر: نظريات وسائل الإعلام: دلفلير ملفين و ساندرا بروكتيش: ٣٨٦ .
- ١٨ - تاريخ الطبري : ٥ : ٤٠٩ .
- ١٩ - ينظر: الإقناع الاجتماعي خلفياته النظرية وآلياته الاجتماعية: ٥٤ .
- ٢٠ - تاريخ الطبري : ٥ : ٢٣٨ .
- ٢١ - سورة إبراهيم : الآية : ١ .
- ٢٢ - سورة الشمس : الآية : ٧-١١ .
- ٢٣ - بحار الأنوار : ٤ : ٣٢٩ .
- ٢٤ - مقتل الخوارزمي : ٢ : ٩ .
- ٢٥ - ينظر : من نحو المباني إلى نحو المعاني بحث في الجملة : د . محمد طاهر الحمصي : ٢٢٠ .
- ٢٦ - سورة : الأعراف : الآية : ١٥٨ .
- ٢٧ - سورة : القصص : الآية : ٢١ .
- ٢٨ - سورة : القصص : الآية : ٢٢ .
- ٢٩ - سورة القصص : الآية : ١٩ .
- ٣٠ - ينظر: حضور القرآن الكريم في ثورة الإمام الحسين : السيد قاسم

- نوماس الحلو: ٦-٧ .
- ٣١- سورة: يونس: الآية: ٧١ .
- ٣٢- سورة: الأعراف: ١٩٦ .
- ٣٣- مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٦ .
- ٣٤- سورة: يونس: الآية: ٧١ .
- ٣٥- سورة: يونس: الآية: ٧١ .
- ٣٦- تفسير الكشاف: ٤٦٩ .
- ٣٧- سورة: الأعراف: ١٩٦ .
- ٣٨- ينظر: مجمع البيان في تفسير البيان: للطبرسي: ٤: ٣٤٣ .
- ٣٩- مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٣٦ .
- ٤٠- سنن الترمذي: ٤: ٤٩٦ .
- ٤١- سورة: الأحزاب: الآية: ٤٥-٤٦ .
- ٤٢- ينظر: التنمية البشرية في القرآن الكريم: دراسة موضوعية: د. طلال فائق: ٣١٣-٣١٤ .
- ٤٣- مناقب آل أبي طالب: شهر آشوب: ٣: ٣٤١ .
- ٤٤- سورة الأعراف: الآية: ٨٧ .
- ٤٥- مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرّم: ٣٤٤ .
- ٤٦- سورة: النساء: الآية: ١٣٩ .
- ٤٧- الاحتجاج: للطبرسي: ٢: ٣٤١ .
- ٤٨- مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرّم: ٣٤٣ .

- ٤٩ - المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية : مصطفى الزلمي و عبد الباقي البكري : ٤ : ٤١ .
- ٥٠ - نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : الحلواني : ٥٧ .
- ٥١ - المنظور الاجتماعي للتنمية البشرية : أسامة العاني : ٣٥ .
- ٥٢ - التنمية البشرية في القرآن الكريم : دراسة موضوعية : ٦٥ .
- ٥٣ - ينظر : الملحمة الحسينية : الأستاذ مرتضى المطهري : ٣ : ١٥١ .
- ٥٤ - ينظر : الإمام الحسين : السيد محمد باقر الحكيم : ٧٣ .
- ٥٥ - مقتل الحسين : ٢٣٨ .
- ٥٦ - الملحمة الحسينية : ٣ : ١٥١ .
- ٥٧ - تاريخ الطبري : ٥ : ٤٠٣ .
- ٥٨ - الملحمة الحسينية : ٢ : ٣٥ .
- ٥٩ - سورة : الرعد : الآية : ١١ .

ثبت المصادر والمراجع

القرآن مصدر العربية الأول

١. الاحتجاج : أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٢٠ هـ)، ط ١، تعليقات: محمد باقر الموسوي الخراساني، منشورات ذوي القربى، قم، ١٤٢٦ هـ
٢. الإقناع الاجتماعي خلفياته وآلياته: عامر مصباح، (د. ط)، ديوان المطبوعات الاجتماعية، الجزائر، ٢٠٠٠ م.
٣. الإمام الحسين : السيد محمد باقر الحكيم، ط ١، مطبعة العترة الطاهرة، النجف، ٢٠٠٨ م.
٤. تاريخ الطبري، (تاريخ الأمم والملوك) : لأبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تح: نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان .
٥. تفسير الكشاف : لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨ هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه : خليل مأمونون شيحا، ط ٣، دار المعرفة، لبنان - لبنان ٢٠٠٩ م .
٦. التنمية البشرية في القرآن الكريم : د . طلال فائق، ط ١، مركز كربلاء للدراسات والبحوث في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٥ هـ .
٧. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: د. عبد الله صولة، ط ٢، دار الفارابي، بيروت، كلية الآداب والفنون والإنسانية منوبة، ودار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٧ م.
٨. الحجاج في اللغة: أبو بكر العزاوي، (د. ط)، دار الأحمدي للطباعة، الدار البيضاء، المغرب، (د. ت). الصورة الشهادية: آليات الإقناع والدلالة: سعيد بنكراد، ط ١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٩ م.
٩. حضور القرآن الكريم في ثورة الإمام الحسين : السيد قاسم نوماس الحلو: النجف الأشرف، العراق، ١٤٣٥ هـ .
١٠. سنن الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧ هـ)، تحقيق: محمود بن محمود حسن نصار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .

- ١١ . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: د. طه عبد الرحمن، (د. ط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٧ م.
- ١٢ . في بلاغة الخطاب الإقناعي «مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطاب في القرن الأول نموذجاً»: د. محمد العمري: ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦ م.
- ١٣ . لسان العرب: جمال الدين محمد بن منظور (ت ٧١١هـ)، إعداد: يوسف الخياط، دار لسان العرب، (د. ط)، بيروت، (د. ت).
- ١٤ . مجمع البيان في تفسير البيان: أبو الفضل بن الحسين الطبرسي، ط ١، دار القارئ، بيروت - لبنان، ٢٠٠٩ م.
- ١٥ . المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: مصطفى الزلمي، وعبد الباقي البكري، المكتبة القانونية لصناعة الكتاب، ٢٠٠٦ م.
- ١٦ . مقاييس اللغة: أبو الحسين بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ١، دار الفكر، ١٩٧٩ م.
- ١٧ . مقتل الحسين عليه السلام: أبو المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، منشورات أنوار الهادي، قم، ط ٣، ٢٠٠٥ م.
- ١٨ . مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرّم، مطبعة الغدير، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- ١٩ . الملحمة الحسينية: الأستاذ مرتضى المطهري، ط ٣، مكتبة بصيرتي، إيران - قم (د-ت)
- ٢٠ . من أساليب الإقناع في القرآن الكريم: معتصم بابكر مصطفى، (د. ط)، كتاب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٣ م.

٢١. مناقب آل أبي طالب : أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)،
المطبعة العلمية، قم، (د. ت) .
٢٢. المنظور الإسلامي للتنمية البشرية: أسامة العاني، مركز الإمارات للدراسات
والبحوث الاستراتيجية، اتحاد كتاب وإحياء الإمارات، ٢٠٠٣
٢٣. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : الحسين بن محمد بن الحسين بن نصر الحلواني، مؤسسة
الإمام المهدي، قم، ١٤٠٨ هـ .
٢٤. النص والخطاب والاتصال: د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي،
ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٥. نظريات وسائل الإعلام: دلفلير ملفين وساندرا بروكتيش، ترجمة: كمال عبد
الرؤوف، ط ٢، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م.

البحوث المنشورة في الدوريات والمجلات

- ١- الحجاج والاستدلال الحجاجي: الحبيب أعرب، مطبوع ضمن الحجاج
مفهومه ومجالاته "دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة"، ط ١، إعداد:
د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.
- ٢- حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه مفهوم "الموضع": د. سمو
النقاري، مطبوع ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته "دراسات نظرية وتطبيقية
في البلاغة الجديدة"، ط ١: إعداد: د. حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب
الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.

السيرة الذاتية

الاسم الرباعي واللقب : حازم طارش حاتم صكر الساعدي .
محل الولادة : المدينة : بغداد الحي : جميلة .
تاريخ الولادة : اليوم : ٧ الشهر : ٤ السنة : ١٩٧٦ .
الحالة الاجتماعية : متزوج عدد الأطفال : ٥ .

العنوان الكامل:

المدينة : بغداد الحي : جميلة . أقرب نقطة دالة : محطة كهرباء حي جميلة .
وسائل الاتصال :
رقم الموبايل : ٠٧٧٠٣٤٢٨٤٦٤

التحصيل الدراسي:

دكتوراه / لغة عربية / الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / بغداد / ٢٠١٤
ماجستير / لغة عربية / الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / بغداد / ٢٠٠٨
بكالوريوس / لغة عربية / الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / بغداد / ١٩٩٩

النشاطات العلمية:

إعداد أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب / الجامعة المستنصرية بعنوان
(التراكيب التعليلية في القرآن الكريم " دراسة حجاجية ") بغداد - ٢٠١٤ ،
وحصلت على درجة (امتياز)

إعداد رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب / الجامعة المستنصرية بعنوان (مفهوم الجملة عند الجرجاني) بغداد - ٢٠٠٨، وحصلت على درجة (امتياز)
نشر بحوث علمية في مجلة المستنصرية المحكمة بعنوان
(الاقتضاء الاثباتي وبنية التلازم : الاسقاط والإنجاز)
(الحجاج الحوارية في القرآن الكريم : المقدمات والنتائج)

المؤتمرات العلمية:

الاشتراك بالمؤتمر الطلابي الأول العلمي في كلية الإمام الكاظم عليه السلام بالأشراف على بحث (حجاب الروح وروح الحجاب)
الاشتراك بالمؤتمر العلمي الأول في كلية الإمام الكاظم (عليها السلام)
ببحث (التقويم الذاتي وأخلاقيات المهنة كلية الإمام الكاظم (عليها السلام)
(أنموذجا)

الاشتراك بمهرجان ربيع الشهادة العالمي الذي تقيمه العتبة الحسينية والعباسية
ببحث (التنمية البشرية في المسيرة الحسينية) وقد نال البحث المرتبة الثالثة .
الاشتراك بالمؤتمر الدولي الثالث لإمام الحسن عليه السلام ببحث (الإشارات وأبعادها
التداولية قراءة في خطاب الإمام الحسن عليه السلام الاشتراك بالمؤتمر العلمي الوطني
الأول الذي أقامته مؤسسة علوم نهج البلاغة بالتعاون مع جامعة الكوفة عن
عهد مالك الأشتر ببحث (السياق الافتراضي والتأويل التداولي قراءة في
عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر رضي الله عنه
الوظائف التي شغلها

مدير قسم الخدمات الإدارية
مقرر قسم علوم القرآن والحديث في كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
تدريسي في قسم الفكر الإسلامي والعقيدة في كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
تدريسي في متوسطة الحسن المجتبي
تدريسي في ثانوية الصدرين
مدير مركز دجلة الفرعي الانتخابي لمنطقة حي العامل في المفوضية العليا
المستقلة للانتخابات / بغداد / الكرخ من ١٥-١٠-٢٠٠٤ لغاية ١٥-٣-٢٠٠٩ .
الخبرات في الحاسوب :
العمل على نظام معالج النصوص (word) مع برامج المكتب (office)
العمل على المنظومة المعلوماتية العالمية (الإنترنت) .

كتب الشكر والشهادات التقديرية

كتابا شكر من مكتب انتخابات بغداد الكرخ / المفوضية العليا المستقلة للانتخابات .

كتاب شكر من رئاسة ديوان الوقف الشيعي لتحقيق نسبة نجاح ١٠٠ / ثلاثة كتب شكر من رئاسة ديوان الوقف الشيعي، لاشتراك في اللجان الامتحانية في كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

شهادة تقديرية من جمعية المروءة الإنسانية (منظمة مجتمع مدني)
شهادات تقديرية للاشتراك في المسابقات القرآنية الكاظم (عليه السلام)
شهادة تقديرية من عمادة كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للاشتراك بالمؤتمر الطلابي الأول.

شهادة تقديرية للاشتراك من عمادة كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للاشتراك بالمؤتمر العلمي الأول.

شهادة تقديرية من الأمانتين الحسينية والعباسية للاشتراك بالمهرجان العالمي (ربيع الشهادة الثاني عشر)

شهادة شكر وتقدير من الهيئة العليا لمشروع الحلة / مدينة الإمام الحسن (عليه السلام) للاشتراك في مؤتمر الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) العلمي الدولي.

شهادة تقديرية من مؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة للاشتراك بالمؤتمر العلمي الوطني الأول .

شهادة مشاركة من العتبة الحسينية للاشتراك في المؤتمر العلمي الوطني الأول.

بلاغة الإعلام الزينبي وأثره في إصلاح الأمة



م.م. زينب حميد عبد الأمير النصراوي/العراق- كربلاء المقدسة

التمهيد

عاشوراء ملحمة كبرى و قضية خالدة خطها التاريخ بدماء سيد الشهداء فأضحت رمزاً مخلداً ووثيقة تاريخية تدفع المجتمع، بكل أطرافه وطبقاته وشرائحه إلى التفاعل مع قيم الفداء والتضحية فعاشوراء أضحت وما زالت مدرسة تربوية نستلهم منها الدروس والعبرة وسبيلنا الى تذليل كل العقبات التي تحول الى التفاعل الاجتماعي الموحد.. فلم تكن هذه القضية ملهمة للمفكرين العرب بل أيضاً شملت المفكرين الغرب فكانت قضية إعلامية إصلاحية عالمية تهدف إلى نشر معالم الدين والتضحية من أجل القيم.. فالسلسلة الإعلامية التبليغية لم تنقطع بدءاً بالأنبياء والأئمة-عليهم السلام- وكانت الى جانبها العنصر النسوي الذي كمل الرسالة السماوية ((فقد كانت صورة المرأة تسطع فيه إلى جانب صورة الرجل حتى في أشد المراحل حرجية وخطورة، فهو لم يك تاريخاً ذكورياً محضاً كما لم يكن تاريخاً أنثوياً محضاً بل هو تاريخ الإنسانية المشتركة بصورتها الأديمة لكلا الجنسين))^(١)، وما خرجن إليه بغية إصلاح ونشر معالم الدين وتعريف العالم بالمبادئ الإسلامية السامية

١ نساء الطفوف: كفاح الحداد : ٨ .

فهذه هي سيدة خديجة عليها السلام التي وقفت جنباً الى جنب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وفاطمة الزهراء عليها السلام مع علي عليه السلام وكملت تلك الرسالة السيدة زينب عليها السلام بوقوفها مع أخيها فصدحت بصوتها ضد أعداء الإسلام بأسلوب بديع وبلاغة راقية التي تشبه إلى حد ما بلاغة أبيها علي بن أبي طالب عليه السلام.

فإن ما حدث بعد عاشوراء كانت حركة إعلامية عظيمة بحيث انقلبت الأمور على عكس ما كان يريده الحكام في الشام والكوفة ((لقد كان أروع ما خططه الحسين عليه السلام في ثورته الكبرى حمله عقيلة بني هاشم وسائر مخدرات الرسالة معه إلى العراق فقد كان على علم بما يجري عليهن من النكبات والخطوب، وما يقمن به من دور مشرف في إكمال نهضته وإيضاح تضحيته وإشاعة مبادئه وأهدافه وقد قامت حرائر النبوة بإيقاظ المجتمع من سباته واسقطن هيبة الحكم الأموي، وفتحن باب الثورة عليه فقد ألقين من الخطب الحماسية ما زعزع كيان الدولة الأموية))^(١).

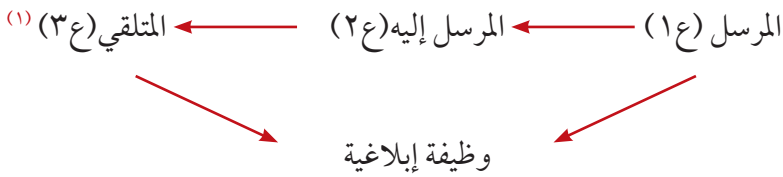
تقول عائشة بنت الشاطي في وصف هذه العظيمة: ((أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذة النصر وسكبت قطرات من السم الزعاف في كؤوس وإن كان الأحداث السياسية التي ترتبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، ثم تأصل مذهب الشيعة إنما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته))^(٢).

١ السيدة زينب عليها السلام بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام، باقر شريف القرشي: ١٤٢٣-٢٠٠٨
٢ خطب سيدات بيت العلوي، زينب عبد الله كاظم الموسوي: ٧٩٠.



فكان من أهم الأدوار التي حملته سيدة زينب هو الدور الإعلامي وقد كان لهذا الدور الأثر الكبير في نشر وقائع الثورة والتعريف بشخصيتها واستطاعت اقتحام مركز قوة العدو؛ لتميط اللثام عن الحقائق التي حاول النظام إخفاءها من خلال حملته التشويه التي قام بها ضد شخص الثورة . فقد اعتمد الأمويون سياسة الإعلام المضلل لتبرير استيلائهم على السلطة ولتبرير الكثير من الممارسات اللاخلاقية التي قاموا بها في اضطهادهم للكثير من المؤمنين الموالين.

فشع هذا الدور الإعلامي بإسلوب بليغ اتبعته السيدة زينب والتبليغ هنالك لم يكن لإيصال الخبر فحسب بل لإظهار ما في الرسالة من أمور عديدة وإيضاح المواقف والأحداث التي تتعلق بشؤون تلك الثورة وإيضاحها وبيانها لهم بياناً لأحكامهم وأحوالهم؛ كي تصل إلى إفهام عقولهم وتدخل قلوبهم، بإسلوب يتسم بالشدة والمبالغة. فيقوم أسلوب التبليغ على توافر عناصر ثلاثة :



من خلال هذا المخطط يبين لنا توافر عناصر التبليغ في النص اعتمده سيدة زينب من خلال الإقناع والمحاجة والرد المباشر فهي تحمل في طياتها تحذيراً أو لوماً أو عتاباً؛ فارتأت الباحثة بأن يكون البحث على مبحثين؛ ليبين مدى بلاغة الخطاب الاعلامي الزينبي، وأنهاطه البلاغية المتبعة.

المبحث الأول :

ماهية بلاغة الإعلام الزينبي

لقد كانت هداية الناس الى طاعة الله - تعالى - الهدف الأساسي الذي نصبت عليه خطب سيدة زينب وليس هذا فقط وإبراز أحقية آل محمد بالخلافة وإعلاء كلمة الحق وفصله عن الباطل هدايتهم إلى طريق الصواب والتعريف بمدى قبح أفعال السلطة الحاكمة .

اتبعت السيدة زينب محاور بلاغية لخصها الامام علي عليه السلام فبقت حاضرة في أذهانها : وهي مخاطبة الناس على قدر عقولهم للتأثير فيهم إقناعاً وإفهاماً لا لإثبات رأي أو التعصب له، أو الانتصار لفكرة ولا لكسب تأييدهم أو استمالتهم لالتزام جانبه بل كان الخطاب عقيدة خالدة فكان مطابقة الخطاب لمقتضى الحال .

يذكر الراوي حال السيدة زينب عندما وقفت خاطبة في الكوفة ((ونظرتُ إلى زينب بنت علي عليها السلام يؤمُّ منذ فلم أر خفرة والله انطق منها، كأننا تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب))^(١)، فقد خطبت بقوة البيان وصلابة الإيذان إلى إن قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: ((يا عمّة اسكتي ففي الباقي من الماضي اعتبار، وأنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمه غير مفهومة))^(٢) .

فهذه الحجة في إنها كانت ملهمة وأن علمها كان من العلوم اللدنية والآثار الباطنية، فقد أفهمت ما عز على عالم إفهامه - حسب تعبير الإمام أيضاً- وقد رتلت بتراتيل أذهلت من حولها حتى قالوا عنها سجاعة، سبحت بكلمات يحق أن يسجد لها بلاغة لتظل مؤثرة في النفوس تتناقلها الأجيال، فهي تالية أمها في الفضائل ووراثتها أبيها في المعرفة، وإلا لما أوصى لها الإمام الحسين عليه السلام وحملها أعباء الثورة بعده^(٣) .

١ - الاحتجاج، الطبرسي: ٣٥٥

٢ - المصدر نفسه: ٣٥٤

٣ - خطب النساء أهل البيت بعد واقعة الطف (دراسة أسلوبية)، خنساء مهدي حمود: ٣.

ومن بلاغتها ايضاً إنها استطاعت ان تلخص ما لحق بها في السبي؛ ففي قولها عندما خطبت بأهل الكوفة حينها وصفت فاجعة كربلاء بإيجائية بليغة بكلمات معجمية وصف السبي وما لحق بها بأوصاف متتالية: ((لقد جئتم بها شوهاء، صلعاء، عنقاء، سوداء، فقهاء، خرقاء، كطلاع الأرض وملء السماء)) (١) فهي هنا جسدت المعنى ورسمت صورة بليغة لواقعة الطف فكان لصدى كلماتها الأثر البالغ في تصوير حجم الفاجعة، فقد أردفت صفات حاكية عن الحالة المعبر عنها الواحدة تلو الأخرى من دون فاصل لتبقى تتردد في ذهن المتلقي تعكس له الدلالة.

ويذكر الرواي بعد ذكرها ووصف الفاجعة: ((فرايت الناس حيارى قد ردوا أيديهم في أفواههم، فالتفت إلي شيخ في جانبي يبكي وقد أخضلت لحيته بالبكاء ويده مرفوعة الى السماء وهو يقول: بأبي وأمي كهولهم خير كهول، ونسائهم خير نساء وشبابهم خير شباب، ونسلهم نسل كريم، وفضلهم فضل عظيم)) (٢) ومفاد هذا الأمر يبين لنا الأثر الكبير الذي تركته خطبة السيدة زينب؛ حيث ظهر الناس -المتلقون- الرد المباشر بعلامات الاستجابة في إفهام العقول وتحريرها من زيف إعلام يزيد المصلل وإظهار المجتمع الكوفي علامات الندامة على فعلهم من نقض العهد؛ وليس هذا فحسب بل اظهرت خطبة السيدة زينب في الشام الأثر الكبير في ندامة يزيد ولعنه ابن مرجانة، وامره بتقديم الخدمات لأهل البيت، واعتذاره لما فعل عارضاً عليهم الأموال بعد ان كان متشفياً بقتل الإمام عليه السلام فردود الأفعال هذه وانقلاب الموازين تؤكد عمق لاسلوب المتبع في عرض مضامين الخطاب

١ - الاحتجاج: الطبرسي: ٣٥٥. الشوهاء: القبيحة. الفقهاء: إذا كانت ثناياها العليا الى الخارج فلا تقع على السفلى، والخرقاء: الحمقاء. طلاع الأرض: ملؤها.
٢ - الاحتجاج: ٣٥٥.

ولما له من دور في التأثير، ففي ثورتها الكلامية التي عرضتها في مجلس يزيد كانت مهاد لسقوط السلطة الحاكمة فقد كانت محاجة كلامية تسلحت بها السيدة زينب بسلاح المنطق وقوة البرهان وحركت ما سكن فيهم وأثارت في دواخلهم صراعات، وأبانت كلها عن الرضاء بقضاء الله بقولها (ما رأيتُ إلاَّ جميلاً)) وافترزت المتلقي الاستحياء حتى قيل ((فكأنه استحيى يزيد من كلامها فسكت فعاد الشامي فقال: يا امير المؤمنين هب لي هذه الجارية فقال يزيد: اعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً))^(١) فهذا يبين عجز يزيد وخسارته وهزيمته أمام عنفوان الحق فلم تكن معالم الغضب التي اظهرها لهذا الشامي الا رد واضحاً على مدى خسارته، وفضلاً عن ذلك الرد برد يؤكد خيبتته بقوله:

يا صيحة محمد من صوايح مأهون الموت على النوائح^(٢)

انه دليل على ضعفه وخسارته، ومدى تأثيره في الخطاب وندامته، وفي المقابل انتصار الجهة الاخرى وشموخها وقدرتها على التأثير والتغيير .

ومن السمات ومميزة التي تميز بها بلاغة الخطاب الزينبي هو إيجاز في اللفظ وقرب من دلالة المعنى إذ تتلخص في تركيز واقتصاد ودقة؛ نظير بلاغة الامام علي عليه السلام ((إفصاح قول عن حكمة مستغلقة، وإبانة مشكل))^(٣) فالإيجاز ميزة تميزت بها البلاغة النبوية^(٤) وفنراها واردة بكثرة في نصها الثري؛ كقولها في وصف أهل الكوفة بعد نقضهم العهد: ((تخذون ايمانكم

١ - المصدر نفسه: ٣٦١.

٢ - الاحتجاج: : ٣٦١.

٣ - كتاب الصناعتين: ابو هلال العسكري : ٥٨.

٤ - ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، محمد الرافي: ٣٧٣ - ٣٧٤.

دخلاً بينكم^(١)، هل فيكم إلا الصلف^(٢)، والعجب، الشلف^(٣)، وملق الأماء
وغمز العداء^(٤) ((^(٥)).

فضلاً ذلك مما زيد الخطاب بلاغةً وحسنًا هو توارد النكات البلاغية
بشقيها البياني والبديعي مما زاد النص تماسكاً وجماليةً ومن جانب آخر جعل
النص يطلق قوته وتأثيره على المتلقي وهذا ما سوف نبينه في المبحث الآتي.

١ - أي خيانة وخديعة .

٢ - الصلف : الذي يمتدح بما ليس عنده.

٣ - الشلف : البغض بغير حق .

٤ - الغمز : الطعن والعيب.

٥ - الأحتجاج : ٣٥٤.

المبحث الثاني :

الأنماط البلاغية

إنَّ الخطب السيدة زينب كانت قد وجهت إلى متلقٍ بوصفها وسيلة لإبلاغ رسالة والوصول إلى الهدف الذي من أجله حدثت فاجعة كربلاء، ولتمكين المتلقي من إدراك حقائق خفيت دلالاتها عنه، فكانت الأشكال البيانية أداة إفهام وتأثير وإقناع بتجاوز المعنى السطحي إلى المعنى العميق، وقد مارست بعض الأشكال البلاغية أثرها في إنتاج دلالات، فكان استعمال الأساليب البيانية قصدياً لإظهار فاعليتها في تحريك المتلقي، بتوليد دلالات معرفية مؤثرة، لها دور في تقريب الصور المتحدث عنها^(١).

إذن حمل الخطاب الزينبي التكرار والاضداد فكان له دوراً فاعلاً في التعبير والتأكيد المعنى المقصود وإلى جانب ذلك قد تخلخلها الاقتباس وكون معها سلسلة مترابطة من مدلولات تمكن المتلقي من استحضار معانٍ متعددة تخلق التواصل الذي يفعل آلياته في ضمن نظام دلالي يترك أثراً اسلوبياً ينقل مواقع التركيز المعنوي من كلمة إلى أخرى^(٢)، من هذا فنكون نحن أمام مكنونات لغوية ضمن إطار أشكال بلاغية منجزة في تشبيهات، والاستعارات، وكنيات تبت قوة البيان، وإبداعية التضاد، جمالية الاقتباس؛ فكلها تعطي بعداً معرفياً جديداً حول موضوع الخطب ..

فمن أوائل أنماط البلاغية التي حملها النص التكرار والتضاد :

١ - ينظر : خطب النساء بعد واقعة الطف (دراسة اسلوبية) : ٧٣.

٢ - ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، د. عودة خليل ابو عودة : ٧٥.

فالتكرار^(١) من الأشكال البلاغية التي أثارت النص حيث حمل النص بين ثناياه تكرار المفردات بغية التأكيد على قضية الثورة الحسينية، فمن ذلك قولها في خطاب الموجه إلى أهل الكوفة: ((أتكون أخي؟! أجل والله فأبكوا فإنكم أحرى بالبكاء فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً))^(٢)، فكررت السيدة زينب لفظة (البكاء) إفراز الدموع التي انتهجها المتلقي ينبع من عمق التأثير النفسي بالخطاب الزينبي فتكرار تلك المفردة لها وقع مودوي بكشف الكذب وراء بكاء مزيف بإختلافهم الحزن لتخفيف عن حدة الذنب فكان الخطاب بنص يفيض كبرياء ولؤماً كأنها تقول الآن تكون بعد نقضكم البيعة؛ حيث أفادت التوبيخ من جراء ذلك الفعل .. وأيضاً أثارت استخدام الأسلوب التهكمي في كلماتها الموجه الى يزيد والتي تحمل الحدة والثقل وتعلن العجب والهزء في تكرار الكلمات المهددة ((فالعجب كل العجب لقتل الأنبياء وأسباط الأنبياء))^(٣) او الإخبار بعاقبته السيئة بألفاظ مكررة ذات دلالات متقاربة: ((ولتودن انك شللت وعميت وبكمت ولم تتكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت))^(٤) فهذا التكرار يتجلى في استعمال الأفعال او الادوات والأسماء بحسب التأكيد والتركيـز على محور خاص في خطاب الزينبي في إطار ابنية الخطاب وابنية الأفعال المخاطبة أو ضمائر الخطاب كما

١ - فالتكرار يتم عن طريق إعادة أصوات أو ألفاظ أو عبارات في البيت أو القصيدة، الغرض منها تكريس المكرّر في ذهن المتلقي على جهة التشويق، و تفخيمه في القلوب والأسماع، أو التوبيخ أو الهجاء أو في سبيل شدة التوضيح بالمهجوّ وفي الوقت نفسه يسهم بتوكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد، أو لغرض من الأغراض. ينظر: خزّانة الأدب وغاية الأرب: تقي الدين ابو بكر بن عبد الله الحموي: ٤٤٩/٢.

٢ - الأحتجاج : ٣٥٤.

٣ - المصدر نفسه: ٣٦٠.

٤ - المصدر نفسه : ٣٦٠.

تستعمل حرف النداء وضمائر الخطاب بكثرة لأنها كانت تريد الحط من شأن يزيد وكسر شخصيته الكاذبة^(١) فتقول: ((أضنت يا يزيد.. أمن العدل يا بن الطلقاء.. أنسيت قول الله عز وجل..))^(٢) فهذا الاستعمال المباشر من تكرار حرف نداء لكون الخطاب موجه لمخاطب حاضر فكان يتطلب التكرار لتعميق المعنى في نفسه بإسلوب يسوده التهكم.

ومن الأنماط البلاغية الأخرى التي أعطت للمعنى نقيضه وكان عبارة عن سلسلة من مدلولات المتضادة هو التضاد فراها تنبري بتفعيل اسلوب التضاد في الخطاب الموجه إلى أهل الكوفة بقولها: ((لقد جئتم شيئاً تكاد السماوات يتفطرن وتنشق الأرض))^(٣) استعملت التضاد في لفظتي (السماوات و الأرض) لإبراز مدى العظمة ومدى وقع الخطوب حتى كادت السموات يتفطرن لعظم تلك الواقعة ومدى تأثيرها ليس على بنو البشر فحسب بل حتى على سماء والأرض.. وأيضاً استخدمت تلك اللفظتين من خلال مخاطبتها مع يزيد (أظنت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وضيقت علينا آفاق السماء... أن بنا من الله هواناً وعليك منه كرامة وامتناً)^(٤) شكل التضاد في لفظتي (السماء والأرض) فأبرزت مدى عظمة تلك الواقعة بإسلوب يسوده الشموخ وترفع إلى جانبها لفظتي (هوانا وكرامة) فضدية هنا توضح من خلالها العقيلة زينب بإسلوب إنكاري إن حسابان يزيد الخاطيء جعله يظن إن النتيجة انتهت لصالحه، فكانت له الكرامة ولهم الهوان بسوقهم إليه سبباً ليكون هذا الإنكار واعزاً للتغيير ما سيطر على

١ - ينظر: التماسك النصي في خطب السيدة الزهراء وابتها زينب ﷺ: ١٠١.

٢ - الاحتجاج: ٣٥٨-٣٥٩.

٣ - المصدر نفسه: ٣٥٥.

٤ - المصدر نفسه: ٣٥٨.

الأذهان - آنذاك - وتصحيح النظرة المشوبة التي ظللت الحقائق .. وتتوالى أيضا المتضادات في قولها: ((... يتصفح وجوهن القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والذني والرفيع ..))^(١) فتعداد الصفات - التي كن عليهن من حال يرثى لهن-؛ ليجسد الواقع فأبرزت المتضادات هنا حتى تفضح مدى شناعة يزيد وبعده عن القيم الرجولية البعيدة عن معنى العروبة والغيرة بترك النساء يراهن الغرباء فحمل التضاد أسلوب التقرير ليكشف مدى وقاحة السلطة الحاكمة .

وعلى رأي بعض الباحثين إنه قد يأتي الضد تصحيحاً لأفكار خاطئة في ذهن المتلقي طالما زينها بنو أمية من خلال الإعلام المضلل، ليجد نفسه أمام فكرة مضادة لما ساد و عرف ورسخ في ذهنه فتكون رجة لديه إذ لا يمكن إظهار مزايا النص إلا ((بما يحصل لدى المتلقي من آثار بموجها يكون الخطاب عامل استفزاز يحرك استجابات ملائمة، ويتضاعف مفعول الإثارة .. بمدى قوة المفاجأة))^(٢) فما فوجيء به المتلقي (الكوفي والشامي) أن العقيلة زينب أبتدأت خطبتها بحمد الله ثم الصلاة على النبي ﷺ، وتبين صلتها بالنبي ﷺ: ((الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله))^(٣) ((والحمد لله رب العالمين، والصلاة على جدي سيد المرسلين))^(٤)، فقد بدأت هنا بتصحيح أفكارهم وتنقيتها بذكر نسبها بعد أن ترسخ في أذهانهم ما يضاد الذي ذكرت من أنهم خوارج، وحاولت من خلال لفظي (أبي وجدي) ان

١ - الاحتجاج: ٣٥٩.

٢ - القراءة والحدائث، حبيب مونسى: ١٨٨.

٣ - الاحتجاج: ٣٥٤.

٤ - المصدر نفسه: ٣٥٨.

توقظ استجابات معينة- هي أرادتها- فكان استعمال (أبي) بدافع العتب لأهل الكوفة ليرز نداء الضمير الذي يقرأ ان من أمامهم هم ذرية الرسول ﷺ فيشتد الصراع الباطني المناقض تماماً لظاهره، فقد خذلوا الإمام علياً مع معرفتهم صلته بالنبي ﷺ فكانت لفظة (أبي) اوقع في نفوسهم في حين جاءت لفظة (جدي) في خطبتها في الشام لتعرف نفسها وتبين نسبها وصلتها بالنبي ﷺ فأهل الشام على علم أنّ النبي ليس له اولاد سوى فاطمة وهنا تبرز مراعاة مقام المتلقي فكان (للحمد والصلاة) دور في كشف ما خفي اذ صيغت كلمات مقدمة الخطبتين من بنيتين متضادتين من خلال (التحطيم والبناء) تحطيم الواقع القائم في أذهانهم وبناء واقع جديد تمهياً لإرساء قيم تعتم الحقائق فقد شوشت هذه الرجة اعتقادهم وحفزتهم على الانشداد لمعرفة من تخطب^(١)، فهذا يدل على دقة في اختيارها للمفردات بإيصال الفكرة على نحو يسوده الوضوح تارة والغموض تارة أخرى؛ لتترك المتلقي حرية فهم القضية تكشف مدى تفاعل البعض مع لبنات الخطاب.

إلى جانب التكرار والتضاد ضمنت السيدة زينب خطابها بالنصوص القرآنية فكانت واضحة؛ لتبث المعنى وتوضحه للمتلقي ولكون القرآن حجة ودليل قاطع على مصداقية أقوالها، وللأثرة إنتباه المخاطبين، وضمان إصغائهم وبالأخص أن الامة التي توجه إليهم الخطاب كانوا على معرفة بالقرآن الكريم وتعاليمه بالتالي يمنح المتلقي الثقة والحماسة من خلال توثيق الخطب بنصوص قرآنية من جانب ومن جانب آخر يمنح السياق الخطابى قوة البرهان.

١ - ينظر: خطب النساء بعد واقعة الطف دراسة أسلوبية: ٨٨.

ففي إحدى خطبها التي ألقتها في مجلس يزيد في الشام قد استهلته
نصها بآية من القرآن الكريم بقولها: ((صدق الله ورسوله يا يزيد (ثُمَّ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاؤُا السُّوْأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ))^(١))
اجتماع النص القرآني في الخطاب ليين مدى عاقبة المكذبين فيبلغ -يزيد-
مرحلة إلى حد الاستهزاء بآيات الله ؛ فصورت هنا موقف يزيد وأتباعه من
الإسلام عن طريق الاقتباس القرآني فكأنها تقول له ((أي إذا أنكرت الإسلام
والإيمان هذا اليوم بإشعارك المشوبة بالكفر))^(٢) من ذلك منحت الخطاب
القوة والتأثير في المتلقي من جهة ومن جهة أخرى عكست قوة إيمانها بقضاء
الله سبحانه وتعالى من خلال تضمين الرؤية القرآنية الواضحة موصفتاً
الاقتباس التام في موضع آخر في إشارة صريحة وجهتها الى يزيد بإسلوب يعج
بانكار ((.. فمهلاً مهلاً! أنسيت قول الله تعالى : (ولا تحسبن الذين كفروا
أننا نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مهين))^(٣))
الاقتباس المباشر من سورة آل عمران وهي من السور التي تتسم بالموازنة بين
إتجاهين متضادين، هما الإيمان و الكفر وجزاء كل منهما يوم الميعاد^(٤) فكلما
ازداد الخير لصاحبه وراى الدنيا مستوسقة له ظن انه على حق فلا يعلم بانها
ازدادوا بها إثماً وعذاباً في الدنيا والأخرة مقصدها هنا للتوبيخ والإنكار،
وبالأخص بإطلاق النص كان على قمة من التعجب والقوة والثبات على
الرأي التي تدعم الحجة ودليل القاطع حتى اخرست يزيد بكلامها وساد

١ - سورة الروم : ١٠

٢ - الاحتجاج : ٣٥٨.

٣ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ مكالم الشيرازي، دا: ١٢ / ٣٥٣.

٤ - الاحتجاج : ٣٥٩.

٥ - سورة آل عمران : ١٦٩.

الصمت وهذا وان دل على شيء يدل على مدى القوة البيان والبرهان .
وبعد هذا التوبيخ إنبرت تعرب برضى بقضاء الله وكل ما حدث
أنها هو خيرٌ لها وللمجاهدين لما سينالهم النعيم في الآخرة وفي الدنيا سيقون
إحياء مخلدون على مدى الدهر واستند الى ذلك بآية من الذكر الحكيم بقولها:
(وستردي على رسول الله ﷺ برغمك وعترته ولحمته في حظيرة يوم يجمع الله
شملهم ملموس من الشعث وهو قول الله تبارك وتعالى) ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون^(١)) تريد التأكيد بأن
الذين قتلوا مع الحسين سيقون مخلدون في ضمائر الموالين منهم فهذه الإشارة
الزمانية تشير الى تقادم الاعوام وتكشف عن إيحاء مستقبلية بإيصال تلك
القضية الى العالم اجمع.

فضلاً عن انماط البديعية تقترن الأنماط البيانية لتشكيل هالة عجيبة
تبثها السيدة في خطبها؛ فلم يكن الغرض من تضمين النص للصور البيانية
التزيين او الزخرفة اللفظية بل كان الهدف هو توضيح المعنى وإبرازه بشكل
واضح؛ لأن قيمة الصورة البيانية ليست فيما تحمله وتعبر عنه من معانٍ فحسب
وأما قيمتها موكولة بالطريقة التي تعبر عن التوتر النفسي الذي كانت تتعايشه
السيدة والتي تعكسه في هذه الصورة التي راحت تستجمعها من الأحداث
والظروف التي مرت بها؛ فكانت الصورة التشبيهية والاستعارية والكنائية لها
حضوراً في نصوصها الخطابية حيث وهبت النص جمالية ومقدرة لغوية عريقة
..

فتتجلى ضروب التشبيه في مواطن عديدة من النص الخطابي، وعليه قد

١ ((الاحتجاج : ٣٦٠.

استعلمت السيدة زينب - في خطابها لأهل الكوفة - التشبيه لما له من أثر في المعاني؛ إذ يضاعف قواها في تحريك النفوس؛ لأنه يبعث المعنى بوضوح وجلاء^(١) ففي قولها: ((إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً))^(٢) حيث وظفت التشبيه التمثيلي في تشبيه دعوة الكوفيين ومكاتبتهم الإمام الحسين عليه السلام بالحياكة وأحكام النسج ثم تركهم إياه وشهر السيف بوجهه بنقض ما حاكوه وفتقه، فهم كالتي نقضت غزلها فأضاعته جهدها وذهب تعبها سدى إذ بينت حالهم وما ألوا إليه من قوة إلى ضياع دينهم بدنياهم فينشأ من البعد الشعوري في هذا المعنى بشيء من الخيانة منبثقا من هيئة الغزل عند الحياكة وحين النقض وقد زاد الصورة تثبيتاً ووقفاً في النفوس كونها من إفاضات النص القرآني (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم)^(٣).

وفي قولها: ((او كمرعى على دمنة))^(٤)، تفرز دلالة بصرية تكون منبها قوياً لأستيعاب الصورة؛ لأنها مستقاة من العالم الخارجي إذ قذفت بالمتلقي في واقعه، فهي لم تخرج الى مثال من عوالم لامحسوسة؛ غنما انتشلت من عالم المجرّد فشبهتهم بالمرعى، وهو العشب النظر الموحي بجمال الطبيعة؛ لتقود المتلقي الى تخيلات غير محدودة لكنها ما إن أردفت المرعى - دمنة سقطت الصورة المتخيلية فيكون وجه الشبه الخيانة ولغدر^(٥)؛ و الذي اظهره عليهم من النفاق فكان

١ - ينظر: جواهر البلاغة: ٢٧٤-٢٧٦.

٢ - الاحتجاج: ٣٥٤.

٣ - سورة النحل: ٩٢.

٤ - الاحتجاج: ٣٥٤.

٥ - ينظر: خطب النساء بعد واقعة الطف: ٧٧.

ظاهرهم حسن وباطنهم قبح؛ فعامل المفاجيء والدهشه الذي حمله النص شكل قيمة أدبية ناصعة لتبعثه في المتلقي روحا لاستيعاب ولأدراك المغزى.. واستكمالاً لتشبيهات التي عرضتها بشكل متتالي بغية افصاح عن ما اراده الوصول اليه بنظام التشبيهات وقولها: ((كفضة على ملحودة^(١))) تشبيه دقيق لظواهرهم المزيفة وبواطنهم الوغرة فما فائدة الفضة على ملحودة يبطنها من لا دين له؟ وما يغني بياض الخارج عن قبح الداخل واسوداده، نفوسهم وقلوبهم ميت لا تتحرك مهما انبرت لهم النصائح ومواعظ، أذن كشف من تكثيف التشبيهات -ضمن سياق واحد- عن غرابة الاختيار وتوثيق المعنى في نفس المتلقي فكان التقريب بالتشبيه التمثيلي.

التشبيه _____ المشبه به _____ وجه الشبه...رد فعل مباشر
لأقناع المتلقي.

حتى تكتمل الثيمات التصويرية في النصوص كان الى جوار التشبيه الأستعارة التي تحرك المسار وتبعده عن المعنى الحقيقي؛ لتشحن المشهد بنوع من الحركة والحيوية وتلقي في نفوس السامعين التفاعل مع عرض الاحداث. ففي قول السيدة زينب في خطبتها في شام: ((تحلب أفواههم من لحومنا))^(٢) استعارة مكنية إذ شبهتهم بولد الناقة الذي يمتص بفيه من محالب أمه^(٣)، فحذفت المشبه به ودل عليها السياق من خلال لازم من لوازمه (أفواههم) وكأنها تبين مدى بغضهم وحقدهم الذي أخرجهم من صفة الإنسانية

١ - الاحتجاج: ٣٥٤. الفضة: الجص والملحودة القبر.

٢ - المصدر نفسه: ٣٦٠. تحلب: تسيل.

٣ - خطب سيدات البيت العلوي: ١٠٢

وعلامته اندفاعهم لامتصاص دماء أهل البيت (عليه السلام) ويعكس العداء الذي تبطنه بني أمية لبني هاشم. وايضاً الاستعارة في قولها: ((تلك الجثث الزاكية، على الجيوب الضاحية، تتابها العواسل ^(٢)، وتعفرها أمهات الفواعل ^(٣))) ^(٤) فكما نرى استمد النص بنيته العميقة من معطيات الاستعارة التصريحية في (تتابها العواسل) و(تعفرها امهات الفواعل) فقد حذف المشبه وصرح بالمشبه به عواسل وفواعل اذ اورد صورة حسية تبين ما آلت إليه الجثث فالعواسل جمع عاسل وهو الذئب والفواعل جمع فوعل وهو ولد الضبع ^(٥) فقد شبهتهم بالذئاب والضباع؛ اذ حملوا صفة الافتراس والغدر وما تتابها صورة بصرية للهجوم المتوالي على جسد الحسين (عليه السلام) تعفرها الخيول ورضوا اضلاع، فكان الاستشعار بهذه الاستعارة التصريحية لتبين الشعور المعنوي الذي يقابله من الرد بصورة مادية تثير المتلقي وتوقض لديه الشعور بالأسى والحزن لعلهم يطهرون عقولهم وقلوبهم من الضلال والذنوب..

وايضاً تصف القلوب المتحجرة والممتلى بالذنوب بالقاسية التي عشش فيها الشيطان قولها في مخاطبتها يزيد: ((فتلك قلوب قاسية .. قد عَشَّش فيها الشيطان وفرخ)) ^(٦) استعارة مكنية حيث شبهته الشيطان بالطائر الذي يعشش لتبين ان كلاهما متشابهان في اتخاذ مكاناً يستقر به وليبان طول المكوث والاستقرار اضافت لازم وهو (فرخ) حيث جاءت

١ - خطب النساء دراسة اسلوبية: ٧٨.

٢ - تتابها العواسل : تأتيها مرة بعد أخرى، العواسل: الرماح المضطربة.

٣ - تعفرها: تمرغها في التراب والفواعل : أولاد الضباع .

٤ - الاحتجاج : ٣٦٠ .

٥ - خطب النساء بعد واقعة الطف : ٧٩ .

٦ - الأحتجاج : ٣٦٠ .

بإسلوب التهكم والسخرية فكانت استعارة بليغة بإتخاذ الشيطان لهم بيت في نفوسهم مما أدى الى تصلب قلوبهم وقسوتها وتضليل ..

فمن خلال التمثيل تمكنت السيدة زينب من بث الاستعارة لمحو الاشكالية التي راودت ضمائر من حضر واستماع الخطاب ويقابلها اقناعهم فقد وسعت دائرة التلقي وحرية الفكر لفهم المعنى المقصود من خلال هذا الطرح المبرمج على آية استعارية بليغة لتوقض الازهان وتحرر العقول من الضلالة الى الهداية ..

عندما رأت السيدة العقول التي تخاطبها مكتملة في البلاغة العربية اشادة الى ركن اخر من أركان البيان وهو الكناية حيث في عادة يلجأ الأدباء وخطباء الى الكناية عندما يجدون التصريح لا يفي بالغرض أو يكون اللفظ لا يصلح للمعنى المقصود^(١) كيف لا تلجأ الى هذا البيان!! وهي ابنة امير البلغاء علي بن ابي طالب عليه السلام .

فراها تستخدم هذا الاسلوب الإيحائي حين خاطبت يزيد بقولها ((فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك))^(٢) جسدت الصورة الكنائية- التي يتمتع بها النص- لوحة حسية نقلت حقيقة عجرفة يزيد ومثلت المعاني التي يكون عليها بنحو الغرور والاستعلاء والتجبر والتسلط وكل هذا يندرج نحو حب الأنا وقد نقلت المعنى المجرد للاستعلاء الى واقع الحس عن طريق حركة الشموخ بالأنف المدركة حسا عن معنى الكبر^(٣). فاثارت تلك الصورة الایحائية مكانة يزيد وزعزت الأنظمة الظالمة ؛ وفضحت جوانب

١ - ينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: ٦٣٧.

٢ - الاحتجاج: ٣٥٨.

٣ - خطب سيدات البيت العلوي: ١٠٥.

من امراضه النفسية بلغة تعدت التصريح وبصيغة تعبيرية ذات دلالات مقنعه... وفي قولها: ((بعد أن تركت عيون المسلمين به عبرى وصدورهم عند ذكره حرى))^(١)، جاءت بصورتين متتاليتين -كناية عن صفة- (عيون.. عبرى) و(صدور.. حرى) إذ وظفت مشاهد محسوسة لترسم معنى ذهنياً، وترسخ الحالة المعبر عنها بوضوح في ذهن المتلقي استعملت الإشارة إلى الدموع لتكوّن الصورة الكنائية المطلوبة . فقد تم التراسل بينهما لتجسيد المعنى المبالغ فيه للتعبير عن ملء عيون المسلمين بالدموع فجاء الأزم (العيون) مؤدياً أو معبراً عن الملزوم (الدموع). فالعيون وسيلة لسيلان الدموع وليس هي الدموع نفسها فهي معبر عن الحال ثم تأتي اوعية للقلوب والقلوب هي مواطن الحزن والاسى الا انها نسبتها للصدور لتستدل به على الإحساس بالهم والكرب عند ذكر ما حدث - من قتل الامام الحسين عليه السلام ومن معه - فتبين أن صدورهم ملتهبة من الأسى فقد غيرت الاستعمال فجعلت الصدور بكاملها محل الأحزان، هكذا كان الجانب المحسوس من حر الصدور الى اغروراق العيون بالدمع، فكان إثبات الصفة بإثبات الدليل بمثابة برهان ملموس لإثبات حقيقة نفسية، بدلالة حسية تحس باللمس^(٢) . وأيضاً تتغلغل الكناية في ثنايا الخطبة الموجه الى اهل الكوفة بقولها : ((فتعساً تعساً! ونكساً نكساً! لقد خاب السعي... وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله))^(٣) وردت الكنائية في عبارة (خسرت الصفقة) كناية عن كثرة

١ - الاحتجاج : ٣٦٠.

٢ - خطب النساء دراسة اسلوبية : ٨٣. التصوير الفني في خطب الإمام الحسين عليه السلام، عقيل الجبوري: ١٠٩.

٣ - الاحتجاج : ٣٥٥.

الاعمال من حسنة قد خسرها اهل الكوفة نتيجة نقضهم العهد فهذا الانتقال الى عالم الاخروي في تمثيل تلك الاعمال التي يجنيها الانسان طوال حياته قد سقطت بلحظه وخسرها في الدنيا والآخرة لغدرهم بالإمام الحسين عليه السلام؛ إذ عمدت السيدة زينب الى هذا المعنى الكنائي لتشعر المتلقي بعظيم ما ارتكبوا وفداحته لتؤدي الى تحريك المشاعر وتقريع في قلوبهم .

فكل تلك الصور البيانية المثمرة ازاحت الستار عن المعنى المبطن في اسلوب التبليغ لأفهام الامة بقضية الإمام الحسين وما حدث في واقعة الطف..

ولم يعتمد أسلوب التبليغ الاعلامي على أنماط البلاغية فحسب بل قد ظهر إلى جانب المنهج اللفظي المنهج الفعلي الحركي أو بالأحرى المنهج الاشاري الذي تبنته السيدة زينب من خلال أسلوبها التبليغي لإقناع المخاطب و للإيقاظ الشعور لدى السامعين وبغية التأثير في نفس المتلقي؛ استخدمت السيدة الأسلوب الاشاري في إيصال الفكرة المرجوة فكان هذا الإيصال يتميز بقوة والصلابة في إطلاق الصوتي المفعول مع الحركة أو إشارة فهذا ما نراه في خطبتها في الكوفة حيث يذكر بأنها (أومت إلى الناس بالسكوت) ^(١) أي إشارة بيدها لان الإيحاء أما بالرأس او اليد فهذا الامتزاج الاشاري مع الخروجي الصوتي يثبت قوة التأثير في المتلقي ويشد انتباههم، مما تخض عنه الإنصات والإصغاء بشكل واعى لما ستقول ويذكر الراوي ذلك بقوله ((وقد أشارت إلى الناس بان أنصتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت - بعد

١ - الاحتجاج: ٣٥٤.

حمد لله تعالى والصلاة على رسوله))^(١) استجابة لهيبتها ووقارها ساد الصمت
 فحقق النص وظيفته التفاعلية... ((ربّ إشارة أبلغ من عبارة))^(٢)
 ويذكر احد الباحثين هذا الامر بقوله ((المبدع لا يكتفي باللغة
 اللفظية ليحقق مقاصده الخطابية، إنما يوظف بعض العلامات الاشارية
 كالصمت أو الايماء أو زفير أو التأفف وغيرها من الاشارات فالتواصل
 منطوق وغير منطوق، وحين يستشعر الانسان عجز اللسان عن توصيل
 ما يريد يلجأ الى استعمال الحركة الجسدية))^(٣)؛ لأن ((الاشارة واللفظ
 شريكان، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه))^(٤) .
 وقد ظهر أيضاً في نهاية الخطبة مدى إستجابة الناس لكلامها المؤثر
 فيشير الرواي بقوله: ((فلما ولت عليهم قال : فرأيت الناس حيارى قد ردوا
 أيديهم في أفواههم، فالتفت إلي شيخ في جانبي يبكي))^(٥) .
 وأيضاً كان هنالك حركة فعلية أفرغت الحاضرين وأفرغت قلوبهم
 وهي عندما رأت رأس أخيها الحسين عليه السلام بين يدي يزيد فجعل يضرب ثناياه
 بمخصره كانت في يده؛ فذكر راوي حال زينب عندما شاهدت هذا المشهد
 المؤلم : ((قالوا: فلما رأت زينب ذلك فأهوت إلى جيبها فشقتة، ثم نادت
 بصوت حزين تفرع القلوب : يا حسينا! يا حبيب رسول الله ! يا ابن مكة

١ - الاحتجاج : ٣٥٤ .

٢ - الخصائص : ابن جني : ١ / ٢٤٧ .

٣ - خطب النساء دراسة اسلوبية : ٧٤ .

٤ - البيان والتبيين، الجاحظ : ١ / ٧٥ .

٥ - الاحتجاج : ٣٥٥ .

ومنى! يا ابن فاطمة الزهراء! يا ابن محمد المصطفى .. قال : فأبكت والله كل من كان، ويزيد ساكت))^(١) من شدة هول المشهد لم تتمالك السيدة نفسها فشقت جيبيها وصدح صوتها بكلمات ملفعة بالحزن تنطلق كسيل جارف يذيب رعشات الانتصار ففي صلابتها اخذت نادبة وكأنها تبث شكواها لجدها ولامها وابيها مما اقرعت القلوب .. فهذه الحركة الممزوجة مع الصوت النادب المفجوع أثارت سكينه الحاضرين ففزعوا لحالها فلم يكن لهم الا البكاء لحالها ...

١ - الاحتجاج : ٣٥٨.

الخاتمة

في نهاية البحث وقبل ان يسدل استاره لا بد من الوقوف على اهم النتائج التي آل اليها البحث .

بروز العنصر الاجتماعي في خطب السيدة زينب إذ تمثل إستنهاض لردع الظالمين، وتنير العقول وتحذر الجمهور لأستيعاب ما يراد بإمة الاسلام من مأس ويدرار حولها من مؤامرات لتدميرها، فكانت تلك الخطب تحمل نوع من تحدي للظلم ورفضه؛ بدافع حماية المجتمع الإسلامي فانبرت السيدة زينب في خطبها تحرض الناس على يزيد وسلطته الجائرة ولكن بأسلوب غير مباشر. تنماز خطب السيدة زينب بمتانة التركيب، وهي وإن كانت قصيرة الجمل، إلا إنها كانت واسعة في معانيها، وشاملة في مفاهيمها وصائبة في دلالاتها فعكس قوة الخطاب .

كشفت الصورة البيانية في الخطبة السيدة زينب عن دقة العبارة وإثارة الفكرة على جمل قصار حيث انسابت بدون كد للذهن فتألفت ألفاظ مع فكرة المطروحة فشاعت التشبيهات الحسية موازنةً بالتشبيهات الذهنية ؛ لكون المقام جدال وغاية اقناع فان هذه الغاية تحتاج الوضوح والسهولة بعيداً عن الأغراق في التخيل، لكون المشاهد الحسية تكون أقرب الى ذهن المتلقي .
جاء التكرار في خطب السيدة زينب مرتبطا بالحالة الشعورية، في التأكيد على قضية الثورة الحسينية .

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. الأحتجاج : أبو المنصور أحمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي (ت ٥٢٠هـ)، دار المتقين للطباعة والعلوم والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
٢. إعجاز القران والبلاغة النبوية : الرافعي، المكتبة التجارية - مصر، الطبعة الثامنة، ١٩٦٩.
٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان
٤. التصوير الفني في خطب الامام الحسين عليه السلام : عقيل عبد الحسين الجبوري، رسال ماجستير، جامعة الكوفة، ٢٠١٠هـ.
٥. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي والفاظ القران (دراسة دلالية مقارنة): د. عودة خليل ابو عودة، مكتبة المنار الاردن- الزرقاء، الطبعة الاولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
٦. جواهر البلاغة (في ادبيات وانشاء لغة العرب): السيد احمد بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٩٤٣م): مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٧. خزانة الأدب وغاية الأرب : ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ)، قدمه شرحه، د. صلاح الدين الوادي، الطبعة الاولى، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٨. الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق : محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى، بيروت (د.ت).
٩. خطب سيدات البيت العلوي (عليهن السلام) حتى نهاية القرن الأول الهجري (دراسة موضوعية فنية): زينب عبدالله كاظم الموسوي، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، ٢٠٠٨م.
١٠. خطب نساء أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة الطف - مدة السبي - (دراسة اسلوية) : خنساء مهدي حمود، كلية الاداب - جامعة البصرة (رسالة ماجستير)، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- ١١ . سيدات بيت النبوة : د. عائشة بنت الشاطي، دار الكتاب العربية، بيروت (د.ت).
- ١٢ . السيدة زينب عليها السلام بطلة التاريخ ورائدة الجهاد في الإسلام: باقر شريف القرشي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- ١٣ . القراءة والحداثة مقارنة الكائن والممكن في القراءة العربية: حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
- ١٤ . كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر): ابو هلال العسكري (٣٩٥هـ) دار الفكر العربي، تحقيق: علي البجاوي ومحمد ابو الفضل، الطبعة الثانية، (د.ت).
- ١٥ . مفتاح العلوم: أبو يعقوب يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، أكرم عثمان يوسف، ط١، مطبعة دار الرسالة - بغداد، ١٤٠٢م -١٩٨٢م.
- ١٦ . نساء الطفوف: للباحثة كفاح الحداد، اصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، العراق كربلاء المقدسة- العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١.

دراسة تأثير الحجاب و العفاف على الكرامة الإنسانية للمستبصرات في المجتمع البحريني



اعداد: زيبا عبد النبي خيامي/البحرين

المصطلحات

الحجاب: مصدر حجب بمعنى ستر وما يحتجب به وما حال ومنع بين شيئين (مسعود، ١٩٩٢)، و كذلك جاءت هذه الكلمة بمعنى الساتر (المعاني، ٢٠١٧).

وأما اصطلاحاً فقد عرف الشهيد المطهري الحجاب بأنه نوع غطاء أو لباس يتحقق من الوقوع خلف ستارو يعتبر توظيف كلمة الحجاب بخصوص لباس المرأة اصطلاح حديث. أي لم تستخدم هذه الكلمة بهذا المعنى منذ البدء (دهقان عفيفي و شاووش باشي، ٢٠١١).
نظراً لمحدودية هذه الدراسة خصصنا موضوع الحجاب، بالحجاب المتعلق بالمرأة دون الرجل.

العفاف: عرف العفاف في اللغة بالامتناع والانكفاء عما لا يحل، ولا يجمل قولاً وفعلاً (المعاني، ٢٠١٧).

و أما اصطلاحاً فالعفة تقع في مقابل الشهوة، ولها مفهوم عام ومفهوم خاص. أما المفهوم العام فهو ضبط النفس في مقابل الرغبات والميول النفسانية والإفراط في اتباعها. و أما المفهوم الخاص فهو ضبط النفس

في مقابل متطلبات الغريزة الجنسية، والتحليل الأخلاقي (المكارم الشيرازي،
٢٠٠٤).

الكرامة الإنسانية: إحترام المرء ذاته، وهو شعور بالشرف والقيمة
الشخصية يجعله يتأثر ويتألم إذا ما انتقص قدره (المعاني، ٢٠١٧).
المستبصر: تم توظيف هذا المصطلح للتعبير عن الفرد الذي اعتنق
الإسلام المحمدي الأصيل.

ملخص البحث

يهدف البحث إلى الإشارة إلى كون الحجاب، والعفاف ثقافة شاملة. فإذا كان الحجاب يمثل الممارسة الظاهرة فإن العفاف يمثل الثقافة والحالة الباطنية، فالحجاب لا يقتصر على ممارسة سطحية، وليس قطعة من القماش تستر الرأس بل يمتد ليشمل الستر ورعاية الحدود في التعامل بين الجنسين، في الملابس، والنظر، والكلام، والممارسة. ويكون مبتنياً على ثقافة العفاف الشاملة والشخصية التي تحمل مخزوناً هائلاً من الوعي والإهتمام بشؤون الآخرين، وذلك للوصول إلى الحياة الإجتماعية الطيبة. كما يهدف البحث إلى كشف العلاقة الوثيقة التي تربط مسألة الحجاب والعفاف بالكرامة الإنسانية وذلك بحسب الدراسات القرآنية في هذا المجال. والتي جاءت موافقة للدراسة التي أجريت بشأن تأثير الحجاب على حياة عينة من الأخوات المستبصرات. فكانت النتيجة أن الاحساس بالعزة والكرامة، -وذلك تبعاً لفهم ثقافة الحجاب- كان السبب في التزامهن الأكثر بالحجاب الإسلامي.

الفصل الأول

المقدمة

رقي وتكامل الأمم والمجتمعات البشرية رهينة إلتزامها بالفضائل الأخلاقية، وذلك في مقابل الانصياع وراء الأهواء والشهوات والذي يتسبب في سقوط الافراد أخلاقياً وانحطاط المجتمع في حركته الحضارية. والتاريخ خير شاهد-وما مثال الأندلس ببعيد- بأنّ الانحلال الاخلاقي يفقد المجتمعات طاقاتها البنائية، ويفقدها هويتها الوطنية وتصير مستسلمة لتداعيات الانحراف والسقوط الحضاري.

والالتزام بالحجاب الاسلامي خير وسيلة لحفظ المجتمع وسلامة أفرادهِ. وفي سبيل نشر ثقافة الحجاب لا بد من السعي للفهم العميق لمسألة الحجاب والاستفادة من الطرق الأكثر فاعلية للقيام بذلك.

أسئلة البحث

تهدف هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ١- كيف يتلقى أفراد المجتمع موضوع الحجاب؟
- ٢- كيف يتلقى أفراد المجتمع موضوع الكرامة؟
- ٣- هل تعكس الكرامة لدى المرأة مدى التزامها بالحجاب والعفاف؟

أهمية البحث

لقد أقيمت العديد من المؤتمرات والدراسات حول الحجاب، بل وتمّ سن العديد من القوانين من قبل المهتمين بثقافة الحجاب وذلك للوصول إلى الطرق الأنجع لنشر ثقافة الحجاب في المجتمع (المجلس الأعلى للثورة الثقافية، ٢٠١٥). و لكن كان هناك تغافل عن أصل له إرتباط وثيق بمسألة الحجاب، ألا وهو أصل الكرامة الإنسانية. إنّ العلاقة بين الكرامة الإنسانية والحجاب والعفاف علاقة وثيقة تستدعي الأخذ بعين الاعتبار الأمور التي تقوم بتعزيز قيمة الكرامة الإنسانية في البرامج التي يتم وضعها للمرأة. وبالتالي نضمن جدوائية الحلول المقترحة.

وموقف العقيلة زينب عليها السلام في مجلس يزيد خير مؤيد على ذلك. فبعد كل المآسي وسلب الحقوق التي مرّت بها قافلة كربلاء وفي أول لقاء مع الطاغية يزيد، و كما أورده الشيخ عباس القمي في منتهى الآمال (١٩٩٤)، تزار زينب عليها السلام بنت علي -عليه السلام- معترضة و مطالبة بأولى الأولويات والذي لم يكن إلاّ الإعتراض على التعدي على رمز الكرامة والذي تجلّى في مسألة الحجاب والعفاف... لتسطر بكلماتها الخالدة آيات العزة والكرامة: «أمن العدل يابن الطلقاء تحذيرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وابديت وجوهن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن أهل المناهل والمعائل و يتصفح وجوهن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من حماهن حمي ولا من رجالهن ولي..»
كما راعت من قبل جوانب الستر والوقار عندما أدخلت مجلس

إبن زياد بوضعها مقنعتها على رأسها ووجهها واحاطة النساء بها. ورفضت قبول الصدقة للأطفال الجائعين ولكنها لم ترفض مساعدة الكوفي لتطلب منه أقمشة ليسترن بها أنفسهن.

ولم يكن ذلك الموقف الوحيد بل تكرر منها ومن بقية أفراد القافلة الأسيرة (القمي، ١٩٩٤)

هيكل البحث

هذه الدراسة تتكون من أربعة فصول.

الفصل الأول: يشمل المقدمة والتي تحتوي على أهمية البحث، والأسئلة التي يطرحها، ويتبعه هيكل البحث.

الفصل الثاني: يشمل مراجعة بعض الدراسات السابقة والمتعلقة بموضوع الحجاب والعفاف وكذلك الكرامة الإنسانية والعلاقة بينهما.

الفصل الثالث: يشمل منهج البحث، وعينة البحث والأخلاقيات المتبعة.

الفصل الرابع: الأفكار المستنبطة من المقابلات، والتحليل والمناقشة، ونتائج البحث ومن ثم توصيات عملية.

الفصل الثاني

الدراسات و المؤلفات السابقة

وردت كلمة الحجاب سبع مرات في الآيات القرآنية وذلك تبعاً للمعنى اللغوي. أما الحجاب بمعنى الستر ومن منظور قرآني فإن الآيات القرآنية تشير إلى أن له أبعاد و مستويات مختلفة:

فعلى مستوى اللباس الساتر وعدم إبداء الزينة:

* (ياأيها النبي قل لأزواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) (الأحزاب: ٥٩).

* (ولا يبيدين زينتهن إلا ما ظهر منها) (النور ٣١).

* (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) (الأحزاب: ٣٣).

وعلى مستوى النظر:

* (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم....) (النور: ٣٠).

* (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن...) (النور: ٣١).

وحتى عندما يتعلق الأمر بغض البصر يذكر المفسرون أن من جاءت لابتداء الغاية فيبدأ الغض من البصر، ولا يتوقف عنده بل يشمل الجوارح الأخرى. وعلى مستوى الكلام:

* (... فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض و قلن قولا معروفاً) (الأحزاب: ٣٢)

فلا يتوقف الأمر عند المنع من الكلام الذي فيه خضوع بل تكون المرأة مطالبة

بالقول المعروف.

وعلى مستوى التصرفات:

* (ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن...) (النور: ٣١)

ليشمل المنع لكل ما يتسبب في الإثارة الجنسية.

وحتى عندما تكون هناك رخص تسهيلية والتي تعطى بحكم الضرورة فإن الأصل كما أشير إليه هو الرعاية الأكثر لجانب الحجاب والعفاف (دهقان عفيفي و شاووش باشي، ٢٠١١).

كما في الآية الشريفة: (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن) (النور: ٦٠).

وتشير الآيات القرآنية إلى أبعاد أخرى في الحياة الاجتماعية لا تكون مرتبطة مباشرة بالحجاب ولكن يكون لها تأثيراً في تهيئة الأجواء السليمة كآليات المرتبطة بالاستئذان، والعلاقة بين الزوجين و... .

وإذا كان الحجاب يمثل الممارسة الظاهرة فإن العفاف يمثل الثقافة والحالة الباطنية فالحجاب لا يقتصر على ممارسة سطحية وليس قطعة من القماش تستر الرأس بل يمتد ليشمل الستر ورعاية الحدود في التعامل بين الجنسين في الملبس والنظر والكلام والممارسة، ويكون مبتنيا على ثقافة العفاف الشاملة والشخصية التي تحمل مخزوناً هائلاً من الوعي والإهتمام بشؤون الآخرين وذلك للوصول إلى الحياة الاجتماعية الطيبة.

والعفة تعتبر من الفضائل الأخلاقية المهمة والتي تساعد في ترشيد وتكامل المجتمعات البشرية بعكس الشهوة التي تقع في مقابلها والتي

يوجب إتباعها سقوط الفرد أخلاقيا وإنحطاط المجتمع في حركته الحضارية. والدراسات التاريخية تشير إلى أن المجتمعات التي كانت تتمتع بقدر كاف من العفة كانت تتمتع بطاقات و قدرات حضارية وإنسانية وتعيش حالة من التقدم والتكامل على المستوى الفردي والاجتماعي وتعيش الأمن والهدوء والاستقرار في مستويات عالية، وعلى العكس من ذلك في المجتمعات المتفسخة اخلاقيا، فإنها فقدت طاقتها البناءة وقواها الحيوية وبالتالي أصبحت مستسلمة لتداعيات قوى الانحراف والسقوط الحضاري (المكارم الشيرازي، ٢٠٠٤).

فالتلوث بالشهوات سواء بمفهومها العام أو الخاص يعد من الموانع الأساسية التي تصد الإنسان عن سلوك طريق السعادة والكمال وكذلك من الأسباب المهمة لإشاعة الفحشاء والمنكر في المجتمعات البشرية. لذا جاءت التوصيات بعدم إتباع الشهوات التي تتسبب في إفساد شخصية الإنسان وتضعيف مروته:

«عبد الشهوة أسير لا ينفك أسره.» (التميمي الأمدى، ٥٥٥٠هـ)

(التميمي الأمدى، ٥٥٥٠هـ، حديث ٢٢٠)

«وكم من عقل أسير تحت هوى أمير.»

(الرضي، ٤٦٩هـ، الكلمات القصار ٢١١)

ولتكون ثمرة الترفع عن السقوط في أسر الشهوات حرية النفس وكرامتها، فيوصي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام: «أكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إليها الرغائب فإنك لن تعترض بها تبذل من نفسك عوضا.»

(الرضي، ٤٦٩هـ، الكتاب ٣١)

والذي يستتبع وضع النفس في المنزلة الرفيعة التي تليق بها «ولقد كرمتنا

بني آدم» ومن ثم عدم الرضا ببيعها بثمن بخس.

لذا يقول الصادق عليه السلام:

«أثامن بالنفس النفيسة رها وليس لها في الخلق كلهم ثمن».

(المجلسي، ١٩٨٣)

(المجلسي، ١٩٨٣، ص ٢٥)

ولتكون النتيجة كما ذكرها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من كرمت عليه

نفسه هانت عليه شهواته». (الرضي، ٤٦٩ هـ) (الرضي، ٤٦٩ هـ، حكمة

(٤٤٦

لذا يعزى السبب في تلوث الأفراد بالخطايا والتورط في وحل

الشهوات إلى عدم الإهتمام بالكرامة الإجتماعية وعدم الإهتمام بالشخصية

الإنسانية و يستتج بأن من يستسلم لنداء الشهوات ويرضخ لها هم

الأشخاص الذين يعانون من الحقارة وضعف الشخصية (المكارم الشيرازي،

(٢٠٠٤).

وأن إحياء الشخصية المعنوية والانسانية لأفراد المجتمع يعد من

الطرق المهمة للعلاج والوقاية من التلوث بالشهوات؛ لأن الفرد عندما يدرك

قيمة وجوده وإعتباره وشخصيته ويعلم أنه يمثل عصارة الخلقة والغاية العليا

بعالم الكائنات وأنه خليفة الله في الأرض فلا يبيع نفسه بسهولة، ولا يسلمها

إلى عناصر الشهوة وقوى الإنحراف (المكارم الشيرازي، ٢٠٠٤).

لقد تم الإعتماد في هذه الدراسة على الرجوع إلى الأدلة القرآنية

والروائية، والبحوث القرآنية الملهمة لعلماء التفسير والدراسات القرآنية.

الفصل الثالث

منهج البحث

لقد تم توظيف الطريقة الكيفية، والتي تعطي رؤية عميقة و شاملة لمحتوى البحث (ACAPS، ٢٠١٢). و في هذا المنهج يتم دراسة الظواهر في بيئاتها المختصة (Brikci، ٢٠٠٧). حيث تم دراسة تأثير الحجاب من وجهة نظر مجموعة من المستبصرات اللاتي دخلن في الدين الحنيف، وذلك حتى تكون ملاحظة التأثير المطلوب نقيه من أي شائبة للإلتزام بالحجاب تبعاً للبيئة والعادات والتقاليد. كما أن العينة المتتقاة ليست حديثة العهد بالاسلام، مما يضفي وجود فهم ونضج فيما تم إختياره من عقيدة و ممارسة. وكذلك فكون المستبصرات على تواصل وثيق بعوائلهن غير المسلمة ويمتلكن الحرية الكاملة لتبادل الزيارة والسفر إلى مواطنهم الأصلية بالإضافة إلى تواجدهن في البحرين بما فيها من أجواء «الانفتاح» و في الواقع عدم وجود أي إلتزام للتقيد بالحجاب فإن التزامهن ينم عن قناعة وقوة وثبات في العقيدة.

عينة البحث

لقد تم إختيار عينة عشوائية مكونة من عشرة من الأخوات المستبصرات واللاتي تفاعلن مع موضوع الدراسة وأبدن رغبة في التعبير عن آرائهن وكان عندهن تعاطف وإهتمام بسير الدراسة والنتائج المرتقبة. وكانت العينة من خلفيات متنوعة بالانتفاء إلى الدول المختلفة

والتنوع في المستوى والتخصصات الدراسية وكذلك التنوع في بيئة عملهم وحتى المناطق المختلفة للعيش في البحرين. وقد يكون القاسم المشترك بينهم هو تكلمهم باللغة الإنجليزية وكونهم في المرحلة السنية بين ٣٥-٥٠ سنة.

جمع البيانات

لقد تم تجميع المعلومات عن طريق المقابلات. حيث تعتبر المقابلة أسلوب كفي يهتم بالمعاني التي يعزوها الأفراد للظواهر (Lester، ٢٠١١). لذا أجريت المقابلات مع المستبصرات وتمّ سؤالهن عن تأثير الحجاب على حياتهن. وذلك بعد التمهيد المسبق للسؤال بإيجاد ارتباطات وعلاقات مسبقة، والذي أوجد جوا من الأريحية والثقة وبالتالي البيئة المناسبة للتعبير عن آرائهن.

أخلاقيات البحث

لقد كانت مشاركة الأخوات المستبصرات طوعية كما كان لهن حق الإنسحاب من المشاركة في أي وقت ترفضينه. وتم رعاية الخصوصية التامة للمستبصرات المشاركات. كما تم اخبارهن عن محتوى البحث بصورة عامة وبأنه مرتبط بموضوع الحجاب. ولضمان حيادية الآراء المطروحة تم مقابلة كل مستبصرة على حدة دون اطلاعها على آراء الأخريات. فكانت مشاركتهن المخلصة دعماً للتأج العلمي المتوقع من البحث. وسيتم جعلهن في الصورة بالنسبة لسير البحث ونتيجته.

الفصل الرابع

الأفكار المستنبطة من المقابلات

سنعرض فيما يلي مقتطفات من المقابلات التي تم اجرائها مع الأخوات المستبصرات والتي تعطي صورة مجملية عن الأفكار الواردة في سائر المقابلات. وقد تمت الإشارة إلى بعض الخصائص الشخصية للأخوات اللاتي تم مقابلتهن وذلك لإعطاء صورة أكمل وفهم أفضل لما ورد في كلامهن:

الأخت ١: هذه الأخت المستبصرة إجتماعية، ومع هدوءها الظاهري ولكنها سريعة في التواصل وتكوين العلاقات الإجتماعية والتبليغ لطريق الهداية. فإنها تحمل على عاتقها مسؤولية إيصال الرسالة إلى الآخرين. فقد أشارت في مقابلتها إلى كون الحجاب حافظاً لكرامة وإحترام وعزة الفرد، بالإضافة إلى حماية جمال وعفاف المرأة. ومع وجود هذه المزايا للحجاب ولكن السبب الرئيسي لإلتزامها كان هو طاعة الله-تعالى- والسعي لتكون مسلمة مطيعة حتى تنال بركات الوعد الالهي.

الأخت ٢: وهي لها شخصيتها المميزة...قوية ومنتظمة، قليلة الكلام، ولكن تحمل وراء سكوتها عواطف حارة وتقدير ووفاء. لم تتكلم كثيراً، ولكنها افصححت أنها كانت متخوفة أن لا تشعر بالراحة عند التزمها بالحجاب، ومع ذلك وجدت سهولة في الإنتقال إلى العقيدة الجديدة. وتقول بكل ثقة، ولست نادمة أبداً على هذا الخيار. نعم أبرزت أن إلتزامها بالحجاب كان أمراً غريباً في بداية الأمر بالنسبة لأهلها ولكن لم يمر كثير من الوقت حتى تقبلوا المسألة، واحترموا خيارها.

الاخت ٣: هذه الاخت متميزة على عدة أصعدة فقد إهتمت بتعلم ودراسة اللغة العربية أكاديمياً وسافرت إلى عدد من الدول المسلمة والعربية وغير العربية. وهي كذلك تدير شركة لتقنية المعلومات بالإشتراك مع زوجها.

وتكلمت عن تجربتها بأنه على المستوى النفسي فإن قرار الإلتزام بالحجاب كان قراراً واعياً بعد تجربتها ابتداء بتغطية رأسها بالخمار. فتقول أنها شعرت بأنه الشيء الصحيح الذي يجب القيام به خصوصاً بعد تجربتها الإيجابية في هذا الطريق. وتقول بكل ايجابية: « لقد جرى الأمر بإنسيابية تامة لان الحجاب صار جزءاً من هويتي الجديدة وكان الطريق لتقوية خضوعي لله... لذا كان قرارالحفاظ عليه سهل جداً». كما تشيد بكونها محظوظة لانتمائها إلى عائلة تقبلت التغييرين الجديدين.. الخارجي والداخلي. لم يكن ذلك بالأمر الهين بل أستغرق منها وقت وجهد كبيرين لإقناعهم بهذا التغيير الكبير. و أضافت الحجاب ليس فقط قطعة من القماش لتغطية الرأس، بل يشمل سلوكيات خاصة تابعة للوامر والنواهي الإلهية والتي تتسبب في التغيير الشامل لحياة الفرد. وأكملت بأن الحجاب لم يكن فقط عاملاً في قربها إلى خالقها بل أكسبها شخصية أقوى وأكثر قدرة في التحكم في نفسها وذلك بإكتسابها للإحترام والأخلاق القوية، وتحرير نفسها من أن يتم التعامل معها على انها سلعة. و أضافت: «نعم لقد خسرت عدداً من الأصدقاء و خصوصاً الذين لم يقدرُوا على التوافق معي أو الذين رفضوا هويتي الجديدة». و لكنها أكملت مبتسمة: « إن كل ألم نتج من فقد التفاهم معهم عوض بالعديد والأكثر من المعارف الرائعين واللواتي صرن أخواتي في الإسلام».

كما تطلب الأمر منها كثيراً من الشجاعة والإيمان لمدة من الوقت للألتزام بالحجاب المناسب والسير بين غير المسلمين مع شعورها بكونها شاذة و إضطرابها لتحمل تحديقهم ونظراتهم غير الصديقة و المخالفة سواء كانوا من الجوار أو من الملاء العام. لذا كان العيش بين المسلمين لزاماً و ذلك لتقوية الإيمان. و علقت: « بأن وجود نظام دعم لطيف من قبل بقية المسلمين يعتبر ضرورياً للانتقال الدائم إلى امرأة مسلمة أو مؤمنة».

وبعد سنوات عديدة من حياتها اصبح الحجاب جزءاً لا يتجزأ من هويتها وبه صارت تذهب إلى كل مكان بدون الاحساس بعدم الراحة أو بكونها شاذة. لقد مكنتها الحجاب من تكوين شخصية لإمرأة تمتلك الاحترام والثقة بالنفس في المجتمع، وذلك أثناء السعي للقرب والعبودية لله. وتحمد الله على ذلك.

تحليل المقابلات

المعلومات المستقاة من المقابلات:

- قرار الالتزام كان قراراً واعياً، وتطلب الجرأة والقوة.
- عوائل الأخوات المستبصرات غير المسلمة لم يتقبلن التغيير في البداية، ولكن قبلن به فيما بعد.
- النقلة إلى الحياة الطيبة تحتاج إلى الدعم من حاملي نفس العقيدة.
- الاخوات المستبصرات أحسنن بتكون هويته جديدة لمن بعد الالتزام بالحجاب.

- الإحساس بنقلة في قوة الشخصية وكسب الاحترام بعد الالتزام بالحجاب، سواء على المستوى الشخصي أو المستوى الاجتماعي.
- الحجاب أكسبهن قوة في التعبير عن الرأي والاعلان عن العقيدة الجديدة.
- الحجاب أكسبهن قوة على مستوى دورهن كأمهات أو كزوجات.
- الحجاب كان تمثيلاً لقيم، ومبادئ وليس فقط ممارسة ظاهرية.
- كونهن التزمّن بالحجاب عن عقيدة وقناعة جعلهن أقوى حتى من بعض المسلمات اللاتي التزمّن به تبعاً للعادات والتقاليد أو لمجرد وجودهن في مجتمع مسلم.
- الحجاب صار رمزاً وتذكيراً لهنّ بعقيدتهن.
- الالتزام بالحجاب دفعهن لتقوية عقيدتهن، وكان دافعاً لهنّ لزيادة معلوماتهنّ بشأن الاسلام ومسائل الدين.
- الالتزام بالحجاب لم يكن أمراً شخصياً بل صار ضرورة مجتمعية.
- الحجاب أكسب الاخوات حالة من الطمأنينة والراحة.
- الالتزام بالحجاب تسبب في تغيير نظرة المجتمع إليهن، فتبدلت النظرة من نظرة جنسية وجسدية إلى نظرة إنسانية.
- الحجاب كان سبباً للطهارة القلبية، ووسيلة لتجلي العبودية لله والقرب الالهي.
- الالتزام بالحجاب نقلهن إلى حالة جديدة صرن يفتخرن بالانتماء إليها.
- مفهوم العزة والكرامة تجلى في شخص زينب ؓ.
- صرن يشعرن بالفخر بالانتماء إلى زينب ؓ.

مناقشة النتائج

تبعاً للمعلومات التي تم استقاؤها من المقابلات يمكن استنتاج النتائج التالية:

- الحجاب والعفاف كان بحسب الأغلب الأعم من الاخوات المستبصرات، ليس فقط غطاءً للرأس، بل تجاوز ذلك ليشمل ثقافة وهوية مستقلة.

- التغيير والانتقال إلى الالتزام بالحجاب تطلب قوّة وجرأة في بداية المطاف، ولكنه تسبب في القوة الأكثر والإحساس بالثقة بالنفس والعزة والكرامة لاحقاً.

- الإحساس بالعزة والكرامة والفخر بالانتماء إلى ثقافة الحجاب يسر مهمة قبول التحدي في المواجهة الحضارية ومن ثم الإلتزام بالحجاب.

تشير النتائج السابقة إلى الرابطة الوثيقة بين الالتزام بثقافة الحجاب والعفاف وبين القيمة الأخلاقية المرتبطة بالكرامة الانسانية واقترحت نتائج الدراسة بأن العلاقة بينهما علاقة طردية. بل إن الالتزام بالحجاب والعفاف هو تجلٍ ظاهر لهذه الخصوصية الأخلاقية. وذلك كان متوافقاً مع النظرة القرآنية والروائية للحجاب والعفاف والتي تم مناقشتها سابقاً.

ونخلص إلى أن الطريقة المثلى لترويج ونشر ثقافة الحجاب هي السعي من أجل تعزيز الكرامة الإنسانية عند النساء بالوسائل المختلفة.

التوصيات العملية

- تعزيز الاحساس بالعزة والانتماء إلى الثقافة الایمانية وعدم الضعف أمام المظاهر الزائفة للانحلال والهوية الغربية والذي يتم نیله تبعاً لامتلاك الهوية القوية والمستقلة.
- تمكين المرأة ثقافياً و علمياً حتى تكون النظرة إليها نظرة إلى كفاءتها وقدراتها العلمية بدلاً من أن تكون إلى مفاتها الجسمية. وزرع وترسيخ ثقتها بنفسها.
- إحياء الشخصية المعنوية والإنسانية لأفراد المجتمع وتوعيتهم بدورهم الإجماعي المرتبط ببقية الأفراد.
- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة مثل أن الحجاب هو غياب لجمال المرأة بدلاً من أن يكون هو السبب في زيادة جمالها (زكاة الجمال العفاف) أو كون الحياء ضعف وفي المقابل كون «الوقاحة» جراًة!!
- الترويج للقدوات الصالحة.
- الاشباع الصحيح للغرائز بتسهيل زواج الشباب.
- إزالة عوامل الفساد والتلوث في البيئة.
- تثبيت العادات الحسنة.
- وضع البرامج الهادفة والترفيهية لملأ أوقات الفراغ، وللإحساس بالهدفية في الحياة.
- إنشاء مراكز ترفيهية خاصة بالفتيات.

المصادر

1. ACAPS. (2012, May). Qualitative and Quantitative Research Techniques for Humanitarian Needs Assessment. Retrieved October 2013. from PARK database:
2. http://www.parkdatabase.org/documents/download/qualitative_and_quantitative_research_techniques.pdf.
3. Brikci, N. (2007). A Guide to Using Qualitative Research Methodology. Retrieved 2013, from MSF Field Research: <http://fieldresearch.msf.org/msf/bitstream/10144/84230/1/Qualitative%20research%20methodology.pdf>
4. Lester, S. (2011, October 14). An introduction to phenomenological research. Retrieved September 17, 2013. from Stan Lester Developments: <http://www.sld.demon.co.uk/resmethy.pdf>
5. التميمي الأمدي، ن. ا. (٥٥٥٠هـ). غرر الحكم و درر الكلم من كلام أمير المؤمنين علي ع. بيروت: دار الهادي.
6. الرضي، ا. (٤٦٩ هـ). نهج البلاغة. قم المقدسة: المكتبة العامة لآية الله المرعشي.
7. القمي، ع. (١٩٩٤). منتهى الآمال في تواريخ النبي ص و الآل. بيروت: الدار الإسلامية.
8. المجلس الأعلى للشورة الثقافية، د. (٢٠١٥). قانون الطرق التنفيذية لنشر ثقافة الحجاب و العفاف. المجلس الأعلى للشورة الثقافية في ايران.
9. المجلسي، م. ب. (١٩٨٣). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (Vol. ٤٧). مصادر الحديث الشيعية.

١٠. المعاني. (٢٠١٧). تعريف و معنى حجاب في معجم المعاني الجامع. Retrieved
ابريل ٦، ٢٠١٧، from قاموس و معجم المعاني: [http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8
/A8%D8%A7%AC%D8%AD%D8%com](http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A8%D8%A7%AC%D8%AD%D8%com)
١١. المكارم الشيرازي، ن. (٢٠٠٤). الأخلاق في القرآن (Vol. ٢). دار الأميرة للطباعة
و النشر و التوزيع.
١٢. دهقان عفيفي، ن.، شاووش باشي، ف. (٢٠١١، فبراير). برسي آثار فردي و
اجتماعي حجاب. برسان (١٠٩).
١٣. مسعود، ج. (١٩٩٢). الرائد معجم لغوي عصري (Vol. ١). دار العلم للملايين.

رؤية المأساة ومأساة الرؤية قراءة في مقالة السيدة زينب (عليها السلام) « ما رأيت الا جميلا »

المدرس المساعد عليّة مسير رسن/العراق-بغداد

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ينبغي لنا القول أنّ الحديث عن المرأة يجب أن يكون على وفق مفاهيم مختلفة، وبين مدارس فكرية مختلفة وثقافات متعددة؛ لنصل إلى وضع المرأة وفق نظرة صائبة، وحل أمثل لإيضاح قيمة المرأة ومكانتها. ونحن نعيش عالماً ينظر الى المرأة من زاويتين مغلوطين لا بد من طرح زاوية أو نظرة ثالثة للمرأة وهو ما نطلق عليه الحل الزينبي :-
الأولى: وهو المعمول به في عالم اليوم، يكمن في أنّ كرامة المرأة تقوم على أنّها سلعة معروضة وحصر مكانتها في مدى تأثيرها كونها أنثى فحسب ويجري الحديث عن المرأة وحرّيتها على وفق النمط الغربي، وعوضاً عن حصر قيمة المرأة بعلمها ومكانتها الاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية، وهي نظرة مغلوطة كانت ولا تزال، وفيها تحقير للمرأة .

الثانية: وهي تقف على النقيض من الأولى إذ تقوم على انزواء المرأة وانطوائها، وبغية حفظ كرامتها يجب إخراجها من الساحة، ومعتك الحياة .

الثالثة: وهو ما يطلق عليه الحل الزينبي الذي يحفظ كرامتها وشرفها، الى جانب حضورها الفاعل وسط المعترك السياسي والعلمي والثقافي، كما كان الموقف مع السيدة زينب عليها السلام؛ إذ وقفت محافظة على الشرف البشري والظهر الانثوي، وهي الملهم الأكبر للنساء والرجال العظماء على مر التاريخ .
ونريد أن نمضي صوب الحديث عن مركز المرأة في الجهاد الديني، والالتزام السياسي، والتحرك الاجتماعي، وبغية خلق مجتمع نسائي زينبي يقف الى جانب حشد الله المرابط في الثغور، بما يمتلك من وعي وإيمان عميقين .
قُسم هذا البحث الى مهاده نظري يبحث في شخصية العقيلة الهاشمية عليها السلام، ومن ثم الى محورين في البحث الأول يتم الحديث فيه عن دور المرأة والنهضة الحسينية، أما الثاني فقد خصص للسيدة زينب عليها السلام والمشهد التوحيدى الذي توسمت به في واقعة كربلاء دون غيرها من نساء العالمين، ما خلا أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

المهاد النظري :

إنَّ المرأةَ وبها تتمتع به من نقاط القوة التي أودعها الله تعالى في كيائها مصحوبة بالإيمان العميق، والاطمئنان الناشئ من اتكائها على الله سبحانه، وعفتها وطهارتها تمكنها من القيام بدور استثنائي في المجتمع لا يمكن لأي رجل أن يقوم به .

ومعروف أن المرأة تمتاز برقة المشاعر، وشفافية العواطف مما يساعدها على القيام بدور الامومة الحانية، لذلك يكون تأثيرها العاطفي أسرع وأعمق من الرجل غالبًا، وإذا كانت تلك الحالة تمثل الاستعداد الاولي في نفس المرأة فلا يعني ذلك أنَّها تأسر المرأة وتقعدها عن درجات الصمود والصبر العالية . إذ أن بإمكان المرأة حينما تمتلك مثل تلك الصفات العالية من نفاذ البصيرة، وقوة الإرادة والعزم والعفة والطهارة ان تضرب أروع الامثلة من الصبر والشجاعة أمام المواقف الصعبة .

وهذا ما أثبتته السيدة زينب ؑ في مواجهتها الآلام والأحداث العصبية التي مرت بها .

فعفة المرأة ومهابتها لا تعني باي حال من الاحوال الانكفاء والانطواء، ولا تعني الجمود والاحجام عن تحمل المسؤولية وممارسة الدور الاجتماعي وهذا ما اتضح جليا في ممارسة السيد زينب ؑ لدورها الاعلامي لنهضة الإمام الحسين ؑ في اعلى المستويات .

لذا نرى أنَّ نواحي العظمة في شخصية السيدة زينب ؑ باتت أمرًا مفروغًا

منه، إذ جسّدت معالي الصفات ومكارم الأخلاق، وذلك سر تفردّها وخلودها؛ حيث أنّ قيمة الإنسان تتحدّد بما يتمتّع به من مواهب وكفاءات، وبما يمتاز به من فضائل وأخلاق، لذا فإنّ « مصائب هذه الحرة الطاهرة زادت على مصائب أخيها الحسين الشهيد اضعافاً، فإنّها شاركت في جميع مصائبه وانفردت عنه ﷺ بالمصائب التي رأتها بعد قتله من النهب والسلب وحرق الخيام والاسر وشماتة الأعداء»^(١)

رمزية السيدة زينب ﷺ:

لا تعني هذه الكلمة رمزية مجازية بل الدلالة المعنوية المكثفة التي تنطوي عليها هذه الشخصية الحقيقية ومدى تأثيرها في الشخصية الإسلامية والوجدان الديني .

فقد جسّدت من خلال حركتها عنوان حفظ الذكر المحمدي من خلال قولها « والله لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحيناً»^(٢)

وهي بهذا تتصدّر الإعلان والتحدّي، وأنّ أيّ تقصيرٍ معها في حياتها او مماتها خيانة للذكر والوحي الإلهي .

فضلاً عن أنّها أصبحت رمزاً وعنواناً لنهضة معنوية وسياسية وجهادية كبرى لا يتحمّلها الوجدان الإسلامي .

لذا يمكن القول أنّها ﷺ جسّدت المشهد التوحيدى بعدما اختلط الأمر على الكثيرين، فوضعت الحدود الفاصلة بين فعل الله سبحانه وبين أفعال البشر الذين اتصفوا بالظلمانية والشر .

١- زينب الكبرى / الشيخ جعفر النقدي / ص ٧٥ .

٢ - أعيان الشيعة / السيد محسن الامين العاملي / ج ١ / ص ٦١٦ - ٦١٧ .

ثلاثية شخصية زينب ؑ :

ذهب علماء النفس أن هناك ثلاثة أبعاد تؤثر تأثيراً مباشراً في تكوين الشخصية الإنسانية، وهذه الأبعاد بحسب أهميتها:

١- الوراثة ٢- التربية ٣- البيئة

يبدو ذلك جلياً في شخصية السيدة زينب ؑ إذ اكتملت تلك الأبعاد، فكانت ليد التربية المكتوبة والإرادة الإلهية الدور الواضح في وضع السيدة الحوراء ؑ في مهد التكامل وعلو الشأن، حيث أفاضت عليها أنوار الإنسانية، والقيم الإسلامية العالية لذا كانت « المرأة في المجتمع الإسلامي قد أدت دوراً رائعاً بفضل إيمانها بالعتيدة الإلهية التي صاغت منها شخصيات حملت رسالات هامة للبشرية»^(١) كما هو الحال مع السيدة زينب ؑ التي أثبتت للتاريخ والأجيال أن بإمكان المرأة التي تعي واجباتها الشرعية وتكليفها الإلهي أن تعطي الكثير، وأن تقوم بدورها الرسالي في الحياة وتصل الى اختيار الطريق الذي أراده الله سبحانه لها لتنهض أسوة بالرجل بمهام وأدوار رسالية، كما حصل مع السيدة زينب ؑ حينما اختارت دورها في ثورة الحسين ؑ بوعي وإدراك عميقين، فضلاً عن احتفاظها بزمام المبادرة في مختلف الوقائع الثورية والمواقف، ولأنها هي من اختارت الاختيار الصعب، وعلى الرغم من كل ما واجهت من آلام ومأس قاسية كانت ذات نظرة إيجابية واطمئنان عال، إذ يعد ما تراه ابتلاءً وامتحاناً إلهياً، فضلاً عن أن علماء النفس يذهبون الى أن «التحمل النفسي مظهر من مظاهر الشخصية السوية وعنصر هام في عملية التوافق الفعال، وأن الفرد الذي لديه تحمل عال لديه مستوى عال من القدرة على التوافق والتعامل مع ضغوط الحياة»^(٢)

١- دور المرأة في واقعة الطف زينب ؑ أنموذجاً / عبد الحافظ البغدادي / مقال على النت.

٢- قوة التحمل النفسي / د. حازم علوان منصور / مقال على النت.

العقيلة زينب عليها السلام وتعدد الادوار :

لم ينحصر دور السيدة زينب عليها السلام: في النهضة الحسينية على خروجها مع أخيها الحسين عليه السلام، بل تعدى ذلك الى تقديم أولادها أمام الحسين عليه السلام وتضحيتها بهم، فضلاً عن قيادة الركب الحسيني ومعاونة الإمام زين العابدين عليه السلام في مسيره الإعلامي، واستمرار العطاء الحسيني من خلال وقوفها بوجه الطغاة، حيث كان للعالم أجمع النصيب الكبير في رؤية ذلك التحدي الذي ينم عن شجاعة وإباء، إذ تقول لطاغية العصر يزيد « أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء الى أن تقول .. إنَّ بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وإنَّ ذلك لعظيم خطرك عنده »^(١)

الالتزام بالحجاب رغم كل شيء:

ينبغي القول أنَّ المضي في الحديث عن هذه المسألة يعد من أولويات الحديث عن المرأة وشجاعتها وعفتها، وهو ما نصبو إليه دومًا إذ إنَّ باستطاعة المرأة أن تدخل وسط المعترك وليس الأسرة فحسب، وأن تحافظ على عفتها وكرامتها الإنسانية، وأن تؤدِّي ما عليها من التكليف الشرعي، وان تثبت للعالم أجمع أنَّها عفة وعزة في آنٍ واحد، وهكذا الحال مع الحوراء زينب عليها السلام. فما أن ذكرها المؤرخون وأرباب المقاتل حتى وصفوها بأنَّها كانت تتعثر بثيابها، أي أنَّها كانت تهتم لأمر حجابها على الرغم من جميع المصائب التي نزلت بهم في أرض الطف.

١ - بحار الانوار / العلامة المجلسي / ج ٤٥ / ص ١٣٣ .

المحور الأوّل: النهضة الحسينية ودور المرأة

بعد أن انطلق الإمام الحسين عليه السلام في نهضته العظيمة لم يجعل المسيرة والسفر المصيري والتاريخي مقيّداً بأشخاص وعنوان واحد، بل تعدّى ذلك إلى أصنافٍ مختلفة من الرجال والنساء والأطفال . وكان لكل صنف رسالته في تلك القضية، ومعلوم أنّ لكل نهضة وثورة رسالتين:

رسالة الدم ورسالة الكلمة . وكان لرسالة الدم أن قام بها الرجال، ورسالة الكلمة أنيطت بمهامها إلى المرأة وخير أنموذج وبلا منازع كانت السيدة زينب عليها السلام . حتى كانت تلك الوقفة لا تقل أهمية عن وقفة الرجال إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام .

وهنا « سجّلت حفيدّة الرسول صلى الله عليه وآله بموقفها وكلماتها فخراً للإسلام، وعزّاً للمسلمين، ومجدّاً خالداً للأسرة النبوية»^(١).

عالمة غير معلمة:

كانت الحوراء زينب عليها السلام ذات مستوى علمي رفيع، وضعها في مستوى المسؤوليات التي كلفت بها لما تملك من مؤهلات القيادة والفهم العالين، فضلاً عن الوعي بمسؤوليات التكليف الشرعي الذي أوكل إليها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام وليس أدل على ذلك من قول إمام معصوم وهو الإمام السجاد عليه السلام حينما قال: « أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، فهمة غير مفهمة»^(٢) كما أنّ العلماء قد أشاروا إلى أنّ السيدة زينب عليها السلام كانت على مستوى عال من المقامات، قد أشار العلامة البرغانى في مجالس المؤمنين « أنّ المقامات العرفانية

١- السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الاسلام / باقر شريف القرشي / ص ٦٤ .
٢- الاحتجاج / الشيخ الطبرسي / ج ٢ / ص ٣٤٨، بحار الانوار / ج ٤٥ / ص ١٦٤ .

الخاصة بزینب ؑ تقرب من مقامات الإمامة»^(١)

الرؤية الإيجابية للسيدة زينب ؑ:

قبل الخوض في غمار هذا المحور، وجب أن نقوم بجولة معجمية لمعنى ودلالة الرؤية لغة واصطلاحاً. فقد قيل في معناها اللغوي أن «الرؤية بالعين تتعدى الى مفعول واحد وبمعنى العلم تتعدى الى مفعولين، يقال رأى زيداً عالماً، ورأى رأياً ورؤية وراءه مثل راعة»^(٢).

وورد في لسان العرب أيضاً قول ابن منظور: «فلان يترأى برأى فلان اذا كان يرى رأيه ويميل ويقتدي به»^(٣)

اما المعنى الاصطلاحي للرؤية ويبدو من خلال التأصيل المعجمي أنه يستوعب جميع الدلالات التي تنشط من الفعل (رأى)، ابتداء من الرؤية البصرية المجردة، وانتهاء الى الرؤية القلبية والعقلية التي تصوّر المستقبل الإنساني والاجتماعي والكوني الذي يتوق الى العيش في ظلّه الإنسان.

لقد كانت السيدة زينب ؑ، وفي ذروة المأساة وقمة المصيبة، مورداً للتقرب الى الله تعالى؛ لما تحمل من رؤية إيجابية متفائلة لمسير الإنسان نحو مصيره، وحق اختياره لبلوغ السعادة الأخروية، إذ يتّضح لنا ذلك من خلال خطاباتها التي تؤكد فيها تلك الروح العالية فهي التي تقول: «الحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة»^(٤)

فكانت لحفيدة الرسول ﷺ تلك المكانة العظيمة، كأخيها وقبل أبيها في عظيم إيمانها وانقطاعها الى الله سبحانه. وهي التي وقفت على مصرع أخيها، فرمقت

١- وردت هذه الاشارة في كتاب ادب الطف / جواد شبر / ج ١ / ص ٢٤٠.

٢- لسان العرب / ابن منظور / ج ١٤ / ص ٢٩١ / مادة رأى.

٣- لسان العرب / ابن منظور / ج ١٤ / ص ٣٠٠-٣٠١

٤- مشير الاحزان / ابن ناهلي / ص ٨٠، اللهوف في قتل الطفوف / ابن طاووس / ج ٣ /

ص ١٦٣.

السماء بطرفها وقالت: « اللهم تقبَّل مِنَّا هذا القربان »^(١)

أحاطت بها المآسي من كلِّ جانب، ما بين الأجساد الزَّاكية وبين حرق الخيام وبين لوعة النساء والأطفال، وهي وسط تلك المشاهد الأليمة تؤدِّي صلاة الشكر لله - تعالى - على هذه النعمة التي أضفاها عليها وعلى أخيها ﷺ، فكانت من المعنيين بالإشارة القرآنية إذ يقول الله - تعالى - : « الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ »^(٢)

انبرت حفيدة الرسول الكريم ﷺ بكلِّ شجاعة وإباء، قائلة: « الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه، وطهرنا من الرجس تطهيرا، إنَّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا يا بن مرجانة »^(٣) نراها مرة أخرى تحمد الله - تعالى - على نعمه من خلال خطبتها أمام الطاغية، فهي لا تكتفي بالإشارة الى الظلم، ولكنها تشير بإصبعها الى الظالم، وتعلم الأمة بتاريخ الطغاة والظالمين، وتعطي درساً للأجيال بالمواجهة والمقاومة، وحق تقرير مصير الإنسان بنفسه وذلك من خلال الإشارة الى أنَّ القاتل هو المنهزم والمفتضح، وأنَّ المقتول هو المنتصر؛ لذا فقد ردَّ عليها من باب التشفيِّ والحقد بقوله : « كيف رأيت صنع الله بأخيك »^(٤)

لكن السيدة زينب ﷺ وفي هذه المرة ردت عليه بما يليق به فكان الجواب أكثر ابلاغاً وتحدياً للطاغية اذ قالت : « ما رأيت إلا جميلاً »^(٥)

١- حياة الإمام الحسين ﷺ / باقر القرشي / ج ٣ / ص ٢٧٦

٢- البقرة / الآية ١٥٥ الى ١٥٧ .

٣- تاريخ الطبري / ج ٦ / ص ٢٦٣ .

٤- زينب الكبرى / شيخ جعفر النقدي / ص ٦١ .

٥- حياة الامام الحسين ﷺ / ج ٣ / ص ٣٣٥

المحور الثاني : السيدة زينب ؑ والمشهد التوحيدي

كانت وما زالت السيدة زينب ؑ المثل الأعلى والملهمة للنساء والرجال العظماء، والمحافظ الأكبر للشرف البشري والكرامة الإنسانية على مر التاريخ. ولا تزال ملحمة الطف الخالدة الملهمة، وستكون كذلك إذ أن فيها زينب ؑ وكيف حفظت كرامتها وطهارتها، وكيف صمدت في المجتمع .

زينب الأسيرة المكبلة، زينب بعد الحسين التي رأت كل هؤلاء الشهداء، كيف وجّهت أصابع الاتهام الى نظام الجور والفساد ، حيث خطبت ؑ في الكوفة مندفعة بخطابها بطمأنينة نفس، وثباتة جأش، وشجاعة، حيث تقول ؑ: «يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْخُتَلِ وَالْغَدْرِ، أَتَبْكُونَ؟! فَلَا رَقَاتِ الدَّمْعَةَ، وَلَا هَدَاتِ الرَّئَةَ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَلِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا، تَتَخَذُونَ آيَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ»^(١)

حتى وصلت الى آخر خطابها . وفي مجلس ابن زياد يظهر من زينب ؑ موقف بطولي آخر، وعلى الرغم من أنها أسيرة ومكبلة، وتقف بين يدي جلادها الذي أراق دماء أهل بيتها .

تدخل السيدة زينب ؑ مع إمامها الى قصر ابن زياد، فيطلق للسانه العنان وهو الذي اعتبر نفسه منتصرًا في الحرب، فيقول من هذه المرأة التي انحازت جانبًا ومعها نساؤها؟ فيكرر القول ثانيًا وثالثًا فلم تجبه العقيلة الهاشمية . فتجيب إحدى إمامها «إمها زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ . فقال عندها « الحمد لله الذي فضحككم وأكذب أحدوثتكم»^(٢)

١- حياة الامام الحسين ؑ ج ٣ / ص ٣٣٥

٢- بحار الانوار / ج ٤٥ / ص ١١٥ .

عند ذلك ترد العقيلة الهاشمية بالقول : « الحمد لله الذي أكرمنا بنبية محمد ﷺ وطهرنا من الرجس تطهيرا، إننا يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا يا بن مرجانة»^(١)

وفي تلك اللحظات يقول ابن زياد مشفيا «كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللَّهِ بِأَخِيكَ»^(٢) فترد عليه بالقول: «مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا ، هُوَ لَاءِ قَوْمٍ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ فَبَرَزُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ، وَ سَيَجْمَعُ اللَّهُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُمْ فَتَحَاجُّ وَ تَخَاصِمُ ، فَانظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ»^(٣)

إن المتأمل في قولها ﷺ يجد أن ذكاء جواب العقيلة الهاشمية في التفسير الصحيح لمسألة التقدير الإلهي ؛ حيث تضع حيزاً لمسؤولية الإنسان وحرية خياره، ولم تفسر التقدير والمسؤولية الإلهية على أنها حالة من الجبر، ولم تترك المجال متاحاً لتساوي الجلاد والضحية .

إن هذه الحالة تشير الى أن هناك نوعين من الرؤية الموجودة على مر التاريخ، إنهما نظريتان مغلوطنان عن علاقة الله-تعالى- بالإنسان عن دور الله -سبحانه- والمشيئة والتقدير الإلهي، ودور الإنسان والحرية والمسؤولية :-
الأول: يقمع حرية الإنسان وينفي خياره، ويسلب حريته وهو ينسب كل أنواع الظلم على الله -سبحانه- . وأن ما يحصل هو مشيئة إلهية حيث ينكر هذا الرأي حرية وخيار الإنسان، وهي ذات الأفكار التي أراد ابن زياد الترويج لها في المجتمع آنذاك؛ بغية وضع وجهة وغطاء ديني لكل أنواع الظلم والفواصل الطبقية .

- ١- تاريخ الطبري / ج ٦ / ص ٢٦٣ .
- ٢- بحار الانوار / ج ٤٥ / ص ١١٥ .
- ٣- حياة الامام الحسين ﷺ / ج ٣ / ص ٣٤٤ .

الثاني: وهو بإزاء الفكر الأوّل حيث يريد الدفاع عن استقلال الإنسان وعن حرية اختياره، وحق انتخابه، ويصل بهذه الحرية الى الحد الدكتاتوري . وهذا النوع من الفكر يريد الترويج لاختيار الإنسان ونفي القدرة الإلهية، وأنّ العالم على وفق هذه الرؤية تحت سيطرة الإنسان والى حد دكتاتورية الإنسان ضد أخيه الإنسان . إنّ الفكر والرأي الأوّل يحاول القول أنّ كل شيء هو مشيئة إلهية، ويسلب مسؤولية الإنسان وحقه في الاختيار، فإن كان كل شيء بمشيئة الله سبحانه، فما دور الإنسان إذن؟؟ وعندئذ فلا فرق بين الإنسان الصالح من الإنسان الطالح . ولماذا خلق الله الجنة والنار؟ ولماذا بعث الأنبياء؟ ولو سلّمنا لمثل هذه الأفكار فإننا سنتعدّى على حكمة الخالق، وهذا ما لا يصح على الإطلاق .

في جانب آخر نرى أنّ البعض يريد تصحيح حكمة الله وعدله ورحمته؛ فيجعل الإنسان مختاراً الى حدّ التسلّط وجعله مستقلاً عن الله سبحانه، وهو ذات المسار الذي أراد المعتزلة الترويج له . أمّا الرّأي الأوّل فكان للأشاعرة، حيث يرد القرآن الكريم على هذا النمط من الفكر بالقول في آية الكرسي « لا تأخذه سنة ولا نوم»^(١)

أي أنّ الله - سبحانه - مشرف على كلّ شيء، وفي ذات الوقت فإنّ الإنسان مسؤول وهو مختار وحر ويتخذ القرارات لنفسه، وهذا هو الطريق الثالث، الطريق الزينبي، حيث ترد العقيلة الهاشمية على ابن زياد بالقول بأننا نرفض تلك الأفكار التي تروّجون لها، ونعارض طريقة التقدير الإلهي التي تؤمنون بها . وفكرة الإنسان المستقل عن الله سبحانه، والذي يحاول فرض رؤاه على أخيه الإنسان .

١ - البقرة / الآية ٢٥٥

وهنا نلاحظ أنَّ السيدة زينبؓ تدافع عن حرية الإنسان وحقه في الانتخاب، ومسؤوليته واختياره دون أن يكون خارج إطار السيطرة الإلهية، وأنَّ الإنسان المختار المسؤول لا يتقاطع مع المسؤوليات الإلهية، وبالعودة الى ابن زياد، فإنَّه حاول استغلال تلك الآراء المنحرفة، وأنَّ ما حصل لآل الرسولؐ كان مشيئة إلهية ليبعد عن نفسه الجريمة، لكن العقيلة الهاشمية ترد عليه بما يتلاءم وفكره، إذ حاول أن يجعل جريمته وفعلة مشروعة، وأن ينفي تلك الجريمة أولاً، ويرى أنَّ الانتصار في الميدان دليل حقانية الموقف اليزيدي ضد الإمام الحسينؑ، وأنَّ هذا الأمر حصل برضا من الله سبحانه، فتقول زينبؓ إنَّ ما حصل جريمة ولن تقع جريمة دون جانٍ . وإننا إذ نرى الكثير ممن يشير الى الظلم ويتحدث عنه بوصفه عمل سيء، وهذا الأمر يقرب به القاصي والداني، ولكننا لم نرَ من أشار بأصابع الاتهام الى الظالم، وهذا ما فعلته السيدة زينبؓ .

فهي التي تقول : «ما رأيت إلا جميلاً»، ولا يصح أن ينسب الإنسان أفعال الشر الى الخالق -جل وعلا-، إذ تؤكِّد للأمة أنَّ الشهادة والسبي ليست هزيمة، وليست قبْحاً او مذلةً، إنَّها عين الجمال المطلق، وهي إذ تشكر الله-تعالى- على كل هذه المصائب التي لحقت بهم في كربلاء .

تقول قولها أمام الجلاد الذي يريد أن يسمع منها الذلة والمسكنة، لا تظن يا بن زياد أنَّ التقدير كان قد استشهد رجالنا، بل هو من فعل جريمة ارتكبتوها انتم .

كما أنَّ العقيلة الهاشمية تؤكِّد أيضاً أنَّ آل الرسولؐ عليهم تكليف دينوي لا هدف دينوي، وعليهم تكليف سياسي وليسوا بسياسيين بالمعنى الحديث، وهم ليسوا طلاب دنيا، بل عليهم مسؤوليات يقومون بها .

وإنَّ معيار الهزيمة والنصر عندهم لا يعني أنَّ القاتل هو المنتصر والمقتول هو المنهزم دوماً . إنَّ دخولهم يأتي بغية النهوض بالحقيقة والمعنويات وإنقاذ البشر . كما أكدت ﷺ أنَّ ثورة الإمام الحسين ﷺ هي من أجل بلوغ الحد الأعلى من السعادة، وبلوغ الحد الأدنى من سعادة الآخرين، وهنا يرد تساؤل لماذا تقول ﷺ الحد الأدنى من سعادة الآخرين ؟

عندها يكون الجواب عن ذلك التساؤل أنَّهم مسؤولون ازاء أنفسهم في الحد الأعلى، أمَّا الآخرون فهم أناس لهم حق الاختيار، وأنَّ آل الرسول ﷺ عليهم إعداد الأرضية لهم، وتبيين الطريق أمامهم ومساعدتهم . وهي بهذا أرادت القول أنَّ الإمام الحسين ﷺ لم يكن مجبراً على العيش في مجتمع يصنعه الآخرون وعليه الاقرار به والعيش وسطه .

وهي اذ تقول ذلك تعني به انهم احرار ومسؤولون لهم الحق والسلطة والواجب، هذا هو المنهج والعمل، وإنَّ على آل الرسول ﷺ أن يمضوا صوب مجتمع ويقودونه نحو الأهداف السامية والقيم المتعالية .

لقد وضعت بقولها وتفسيرها لمسألة التقدير الإلهي والمشيئة الإلهية من خلال تلك المنازلات الكلامية مع المعسكر المعادي حدًّا فاصلاً بين الجهة الجمالية وهي المنسوبة الى فعل الله سبحانه، وبين الجهة الظلمانية وهي المنسوبة الى فعل الظالمين، فضلاً عن تأكدها على أنَّ الظالمين لم يستطيعوا أن يجبطوا المشروع الإلهي، حيث أشار القرآن الكريم الى ذلك بالقول « إنَّ الله بالغ أمره »^(١)

الخاتمة:

إذا كان لكل عمل خاتمة فإنَّ الأمر مختلف مع السيِّدة زينب عليها السلام؛ ذلك أنَّها نهضت بعد أن انتهى كل شيء أمامها لبدأ سفرها المصيري الخالد، إنَّها تعطي الدروس تلو الدروس، فهي الملهم الأعظم في جهاد الكلمة، فكانت بحق من مصاديق الإشارة القرآنية «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» ^(١) إنَّها ومن خلال خطاباتها لم تشر الى الظلم فحسب، إنَّها لم تكتفِ بالقول، إنَّ ما حصل في كربلاء كان ظلماً، بل مضت صوب التأكيد على مسك الظالم، وتوجيه أصابع الاتهام إليه، والوقوف بوجهه .

إنَّها الأسيرة المكبلة التي حوّلت الهزيمة الى انتصار، ووضعت حدّاً فاصلاً بين الجلاد والضحية، فلم تترك المجال لتساوي بينهما .

كما أنَّها مضت في إيضاح وتفسير مسألة التقدير الإلهي ومشية الله سبحانه، والدور الذي أنيط بالإنسان في مسألة حرّيته واختياره وحقه في الانتخاب وتقرير المصير في ذلك السفر التاريخي الخالد؛ إذ عملت على تبيان المنهج والعمل الذي يسير عليه أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الدور الذي أنيط بالسيدة زينب عليها السلام لا يقل أهمية عن دور الرجال في أرض نينوى إن لم يكن الأهم بين الأدوار التي كُلفوا بها عليهم السلام. إذ أكّدت للنساء على مر التاريخ أنَّ بإمكان أي واحدة منهنَّ أن تنهض بالجهاد الإعلامي وهو جهاد الكلمة إن هي علمت بتكليفها الشرعي فحافظت على كرامتها الإنسانية، وعفتها، وطهارتها الى جانب حضورها الفاعل في المجتمع . فأوضحت للعالم أجمع أنَّ الإنسان مكلف، وعليه يجب أن ينهض بدوره على وفق تأكيدات الشريعة السمحاء، وأنَّ الإنسان حرٌّ مختار ولا يتقاطع مع المسؤوليات الإلهية.

١ - ابراهيم / الآية ٢٤

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم
- * ادب الطف / جواد شبر / دار المرتضى / مشهد - إيران / ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- * اعيان الشيعة / السيد محسن الأمين العاملي / دار التعارف للمطبوعات / بيروت - لبنان / ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م
- * الاحتجاج / احمد بن علي الطبرسي / مراجعة وتعليقات / محمد باقر الخراسان / ط ١ / دار المرتضى / مشهد - إيران / ١٤٠٣ هـ
- * بحار الانوار / العلامة المجلسي / ط ٢ / مؤسسة الوفاء / بيروت - لبنان / ١٤٣٠ هـ / ١٩٨٣ م
- * تاريخ الطبري / ابن جرير الطبري / دار المعارف / مصر / ١٩٦٣ م
- * حياة الامام الحسين عليه السلام / باقر شريف القرشي / ط ١ / مطبعة الآداب / النجف - العراق / ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م
- * دور المرأة في واقعة الطف - زينب انموذجاً / عبد الحافظ البغدادي / مقال على النت .
- * زينب الكبرى / الشيخ جعفر النقدي / المطبعة الحيدرية / قم - إيران / ١٤٢٠ هـ .
- * السيدة زينب رائدة الجهاد في الاسلام / باقر شريف القرشي / بيروت - لبنان / ٢٠١٢ م .
- * قوة التحمل النفسي / د. حازم علوان منصور / مقال على النت
- * لسان العرب / ابن منظور / دار الفكر / بيروت - لبنان .
- * مثير الاحزان / الشيخ الجليل ابن نما الحلي / دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر / ط ١ / ٢٠٠٤ م .
- * م
- * اللهوف في قتل الطفوف / ابن طاووس / دار التيار الجديد للطباعة والنشر / ط ١ / ١٩٩٢ م .

مفهوم الإيثار في المنظومة الخلقية: (أبو الفضل العباس أنموذجاً)

١٠

الشيخ مشتاق الساعدي/العراق- ذي قار

مُقدِّمة:

من المفاهيم الأخلاقية التي لها الأثر الأكبر في مسار الإنسان الأخلاقي وسيره إلى الله تعالى والتي تنمُّ عن تربية روحية عالية هو التحلي بصفة الإيثار في التعامل العام مع البشرية بل مع المخلوقات ككل. إنَّ هذه الصفة العظيمة تكشف عن ملكات أخلاقية كامنة في ذات الإنسان أهَّلته أن يكون مقدماً غيره على نفسه، ومتخيراً ما هو أصعب وأحزم كي يأخذ غيره ما هو أسهل وألين، ومتخذاً ذلك وسيلة للتقرب إلى الله تعالى، فهو من نفسه في تعب والناس منه في راحة.

وهذه الصفة الحميدة نابعة من مجموعة فضائل ولاغية لمجموعة رذائل، فهي نابعة من فضيلة الشجاعة والتواضع والعفاف والسخاء والألفة والمحبة وغيرها، ولاغية لرذيلة الجبن والتكبر والشهوة والبخل والانفراد والبغض وغيرها.

فلو لم يكن المؤثر شجاعاً لما آثر غيره عليه، ولو لم يكن متواضعاً لما قدَّم غيره على نفسه، ولو لم يكن سخياً لما فضَّل غيره عليه وهكذا باقي الصفات.

وعلماء النفس الاجتماعي يرون أن هذه الصفة من أعظم صفات

الإنسان فهي سلوك اجتماعي إيجابي يهدف إلى رعاية الآخرين ورفاهيتهم بلا ملاحظة منفعة شخصية.

وفي هذا البحث نقف إجمالاً على مفهوم الإيثار في النظام الأخلاقي لغة وكتاباً وسنة وما هي آثاره ومعطياته، ونطبق ذلك على ما قام به سيدنا العباس عليه السلام من إيثار في واقعة الطف حيث مارسه في أحلك الظروف وأشدّها وأضرها، بعد أن سدّ العدو جميع الطرق على الإمام الحسين وآله وأصحابه عليهم السلام وبلغت القلوب الحناجر، فبرز الموقف الحقيقي والمعدن الأصيل والعنصر الطاهر الذي كان عليه العباس بن علي عليهما السلام، فأثر بنفسه وفداها - والجود بالنفس أعظم غاية الجود - فاستحق بذلك صفة أبي الفضل، وجاد بالجود ولم يشرب الماء - مع شدة عطشه - حتى كان رمزاً للجود.

عرض البحث:

يقع الكلام في أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإيثار في اللغة:

قبل الدخول في صلب البحث لابد أن نستعرض بعض كلمات اللغويين لنقف على الحقيقية اللغوية لهذا المصطلح ومن ثم نبين معناه الشرعي من خلال القيود التي تبينها الآيات والروايات:

١ - الصحاح - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري^(١): (وَأَثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي، مِنْ الْإِيثَارِ).

٢ - مفردات ألفاظ القرآن^(٢): (والإيثار للفضل ومنه: أثرته، وقوله تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ)^(٣) وقال: (تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا)^(٤) (وَبَلٌ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)^(٥).

٣ - لسان العرب^(٦): (وَأَثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي: مِنَ الْإِيثَارِ. الْأَصْمَعِيُّ: آثَرْتُكَ إِيثَارًا أَيْ فَضَّلْتُكَ).

٤ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم^(٧): (...وأما حقيقة الإيثار: فهي إثبات الأثر وتقديم ما له الفضل وانتخابه واختياره على غيره).

١ - ج ٢ ص ٥٧٥.

٢ - ص ٦٢.

٣ - الحشر ٩.

٤ - يوسف ٩١.

٥ - الأعلى ١٦.

٦ - ج ٤ ص ٧.

٧ - ج ١ ص ٣١.

المستفاد من كلماتهم هو التالي:

أولاً: إن الإيثار يأتي بمعنى التفضيل، أي تفضيل شيء على شيء أو شخص على شخص.

ثانياً: إنه يأتي بمعنى الاختيار بنحو التعيين من بين عدة خيارات وهو يرجع إلى تفضيل المختار على غيره.

ثالثاً: إن هذا الاختيار والتفضيل الحاصل من الإيثار هو أن يقدم الشخص شخصاً على آخر على نفسه أي يفضل الآخر على نفسه مراعاة لمصلحة ذلك الشخص أو التسهيل عليه.

رابعاً: إن الإيثار قد يكون من شخص ثالث بأن يختار فلاناً على فلان ويقدمه ويفضله كما هو ظاهر الآية في اختيار يوسف النبي ﷺ على أخوته وتفضيله من قبل الله تعالى عليهم (لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا) (١).
ويَتَحَصَّلُ من ذلك:

إن الإيثار: (هو تقديم مصلحة الطرف الآخر وتفضيله على النفس مراعاة له وتقديمه بمادة (مال مثلاً) أو منفعة أو حق من الحقوق، وهذا المعنى هو المراد به هنا).
وقد يقيد ذلك التعريف بالتقديم والتفضيل للآخر على النفس مع الحاجة الماسة والحاجة الملحة وهذا هو ظاهر بعض الروايات الآتية وظاهر بعض آخر أنك لا تكون مؤثراً حتى تقاسمه نصف ما تملك وتعطيه من نصفك أيضاً.
كما يأتي بمعنى اختيار أحد الأطراف لأنه أصلح وأنفع كما في اختيار الله تعالى لبعض دون آخر وتفضيلهم على الآخرين أو اختيارنا لفلان دون فلان، وليس هذا المعنى محل كلامنا.

١- يوسف: ٩١.

المبحث الثاني: الإيثار في القرآن والسنة:

أولاً: الآيات الكريمة منها:

إنَّ الآيات أشارت إلى الإيثار مرة بلفظه ومرة بمعناه:
قال تعالى: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١).

وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) (٢).

وقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ) (٣).

وقوله تعالى: (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) (٤).

وهذه الآيات تبين أنَّ الإيثار له صورة عديدة فقد يكون بالمال (المادة) أو الدعاء أو النفس، فيكون الإيثار في القرآن أوسع دائرة من الإيثار اللغوي أي بما يشمل الأمور المعنوية كالدعاء للآخرين دون النفس أو تقديم الآخرين بالدعاء لهم قبل الدعاء لنفس الشخص.

وتتضح الآيات أكثر من خلال بعض الروايات الآتية المفسرة لها.

ثانياً: الإيثار في السُّنة:

الروايات الواردة في الإيثار كثيرة نذكر بعضها مع تعليق مختصر عليها:

١ - الحشر الآية ٩

٢ - الحشر الآية ١٠

٣ - البقرة ٢٠٧

٤ - الانسان ٨

الرواية الأولى: ما رواه مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ^(١) بِإِسْنَادِهِ عَنْ جَمِيلٍ فِي حَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَنْ عَزُرَ أَصْحَابِي قَالَ هُمْ الْبَارُونَ بِالْإِخْوَانِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ثُمَّ قَالَ يَا جَمِيلُ أَمَا إِنَّ صَاحِبَ الْكَثِيرِ يَهُونُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَقَدْ مَدَّحَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ صَاحِبَ الْقَلِيلِ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٢).

بيان الرواية:

الرواية الشريفة تبين أن البر بالأخ صورة من صور الإيثار وأن هذا الإيثار يعظم ويكبر إذا كان المؤثر مقللاً وليس بمكثر تطبيقاً للآية الشريفة للإيثار.

الرواية الثانية: عن أَنَسِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ جَمِيعاً عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام فِي وَصِيَّةِ النَّبِيِّ عليه السلام لِعَلِيِّ عليه السلام قَالَ: (يَا عَلِيُّ ثَلَاثٌ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ وَإِنصَافُكَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَبَدَلُ الْعِلْمِ لِلْمُتَعَلِّمِ)^(٣).

بيان الرواية:

هذه الرواية تجعل الانفاق عن حاجة (وهو الإيثار) من الصفات الكاشفة عن حقيقة الإيمان والتدين، فالمؤثر غيره على نفسه في الانفاق قد كسب صفة الإيمان حقيقة.

الرواية الثالثة: موثقة عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: (سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ الرَّجُلِ لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا قُوَّةُ يَوْمِهِ أَوْ يَعْطِفُ مَنْ عِنْدَهُ قُوَّةُ يَوْمِهِ عَلَى مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ وَيَعْطِفُ مَنْ عِنْدَهُ قُوَّةُ شَهْرٍ عَلَى مَنْ دُونَهُ وَالسَّنَةُ عَلَى نَحْوِ

١ - وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٢٩

٢ - الحشر الآية ٩

٣ - الخصال ج ١ ص ١٢٥

ذَلِكَ أَمْ ذَلِكَ كُلُّهُ الْكَفَافُ الَّذِي لَا يُيْلَمُ عَلَيْهِ فَقَالَ هُوَ أَمْرَانِ أَفْضَلُكُمْ فِيهِ
أَحْرَضُكُمْ عَلَى الرَّغْبَةِ وَالْأَثَرَةِ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (١) - وَالْأَمْرُ الْآخَرُ لَا يُيْلَمُ عَلَى الْكَفَافِ وَالْيَدُ
الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَإِنْدَاءُ بَمَنْ تَعُولُ (٢).

بيان الرواية:

الرواية تخير بين الإيثار مع الحاجة أو الكفاف ولكن تعطي ميزة وفضل للذي
يحرص على الإيثار وتقديم غيره على النفس تطبيقاً للآية الشريفة وتقديمها
لفضل اليد العليا التي تنفق على اليد السفلى.

الرواية الرابعة: عن عَلِيِّ بْنِ سُؤَيْدِ السَّائِيِّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ:
(قُلْتُ لَهُ أَوْصِنِي فَقَالَ أَمْرُكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ثُمَّ سَكَتَ فَسَكَوتُ إِلَيْهِ قَلَّةٌ ذَاتِ يَدَيْ
وَقُلْتُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَرِيتُ حَتَّى بَلَغَ مِنْ عُرْبِي أَنَّ أَبَا فَلَانٍ نَزَعَ ثَوْبَيْنِ كَانَا عَلَيْهِ
فَكَسَانِيهِمَا فَقَالَ صُمْ وَتَصَدَّقْ فَقُلْتُ أَتَصَدَّقُ مِمَّا وَصَلَنِي بِهِ إِخْوَانِي وَإِنْ كَانَ
قَلِيلًا قَالَ تَصَدَّقْ بِمَا رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَوْ أَثَرَتْ عَلَى نَفْسِكَ) (٣).

بيان الرواية:

في هذه الوصية أمر بالإيثار ولو بلغ الأمر بأن تبقى بثوب واحد حتى لو كان
ذلك الثوب قد تصدق به عليك غيرك، وهذا التصدق من باب إيثار غيرك
على نفسك.

الرواية الخامسة: عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنِ أَحَدِهِمَا عليه السلام قَالَ: (قُلْتُ لَهُ أَيُّ الصَّدَقَةِ

١ - الحشر الآية ٩

٢ - وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٣١

٣ - المصدر نفسه ج ٩ ص ٤٣١.

أَفْضَلُ قَالَ جُهْدُ الْمُقَلِّ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) ^(١) - تَرَى هَاهُنَا فَضْلًا ^(٢).

بيان الرواية:

إنَّ جهد المقل - كما في النهاية وغيرها أي قدر ما يحتمله حال القليل المال -
وهو افضل الصدقة ولعل علة افضليته؛ لأنه انفاق بإيثار بل هو الإيثار المالي
بعينه.

الرواية السادسة: عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قلت: (أخبرني
عن حق المؤمن على المؤمن؟ فقال: «يا أبان، دعه لا ترده»). قلت: بلى جعلت
فذاك، فلم أزل اردد عليه، فقال: «يا أبان، تقاسمه شطر مالك» ثم نظر إلي
فرأى ما دخلني، فقال: «يا أبان، ألم تعلم أن الله عز و جل قد ذكر المؤثرين
على أنفسهم؟» قلت: بلى جعلت فذاك فقال: «إذا قاسمته، فلم تؤثره بعد، إنما
أنت و هو سواء، إنما إذا أعطيته من النصف الآخر» ^(٣).

بيان الرواية:

وهذا الرواية تضيف مقياسا للإيثار لم تشر اليه الآيات والروايات ولا اللغة
وهو أنَّ الإيثار لا يصدق إلا بأن تعطي نصف ما عندك وزيادة، فلو كنت
تملك الف دينار واعطيت نصفه فقط فانك منفق وليست مؤثراً حتى تعطي
نصفك او بعض نصفك فتكون مؤثراً.

الرواية السابعة: الشيخ في (أماليه) باسناده حدثنا عاصم بن كليب، عن أبيه،

١ - الحشر الاية ٩

٢ - وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٣٢.

٣ - المصدر نفسه ص ٤٢٧.

عن أبي هريرة، قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله ﷺ إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلا الماء. فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا الرجل الليلة؟» فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنا له يا رسول الله، فأتي فاطمة عليها السلام فقال لها: «ما عندك يا ابنة رسول الله؟» فقالت: «ما عندنا إلا قوت الصبية، لكننا نؤثر ضيفنا». فقال علي عليه السلام: «يا ابنة محمد، نومي الصبية، وأطفئي المصباح» فلما أصبح علي عليه السلام غدا على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فلم يبرح حتى أنزل الله عز وجل: «وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١).

بيان الرواية:

هذه الرواية تبين الحال التي كان يعيشها النبي الاعظم ﷺ من الفقر المدقع مواساة للأمة في فقرها وتقديراً لنفسه بضعفة الناس كيلا يتبغ بالفقر فقره، وتبين سبب نزول آية الإيثار وانها نزلت في علي وآل علي عليه السلام بعد أن آثروا غيرهم بكل ما يملكون من طعام وأناموا صبيتهم جوعاً لكي تشبع بطون الفقراء، وهنا نقول لأنفسنا أين نحن من علي وآل علي عليه السلام؟

الرواية الثامنة: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (أوتي رسول الله ﷺ بمال وحلل، وأصحابه حوله جلوس، فقسمه عليهم حتى لم يبق منه حلة ولا دينار، فلما فرغ منه جاء رجل من فقراء المهاجرين وكان غائباً، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: أيكم يعطي هذا نصيبه ويؤثره على نفسه؟ فسمعه علي عليه السلام فقال: نصيبي. فأعطاه إياه، فأخذه رسول الله ﷺ فأعطاه الرجل، ثم قال:

١ - المصدر ص ٤٦٢.

يا علي، إن الله جعلك سباقاً للخير^(١)، سخاء بنفسك عن المال، أنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، والظلمة هم الذين يحسدونك ويبغون عليك ويمنعونك حقك بعدي^(٢).

بيان الرواية:

وهذه الرواية تبين أيضاً ما يتميز به أمير المؤمنين عن كل الباقين من إثارة غيره على نفسه، وفيها بيان لعظيم منزلته التي خصه الله بها من بين الباقين.

الرواية التاسعة: عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالسا ذات يوم وأصحابه جلوس حوله، فجاء علي عليه السلام وعليه سمل ثوب متخرق عن بعض جسده، فجلس قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، فنظر إليه ساعة ثم قرأ: (وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أما إنك رأس الذين نزلت فيهم هذه الآية وسيدهم وإمامهم. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: أين حلتك التي كسوتكها يا علي؟ فقال: يا رسول الله، إن بعض أصحابك أتاني يشتكي عريه وعري أهل بيته، فرحمته وآثرته بها على نفسي، وعرفت أن الله سيكسوني خيراً منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقت أما إن جبرئيل قد أتاني يحدثني أن الله اتخذ لك مكانها في الجنة حلة خضراء من إستبرق، وصنفتها من ياقوت وزبرجد، فنعم الجواز جواز ربك بسخاوة نفسك وصبرك على شملتك هذه المنخرقة، فأبشر يا علي. فانصرف علي عليه السلام فرحاً مستبشراً بما أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله^(٣).

١ - في المصدر: للخيرات.

٢ - بحار الانوار ج ٣٦ ص ٦٠.

٣ - المصدر والصفحة.

بيان الرواية:

هذه الرواية تحكي إيثار علي (عليه السلام) في حوادث متكررة فكانت هذه الصفة من الصفات التي امتاز بها - وكل صفاته جميلة - وتسلب الضوء على ما للمؤثر من فضل عظيم وجزاء أخروي جليل جزاء بما اعطى وبذل.

الرواية العاشرة: قَالَتْ عَائِشَةُ: (مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَةً حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَلَوْ شَاءَ لَشَبِعَ وَلَكِنَّهُ كَانَ يُؤْتِرُ عَلَى نَفْسِهِ)^(١).

بيان الرواية:

هذه الرواية تبين إيثار رسول الله ﷺ بهاله وطعامه وما يملك للفقراء بحيث أن الإيثار أصبح سمة غالبية لكل حياته من اولها الى آخرها فلم تستهوه الدنيا بالرغم من أنه سيّد الخلق، فكان كما عبّر الأمير (عليه السلام): (قَضِمَ الدُّنْيَا قَضِمًا وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحًا وَأَخْصَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا عَرَضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا... وَلَقَدْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْلِسُ جَلْسَةَ الْعَبْدِ وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ)^(٢)، وهذا مما جعل الرسول الأعظم ﷺ هو أعظم الخلق أجمع فلا يدانية نبي مرسل ولا ملك مقرب وهذا ما نطقت به الرواية الآتية:

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ مُوسَى: (يَا رَبِّ أَرِنِي دَرَجَاتِ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ قَالَ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أُرِيكَ مَنْزِلَةً مِنْ مَنَازِلِهِ جَلِيلَةً عَظِيمَةً فَضَّلْتُهُ بِهَا عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِي قَالَ فَكَشَفَ لَهُ عَنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ فَنَظَرَ إِلَى مَنْزِلِهِ كَادَتْ تَتَلَفُ نَفْسُهُ مِنْ أَنْوَارِهَا وَقُرْبِهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ يَا رَبِّ بِهَا ذَا بَلَّغْتَهُ إِلَى هَذِهِ الْكِرَامَةِ قَالَ بِخُلُقِي اخْتَصَصْتُهُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ وَهُوَ الْإِيثَارُ يَا مُوسَى لَا

١ - مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٢.

٢ - نهج البلاغة.

يَأْتِينِي أَحَدٌ مِنْهُمْ قَدْ عَمِلَ بِهِ وَقْتًا مِنْ عُمْرٍ إِلَّا اسْتَحْيَيْتُ مِنْ مُحَاسَبَتِهِ وَبَوَّأْتُهُ مِنْ جَنَّتِي حَيْثُ يَشَاءُ^(١).

لذا كان علي عليه السلام سيّد الإيثار بعد النبي صلى الله عليه وآله فما تردد أن يوثر حتى بحياته لأجل الإسلام ونبى السلام، وهذا ما استفاض نقله عن الرواة والمورخين: (وَبَاتَ عَلِيٌّ بِنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى جَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ إِنِّي آخَيْتُ بَيْنَكُمَا وَجَعَلْتُ عُمْرَ الْوَاحِدِ مِنْكُمَا أَطْوَلَ مِنْ عُمْرِ الْآخَرَ فَأَيُّكُمَا يُؤْتِرُ صَاحِبَهُ بِالْحَيَاةِ فَاخْتَارَ كِلَاهُمَا الْحَيَاةَ فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمَا أَلَّا كُنتُمَا مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام آخَيْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِهِ يَفْدِيهِ بِنَفْسِهِ فَيُؤْتِرُهُ بِالْحَيَاةِ اهْبِطَا إِلَى الْأَرْضِ فَاحْفَظَاهُ مِنْ عَدُوِّهِ فَكَانَ جَبْرِئِيلُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَمِيكَائِيلُ عِنْدَ رِجْلَيْهِ وَجَبْرِئِيلُ يُنَادِي بَخْ بَخْ مَنْ مِثْلُكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ يُبَاهِي اللَّهُ بِكَ الْمَلَائِكَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رُؤُفٌ بِالْعِبَادِ^(٢)).

فكان الإيثار السمة الأبرز عند آل البيت عليهم السلام وفي حياتهم عشرات بل مئات الحوادث التي آثروا بها الآخرين على أنفسهم، ولم يقتصر الإيثار على الدائرة الأولى (النبي والزهراء والائمة الاثني عشر) بل تعدى إلى أبنائهم وبناتهم، ولعل العباس عليه السلام أبرزهم إيثاراً وسنقف على صورة من إيثاره في مبحث لاحق.

١ - مجموعة ورام ج ١ ص ١٧٣

٢ - المصدر والصفحة.

المبحث الثالث:

أثر الإيثار في منظومة الأخلاق:

إنَّ تكوين منظومة الأخلاق عند الفرد المؤمن تعد من أهم ما يقع على عاتقه، فالأخلاق مع العقيدة والفقہ تشكل البنى الأساسية للفرد والتي بدونها لا يكون مومناً حقيقياً، فلا بد من عقيدة حقة وسلوك مستقيم طبقاً لمنظومة الفقہ والأخلاق.

والإيثار يعد من أهم الفضائل التي تشكل منظومة الاخلاق والسلوكيات وتحفز للعلو بالدرجات ونيل المكرمات، وهذا ما بينته الروايات، منها ما مر وما سيأتي.

ولعل أبرزها ما يلي:

الأوّل: ان الإيثار من أعظم ما يرفع درجه الإنسان عند ربه وان أكثرنا إيثاراً أكثرنا درجة عند الله، لذا كان النبي الأعظم ﷺ وعلي عليه السلام هم أعظم الخلق أجمعين لأنهم أشد الخلق إيثاراً كما اتضح من روايات سابقة، لذا ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام (الإيثار أعلى المكارم)^(١) و(الإيثار أشرف الكرم)^(٢) الثاني: إنَّ الإيثار من أعلى درجات التعبُّد لله تعالى، لذا ورد في الرواية (الإيثار أفضل عبادة وأجل سيادة)^(٣)

الثالث: إنَّ الإيثار كاشف عن درجة الايمان وأنَّ الإنسان الأشد إيثاراً أشد إيماناً، وهذا واضح في الروايات، منها: (الإيثار أعلى الايمان)^(٤).

١ - علي بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (لليثي).

٢ - المصدر نفسه .

٣ - المصدر نفسه .

٤ - في الغرر ٩٥١: الإحسان.

الرابع: إن الإيثار من أهم أسباب المغفرة التي يطلبها الجميع، لذا ورد في الرواية: (أَيُّمَا أَمْرٍ اشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ وَآثَرَ عَلَى نَفْسِهِ غُفِرَ لَهُ).

الخامس: إن المكارم لا تتم إلا بأسباب ومن أسبابها هو الإيثار، لذا ورد: (لَا يَكْمُلُ الْمَكَارِمُ إِلَّا بِالْعَفَافِ وَالْإِيثَارِ)^(١).

السادس: إن الإيثار عمل تُنال به الجنة كما ورد في الروايات منها: ما في تفسير الصافي^(٢) قال: (وفي المجمع اشترى عليٌّ ثوباً فأعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة ومن أحب شيئاً فجعله الله قال الله يوم القيامة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنة)^(٣).

وفي الكافي^(٤) عن مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَنَّةً لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ حَكَمَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْحَقِّ وَرَجُلٌ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ وَرَجُلٌ آثَرَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ).

السابع: لا يكون المؤمن متوكلاً بحق إلا بالايثار:

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: (أَنَّهُ رَأَى يَوْمًا جَمَاعَةً فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ مُتَوَكِّلُونَ فَقَالَ مَا بَلَغَ بِكُمْ تَوَكُّلَكُمْ قَالُوا إِذَا وَجَدْنَا أَكْلَنَا وَإِذَا فَقَدْنَا صَبْرَنَا فَقَالَ عليه السلام هَكَذَا يَفْعَلُ الْكِلَابُ عِنْدَنَا فَقَالُوا كَيْفَ نَفْعَلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ كَمَا نَفَعَلُهُ إِذَا فَقَدْنَا شُكْرَنَا وَإِذَا وَجَدْنَا آثَرْنَا)^(٥).

١- علي بن محمد، عيون الحكم و المواعظ (لليثي).

٢- ج ١ ص ٣٥٥.

٣- محمد محسن بن شاه مرتضى، تفسير الصافي.

٤- ج ٣ ص ١٧٨.

٥- مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ٧ ص ٢١٧.

الثامن: من كان مؤثراً كان مودياً لحقوق المؤمنين:
في مستدرك الوسائل عن سبط الشيخ الطبرسي في مشكاة الأنوار، عن
الصادق عليه السلام: (أَنَّهُ سُئِلَ مَا أَذْنَى حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ قَالَ أَنْ لَا يَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِ بِمَا
هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْهُ)^(١).

التاسع: إن الإيثار من الصفات الأبرار.

في مستدرك الوسائل عن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ التَّحَمُّلَ
عَلَى الْأَبْرَارِ فِي كِتَابِ اللَّهِ قِيلَ وَمَا التَّحَمُّلُ قَالَ إِذَا كَانَ وَجْهَكَ آثَرَ مِنْ وَجْهِهِ
الْتَمَسْتَ لَهُ وَقَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ
خَصَاصَةٌ وَقَالَ لَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنْكَ)^(٢).

هذه بعض آثار الإيثار ولعل المتتبع يجد آثاراً أخرى من خلال استقراء تام
للمنصوص.

١ - مستدرك الوسائل ج ٧ ص ٢١٢.

٢ - المصدر نفسه .

المبحث الرابع:

العباس عليه السلام مدرسة الإيثار في واقعة الطف:

من أبرز شخصيات واقعة الطف بعد الإمام الحسين عليه السلام هي شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام بالرغم من وجود شخصيات فذة وكبيرة، فكان بحق وزير الحسين في مشروع كربلاء، وهذا التميز لم يكن نابغاً من كون العباس أخاً للحسين فقط بل لتميّز العباس بصفات قل نظيرها جعلته بهذا التميز وهذه الصفات كما عبر بعض اساتذتنا: (اصطفائية وليس عصبية عشائرية بشرية عرقية عنصرية)^(١).

فكان شجاعاً قوياً صلب الإرادة نافذ البصيرة، كما وصفه الإمام الصادق عليه السلام فقد روى أبو عمر البخاري عن المفضل بن عمر، أنه قال: قال الصادق عليه السلام: (كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة صلب الايمان جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً)^(٢).

ولكن يبقى هناك شيء كان له الأثر الأوضح في هذا التميّز، إلا وهي صفة الإيثار حيث آثر بنفسه وبشبابه وبأخوته وبعطشه، ففدى بنفسه نفس الحسين عليه السلام وبعطشه عطش الحسين عليه السلام... فكان مدرسة للإيثار تتعلم منه الأجيال دروساً وعبراً.

فإن الإيثار له أصناف ودرجات فقد يؤثر الانسان بالدعاء والعبادة بأن يُقدّم الدعاء للناس على الدعاء للنفس كما كان دأب الزهراء عليها السلام، أو يُؤثر الآخرين بالمال كما ذكرنا ذلك في الروايات المتقدمة، ومنها الإيثار بالنفس كما

١ - الشيخ الاستاذ محمد السند في كتابه الدائرة الاصطفائية الثانية.

٢ - شرح الاخبار ج ٣ ص ١٩١.

فعل أبو الفضل العباس عليه السلام.

والإيثار بالنفس يعد من أعلى درجات الإيثار والجود كما عبر الشاعر:

يجود بالنفس إذ ظنَّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود
فالعباس عليه السلام جادٌ عدَّةَ مرات، جادٌ على نفسه إذ لم يشرب الماء لأنه تذكَّرَ عطش
الحسين كما سنذكر، وجادَ بنفسه عندما نزل للمعركة فداءً للحسين.

وبالرغم من وجود من أثر بنفسه في كربلاء كما دلَّت كلماتهم وهذه جملة من
كلماتهم:

أولاً: كلمة أهل بيته والتي يقولون فيها: لم نفعل لنبقى بعدك لا أرانا الله ذلك
أبدًا.

ثانياً: كلمة بني عقيل والتي يقولون فيها: لا والله لا نفعل تفديك أنفسنا
وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

ثالثاً: كلمة مسلم بن عوسجة والتي يقول فيها: أما والله لا أفارقك حتى أكسر
في صدورهم رمحي وأضرُّهم بسيفي ما ثبت قائمُه في يدي، ولا أفارقك ولو
لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفُتُّهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

رابعاً: كلمة سعد بن عبد الله الحنفي والتي يقول فيها: والله لو علمتُ أني أُقتلُ
ثم أحيا ثم أُحرقُ حيًّا ثم أُذرُّ يُفعلُ ذلك بي سبعين مرةً ما فارقتك حتى ألقى
حامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلةٌ واحدةٌ ثم هي الكرامة لا
انقضاء لها أبدًا.

خامساً: كلمة زهير بن القين والتي يقول فيها: والله لو ددت أني قُتلتُ ثم
نُشرتُ ثم قُتلتُ حتى أُقتلُ كذا ألف قتلةٍ وأن الله يدفعُ بذلك القتل عن

نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك .

سادساً: كلمة جماعة من أصحابه والتي يقولون فيها: والله لا نُنْفَرُكَ، ولكن أنْفُسَنَا لك الفداء تقيك نحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قُتِلْنَا كُنَّا وفينا وقضينا ما علينا.

سابعاً: كلمة بشر الحضرمي والتي يقول فيها: أكلتني السباع حياً إن فارقتك. ثامناً: كلمة نافع بن هلال والتي يقول فيها: ثكلتني أُمِّي، إن سيفي بألفٍ وفرسي مثله، فو الله الذي مَنَّ بِكَ عَلَيَّ لا فارقتك حتى يكلا من فري وجري. تاسعاً: كلمة القاسم بن الحسن عليه السلام لما قال له الحسين عليه السلام يا بني كيف الموت عندك؟ قال: يا عم فيك أحلى من العسل.

وغيرها من كلماتهم.

ولكن يبقى العباس هو الأكثر إثارةً من بينهم.

وإليك جُملة من الروايات الدالة على عظيم إثاره وتضحيته:

وقد نقلت الروايات هذا المعنى بألسن عديدة، نذكر منها:

اللسان الأوَّل: ما ورد فيها كلمة إيثار ومواساة نصاً:

الرواية الأولى في الخصال: عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَبِي صَفِيَّةٍ ^(١) قَالَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: (رَحِمَ اللَّهُ الْعَبَّاسَ - يَعْنِي ابْنَ عَلِيٍّ - فَلَقَدْ آثَرَ وَأَبْلَى وَفَدَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا جَعَلَ لَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْزِلَةٍ يَغْبِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ^(٢).

١ - هو أبو حمزة الثمالي - بضم المثناة و اسم أبيه دينار، كوفي مات في خلافة المنصور.

٢ - ابن بابويه، محمد بن علي، الخصال - ج ١ ص ٤٨

هذه الرواية واضحة في عظيم إيثار العباس عليه السلام وهي صادرة من شاهد حاضر في واقعة الطف تحكي لنا قصة إيثار وفداء قام العباس بتسطير حروفها على رمضاء كربلاء كتب فيها فداءه للحسين عليه السلام بنفسه، فحصل بذلك على مرتبة يغبطه عليها كل الشهداء، وهذا النص يعطي منزلة للعباس عليه السلام لم تعط لكل الشهداء، وهذا واضح لأن الإيثار الذي قدمه لم يقدمه غيره، وقد بينا سابقاً أن الإيثار كلما كان أكبر كانت المنزلة أعظم والمقام أعلى.

فقد وقى نفس الحسين بنفسه كما نقل عنه مرتجلاً:

نفسى لنفس الطاهر الطهر وقا

الرواية الثانية:

قال السيد ابن طاووس في الإقبال بالأعمال الحسنة: (فصل (١٤) فيما نذكره من زيارة الشهداء في يوم عاشوراء، رويها بإسنادنا إلى جدّي أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سرّه قال: حدثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عياش، قال: حدثني الشيخ الصالح أبو منصور بن عبد المنعم بن النعمان البغدادي قدس سرّه، قال: خرج من الناحية سنة اثنتين وخمسين ومائتين على يد الشيخ محمد بن غالب الأصفهاني حين وفاة أبي قدس سرّه، وكنت حديث السنّ، وكتبت استأذن في زيارة مولاي أبي عبد الله عليه السلام وزيارة الشهداء (رضوان الله عليهم)، فخرج إليّ منه ^(١): (...السَّلَامُ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُوَاسِي أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، الْأَخَذَ لِعَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ، الْفَادِي لَهُ، الْوَاقِي السَّاعِي إِلَيْهِ بِمَائِهِ،

١ - ابن طاووس، على بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة ج ٣ ص ٧٣

الْمَقْطُوعَةَ يَدَاهُ، لَعَنَ اللَّهُ قَاتِلِيهِ^(١) يَزِيدَ بْنَ الرُّقَادِ الْحَيْثِي^(٢) وَحَكِيمَ بْنَ الطُّفَيْلِ
الطَّائِي...^(٣).

فالزيارة المهذوية لعمة العباس تبين مقدار ما أثر به في واقعة الطف حيث قدم
نفسه فداءً للحسين عليه السلام ولم يشرب الماء مع مكتته منه سعيًا لأن يشرب الحسين
وآل الحسين عليهم السلام قبله رغم عظيم عطشه.
وقد نسب لأبي الفضل العباس عليه السلام شعراً بذلك.

ففي شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام: (فهزم القوم ودخل
المشركة وأراد أن يشرب الماء، فذكر عطش الحسين عليه السلام فصب الماء من يده،
ولم يشرب، وملاً القربة وخرج منها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني من بعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين شارب المنون و تشربين بارد المعين
هيهات ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين

اللسان الثاني: ما ورد من تعابير دالة على الإيثار في الزيارة الواردة في حقه:
فقد وردت مجموعة عبارات في زيارته تشير أو تشعر بالفداء العظيم والإيثار
الواضح لأخيه الحسين عليه السلام، منها:
العبرة الأولى: إيثار طاعة الله ورسوله وآله وخصوص الحسين على طاعة
نفسه وهواها:

١ - (٦) قاتله (خ ل).

٢ - (٧) في البحار: الجهني.

٣ - ابن طاووس، على بن موسى، الإقبال بالأعمال الحسنة.

٤ - ج ٣؛ ص ١٩٢

ففي كتاب المزار - (للمفيد)^(١): (وَقُلِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوَانُهُ).

العبرة الثانية: إيثار الجهاد على الراحة، والمناصحة على الخيانة، من خلال إبراز عنصر الولاء لآل الله والبراءة من أعداء الله.

ففي كتاب المزار: (أَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّكَ مَضَيْتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْمُنَاصِحُونَ لَهُ فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمُبَالِغُونَ فِي نَصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ الذَّابُونَ عَنْ أَحْبَابِهِ)^(٢).

العبرة الثالثة: المبالغة في النصيحة واعطاء غاية المجهود وترك الراحة والدعة إيثاراً منه لأخيه الحسين ونصيحة لله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ وهذه النصرة والمبالغة في النصيحة لم تكن في امر يسير بل في اعظم مشروع ديني يحفظ الاسلام حتى ظهور القائم فهو ﷺ لم يبذل المجهود بل أعطى غاية المجهود. ففي كتاب المزار: (أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَالِغْتَ فِي النَّصِيحَةِ وَأَعْطَيْتَ غَايَةَ الْمَجْهُودِ.. أَشْهَدُ لَقَدْ نَصَحْتَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَخِيكَ فَنِعْمَ الْأَخُ الْمُوَاسِي)^(٣).

العبرة الرابعة: إيثار الدفاع عن الأخ والتضحية بالنفس لأجل بقائه وإيثار نصرته والدفاع عنه في أحنك الظروف ولو كلف ذلك الحياة. ففي كتاب المزار: (فَنِعْمَ الصَّابِرُ الْمَجَاهِدُ الْمُحَامِي النَّاصِرُ وَالْأَخُ الدَّافِعُ عَنْ أَخِيهِ)^(٤).

١ - ص ١٢٢.

٢ - المصدر والصفحة.

٣ - الصفحة.

٤ - ص ١٢٤.

تتمة:

إيثار العباس في بعض الأشعار:

قد كتبت في سيدنا العباس عليه السلام آلاف الأبيات من الأشعار قديماً وحديثاً وثقت بطولاته وتضحياته ومن هذه الأشعار ما وثقت إيثاره الذي هو محل كلامنا،

نذكر منها نماذج:

النموذج الأوّل:

ما جاء في شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار عليهم السلام ^(١):

إني لأذكر العباس موقفه بكربلاء وهام القوم تختلف

يحمي الحسين ويسقيه على ظمأ ولا يولي ولا يثني ولا يقف

النموذج الثاني:

وقال شاعر آخر ^(٢):

بذلت يا عباس نفساً نفيسة بنصر حسين عزّ بالنصر من قبل

أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه فحسن فعال المرء فرع من الاصل

فأنت أخو السبطين في يوم مفخر وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل

النموذج الثالث:

وقال شاعر ثالث ^(٣):

أحق الناس أن يبكى عليه إذا ابكى الحسين بكربلاء

١ - ج ٣ ص ١٩٣.

٢ - المصدر السابق.

٣ - المصدر السابق.

أخوه و ابن والده علي أبو الفضل المضرّج بالدماء
و من واساه لا يثنيه شيء و جاء له على عطش بماء

النموذج الرابع:

حتّى حوى بحرهما الطامي فراتهم والجاري ببحر من الهنديّ ملتطم
فكفّ كفّاً من الورد المباح وفي أحشائه ضرم ناهيك من ضرم
وهل ترى صادقاً دعوى إخوته روى حشاً وأخوه في الهجير ظمي
حتّى ملا مطمئنّ الجاش قريبته ثم أنثنى مستهلاً قاصد الحرم

إلى غيرها من مئات القصائد وآلاف الأبيات.

والنتيجة:

إنَّ الإيثار صفة سامية وخصلة حميدة تدلُّ على علوِّ مقام صاحبها وارتفاع منزلته وتكشف عن وجود ملكات أخلاقية أهَّلتَه أن يحصل على هذه الصفة فلا يرى لماله أو منفعه أو نفسه قيمة إذا ما جازَ له أن يؤثر الآخرين بها ويقدمهم على مصالحه ونفسه.

وقد مثلَّ ذلك كله سيدنا العباس عليه السلام - في واقعة الطف - عندما جادَّ بكل ما يملك دفاعاً عن أخيه الحسين عليه السلام عن عقل وبصيرة ودين وكان بحق الشخصية الثانية بعد إمامه الحسين عليه السلام في واقعة الطف، فكان حامل اللواء والمواسي للعيال والنساء والمفدي روحه لسيد الشهداء عليه السلام، فسلامٌ عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

القيادة الرسالية تكوينها وتجلياتها في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام

الباحث: أ.م. حيدر محمد هناء الشلاه/العراق-بابل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تعد القيادة من المفاهيم الفعّالة والمهمّة في حياة الإنسان في كل آن ومكان لما لها من تأثير واضح على واقع حياته، فالقائد المؤمن الرساليّ الناجح بمسؤولياته، المدرك لخطورتها يترك آثاراً إيجابية على مجتمعه، ويقوده إلى الارتقاء والرفعة والسمو، إمّا القائد الظالم غير المدرك لمسؤولياته، يتسبّب في هلاك مجتمع كامل، وربّما أكثر من مجتمع. ولذا نجد القرآن الكريم أولى مسألة القيادة عناية كبيرة، وأكد عليها في موارد كثيرة لينبّه الإنسان على أهميتها وآثارها في حياته.

في ضوء ما تقدّم نشرع بالدخول إلى شخصية نحتت لها عنواناً لامعاً مشرقاً سيبقى خالداً مدى الأزمان، وتركت لها أثراً سامياً تأبى أن تحوه ذاكرة الزمان، وذلك لأنّه ذاب ذوباناً في حب خالقه واجب الوجود، فأفنى وجوده فداءً لدين الإله الواحد المعبود، فجزاه الله تعالى في الدنيا الرفعة والخلود، وأعدّ له في الآخرة المقام المحمود، أعني به سيدي ومولاي صاحب اللواء والجود، أبا الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

إنَّ عقلاء العالم اليوم، والمعنيين بشؤون التربية والتعليم يقفون عند سيرة المبدعين في المجالات كافة، فيتناولونها بالدراسة والتحليل، ليعرفوا الطريقة التي ساروا عليها، والمنهج الذي نهجوه حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، ونحن في هذا البحث، نحاول الوقوف عند قمة شء من قمم الدوحة العلوية الطاهرة التي جادت على الإنسانية بأبطال قلّ نظيرهم، وهذه القمة هي أبو الفضل العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ذلك البطل الهمام الذي ضرب لنا أروع الأمثلة في البطولة والإباء والفداء، حتى أصبح أنشودة الأحرار، ورمز الأبطال، فكان قائداً فذاً حمل أسمى مفاهيم القيادة الرسالية، وجسدها تجسيداً حقيقياً عند ساعات الابتلاء. إنَّ شخصية من هذا النوع حريّ بنا أن نوليها عناية واهتماماً كبيرين من أجل الاستفادة من تجربتها المعطاء في صنع القادة الرساليين في وقت تعيش الأمة أزمة حقيقة في هذا الميدان.

من هذا المنطلق، ولهذا السبب جاءت فكرة بحثنا الذي بنيناه من مقدمة ومبحثين، تضمّن المبحث الأول تعريف القيادة لغة واصطلاحاً، وبيان مفهوم القيادة الرسالية، وأهمّيّتها، ومقوماتها، ومن ثمّ تكوين مفاهيم القيادة الرسالية عند أبي الفضل العباس عليه السلام، أمّا المبحث الثاني فقد تضمّن تجلّيات القيادة الرسالية في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، وأنهيّا البحث بخاتمة استعرضنا فيها أهمّ النتائج، والله تعالى هو الموقّق أولاً وآخراً والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.



المبحث الأوّل

يتضمّن المبحث الأوّل بيان تعريف القيادة في اللغة والاصطلاح، ومن ثمّ تعريف القيادة الرسالية، ثمّ بيان أهمّيّة القيادة، وشروط القائد، والمسؤوليّات والوظائف العشر التي ينبغي توافرها في القائد، ومن ثمّ تكوين القيادة الرساليّة في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، وفيما يأتي بيان ذلك.

المطلب الأوّل: القيادة في اللغة والاصطلاح

أوّلاً: القيادة في اللغة:

تعرّف القيادة: بأنّها: القود نقيض السّوق، يقود الدّابّة من أمامها ويسوقها من خلفها، فالقود من أمام والسوق من خلف، وجمع قائد الخيل قادة وقوّد، وهو قائد بين القيادة، والقائد واحد القواد^(١)، وقاد الأمير الجيش قيادة فهو قائد وجمعه قادة وقواد، وانقاد انقياداً في المطاوعة^(٢).

ثانياً: القيادة في الاصطلاح:

تعرّف القيادة في الاصطلاح بأنّها: ((القدرة على التأثير في سلوك الآخرين، لحملهم على القيام بعمل ما، بغية تحقيق هدف أو أهداف متفق

١ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن أبي مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ) تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، ط ١، مطبعة دار صادر، بيروت لبنان، ٢٠٠٠، مادة قود. وينظر: القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٦هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، مصر، ١٣٧١هـ. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، ط ١، دار ومكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ١٣٠٦هـ، مادة (قود).
٢ ينظر: المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت ٧٠٧هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مطبعة المكتبة العصرية، د.ت، ج ٢، ص ٥١٨.

عليها. أو القدرة على معاملة الطبيعة البشرية، أو التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة نحو هدف مشترك بطريقة تضمن بها طاعتهم وثقتهم واحترامهم وتعاونهم^(١).

وعرّفت كذلك بأنّها: ((الجسر الذي يستعمله المسؤولون ليؤثروا في سلوك المرؤوسين وتوجهاتهم ليربطوا بين أهداف الدولة وأهداف الفرد، وهي في مجملها تحمّل مسؤولية اتجاه المجموعة)).^(٢)

أمّا القيادة الرسالية، فإنّها ذات خصوصية إذ تحدّد بجملّة خصائص، ويمكن تعريفها بأنّها: هي نيابة ووكالة عامّة عن أمور المسلمين، ويجب لمن يتصدّى لها أن يتحلّى بمجموعة من الصفات أهمّها: أن يكون متّسماً بالتقوى، وعالملاً بأمر زمانه، وشجاعاً، ومدبراً، وهذه الصفات لا يمكن التحلي بها إلا من خلال الاستلھام من سيرة النبي محمد ﷺ وآله الأطهار ﷺ، والأولياء العظام^(٣)، وهذا هو ما فعله سيدنا العباس بن علي ﷺ الذي استلھم من النبي محمد ﷺ أروع القيم، وأبل السجايا فصار نشيداً للأحرار، وقدوة للثوار، ومناراً للقيادة الأبرار.

١ ينظر: معجم مصطلحات الإدارة العامة، إبراهيم بدر شهاب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٩٨، ص٢٤٦.
٢ ينظر: القيادة في القرن الحادي والعشرين، محمد أكرم العدلوني، مطبعة قرطبة للنشر والتوزيع، السعودية - الرياض، ٢٠٠٥، ص١٨.
٣ الإدارة والقيادة في الإسلام، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مطبعة سليمان زادة، إيران - قم المقدسة، ٥١٤٣٠هـ. ص٣٦.

المطلب الثاني: أهمية القيادة:

تعد القيادة من أكثر الموضوعات ذات التأثير في أوساط المجتمعات الإنسانية، وقد دار حولها الجدل على نطاقٍ واسعٍ من حيث أهدافها ومنهجيتها الفكرية والقيمية، فيمكن للقيادة أن تستخدم لغايات إنسانية نبيلة، كما يمكن لها أن تستخدم لغايات التلاعب والتناور والقمع، لهذا يمكن القول أن التفكير في القيادة وفهمها يعد نوعاً من التحديات الفكرية المركبة الصعبة.^(١)

ويستطيع دارسو القيادة أن يتعلموا الكثير عن القيادة من خلال قراءة السيرة الذاتية لأحسن القادة وأسوأهم، وهناك فرص لا تحصى للتعلم عن القيادة التي تشحذ مهارات المتعلمين في مجال الخطابة، والحوار، والمناظرة، والتفاوض، والتخطيط.

يقول غاردنر: ((ما نتعلمه بعد أن نعرف الشيء كله هو التعلم الحقيقي، والقائد هو الذي يتعلم كيف يتدبر وقته بحكمة، وهو الذي يتعلم أن يضع جانباً روتين الكسل والتبذد والعادات التي تستعبده. القائد الذي يتعلم أن الشفقة على الذات، أو جلد الذات، والامتعاض والغيط والاستياء هي مواد سامة، القائد هو الذي يتعلم كيف يصبح حقاً مشاركاً ومهتماً بالآخرين، كما أن القائد هو الذي يعلم باستمرار بأن لديه ما يعطي أكثر مما سبق وأعطى))^(٢)

١ القيادة التربوية، كمال سليم دواني، ط ١، دار المسيرة، عمان - الأردن، ٢٠١٣، ص ١٣.
٢ المصدر نفسه، ص ١٤.

أما قوة القادة فهي تمنح لهم طوعاً من التابعين والذين يقبلون توجيهات القائد من خلال الموافقة المشتركة؛ فهؤلاء القادة يمارسون قوّة أوّمتت لهم برغبة التابعين الذين تأثروا بأفكار قادتهم وانجذبوا لها، وشاركوهم بقيمهم ومعتقداتهم، واقتنعوا بأنّ قادتهم قادرون على أن يمثلوهم بأمانة، وأن يثقوا بهم على ما تعاهدوا عليه والتزموا به.

إنّ مسألة الفرق بين قوّة القائد المستمدة من المنصب؛ والمستمدة من أتباعه تكمن في من يتحكّم بهذه القوّة. مراراً ما يكون الأتباع مصدر القوة، فهم قادرون على سحب الدعم الذي طالما منحوه لقائدهم طوعاً، كما يستطيعون أن يزيدوا من دعمهم لهم فيزداد القائد قوّة.^(١)

والقيادة ليست مجرد نمط إداري للتعامل مع الأفراد، ولا هي مجرد طريقة للتصرّف مع العاملين؛ بل هي إنّها آلية للتعامل مع الآخرين لتحقيق أهداف المنظمة.

ويتوقف إنجاز القادة لهذا العمل على كيفية تفسيرهم لمعنى القيادة، ويتحدّد معنى القيادة بنوع العلاقة القائمة بين القادة والتابعين.

وفي ضوء ما تقدّم يمكننا القول أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام كان قائداً رسالياً من الطراز الأول، فقد أجاد التعامل مع تابعيه، كما أجاد التعامل مع إمامه وأخيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

١ القيادة التربوية، ص ٢٠.

المطلب الثالث: شروط القائد:

كثرت الأبحاث النفسية والتربوية على مجموعة من القادة، من أجل تحديد مقومات القيادة، وشروط القائد الناجح، وهناك مجموعة من الشروط التي ينبغي توافرها في القائد، ومن أهمها:

الإيمان بالهدف: ومعنى ذلك أن القائد قبل كل شيء يجب أن يكون مؤمناً بدينه، وعقيدته إيماناً عميقاً لأن ذلك هو الباعث الحقيقي لأداء التكاليف الملقاة على عاتقه.^(١)

العلم والقدرة: إن المراد من العلم هنا ما يتناغم وينسجم مع عمل المدير والقائد ويؤثر في تديره وقيادته بشكلٍ حاسم، وقسم من هذين الامتيازين المهتمين ذاتي في الإنسان، وقسم يكتسب من خلال التجربة.

الأمانة والصدق: لا تنحصر الأمانة في حفظ الأموال بل الأمانة في كل مقام ومنصب تعد أيضاً مصداقاً لهذا المفهوم الواسع للأمانة، فالأمين في هذا المورد هو الذي يحافظ على أسرار مؤسسته والتشكيلات التي تحت يديه.^(٢)

الدافع: ويتضمن الإنجاز، والطموح، والطاقة، والقدرة على التذكر، والمبادرة.

دافعية القيادة: أظهرت الدراسات أن لدى القادة نوعين من الدافعية نحو القيادة، وكلاهما يتعلّقان بالهيمنة كصفة قيادية، فتارة تكون الهيمنة قوة دافعية شخصية، وأخرى قوة دافعية اجتماعية، فالذين يحملون القوة

١ ينظر: الإدارة والقيادة في الإسلام، ص ١١٥.

٢ المصدر نفسه، ص ١١٨.

الدافعية الشخصية يبحث عن القوة بحد ذاتها، فهؤلاء الأشخاص يستخدمون القوة من أجل الهيمنة على الآخرين، وربما يعزى ذلك إلى الشك وعدم الثقة بالنفس، أما صفة القوة الدافعية الاجتماعية، فهو الذي يستخدم القوة كوسيلة لإنجاز أهداف مرغوبة أو لإنجاز رؤية.^(١)

النزاهة والاستقامة: مع أن صفة النزاهة أو الصدق فضيلتان يحسن توافرها في الأفراد جميعاً، غير أن توافرها في القادة له أهميته الخاصة، فالاستقامة هي التواصل الحقيقي بين الأقوال والأفعال، كما أن النزاهة تعني الصدق وعدم الخداع، إنهما صفتان تشكلان الأساس للعلاقة القائمة على الثقة بين القائد والأتباع.

الثقة بالنفس: تأتي أهميّة الثقة بالنفس، من أهميّة القرارات الحاسمة التي تتطلب ثقة عالية من القائد بنفسه.

الاستقرار العاطفي: من صفات القائد المهمّة أن يكون متوازناً بمزاجه وانفعالاته، وقد وجد الباحثون في (مركز الإبداع القيادي) أن القادة غالباً ما ينحرفون عن الخط السليم عندما يفتقرون إلى الثبات العاطفي.^(٢)

إنّ التأمل والتدبّر فيما مضى من الشروط التي ينبغي توافرها في القائد الناجح - كما توصّل إليها علماء النفس والتربية - نجدها وغيرها تتجلى بأبهى صورها في شخصيّة سيدنا أبي الفضل العباس (عليه السلام)، فقد كان مؤمناً إيماناً مطلقاً بهدفه، وعالمًا به قادراً على تطبيقه، وكان على أعلى درجات الأمانة والصدق، فلم يهن

١ القيادة التربوية، ص ٣٩.

٢ المصدر نفسه، ص ٤٠.

ولم ينكل، وكان لديه دافعاً كبيراً، ودافعية عالية لتحقيق هدف، والذود عن
حمى الإسلام، وكان في قمة النزاهة، والثقة بالنفس، والاستقرار العاطفي،
بل إنه استثمر العاطفة الجياشة في بلوغ الهدف، فعندما استمالوه الأطفال
والنساء جلب الماء إلى المخيم تأثر لذلك بشدة، فكانت نتيجة تأثره أن شدّ
عزيمته، وهجم على أعدائه، فأزالهم وفتك بهم.

المطلب الرابع: المسؤوليات والوظائف العشر التي ينبغي توافرها في القائد:

يمكن القول أن هناك عشر وظائف أساسية للمدير، هي:

اتخاذ القرار: يجب على المدير قبل كل شيء، ومن أجل المهام والوظائف الملقاة على عاتقه، أن يضع القرارات التي ينبغي العمل بها لتساعده على تحقيق هدفه والوصول إلى مقصوده، ولذا لا بد له من الاستعانة بالمعلومات والخبرات السابقة، وكذلك الاستعانة بالمشورة.^(١)

البرمجة والتخطيط: بعد مرحلة اتخاذ القرار، تبدأ مرحلة التنفيذ والممارسة الميدانية، وهي مرحلة الحاجة إلى التخطيط، فبدون عملية التخطيط لا يمكن الدخول إلى ميدان الممارسة والعمل.

التنظيم: الهدف من التنظيم تقسيم العمل في مجموعة من النشاطات بحيث يضمن تنظيم الأمور، ومن أجل إنجاح عملية التنظيم ينبغي الأخذ بأشكال التخصص العلمي والعملي، والالتزام الأخلاقي وسائر العناصر التي تدخل في عملية إنجاح المشروع.

إيجاد الانضباط والتنسيق: يجب أن يكون القائد أو المدير قادراً على التنسيق وإيجاد الانضباط بين مفاصل المكان الذي يقوده أو يديره، وذلك من خلال الحفاظ على علاقته مع أفراد الدائرة والذين يعملون تحت إمرته، ويعمل على تقوية هذه العلاقة بشكل مباشر أو غير مباشر، فهو يملك دور المنسق، ولا يمكن أن يتغافل عن هذا الدور المهم، لأن وجود أفراد جيدين ومفردات

١ القيادة التربوية، ص ٢٨

جيدة لا يعني النجاح الأكيد، فالمهم هو إيجاد التنسيق والترتيب الصحيح والمتجانس بين هذه المفردات، وهذا هو الذي يضمن نجاح العمل. إيجاد المحرّك والدافع.

التفكير بالحل للمشاكل والحوادث غير المتوقعة.

تقييم عوامل النجاح والإخفاق ودراساتها.

جمع المعلومات والإحصائيات.

جذب العناصر الصالحة.

عنصر التشويق والتوبيخ.^(١)

كما توافرت في أبي الفضل العباس عليه السلام شروط القائد الناجح بأبهى صورها، فإنّ مسؤوليات القيادة ووظائفها تجلّت بشخصيته المباركة بأروع مناظرها، وتفصيل ذلك يأتي في المبحث الثاني.

١ القيادة التربوية، ص ٤٧-٥٢.

المطلب الخامس: تكوين القيادة الرسالية في شخصية أبي الفضل العباس (عليه السلام):

لم تتكوّن الشخصية القيادية عند سيدنا أبي الفضل العباس (عليه السلام) بنحو عفوي، أو بصورة غير مقصودة، وإنما كان نتيجة لمشروع إلهي مدروس بعناية كبيرة، وهذا أمر مصرّح به وثابت تاريخياً، وكان لهذا المشروع مراحل عدة ساهمت هذه المراحل جميعها فيما بعد في تكوين هذه الشخصية وإعدادها إعداداً محكماً لتؤدّي الدور الرسالي المرسوم لها فيما بعد، وفيما يأتي نحاول الوقوف عند كلّ مرحلة من هذه المراحل لتحليلها، ومعرفة أثرها من أجل الاستفادة منها.

المرحلة الأولى: قبل الولادة:

يؤكد علماء التربية على عاملين أساسيين يؤثران تأثيراً كبيراً في تكوين شخصية الفرد، وهذان العاملان هما الوراثة والبيئة، وقد تهبأ هذان العاملان بأروع صورهما في شخصية أبي الفضل العباس بن علي (عليه السلام).

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي الأري والأرقى، فمن ناحية أبيه سيّد الوصيّين، والعامرية فمن ناحية أمّه أمّ البنين. من هنا ظهر العامل الوراثي^(١) متألقاً لديه في الأبوين كليهما، أمّا من جهة الأب فإنّ للعباس (عليه السلام) نسباً يغبطه عليه سائر الخلق فهو العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي

١ عرّف الوراثة بأنّها ميل طبيعي في الفرع لمشابهة أصله في تكوينه الجسماني، وفي وظائف أعضائه. (الفكر التربوي في الإسلام (دراسة مقارنة)، باقر شريف القرشي، ط ١، مطبعة شريعت، إيران - قم المقدسة، ١٤٢٧هـ. ص ٥٩.

بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.^(١) امتلك والده صفات لم توجد ولن توجد في شخص غيره ما خلا رسول الله ﷺ فهو وصي رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه، وزوج حبيته، وهو أول من آمن بالله تعالى، وصدّق رسوله، وكان منه بمنزلة هارون من موسى، وهو بطل الإسلام، والمنافع الأول عن كلمة التوحيد، وقد قاتل الأقربين والأبعدين من أجل نشر رسالة الإسلام وإشاعة أهدافه العظيمة بين الناس، وقد تمثلت بهذا الإمام العظيم جميع فضائل الدنيا، فلا يدانيه أحد في فضله وعلمه، وهو بإجماع المسلمين أثرى شخصية علمية في مواهبه وعبقرياته بعد الرسول محمد ﷺ، وهو غنيّ عن البيان والتعريف، فقد استوعبت فضائله ومناقبه جميع لغات الأرض... ويكفي العباس شرفاً وفخراً أنّه فرع من دوحة الإمامة، وأخ لسبطي رسول الله ﷺ.^(٢) وهذه المحاسن كلها كان للعباس رضي الله عنهم نصيب وافر منها بحكم العامل الوراثي، فأسهمت إسهاماً كبيراً في تكوين الشخصية القيادية ذات البعد الرساليّ.

وأما من جهة الأمّ تنتمي السيدة أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية إلى أسرة عربية أصيلة عرفت بالصّبر والشّجاعة والثّبات، فإنّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، جدّ ثمامة والدة أم البنين، وهو الجدّ

١ أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (١٣٧١هـ)، ج٧، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان - بيروت، ١٩٨٣ م. ص ٤٢٩.

٢ العباس بن عليّ عليهما السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ٣، د. ط، د. ت. ص ١.

الثاني لأمّ البنين، قيل له: ملاعب الأُسنة، لفروسيته وشجاعته، لقّبه بذلك حسان لما رآه يقاتل الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال: ما هذا إلاّ ملاعب الأُسنة. وقيل: إنّ أوس بن حجر قال فيه:

فَرَّاحٌ لَهُ حُظُّ الْكُتَائِبِ أَجْمَعُ يَلْعَبُ أَطْرَافَ الْأُسْنَةِ عَامِرٌ^(١)

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو عمرة، الجدّة الأولى لأمّ البنين، كان عامر أسود أهل زمانه، وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة، وأبعدها اسماً، ومنهم عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب، والد كبشة، الجدّة الثانية لأمّ البنين، كان وقاداً على الملوك، وله قدر عندهم، ومن هنا سُمّي الرّحال، وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كلّ عام إلى سوق عكاظ، فقتله البراض بن قيس الكناني واستاق العير، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف وقيس. ومنهم الطفيل، فارس قرزل، وهو والد عمرة، الجدّة الأولى لأمّ البنين، كان معروفاً بالشجاعة والفروسيّة، وهو أخو ملاعب الأُسنة، وربّعة وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأُمهم: أمّ البنين.^(٢) كل هؤلاء الفرسان الشجعان هم من أسرة أمّ البنين وقد عرفوا بالنزعات الكريمة، والصفات الرفيعة، وبحكم قانون الوراثة فقد انتقلت صفاتهم الشريفة إلى نسلها الطيّب.

١ الأُمالي، السيد أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط ١، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران - قم المقدسة، ١٩٠٧م. ص ١٣٧.

٢ الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، ج ١، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط ١، المطبعة العلمية، إيران - قم، ١٤٠٩هـ. ص ٣٣.

تزوَّج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة بنت حزام العامرية، بعد وفاة الصديقة سيِّدة النساء كما يراه بعض المؤرِّخين^(١)، أو بعد أن تزوَّج بأمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يراه البعض الآخر^(٢).

وتشير المصادر التاريخية أنَّ الإمام علياً عليه السلام قبل زواجه من فاطمة بنت حزام الكلبيَّة، أفصح عن سبب هذا الزواج صراحة إذ قال لأخيه عقيل، وهو يكلفه باختيار زوجة له: « أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ; لأتزوَّجها، فتلد لي غلاماً فارساً »^(٣)

وهذا السبب يظهر بوضوح أنَّ الإمام علياً عليه السلام أراد الزواج ليرزق بغلام فيه صفة الشجاعة والفروسية، ليكون فيما بعد ناصراً لأخيه الحسين عليه السلام في معركة كربلاء، وهنا جاءت نصيحة أخيه عقيل، بناء على طلب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: ((أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلبيَّة، فإنَّه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس))^(٤)

وفعلاً تمَّ زواج هذه المرأة من الإمام علي عليه السلام ورزق منها العباس عليه السلام وإخوته الثلاثة الذين كانوا في قمَّة الشجاعة والبطولة والفروسية في الدفاع

- ١ أعيان الشيعة، ج ١، ص ١٦٨.
- ٢ عقيل بن أبي طالب، الأحمدي الميجاني، تحقيق ومراجعة: مجتبي فرجي، ط ١، دار الحديث للطباعة والنشر، إيران - قم المقدسة، ١٤٢٥هـ. ص ٢٧.
- ٣ ينظر، سر السلسلة العلوية، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان أبو نصر البخاري (٣٤١هـ)، تقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ١، المطبعة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، ١٤١٣هـ. ص ٨٨. عمدة الطالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨هـ)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، ط ٢، منشورات المطبعة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، ١٩٦١م. ص ٣٥٧.
- ٤ أعيان الشيعة، ص ٣٨٩.

عن الإسلام والمسلمين، إنَّ هذه الحادثة تضعنا أمام حقيقة تربية مهمّة ينبغي لكلِّ إنسان الاستفادة منها قبل أن يقبل على الزواج، وهي البحث عن امرأة فيها وفي عائلتها الخصال الحسنة، حتى تنتقل فيما بعد إلى ذريّتها، ولذا ورد التأكيد كثيراً على البحث عن الزوجة المناسبة، منها قوله عليه السلام: « الخال أحد الضجيعين، فتخيروا لنطفكم»^(١) وهذا ما يصطلح عليه تربوياً بالعامل الوراثي الذي أكّدت عليه روايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وكذلك أكّد عليه العلم الحديث.

لقد كان زواج الإمام علي عليه السلام من أمّ البنين مشروعاً إلهياً، هدفه استمرار رسالة السماء، وهذا هو الهدف الأساس الذي ينشده الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وفي طليعة هذه الثلاثة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. الذي كان عنصراً أساسياً، وركيزة كبرى قامت عليها شريعة الله تعالى في الأرض، وساهم بكل قواه وطاقاته في حفظها واستمرارها، ومن ذلك التدبير والإعداد لمعركة العقيدة والإبلاء معركة كربلاء.

١ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري (١٢٦٦هـ)، ج٢٩، تحقيق وتعليق: محمود القوجاني، تصحيح: إبراهيم الميجاني، ط٢، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، ١٣٦٦ ش. ص ٣٧.

المرحلة الثانية: عند الولادة:

يعد أبو الفضل العباس عليه السلام أول مولود للسيدة أم البنين عليها السلام، وقد ازدهرت يثرب، وأشرقت الدنيا بولادته، وسرت موجات من الفرح والسرور بين أفراد الأسرة العلوية، فقد ولد قمرهم المشرق الذي أضاء سماء الدنيا بفضائله ومآثره، وأضاف إلى الهاشميين مجداً خالداً، وذكرأ ندياً عاطراً.

وحينما بُشِّرَ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بهذا المولود المبارك سارع إلى الدار فتناوله، وأوسعه تقبلاً، وأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، لقد كان أول صوت قد اخترق سمعه صوت أبيه رائد الإيمان والتقوى في الأرض، وأنشودة ذلك الصوت. « الله أكبر... ». « لا إله إلا الله ». وارتسمت هذه الكلمات العظيمة التي هي رسالة الأنبياء، وأنشودة المتّقين في أعماق أبي الفضل، وانطبعت في دخائل ذاته، حتى صارت من أبرز عناصره، فبنى الدعوة إليها في مستقبل حياته، وتقطّعت أوصاله في سبيلها، فكان بحق قائداً رسالياً.

وقد أفاد بعض المحقّقين أنّ أبا الفضل العباس عليه السلام وُلد سنة (٢٦ هـ) في اليوم الرابع من شهر شعبان.

وقد كانت لهذه المرحلة ملاحظها الخاصّة في تكوين القيادة الرساليّة عند أبي الفضل العباس عليه السلام، ومن أهمّها:

تسميته: بدأت ملامح القيادة الرساليّة في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام، لحظة ولادته، وذلك عندما اختار له والده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام اسماً

يتناسب مع الدور الذي ينتظره في المستقبل، فسماه (العبّاس) وقد استشفّ من وراء الغيب أنّه سيكون بطلاً من أبطال الإسلام، وسيكون عبوساً في وجه المنكر والباطل، ومنطلق البسمات في وجه الخير، وكان كما تنبأ فقد كان عبوساً في ميادين الحروب التي أثارها القوى المعادية لأهل البيت عليهم السلام، فقد دمّر كتائبها، وجندل أبطالها، وخيّم الموت على جميع قطعات الجيش في يوم كربلاء^(١). والجدير بالذكر أنّ العبّاس هو اسم من أسماء الأسد. والأسد مضرب الأمثال في الشجاعة والإقدام والقيادة. وكان لهذا الاسم أثراً بالغاً على شخصيّة أبي الفضل العبّاس القيادية فيها بعد.

وهنا ينبغي الإشارة إلى ضرورة العناية باختيار اسم مناسبٍ يُعطي من شأن أبنائهم، ويرسم لهم ملامح الإبداع والتميّز كما صنع أمير المؤمنين عليه السلام مع أبنائه الكرام عليهم السلام.

تقبيل الإمام علي عليه السلام يدي أبي الفضل العبّاس عليه السلام:

يمثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الأنموذج الأرقى في تاريخ البشرية في شتى المجالات والميادين الحياتية، ومنها ميدان التربية، فلم يكن يخلف الأبناء لإشباع شهوة، أو لإرضاء غريزة، وإنّما كانت لديه أهداف نبيلة يروم تحقيقها من وراء إنجاب الذرية التي عرفت فيما بعد بأفضل ذرية عرفتها البشرية، ولذا فإنّ الإمام علياً عليه السلام أولى وليده أبا الفضل عناية كبيرة كباقي أولاده منذ طفولته، وغذاه من صفاته النفسية والتربوية الرائعة، وكان يحنو

١ العبّاس بن علي عليها السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، ص ٣١.

عليه ويوسعه لثماً وتقبيلاً، حتى إنّه ذات مرّة أجلسه في حجره فشمر العباس عن ساعديه، فجعل الإمام يقبلهما، وهو غارق في البكاء، فبهرت أمّ البنين، وراحت تقول للإمام: ما يبكيك؟

فأجابها الإمام بصوت خافت حزين النبرات:

نظرت إلى هذين الكفّين، وتذكّرت ما يجري عليهما.

وسارعت أمّ البنين بلهفة قائلة: ماذا يجري عليهما؟

فأجابها الإمام بنبرات مليئة بالأسى والحزن قائلاً: إنهما يقطعان من الزند.

تأثرت أمّ البنين كثيراً بهذا الخبر، وذاب قلبها، وسارعت وهي مذهولة

قائلة: لماذا يقطعان وهنا أظهر مظهر العزّة والشموخ والفخر في قطع كفيّ

أبي الفضل العباس عليه السلام فأخبرها الإمام عليه السلام بأنّهما إنّما يقطعان في نصرّة الإسلام

والذبّ عن أخيه حامي شريعة الله ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.^(١)

والجدير بالذكر أنّ المرّبيّ يجب عليه أن لا يكون بعيداً عن أبنائه،

بل عليه أن يكون قريباً عليهم ويشملهم بعطفه ورعايته ليشعرهم بالعطف

والحنان والانتماء، وبالتالي يمكنه توجيههم بالنهج الصحيح، ويضمن

استجابتهم له.

١ العباس بن عليّ عليها السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، ص ٣١.

المرحلة الثالثة: النشأة والتربية:

وهنا نقف عند محطة جديدة من محطات بناء الشخصية القيادية لأبي الفضل العباس عليه السلام، وهي مرحلة التنشئة، فقد نشأ العباس عليه السلام في ظلال أبيه رائد العدالة الاجتماعية في الأرض، فغذاه بعلومه وتقواه، وأشاع في نفسه النزعات الشريفة، والعادات الطيبة ليكون مثلاً عنه، وأنموذجاً لمثله، كما غرست أمه السيّدة فاطمة في نفسه، جميع صفات الفضيلة والكمال، وغدّته بحبّ الخالق العظيم فجعلته في أيّام طفولته يتطلّع إلى مرضاته وطاعته، وظلّ ذلك ملازماً له طوال حياته.

زيادة على ذلك فقد لازم أبو الفضل أخويه السبطين ريجانتي رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام سيّدي شباب أهل الجنّة فكان يتلقّى منهما قواعد الفضيلة، وأسس الآداب الرفيعة، أمّا أخوه أبو الشهداء الإمام الحسين عليه السلام فكانت له علاقة خاصّة به، إذ كان لا يفارقه في حله وترحاله، لذا قد تأثر بسلوكه، وانطبعت في قرارة نفسه مثله الكريمة وسجاياه الحميدة حتى صار صورة صادقة عنه يحكيه في مثله واتجاهاته، وقد أخلص له الإمام الحسين عليه السلام كأعظم ما يكون الإخلاص، وقدمه على جميع أهل بيته لما رأى منه من الودّ الصادق له حتى فداه بنفسه.

ويمكن القول أنّ المكوّنات التربوية الصّالحة التي ظفر بها سيّدنا أبو الفضل العباس عليه السلام قد رفّعتَه إلى مستوى القادّة الرّساليّين الذين غيروا مجرى تاريخ البشرية بما قدّموه لها من التّضحيات الهائلة في سبيل قضايها المصيرية، وانقاذها من ظلمات الذلّ والعبودية.

لقد نشأ أبو الفضل على التّضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة الحقّ، ورفع رسالة الإسلام الهادفة إلى تحرير إرادة الإنسان، وبناء مجتمع أفضل تسوده العدالة والمحبة، والإيثار، وقد تأثر العباس عليه السلام بهذه المبادئ العظيمة، وناضل في سبيلها كأشدّ ما يكون النضال، فقد غرسها في أعماق نفسه، ودخائل ذاته أبوه الإمام أمير المؤمنين وأخواه الحسن والحسين عليهما السلام، هؤلاء العظام الذين حملوا مشعل الحرية والكرامة، وفتحوا الآفاق المشرقة لجميع شعوب العالم وأمم الأرض من أجل كرامتهم وحرّيتهم، ومن أجل أن تسود العدالة والقيم الكريمة بين الناس نشأ في كنفهم أبو الفضل العباس عليه السلام ونهل من ندير علومهم، فناله من عطائهم ما ناله حتى غدا رمزاً خالداً من رموز الإنسانيّة.

المبحث الثاني

تجليات القيادة الرسالية في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام

بعدما بيّنا في المبحث الأول الكيفية التي بنيت فيها الشخصية القيادية لأبي الفضل العباس عليه السلام، نستعرض في هذا المبحث أهم تجليات القيادة الرسالية لهذه الشخصية المباركة، ويمكن استخلاص هذه التجليات القيادية في ضوء الروايات الواردة عن الإمامين السجاد والصادق عليهما السلام:

الرواية الأولى: ورد عن الإمام السجاد عليه السلام بحق عمّه العباس عليه السلام قوله: ((رحم الله عمّي العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتى قُطعت يداه، فأبدله الله بجناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وأنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة...))^(١)

الإيثار والفداء بالنفس:

يبدأ الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الرواية الشريفة مترجماً على عمّه العباس عليه السلام، ثم يذكر صفتين من أجلى صفات القيادة الرسالية، والإيثار والفداء بالنفس، وهما قمة العطاء، والإيثار صفة المخلصين والخواص من عباد الله -تعالى-.

١ الأمالي، الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم المقدسة، ١٤١٧هـ. ص ٥٤٨. الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، إيران - قم المقدسة، ١٤٠٣هـ. ص ٦٨.

والإيثار هو تخصيص واختيار والأثرة تحسن طوعاً وتصح كرهاً وهو على درجات، الدرجة الأولى أن تؤثر الخلق على نفسك فيما لا يجرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً، ولا يفسد عليك وقتاً، ويستطاع هذا بثلاثة أشياء؛ بتعظيم الحقوق، ومقت الشح، والرغبة في مكارم الأخلاق. والدرجة الثانية إيثار رضى الله تعالى على رضى غيره وإن عظمت فيه المحن، وثقلت به المؤن، وضعفت عنه الطول والبدن، ويستطاع هذا بثلاثة أشياء؛ بطيب العود، وحسن الإسلام، وقوة الصبر.^(١)

لقد حقق أبو الفضل العباس عليه السلام أسمى درجات الإيثار، فقد أثر أحاه بنفسه، وفداه بمهجته، وبقي ثابتاً على موقفه حتى وهو يفقد ذراعيه الواحد بعد الآخر، ثم يفقد عينيه الواحدة تلو الأخرى ولم يزدد إلا إصراراً وإيثاراً لأخيه الحسين عليه السلام، لذا فقد جازاه الله -تعالى- عظيم الجزاء، إذ أبدله بجناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة، بل إن له في الجنة منزلة يغبطه عليها الشهداء جميعهم فضلاً عن غيرهم من الناس.

الرواية الثانية: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بحق عمه العباس عليه السلام قوله: ((كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً...))^(٢).

١ ينظر، منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي، ج١، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٩٨٨م. ص ٥٧.

٢ عمدة الطالب، ابن عينة (ت ٨٢٨هـ)، ص ٣٥٦. مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النهازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ)، ط ١، مطبعة حيدري، إيران - طهران، ١٤١٤هـ. ص ٣٥٠.

٢ - نفاذ البصيرة:

يعد نفاذ البصيرة في مقدمة السمات التي ينبغي للقائد الرسالي أن يتّسم بها، فهي تعكس حصافة الرأي عند صاحبها، ليتمكن من تحديد بوصلة الحق والصواب والسير باتجاهها، وهذا ما ظهر جلياً في مواقف أبي الفضل العباس عليه السلام وخير دليل على ذلك أشعاره يوم عاشوراء التي أفصح فيها عن مضمونه المتألق، ولا سيما حينما قال بعدما قطعت يمينه فقال:

والله إن قطعت يميني

وعن إمام صادق اليقين

سبط النبي الطاهر الأمين

نبي صدق جاءنا بالدين^(١)

لذا وصفه الإمام السجاد عليه السلام بأنه (نافذ البصيرة).

٣ . صلابة الإيمان:

لا بد للقائد الرسالي أن يكون صلب الإيمان لا تحركه العواصف، ولا تغيره المواقف، بل يبقى ثابتاً على مبدئه، وإن اشتدت عليه الصعاب، وهالت عليه الأهوال، فلا يعرف للتراجع طريقاً، ولا للتخاذل مسلكاً، وهذا هو حال أبي الفضل العباس عليه السلام كم وصفه الإمام السجاد (صُلب الإيمان)، ومن الشواهد على صلابة إيمانه، وثباته في موقفه، إنه لم يقف في جانب الخط

١ يوم الحسين، فاضل المالكي، ط ٢، مؤسسة البحوث والدراسات الإسلامية، إيران - قم المقدسة، ١٤٢٤هـ. ص ١٦٨.

المعادي لأخيه الحسين عليه السلام عندما بادر الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن إلى سيده ابن مرجانة فأخذ منه أماناً لأبي الفضل عليه السلام وأخوته الممجدين، وقد ظنَّ أنه سيخدعهم، ويفردهم عن أخيهم أبي الأحرار، وبذلك يضعف جيش الإمام، لأنَّه يخسر هؤلاء الأبطال الذين هم من أشجع فرسان العرب، وجاء الخبيث يشتد كالكلب، وقد وقف أمام جيش الحسين، وهتف منادياً: « أين بنو أختنا العباس وأخوته؟ .. ». وهبَّت الفتية كالأسود، فقالوا له: « ما تريد يابن ذي الجوشن؟ .. ». فانبرى مستبشراً بيدي لهم الحنان المزيّف قائلاً: « لكم الأمان .. ».

وصاحوا به، وهم يتميِّزون من الغيظ، فقد لدعهم قوله: « لعنك الله، ولعن أمانك، أتؤمننا، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا أمان له ... ». وولى الخبيث خائباً فقد ظنَّ أنَّ السادة الأماجد أخوة الإمام من طراز أصحابه المسوخين الذين باعوا ضمائرهم على ابن مرجانة ووهبوا حياتهم للشيطان، ولم يعلم أنَّ أخوة الحسين عليه السلام من أفاذ الدنيا، الذين صاغوا الكرامة الإنسانية، وصنعوا الفخر والمجد للإنسان.^(١)

إنَّ الصلابة في الإيمان والثبات في الموقف من أميز صفات العظماء الخالدين الذين كُتب لهم النجاح في أعمالهم إذ يستحيل أن يحقق من كان خائر الإرادة، وضعيف الهمّة أي هدف اجتماعي، أو يقوم بأي عمل سياسي. لقد كان أبو الفضل عليه السلام من الطراز الأول في قوّة بأسه، وصلابة

١ العباس بن علي عليها السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، ص ١٧٥.

إرادته، فانظّم إلى معسكر الحق، ولم يهن، ولم ينكل، وبرز على مسرح التاريخ كأعظم قائد فدّ، ولو لم يتّصف بهذه الظاهرة لما كتب له الفخر والخلود على امتداد الأيّام.

٣. الجهاد مع إمام زمانه:

من السمات المشرّفة والعظيمة التي بدت واضحة في شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام هي معرفة إمام زمانه معرفة حقّة، والجهاد معه، والدفاع عنه بالغالي والنفيس، وهذا ما ظهر في أشعار أبي الفضل عليه السلام، يوم عاشوراء قائلاً:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين سبط النبي الطاهر الأمين

الرواية الثالثة: جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عند زيارته لعمّه العباس عليه السلام:
(وأشهد لك بالتسليم، والتصديق، والوفاء، والنصيحة لخلف النبي المرسل، والسبط المنتجب.....)^(١)

١ المزار، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان أبو المعلم أبو عبد الله العكبري البغدادي (ت ١٣ هـ)، ط ٢، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ١٩٩٣ م. ص ١٢٠.

٤. التسليم:

وردت مجموعة صفات في زيارة الإمام الصادق عليه السلام لعنه العباس عليه السلام كان في مقدمتها صفة (التسليم)، قال الله عز و جل: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))^(١)

والإسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالإذعان، والانقياد، وترك التمرد والإباء والعناد، وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمان، وأما التَّسْلِيم فإنه عام في القلب واللسان والجوارح، فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الإباء والجحود، وكذلك الاعتراف باللسان، وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح، فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص، فكان الإيِّان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام، فإذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقاً^(٢)

لقد ضرب العباس عليه السلام يوم الطف أروع معاني التسليم، وذلك حين سلّم لأخيه سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام جميع أموره، وتابعه في جميع قضاياه حتى استشهد في سبيله، وذلك لعلمه بإمامته القائمة على الإيِّان الوثيق بالله تعالى، وعلى أصالة الرأي وسلامة القصد، والإخلاص في النيّة.

١ سورة النساء: ٦٥.

٢ كتاب الطهارة، السيد روح الله الموسوي الخميني (ت ١٤١٠هـ)، ج ٣، مطبعة مهر- إيران - قم المقدسة، ١٩٧٠م. ص ٢٤٣.

٥. التصديق:

والصفة الثانية التي ورد ذكرها في زيارة الإمام الصادق عليه السلام لعمّه العباس عليه السلام واصفاً إياه بها هي صفة التصديق، والتّصديق هو أن يُصدّق القول بالعمل وهو قول الله عز وجل والصدّيقون والشّهداء عند ربهم، والصدّيقُ المبالغ في الصدق.^(١)

٦. الوفاء:

وهو من أروع سمات القيادة الرساليّة، والوفاء مركب من العدل والجود والنجدة، لأنّ الوفي رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به، أو من أحسن إليه، فعدل في ذلك. ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ، فجاد في ذلك، ورأى أن يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء، فشجع في ذلك.

إنّ صفة الوفاء تعد من أنبل الصفات وأميزها ومن خصائص أبي الفضل عليه السلام الذي هو، فقد ضرب الرقم القياسي في هذه الصفة الكريمة وبلغ أسمى حدّها، وكان من سمات وفائه ما يلي:

أ- الوفاء لدينه:

وكان أبو الفضل العباس عليه السلام من أوفى الناس لدينه، ومن أشدّهم دفاعاً عنه، فحينما تعرّض الإسلام للخطر الماحق من قبل الطغمة الأموية الذين تنكروا كأشدّ ما يكون التنكّر للإسلام، وحاربوه في غلس الليل وفي

١ ينظر لسان العرب، ج ١٠، ص ١٩٣.

وضح النهار، فانطلق أبو الفضل إلى ساحات الوغى فجاهد في سبيله جهاد
المنيين والمخلصين لترتفع كلمة الله عالية في الأرض، وقد قطعت يدها،
وهوى إلى الأرض صريعاً في سبيل مبادئه الدّينية.^(١)

ب - الوفاء لأُمَّته:

رأى سيّدنا العباس عليه السلام الأُمَّة الإسلاميّة تزرع تحت كابوسٍ مظلم
من الذلّ والعبودية قد تحكّمت في مصيرها عصابة مجرمة من الأمويين
فنهبت ثرواتها، وتلاعبت في مقدّراتها، وكان أحد أعمدتهم السياسيّة يعلن
بلا حياء ولا خجل قائلاً: (إنّما السواد بستان قريش) فأبي استهانة بالأُمَّة مثل
هذه الاستهانة، ورأى أبو الفضل عليه السلام أنّ من الوفاء لأُمَّته أن يهبّ لتحريرها
وإنقاذها من واقعها المرير، فانبرى مع أخيه أبي الأحرار والكوكبة المشرقة
من فتیان أهل البيت عليهم السلام، ومعهم الأحرار الممجّدون من أصحابهم، فرفعوا
شعار التحرير، وأعلنوا الجهاد المقدّس من أجل إنقاذ المسلمين من الذلّ
والعبودية، وإعادة الحياة الحرّة الكريمة لهم، حتى استشهدوا من أجل هذا
الهدف السامي النبيل، فأبي وفاء للأُمَّة يضارع مثل هذا الوفاء؟

ج - الوفاء لوطنه:

وغمرت الوطن الإسلاميّ محن شاقّة وعسيرة أيّام الحكم الأمويّ،
فقد استقلاله وكرامته، وصار بستاناً للأمويين وسائر القوى الرأسماليّة
من القرشيين وغيرهم من العملاء، وقد شاع البؤس والحرمان، وذلّ فيه

١ ينظر، البالغون الفتح في كربلاء، عبد الأمير القريشي، ط ١، بيت العلم للنابهين، لبنان - بيروت،
٢٠٠٨ م. ص ١٦١.

المصلحون والأحرار، ولم يكن فيه أي ظلّ لحرية الفكر والرأي، فهبّ العباس عليه السلام تحت قيادة أخيه سيّد الشهداء عليه السلام إلى مقاومة ذلك الحكم الأسود وتحطيم أروقه وعروشه، وقد تمّ ذلك بعد حين بفضل تضحياتهم، فكان حقاً هذا هو الوفاء للوطن الإسلامي.

د. الوفاء لأخيه:

ووفى أبو الفضل ما عاهد الله عليه من البيعة لأخيه ريجانة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمنافع الأول عن حقوق المظلومين والمضطهدين.

ولم يرَ الناس على امتداد التاريخ وفاءً مثل وفاء أبي الفضل لأخيه الإمام الحسين عليه السلام، ومن المقطوع به أنّه ليس في سجلّ الوفاء الإنساني أجمل ولا أنظر من ذلك الوفاء الذي أصبح قطباً جاذباً لكلّ إنسان حرّ شريف. ^(١)

٧. النصيحة:

النصيحة معروفة وهي المشورة بما فيه الحظ والصلاح ^(٢)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((من أسبغ وضوءه، وسجن لسانه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيت نبيه، فقد استكمل حقائق الإيمان وأبواب الجنة مفتحة له)) ^(٣)

١ ينظر، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد بن طاهر الموسوي، تحقيق: محمد جعفر الطوسي، ط ١، مطبعة المكتبة الحيدرية، إيران - قم المقدسة، ١٣٨٤ ش. ص ٦٠ - ٦١.
٢ رسائل المرتضى، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، ج ٤، إعداد: السيد أحمد الحسيني، ط ١، مطبعة الخيام، إيران - قم، ١٤١٠هـ. ص ٧٧.
٣ منتهى المطلب، العلامة الخلي (ت ٧٢٦هـ)، ج ٢، ط ١، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، إيران - مشهد، ١٤١٣هـ. ص ١٥٩.

الرواية الرابعة: جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في زيارة أخرى لعمّه العباس عليه السلام ((السلام عليك أيها العبد الصالح، المطيع لله ولرسوله، أشهد أنك قد جاهدت، ونصحت، وصبرت، حتى أتاك اليقين،...))^(١)

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة ذاتها: ((أشهد أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود فبعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً، ورفع ذكرك في عليين وحشرك مع النبيين، والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً أشهد أنك لم تهن ولم تنكل، وأنك مضيت على بصيرة من أمرك، مقتدياً بالصالحين، ومتبعاً للنبيين، فجمع الله بيننا، وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين، فإنه أرحم الراحمين..))^(٢)

٨. العبودية الصالحة:

إن من أجلى الحقائق وأرقى مراتب الفضل الذي لا يُخلق إليه طائر الفكر، ولا يدرك مداه أي تصوّر، غير أن من الواجب التصديق به على الجملة، هو وصف سيّدنا العباس عليه السلام بهذه الصفة الكاملة « العبد الصالح » التي أضافها الله تعالى إلى أنبيائه، ومبلّغي شريعته، وأمنائه على وحيه، ومنحه بها الإمام الصادق عليه السلام.

١ المنقعة، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد (١٣٤١هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم المقدسة، ط ٢، ١٤١٠هـ. ص ٤٧١.
٢ كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (٣٦٧هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ. ص ٤٤٢. مصباح المتهجد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، ط ١، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، ١٩٩١م. ص ٧٢٦. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي (٤٦٠هـ)، ج ٦، ط ٤، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة خورشيد، إيران - طهران، ١٣٦٥ ش. ص ٦٦.

ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواظباً على العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرّافعة للتعزير فحسب، وإنّما نقصد منه ما إذا عبد الله سبحانه حقّ عبادته، الناشئة عن فقه وبصيرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد، من دون لحاظ مثوبة أو عقوبة، حتّى يكون المولى هو الذي يسمّيه عبداً له، ويصافقه على تصديق دعواه بالعبودية له.^(١)

الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ ولأهل البيت ﷺ:

كان أبو الفضل العباس ﷺ عميق الإيمان بالله تعالى، شديد الطاعة له، ولرسوله ﷺ، ولأهل البيت ﷺ، كيف لا وقد تربّى في حجر أمير المؤمنين ﷺ، وغذته أم البنين ﷺ بأفضل معاني الطاعة والعبودية من السيد تجاه مولاه، وكانت تحرص دائماً على أن تربّي أولادها على أنّهم خدام لأبناء رسول الله ﷺ، وقد أثمرت هذه التربية الخالصة النقية عن نتاج طيّب كان له الأثر الأكبر في معركة العقيدة والإباء، لذا حصل أبو الفضل العباس ﷺ على وسام من الإمام الصادق ﷺ حين وصفه قائلاً: ((السلام عليك أيّها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمر المؤمنين والحسن والحسين)).

المجاهدة:

تقدّم الكلام في الفقرة رقم (٤) عن جهاد العباس ﷺ مع أخيه الحسين ﷺ، من أجل إحقاق الحق وإعلاء كلمة لا إله إلا الله، وإنّما ورد التأكيد عليها لأهميتها.

١ الخصائص العباسية، محمد إبراهيم الكلبي النجفي، ط ٢، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ٢٠٠٧ م. ص ١٦٥ - ١٦٥.

النصح والصبر:

ومن خصائص أبي الفضل عليه السلام ومميزاته النصح والصبر على محن الزمان، ونوائب الدهر، فقد ألمت به يوم الطف من المصائب والمحن التي تذوب من هولها الجبال، فلم يجزع، ولم يفه بأي كلمة تدلّ على سخطه، وعدم رضاه بما جرى عليه وعلى أهل بيته، وإنما سلّم أمره إلى الخالق العظيم، مقتدياً بأخيه سيّد الشهداء عليه السلام الذي لو وزن صبره بالجبال الرواسي لرجح عليها. لقد رأى أبو الفضل عليه السلام الكواكب المشرقة، والمجددين الأوفياء من أصحابه وهم مجزرون كالأضاحي في رمضاء كربلاء تصهرهم الشمس، وسمع عويل الأطفال، وهم ينادون العطش العطش، وسمع صراخ عقائل الوحي، وهنّ يندبن قتلاهنّ، ورأى وحدة أخيه سيّد الشهداء، وقد أحاط به أنذال أهل الكوفة يبغون قتله تقرّباً لسيّدهم ابن مرجانة، رأى أبو الفضل كل هذه الشدائد الجسام فلم يجزع وسلّم أمره إلى الله تعالى، مبتغياً الأجر من عنده. ^(١)

المبالغة في النصيحة، وإعطاء غاية المجهود:

مرّ وصف النصيحة والنصيحة ثلاث مرات في زيارة الإمام الصادق عليه السلام لعمّه العباس عليه السلام، وما ذلك إلا لشدة تجلّي هذه الصفة لديه بكل وضوح، حتى قال في المرة الثالثة (بالغت في النصيحة) أي أنّه عليه السلام بذلك كل ما وسعه في إبداء النصح لكل من حوله، فنصح المعتدين بالرجوع عن غيهم، واللجوء

١ العباس بن علي عليها السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، ج ٤، ص ٥.

إلى حجة الله تعالى في أرضه الإمام الحسين عليه السلام، ونصح المؤمنين بالثبات على موقفهم في نصرته الإمام الحسين عليه السلام، ونصح لأخيه الحسين عليه السلام، بفدائه بنفسه. ولم يكتف بالنصيحة بل بذل غاية ما في طاقته وقدرته ومجهوده في سبيل أخيه الحسين عليه السلام.

عدم الهوان، وعدم النكول:

اتصف العباس عليه السلام، بصفتين في غاية الأهمية، ولا بد من توافرها في القائد الرساليّ، أمّا الصفة الأولى فهي عدم الهوان، أي عدم الضعف، والصفة الثانية عدم الخيانة ونقض الوعد، وهاتان الصفتان تجلّتا بوضوح في شخصيّة أبي الفضل العباس عليه السلام، فهو لم يتراجع ولو للحظة واحدة، بل كان يشد العزائم، ويثبت القلوب، ولا سيّما عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيته وأصحابه أن يرجعوا في ليلة عاشوراء كان أبو الفضل العباس عليه السلام أول الرافضين للرجوع، لذا قال الإمام الصادق عليه السلام: (أشهد أنّك لم تهنّ ولم تنكّل).

المضي على بصيرة من الأمر:

لعل هذه الصفة من أخطر الصفات التي لو لم يتصف به القائد لفقد خير الدنيا والآخرة، وإذا حصّلها نال خير الدنيا والآخرة، وهذا عين ما جناه أبو الفضل العباس عليه السلام، حينما مضى في سبيله وهو على بصيرة من أمره،

عارف بأنه مع إمام حق، ويسير على صراط مستقيم، وكان هذا الحال نتيجة طبيعية للتربية والتنشئة الصالحة التي لقيها أبو الفضل العباس عليه السلام في حجر أمير المؤمنين عليه السلام، فوصل إلى ما وصل إليه، ونال ما ناله من الرفعة والسمو.

الاقْتِدَاءُ بِالصَّالِحِينَ وَالْإِتِّبَاعُ لِلنَّبِيِّينَ:

الاقْتِدَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، وَالتَّشْدِيدُ عَلَى وَلَايَتِهِمْ، وَالتَّمَسُّكُ بِخَطِّهِمْ، وَالصَّالِحِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَالمَاضِينَ مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ، فَهَمَّ قَمَمٍ فِي الْفَضَائِلِ وَالمَكَارِمِ وَالمَوَاقِفِ النَّبِيلَةِ، وَمَا يُسَاعِدُ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ تَأْثِيرُهُمُ الرُّوحِيَّ عَلَى مُخْتَلَفِ طَبَقَاتِ النَّاسِ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَهُمُ التَّبَجُّيلُ وَالتَّقْدِيرُ .

وَحَيَاةُ الصَّالِحِينَ مَلِيئَةٌ بِجَمِيعِ القِيمِ وَالمَكَارِمِ الَّتِي يُرِيدُ الْإِنْسَانُ التَّمَسُّكَ بِهَا. وَالْإِقْتِدَاءُ هُوَ الَّذِي يُجْعَلُ الطِّفْلَ إِنْسَانًا عَظِيمًا تَبَعًا لِمَنْ يُقْتَدِي بِهِمْ، وَإِذَا فَقَدَ الْإِقْتِدَاءَ جَمَدَتْ جَذْوَةُ الحَيَاةِ، وَضَعُفَ الطَّمُوحُ، وَانْحَرَفَ عَنْ مَسَارِهِ لِلتَّعَلُّقِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِالْهَامِشِيِّينَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الْعَادِيِّينَ.

وَهُوَ أَحَدُ الْأَسَالِبِ التَّرْبَوِيَّةِ لِلْعَقِيدَةِ، تَرْبِطُ الْأَفْرَادَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهَا بِرَمُوزِهَا، لِكُونِهِمُ التَّجَسُّيدَ المَثَالِيَّ أَوْ الكَامِلَ لِتَوَجُّهَاتِهَا، وَهَمُّ المَنَارَةِ الَّتِي تَبْعَثُ أَنْوَارَهَا، وَعَلَيْهِ فَهِيَ تَحْتُّ الْأَفْرَادَ عَلَى الْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ بِغِيَّةِ التَّأَثُّرِ بِأَخْلَاقِهِمْ وَالتَّزُودِ مِنْ عُلُومِهِمْ .

قال تعالى: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...))^(١)

وقد وصل العباس عليه السلام إلى ما وصل إليه نتيجة اقتدائه وتأثره بالقامات العالية من الأنبياء والأئمة عليهم السلام الذين تربى في حجرهم، وشرب من حوضهم مشرباً ريثاً هنيئاً سائغاً.

وفي ظل هذه السمات الوضّاءة، والخصائص البتّاءة التي اتسمت بها شخصية أبي الفضل العباس عليه السلام حتى بلغت قمة الشرف والمجد، وسجّلت صفحات من النور في تاريخ الأُمَّة الإسلاميّة.

لقد كان سيّدنا العباس عليه السلام دنيا من الفضائل والمآثر، فما من صفة كريمة أو نزعة رفيعة إلاّ وهي من عناصره وذاتيّاته، وحسبه فخراً أنّه نجل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي حوى جميع فضائل الدنيا، وقد ورث أبو الفضل فضائل أبيه وخصائصه، حتى صار عند المسلمين رمزاً لكلّ فضيلة، وعنواناً لجميع القيم الرفيعة، فكان صاحب الشخصية القياديّة ذات الأبعاد الرساليّة، وليس المنافع والمكاسب الدنيويّة.

١ سورة الأحزاب: ٢١.

الخاتمة

بعد هذه الجولة العلمية التاريخية التحليلية في رحاب سيدي ومولاي أبي الفضل العباس عليه السلام، أقف متصاعراً أمام مقامه السامي، وشخصيته المتألقة، لأستخلص بعض النتائج التي يمكن استنتاجها من البحث، وهي:
إنّ الإعداد المسبق لشخصية الفرد يعد أساساً مهماً لا نبالغ إذا قلنا أنّه يعدل وجود الفرد بأسره؛ لما له من تأثير كبير على الحياة المستقبلية للفرد.
إنّ العباس بن علي عليه السلام لم يكن مولوداً عفويّاً، وإنّما كان يمثل مشروعاً إلهياً اتضحت معالمه فيما بعد.

إنّ العباس عليه السلام ضرب لنا أروع الأمثلة في التألّق والإبداع التي تجعل الأئمة المعصومين عليهم السلام يثنون عليه ويعظّمون شأنه، ويجلّلون قدره.
إنّ الشخصية المباركة لسيدنا أبي الفضل العباس عليه السلام بما تمتلكه من مؤهلات القيادة الرساليّة ذكرنا بعضها، وبقي الكثير لم نذكره لضيق المقام، يستحق أن يكون مادة علمية متكاملة يدرّس للقادة والزعماء، ولا سيّما وهو يجمع بين النظرية والتطبيق.

إنّ ما قام به أبو الفضل العباس عليه السلام يمكن لأيّ إنسان أن يقوم به شريطة أن يروّض نفسه، ويوطنها للاتصاف والتخلّق بأخلاق أبي الفضل العباس عليه السلام.

المصادر

القرآن الكريم

- * إِبصار العين في أنصارالحسين (عليه السلام)، محمد بن طاهر الموسوي، تحقيق: محمد جعفر الطوسي، ط ١، مطبعة المكتبة الحيدرية، إيران - قم المقدسة، ١٣٨٤ ش.
- * الإدارة والقيادة في الإسلام، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط ١، مطبعة سليمان زادة، إيران - قم المقدسة، ١٤٣٠ هـ.
- * أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (١٣٧١ هـ)، ج ٧، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان - بيروت، ١٩٨٣ م.
- * الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط ١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، إيران - قم المقدسة، ١٤١٧ هـ.
- * الأمالي، أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط ١، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران - قم المقدسة، ١٩٠٧ م.
- * البالغون الفتح في كربلاء، عبد الأمير القريشي، ط ١، بيت العلم للناهين، لبنان - بيروت، ٢٠٠٨ م.
- * تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، (ت ١٢٠٥ هـ)، ط ١، دار ومكتبة الحياة، بيروت - لبنان، ١٣٠٦ هـ.
- * تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، ج ٦، ط ٤، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرساني، مطبعة خورشيد، إيران - طهران، ١٣٦٥ ش.
- * جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري (١٢٦٦ هـ)، ج ٢٩، تحقيق وتعليق: محمود القوجاني، تصحيح: إبراهيم الميجاني، ط ٢، دار الكتب الإسلامية، إيران - طهران، ١٣٦٦ ش.
- * الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ)، ج ١، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي، ط ١، المطبعة العلمية، إيران - قم، ١٤٠٩ هـ.
- * الخصائص العباسية، محمد إبراهيم الكلباسي النجفي، ط ٢، دار الحوراء للطباعة

- والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ٢٠٠٧ م.
- * الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين، إيران - قم المقدسة، ١٤٠٣ هـ.
- * رسائل المرتضى، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، ج ٤، إعداد: السيد أحمد الحسيني، ط ١، مطبعة الخيام، إيران - قم، ١٤١٠ هـ.
- * سر السلسلة العلوية، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان أبو نصر البخاري (ت ٣٤١ هـ)، تقديم وتعليق: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط ١، المطبعة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، ١٤١٣ هـ.
- * العباس بن علي عليهما السلام رائد الكرامة والفداء في الإسلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ٣، د. ط، د. ت.
- * عقيل بن أبي طالب، الأحمدي الميجاني، تحقيق ومراجعة: مجتبي فرجي، ط ١، دار الحديث للطباعة والنشر، إيران - قم المقدسة، ١٤٢٥ هـ.
- * عمدة الطالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه (ت ٨٢٨ هـ)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، ط ٢، منشورات المطبعة الحيدرية، العراق - النجف الأشرف، ١٩٦١ م.
- * الفكر التربوي في الإسلام (دراسة مقارنة)، باقر شريف القرشي، ط ١، مطبعة شريعت، إيران - قم المقدسة، ١٤٢٧ هـ.
- * القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٦ هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، مصر، ١٣٧١ هـ.
- * القيادة التربوية، كمال سليم دواني، ط ١، دار المسيرة، عمان - الأردن، ٢٠١٣ م.
- * القيادة في القرن الحادي والعشرين، محمد أكرم العدلوني، مطبعة قرطبة للنشر والتوزيع، السعودية - الرياض، ٢٠٠٥ م.
- * كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧ هـ.
- * كتاب الطهارة، السيد روح الله الموسوي الخميني (ت ١٤١٠ هـ)، ج ٣، مطبعة مهر - إيران - قم المقدسة، ١٩٧٠ م.
- * لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن أبي مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ)

- تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون، ط ١، مطبعة دار صادر، بيروت لبنان، ٢٠٠٠ م.
- * المزار، الشيخ المفيد محمد ب محمد بن النعمان بن المعلم أبو عبد الله العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، ط ٢، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، ١٩٩٣ م.
- * مصباح المتهجد، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، ط ١، مؤسسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، ١٩٩١ م.
- * المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت ٧٠٧ هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مطبعة المكتبة العصرية، د.ت.
- * معجم مصطلحات الإدارة العامة، إبراهيم بدر شهاب، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٩٩٨ م.
- * المقنعة، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم المقدسة، ط ٢، ١٤١٠ هـ.
- * منازل السائرين، عبد الله الأنصاري الهروي، ج ١، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٩٨٨ م.
- * منتهى المطلب، العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، ج ٢، ط ١، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، إيران - مشهد، ١٤١٣ هـ.
- * يوم الحسين، فاضل المالكي، ط ٢، مؤسسة البحوث والدراسات الإسلامية، إيران - قم المقدسة، ١٤٢٤ هـ.



الإمام الحسين عليه السلام والمشروع الإلهي على الأرض

١٢

الشيخ مصطفى العاملي/لبنان

إن أتباع جميع الديانات السماوية يؤمنون ويعتقدون بأن الله الخالق القدير، خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ لغاية أَرادها في هذه الحياة، وهذه المسألة لا يختلف عليها اثنان من أتباع الديانات السماوية؛ سواء من كان يؤمن في عصرنا بموسى، أو بعيسى، أو بنبينا محمد صلى الله عليه وآله، وهو ما جسده الآيات الكريمة: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ^(١) إذن نستطيع من خلال هذه المقاربة اليسيرة والمختصرة أن ندرك أن هناك هدفًا ومشروعًا إلهيًا على الأرض يتجسد من خلق الإنسان: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ)) ^(٢) إذاً هناك مسألة أولى لا يستطيع إنسان أن ينكرها، وهناك مسألة ثانية نستطيع أن نتوقف عندها وهي أن الله تعالى من أجل تثبيت مشروعه الإلهي على الأرض أرسل سلسلة من الأنبياء ابتدأت بأبي البشر آدم وصولاً إلى آخر الأنبياء المرسلين محمد صلى الله عليه وآله.

وهذه المسيرة من لدن آدم إلى نبينا مروراً بمن أطلق عليهم تسمية

١- الذاريات: الآية ٥٦.

٢ سورة البقرة: الآية ٣٠.

أنبياء أولو العزم الذين أرسلهم الله-تعالى- الى البشرية جميعًا من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ، هؤلاء الأنبياء لاشك ولا ريب وفق المنظور الذي يؤمن به أتباع الديانات السماوية أنهم جاءوا للتنفيذ مشروع على الأرض وهو القيام بهداية الناس الى طريق الله القويم، وهذا الدور للأنبياء عبر الزمن كان مقابله دور آخر سمح الله تعالى به عبر البشر وهو دور إبليس ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

دور إبليس في هذه الحياة كما خاطب رب العزة قائلاً: ((أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ))^(١)، وتوعد قائلاً: ((لَا تَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ))^(٢)، إذا نستطيع أن نفهم خلاصة من هذه المقارنة أن هناك صراعًا على وجه هذه البسيطة منذ الإنسان الأول تمثل بمشروع إلهي يمثله الأنبياء، وبمشروع آخر يجسده إبليس وأعدائه عبر الزمن، لو انطلقنا الى الجانب التفصيلي بهذا الدور- دور الأنبياء- لوجدنا أن كل نبي من الأنبياء كان يأتي برسالة الى قومه فيؤدّي دوره ضمن صراع مرير الى أن ينتصر، ولكن ما الذي يحصل بعد أن يؤدّي هذا النبي دوره سرعان ما ينتصر الطرف الآخر دور إبليس الذي يحرف تلك الأمة عن مسارها الذي أراه الله تعالى له، وهكذا استمرت البشرية منذ ابني آدم هايل وقابيل.

أنبياء أرسلوا وانتصروا، وقتلوا، وانحرفات، وأنبياء جدد يصححون المسيرة، وهكذا حتى أن نبي أولو العزم الذي جاء قبل نبينا محمد ﷺ النبي عيسى عليه السلام عندما أرسل الى بني إسرائيل، اتهموه بأنه النبي

١ سورة الأعراف: الآية ١٤.

٢ سورة الأعراف: الآية ١٧.

الدَّجَّال، وبالتالي عملوا على مواجهته كما نعرف، في نهاية سلسلة الأنبياء كان دور نبيِّنا محمد ﷺ، هذا الدور الذي لم يتخلف عن سنَّة من سبقه من الأنبياء إلاَّ أنَّه امتاز بأمرٍ واحدٍ وهو وفق عقيدتنا ختمت به النَّبَوَات، ولم يبقَ بعده نبي بعده يرسله الله الى البشرية، إنَّ ما حصل بعد رحيل النبي أن وقع في الأمة ما وقع، وحصل فيها ما حصل مما نعرفه جميعًا بمفرداته وعناوينه، وهذا يعني أنَّ هناك انحرافًا قد حصل في مسار الأمة، وأنَّ مشروع إبليس قد تمكَّن كثيرًا من مفاصل الأمة، وبالتالي أصبح المشروع الإلهي في خطرٍ فيما لو تجسَّد وانتصر مشروع إبليس؛ لأنَّه لن يكون هناك مشروع إلهي آخر من خلال نبي يرسله لتصحيح المسار، وكانت فترة يسرة لم تزد عن خمسين عامًا عاشت فيها الأمة مرحلة من الضباية المعروفة، ولكن بعد خمسين سنة بالتمام والكمال تجسَّد الانحراف، وتجددت سيطرة مشروع إبليس على الأرض بوصول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن هند آكلة الأكباد؛ ليكون بمصطلح أولئك القوم أميرًا للمؤمنين، هنا تقف البشرية أمام مفترقٍ لا مثل له على الإطلاق، لو تکرَّس هذا المشروع الذي جسَّده وصول شخص مثل يزيد بن معاوية للحكم فمعنى ذلك أنَّ الانحراف الذي أصاب هذه الأمة سيصبح رسميًا، وبالتالي يكون المشروع الإلهي قد انهزم وانتصر مشروع إبليس على الأرض، ولكن كان الإمام الحسين عليه السلام الذي قال فيه جدّه -وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلاَّ وحي يوحى-: (حسين منِّي وأنا من حسين)^(١)،

١. الإرشاد للمفيد: ٢/ ١٢٧.

(أنا) هل تعني أن النبي ﷺ يقصد بذلك مجرد دوره كإنسان أم أنه بعنوان خاتم الأنبياء والمرسلين، بعنوان بالغ يُمثل منظومة النبوة على الأرض، فقال (وأنا من حسين)؛ لأنه عندما تحرك الحسين ﷺ وأطلق صرخته، وحدد فقرة من كلامه نتوقف عندها جميعاً عندما قال في وصفه ليزيد أنه معلن بالفسق والفجور، ماذا يعني كلمة مُعلن: يعني أن الفسق والفجور أصبح عنواناً رسمياً، وبالتالي يمثل هذا انتصاراً لذلك المشروع الذي حاربه الأنبياء عبر الزمن، فكانت حركة الإمام الحسين ﷺ، وكان هناك تلازم بأبعادها الثلاث الحسين الإنسان، والحسين المكان حيث نحن في كربلاء، وحسين الزمان يوم عاشوراء، هناك تمثل الصراع بأسلوبٍ آخر، كيف تنتصر الضحية على الجلاد، وكيف تنقلب الهزيمة بمفهوم البعض الى نصرٍ حصل، حيث نعيش الآن ونحن هنا بين مقام أبي الفضل العباس ﷺ ومقام أخيه الحسين ﷺ، هنا في هذه المحطة رسم تاريخ، ورسم ما أبقى جذوة الإسلام التي تمثل مشروع الأنبياء قائمة عندما وقفت زينب العتيقة على جسد أخيها قائلة: (اللهم تقبل منّا هذا القربان)^(١)، رحلة إعلامية أرادها الأعداء أن ينقلوا بها آل بيت الرسول من كربلاء الى الكوفة الى الشام عبر رحلة طويلة؛ ليشبتوا أنّهم الأقدر والأقوى، وأنهم إن كانوا قد فعلوا بآبِن رسول الله ما فعلوا فلا يفكرنَّ أحد في أن يواجه الحاكم الظالم على الإطلاق؛ لأنه سيلقى مصيراً أصعب من ذلك، وأرادوا أن يجسّدوا مفهوم انحراف عقائدي عندما قال ابن زياد في الكوفة:

١ مقتل المرقم: ٣٠٧.

أليس قد قتل الله علياً، فأجابه الإمام زين العابدين عليه السلام: (كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً قتلته الناس)^(١)، كان الطغاة يريدون أن يعطوا شرعية للانحراف باسم الله، وأنهم يجسدون أمر الله، وكان الرد من زين العابدين عليه السلام أن هذا الإجرام منك أيها الإنسان كان لي أخ قتلته الناس، وعندما نجد أن النتائج التي نعيشها الآن والتي تعيشها البشرية عبر الزمن تستمد من كلمة نطقت بها عقيلة الطالبين زينب عليها السلام عندما وقفت بالشام تحاطب الطاغية المتجبر قائلة: (كد كيدك واسع سعيك فوالله لن تمحو ذكرنا)^(٢).

١ مقاتل الطالبين ص ١٢٠.
٢ مشير الأحرار ص ٨٠.



نبذة مختصرة

عن الإمام زين العابدين عليه السلام

السيد عماد الحكيم/ايران-قم المقدسة

في الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين ولد الإمام زين العابدين (علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام) فابتهج الكون كله لولادته، وأشرقت الأرض بطلعته، فهو الحامل لأعباء الإمامة وورث العلم والحلم والشجاعة والفصاحة وجميع خصال الكمال من بيت النبوة، فقد يعجز القلم ويكل اللسان عن تعداد جميل خصاله وحميد صفاته وفضائله وأفضاله لكن ينبغي التذكير ببعض تلك الخصال، وأهمها:

الخصلة الأولى: الإمامة

إنه عليه السلام أحد الأئمة الاثني عشر الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإمامة الإلهية التي جعلها الله -تعالى- كما جعلها لإبراهيم من قبل، وقد ورد في روايات صحيحة في مذهب أهل البيت عليهم السلام وفي مذاهب أخرى روايات صحيحة بأن الأئمة اثنا عشر، وبعض النصوص يقول الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قریش كما في صحيح البخاري ومسلم، إذا الرواية مؤكدة ومضبوطة.

الخصلة الثانية: زين العابدين

إنَّ هذا اللقب ورد عن النبي الأكرم ﷺ، والنبي نسبة الى الله - سبحانه -، روي عن ابن عباس عن رسول الله يقول: (إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ أين زين العابدين فكأني أنظر الى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يخطو بين الصفوف)، وبالإمكان مراجعة المصادر الكثيرة في كتب العامة والخاصة، ككتاب الأمالي للصدوق، والغيب للشيخ الطوسي، وأقوال العلماء كالزهري إذ يقول: (ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ولا أفضقه منه)، وقال الإمام مالك: (سمي الإمام زين العابدين لكثرة عبادته، وقال سفيان بن عيينة: (ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفضقه منه)، طبعاً ربما تكون هذه التسمية في بعض المذاهب الأخرى غير منسوبة إلى النبي، ولكن الإنسان المتتبع يجد أنَّ الروايات الصادرة عن أهل البيت ﷺ هي الأنسب والأدق، وهذه التسمية تدل على منزلة خاصة لهذا الإمام وذلك لأسباب:

النقطة الأولى: إنَّ هذه الولادة الميمونة كانت بعد أكثر من عشرين سنة بعد رحلة النبي ﷺ فالاهتمام بتسميته، وذكر اسمه يدل على مزية واهتمام خاص، فالنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، والنبي ﷺ لم يتعرض لتسمية آخرين من أبنائه وأحفاده، وإنما تعرّض لتسمية المهمين من الشخصيات الهامة في التاريخ على الصعيد الإيجابي او السلبي مثل السفيناني المذكور في الروايات، ويذكر أيضاً الأئمة الإثني عشر بأسمائهم وألقابهم، وهذه نقطة

تستحق التوقف إذ تدلنا على مزية كبيرة، وعظيمة لهذا الامام.
النقطة الثانية: التسمية بحد ذاتها نقطة منيرة واعجازية للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ سماه قبل ولادته، وهذا من علم الغيب.

النقطة الثالثة: إن مضمون هذه التسمية مضمون عظيم، يعبر عن معنى كبير وذو مغزى عظيم، فقد ورد عن ابن عباس: «يوم القيامة يجمع فيه الاولون والآخرين فاذا كان هو زين العابدين».

الخصلة الثالثة: العلم والبعد الفكري، فالإمام السجاد ﷺ ابتلي بزمان وظرف وبرهة وفترة خاصة تميزت في تاريخ الائمة فالإمام عاش في زمن جدّه أمير المؤمنين ﷺ فترة، وكان في تلك الفترة اضطرابات ومشاكل ومحن ثم فترة الامام الحسن ﷺ وفترة الامام الحسين ﷺ في طول هذه المدة نجد الامام زين العابدين ﷺ كان مأمومًا، ولم تسمح الظروف في تلك الفترة أن يبين علمه، وأن ينشر منهج أهل البيت ﷺ، كذلك في الفترة اللاحقة بعد شهادة أبيه الإمام الحسين ﷺ وبعد واقعة عاشوراء التي كان الإمام زين العابدين ﷺ بطلاً من أبطالها، ورمزاً من رموزها، ومؤثراً كبيراً في هذه النهضة الحسينية. وقد استطاع الإمام أن يبيّن هذا المنهج من خلال عدة أساليب من أهمها أسلوب الأخلاق، والدعاء فالإمام ﷺ من خلال الدعاء كان يبث المفاهيم والمعاني الإسلامية الكبيرة، وكذلك المسائل العلمية الدقيقة ببيان بليغ فصيح واضح وسهل، ولأورد مثلاً من أدعيته ﷺ وهو يقول: «الهي لا تؤدبني بعقوبتك ولا تمكربي في حيلتك من اين لي الخير يا رب ولا يوجد

الا من عندك ومن أين لي النجاة ولا تستطاع الابك لا الذي احسن استغنى
عن عونك ورحمتك ولا الذي اساء و اجترى عليك ولم يرضك خرج عن
قدرتك»، فتلاحظ كلمات قليلة ولكنها تعطي كنوزًا من المعاني الكبيرة.

ثقافة المواجهة في خطاب الامام الحسين (عليه السلام) مقاربة في تأسيس وعي الجمهور

ا.م.د هادي شندوخ حميد /العراق-ذي قار

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وبه نستعين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه المتتجيين.

تروم هذه القراءة فحص نسق الاشتغال في مسألة جوهرية تنبعث من الذات أي (الإمام الحسين عليه السلام) بوصفها مركزاً مؤسساً لإشاعة تلك القيم وتتجاوزها الى فحص نسيج العقل الجمعي (المجتمع الإسلامي) حين فتأت إرادته مستلبة يحكمها فعل الخنوع والاستعباد في متخيل الفكر والرؤيا وملامسة الواقع، وليس لها من فاعل يمثل حقيقة البعث من موجة الركود والذل سوى ذات عظيمة تستطيع صدم المتحجر من الأوهام والمخاوف في دائرة الصناعة والتشكيل، في ظل تلك الثنائية يستوحي البحث رؤيته من ذات الحسين عليه السلام وإرادة الجمهور التي سلبت وتلبس الوهم فيها اعتقاداً وسلوكاً فغداً جمعاً من وجود يقطن الخنوع ثقافة والغشاوة سبيلاً لا يوحى إلا بآرث لم يتبق منه سوى ذاكرة تعبت في المبادئ والقيم، وتبعث فيها تجربة من الزمن ليس لها مثيل في القبح والشنار.

ومن ثمَّ فإنَّ مسار التحول الذي خلقه الإمام الحسين عليه السلام في تفكيك مقولات الرفض وافتراع عذرية السلطة بمجس المواجهة، مثل ظاهرة كبرى لم تستهلك في تراث ثنائية الصراع بين الكرامة والهوان، واحسبها ثقافة؛ لأنَّ المواجهة عنده عليه السلام أسست على وفق منطلقات من حمولة اعتقادات تؤمن بان الآتي نصر لا محالة تؤشره جملة نبوءات تفوه بها جده الأكرم عليه السلام وتناسلت في مرويات قدمت على لسان أم سلمة -رضوان الله تعالى عليها- تارة أخرى كما تثبت ذلك المدونة الروائية، وتنبثق تلك الثقافة أيضاً من قناعات تتمظهر في الخطاب والسلوك تقوم على المعلن والمضمر في أنَّ الحقَّ لا يمثله الطرف الآخر، وأنَّ البصيرة واليقين في من تمثل خطأ ينتمي الى سلالة النبيين، وليس إلى من حرمت فيه الخلافة .

وبذلك فإنَّ مساحة المواجهة لم تكن ثقافة إلاَّ لكونها أسست في مناخ لا يفقه إلاَّ الخوف وسطوة الانزواء والتماهي في الخنوع والاتباع، فكان الرفض أو المواجهة أنموذجاً لتشكيل مضامين جديدة في إحياء الذات المستلبة والجمهور المقهور بصورة واعية تعي أهمية الحدث وتبصره حتى ولو بعد حين .

فنطاق المواجهة عنده عليه السلام يأتي في الصدارة كممارسة لها دوافعها وظروفها التي تميز فيها فعل المركز والهامش والمختلف والمؤتلف في استراتيجية الرؤيا والموقف فان كان النزاع النفسي حاكماً في قيادة قطع أدمن فكرة الاستعباد للسلطة او القيم المنحرفة او خداع الذات فإنَّ شرف الكلمة

في والبطولة يكمن في الموقف في إطار من مساحة فتح الممكن للعقل والقلب في إعادة النظر، وبلورة الحساب من جديد .

هذا كله مما استشرفه البحث مؤطراً من التصنيف والمنهج والتحليل قراءة واعية تؤمن بأن الإفصاح عن جوهر تلك الثقافة فيما سميت بالواجهة هو مقاربة لكشف حالات التماثل والمشابهة في واقعنا المعاصر من بروز ثنائيات تلك المعادلة حيث الاستبداد والتسلط والمنفعة الطبقية والمصالح والاستعباد في الأفعال والانهاط، ومن جانب آخر الواجهة والتحدي والرفض والصدق والائتمان والايان والتضحية والبذل وشرف الموقف في مسرح الحياة. فالسياقات الثقافية الحاكمة في تلك الرؤية وإن توزعت بين تاريخ الأمس وجغرافية اليوم فهي عبارة عن بنى متماثلة في الرؤية والهدف والايقاع أي (الرؤية الأموية أمس وحاضراً) ليس لها حاكم يجمعها عن الانفلات العقلاني؛ لأنها تعمل وفق سببية تاريخية تحركها السنن الكونية في نسق من الاحكام والاتقان تتباهى فه الأزمته والفضاءات رغم الاختلاف الكمي او الكيفي في مساحة الزمن، وهو ما تم قراءته بوضع بخطة تنتظم الحديث عن كل ذلك في مدخل تم فيه مقاربة الموضوع من زاويتين : الأولى : قراءة في المصطلح ومرادفاته والثانية : مقاربات في تحول الممارسة الى ثقافة. يلي ذلك المحور الأول وقد عنون بـ (المواجهة بديلا مغايرا لثقافة الخنوع) والثاني جاء للحديث عن (أنماط التشكيل وتعددية الأنواع) والثالث عنون بـ (ثقافة المواجهة الاليات والسماة)، يلي ذلك هوامش البحث وخاتمته ومن ثم قائمة المصادر ومراجعته.

مدخل تأسيسي:

أولاً: قراءة في المصطلح ومرادفاته

يعد فحص المصطلح أمراً بدهياً في مساحة الاكتشاف الدلالي للمدون والمستعمل تداولياً، إلا أن اكتشاف المضمون حين يقترن بالذات المستعملة فذلك يعد تحولاً واضاءة لقيمة المعنون، فالثقافة بوصفها مفهوماً إشكالياً متعددًا هي: « كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والعادات والتقاليد والقيم والفنون المنتشرة داخل مجتمع معين، حيث ينعكس ذلك على اتجاهات الأفراد وميولهم ومفاهيمهم للمواقف المختلفة»^(١) أي انها تتعالق بالمنتج لها وتنطلق من التخيل الاجتماعي الذي يشكلها فتعكس ممارسة وسلوكا على افرادها، ولا شك أنها كإجراء تعلن عن احتواء مضموني لمكوناتها في الذات التي تنتجها وهو ما تمثل في الامام الحسين عليه السلام، والمواجهة ان كانت فعلاً يشير الى استقبال الأشياء كما يقول ابن فارس: « تدلُّ على مقابلةٍ لشيءٍ. والوجه مستقبلٌ لكلِّ شيءٍ»^(٢) فان قراءتها كحدث يعبر عن كرامة الانسان وانسانيته حين تستلب ارادته بالقمع والعبودية يتغير معناها الى نتاج من معطيات تشكل الرؤية الحقيقية لقيمة الانسان في وجوده . وبلا شك ان تصاعد ذلك المدلول لا يكشف عن عراقته إلا في قضية جوهرية

تكون سنة كونية تؤصل لذلك المبدأ عند احياؤه في تجسيد واقعي يمنحه ذلك العمق من الفاعلية والتغيير كما هو الحال حين تقترن تلك المفردة بالإمام الحسين عليه السلام. وبلا شك إنَّ الملازمة بين المصطلح (المواجهة) والامام الحسين عليه السلام يمثل معادلة مشتركة من التداخل والتجاور، فالمواجهة فعل وممارسة ومبدأ يقنن لسيادة الذات الفاعلة والمجتمع الواعي الذي يتجانس مع كلِّ المقتربات التي جاء بها الاولياء والصالحون، والامام الحسين عليه السلام بلا شك انه المؤسس لتكريس تلك الثقافة من قول الحق وابداء الرفض وتثوير الجمهور قيادة وارشاداً دون قطيعة عن الخط الرباني المتمثل بالنص القرآني وبالممارسة النبوية او تجربة امير المؤمنين عليه السلام بفارق منطقة الاشتغال والمقامات المختلفة في ظروفها الاجتماعية والسياسية وغيرها، فلكل ظرف مقولاته وقوانينه، والمواجهة في محيط الامام الحسين عليه السلام افق لم يختنق في دائرة الزمن كونه حالة من التجسيد والخلق لثورة اسمها المقاومة او المواجهة لكل سلوك منحرف وضال، حين اصبح المجتمع ساكناً فاقداً لإرادته مذعناً قابلاً لثقافة الاذلال والعبودية الطوعية المدججة آنذاك .

وبلا شك ان ثمة فارقاً للإنتاج الاصطلاحي في المدونة الاستعمالية، فالمواجهة نسق من القدرة على التغيير والكيفية في تخطيط فاعلية تستجيب لحاجات الانسان والمجتمع في عملية دينامية الصراع والتنوع في البنى المختلفة. وهو مفهوم يختلف عن الرفض او التحدي أو التمرد في القيمة الفعلية لمعنى المدلول وفي مدارات التحقق والإنتاج فتلك المفاهيم لا تستبطن إلاَّ نسقاً من الانية المؤقتة او السلوك الراهن عند حدوث ردة الفعل في دائرة قوانين الصراع.

ثانياً: مقاربات في تحول الممارسة الى ثقافة.

في الحقيقة إنَّ مقارنة التَّحول في القيم او الممارسات السلوكية في أوليات الظهور الى ان تغدو ثقافة إجرائية قارة في البنية الذهنية للمخيل الاجتماعي أمر من الصعب الحكم في نسقيته أو مقولاته، لكن ما يتبلور من خلال الفحص في ابجدية التشكيل والتطور المرحلي قد يعد عاملاً مؤسساً الى قراءة الملامح المعرفية في تأشير ذلك التحول، فالمواجهة كأى حالة في بداية التشكيل لم تكن إلا ممارسة فردية لها فاعل منتج وحقل حاضن كإجراء تطبيقي تتمظهر من خلاله، والقراءة لذلك المسار تاريخياً لن تتجاوز المتوالية الفعلية لسلوكيات فردية متناثرة هنا وهناك، وان كانت التجربة السياسية للنبي ﷺ تؤسس لتلك المرحلة من التجلي في ذلك النسق فقد استبطن التاريخ تلك المواقف التي واجه فيها النبي ﷺ أعداء الحقيقة في بداية الدعوة وبعدها، وبعد ذلك برزت تجربة امير المؤمنين عليه في فعل المواجهة قولاً وفعلاً حتى غدا تاريخ تلك الفترة عبارة عن مرحلة صراع لم تفتنا فيها الأمة ساكنة فمن حرب الى حرب، ومن تغير في المواقف الى نمط من الغدر والانقلاب، وصولاً الى الامام الحسن عليه وما في معالم مرحلته من ذاكرة تؤسس استثمار معسكر اعدائه كل حالات المخاتلة وغياب الضمير للطعن في شرعية وجوده او وجوده أصلاً اقتراباً الى علامة تحول ذلك السلوك (المواجهة) من الأحادية الى عمل توالد في العقل الجمعي ممتداً في

أروقة الزمان والمكان والتلقي عند الامام الحسين عليه السلام. فأصبحت المواجهة ليست نسقاً فردياً او مقولة تاريخية بل ثقافة تحتط لبني الانسان معالم العزة والكرامة والقوة والتحدي والشجاعة في المسار المعلن انطلاقاً من المنظومة التي استوعبت كل القيم في لحظة الإنتاج وبمركزية تقوم على التعبير عن دوافع الانسان في الزمان والمكان حين يريد ان يكون حراً لا عبداً ذليلاً.

ولعل سؤالاً يجترح مخيلة القارئ يكمن في الإجابة عن المعيار في تحول المواجهة من ممارسة الى ثقافة في خطاب الامام الحسين عليه السلام؟ فيأتي القول أن الواقع الفعلي الذي تشكل عليه العقل الجمعي في فترة الامام الحسين عليه السلام لم يكن إلا بقايا مجتمع قد سلبت منه روح المقاومة او الإرادة في التعبير عن آلامه وهمومه قبال مزاعم ونوازع السلطة الحاكمة آنذاك فالمغربيات قد طالت المفاهيم والوقائع والتجارب، دون ان تكون هناك فسحة تأمل او لحظة انصات للعقل او الضمير في المأل والمنتهى، يقول محمد مهدي شمس الدين: «والذي اعتقده هو ان وضع المجتمع الإسلامي اذ ذاك كان يتطلب القيام بعمل انتحاري فاجع يلهب الروح النضالية في هذا المجتمع ويتضمن اسماً مراتب التضحية ونكران الذات في سبيل المبدأ لكي يكون منارا لجميع الثائرين حين تلوح لهم وعورة الطريق وتضمحل عندهم احتمالات الفوز وترجح عندهم امارات الفشل والخذلان» ^(٣) في ظل تلك الأجواء حين يأتي صوت الحقيقة والمهاجس المبحوث عنه في سلطة الخطاب والإرادة عندها تكون لحظة انتاج المواجهة لها هالة مقدسة وهيبة مضمخة بإزاحة

المسكوت عنه خوفاً وترهيباً ورعباً من السلطة الحاكمة وجبروتها، لا في الزمان والمكان المعينين فحسب بل في مساحة المتحرك زمانا ومكانا، ويمكن القول ان المواجهة تحولت من ممارسة الى ثقافة في خطابات الامام عليه السلام لان فعل الخطاب وسلطته عند الامام عليه السلام اكتنز في مواجهته منظومة من المتغيرات التي تتماشى مع ارادة الانسان الباحث عن الحرية وفق مقولات العبودية الحققة، فتمط المواجهة عند عليه السلام عبرنا عنه انه ثقافة؛ لأنه استطاع تزييف الوعي المخاتل عند السلطة القائم على تمويه الناس بطاعة الحاكم وان كان ظالما، وان ليس على احد الا الامتثال والخنوع بلا معارضة او ابداء راي او مفاتشة عن شيء، ولأنه عليه السلام بقوة وصلابة ووضوح قام بتعرية منطلقات وأساليب واغراءات السلطة النفعية، فكان في ذلك مثالا لخلق النموذج الفاعل في الأسلوب والتفكير والوعي بما تريده السلطة الحاكمة زمانا ومكانا من الناس . والاتجاه الأولى في ترشيح منطق المواجهة بانه ثقافة لا ممارسة زمنية هو واقع الاستجابة المفارق لنمط الهوية والاختلافات العقدية، فصدى انعكاس مواقفه عليه السلام أسهمت بفاعلية تحريك العقل الجمعي الإنساني في ازمنته وامكته المختلفة فمنه انطلقت الثورات كـ : « ثورة التوابين وثورة المدينة وثورة المختار الثقفي وثورة مطرف ابن المغيرة وثورة ابن الاشعث وثورة زيد بن علي وثورة ابن السرايا»^(٤).

المحور الأول: المواجهة بديلاً مغايراً لثقافة الخنوع.

لعل الاطار الذي يتحرك عليه القرآن في نسق خلق الإرادة الفاعلة عند الناس في المواجهة والتغيير محكوم بالسنة الكونية الى تحكم الوجود، فالصراع حقيقة ثابتة بين الرغبات والعواطف والميول والاهواء، لذا كان التقنين لضابطة المواجهة في النسق المختلف من القوى المتصارعة امرًا اختزن طاقة اشارية فاعلة لتوجيه الجمهور وتوعيته بالتصورات القابلة للاسترشاد والهداية والتأثير في خلق النظام المتكامل الملائم لمرتبة الخلافة الإلهية المنوطة به .

فيولي القران الكريم ضبطاً لإيقاع ثقافة التعاطي مع الظلم المتمثل بالسلطة فيقر حقيقة عدم الاستكانة حين يكون الاستضعاف مبرراً للاستسلام والخنوع وهناك من البدائل مايسمح للخروج عن نمط تلك الطاعة من العبودية ، يقول تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء: ٩٧) .

وفي تأكيد آخر يلجأ القران الى الوعيد بأسلوب يقوم على النهي يختزن دلالة تجنب الاتباع والركون للظالمين، لأن النسق المعادل للمؤمن انه عزيز لا تعتوره ثقافة التماهي والانصياع والخنوع، يقول -تعالى- : (وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى

الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (هود: ١١٣) والركون ما هو إلا نتيجة طبيعية لاعتياد الهزيمة والتقبل التي تسيدت المشهد آنذاك وفي هذا الحدث تصوير عن نتائج الخضوع للسياسات الباطلة وماتودي به من اثار على نسيج المجتمع المسلم بإفراح الظلم ان يقوى ويسود في الواقع.

وفي تحول آخر يعود القران الكريم لتأسيس مرتكز من التأكيد على المواجهة في عملية من الانتقاء نوعا واسلوبا، دون الاكتفاء بتشخيص آثار التبعية والرضا بالفعل الاستبدادي المعزز لقيم الخنوع والطاعة العمياء، يقول -تعالى-: (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (الشعراء: ١٠)، فالسياق هنا ينطلق من البعد الرسالي للأولياء والصالحين في مهامهم السياسية والاجتماعية والاخلاقية وبصورة مغايرة في الزمان والمكان والمحيط الخارجي، فالظرف الضاغط في تلك المتوالية النصية استجلب ذلك النمط من الخطاب حيث المواجهة مع من؟ مع فرعون المتسلط الطاغي. يقول سيد قطب: «فهي المواجهة القوية الصريحة بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر. فهي حقيقة واحدة لا تحتل التدرج والمدارة»^(٥) ومن ثم في ظل تلك المتوالية القرآنية يصبح فعل المواجهة ثقافة وأسلوب حياة وتفكير يمكن أن يؤسس لمعرفة واعية بالمتغيرات السياسية والاجتماعية وما ينبغي فعله حين تكون هناك محطات من الازلال والاستعباد شريطة لا ان تكون تلك الممارسة سلوكا خاليا من مقومات الوعي بالمراد تحقيقه .

ويسري تغلغل مفاهيم تلك الثقافة أي (المواجهة) في الممارسة الفاعلة لسلطة النبي ﷺ وماتعرضه له مدة وجوده في تادية رسالته، فالمالوف ان ولادة الدعوة الإسلامية لم تكن بمنأى عن القمع والتنكيل والتشويه لذات النبي ﷺ ورسالته، ومع ذلك توافرت سياسة النبي ﷺ على أنماط من الأداء تؤسس لقبولية المواجهة خطابًا وسيفًا وحوارًا، في اغلب الحالات المعاشة آنذاك، وليس ادل من مواجهته ﷺ وشجاعته في رفض الاستمالات حين طلب منه ﷺ التخلي عن رسالته فهو القائل ﷺ : «وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ»^(٦)، وبتلك الصورة فان البداية لاعتناق المعتقد كما يؤسسها النبي ﷺ هي صورة لتنشيط الحركة المثالية في الايمان والاعتقاد والشجاعة بعيدا عن املاءات المستبدين والعاكفين على تحوير الحقيقة .

وفي كل مسيرة تاريخه ﷺ صورة مثلى لتأسيس ثقافة العزة والمواجهة سعياً في تشكيل عقيدة قادرة على تحطيم كل الوقائع والاحداث العاصفة، فهو القائل ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر »^(٧) لما في ذلك من مشروعية إضفاء مناخ المتابعة والمحاسبة لعمل السلطة وإشاعة فضاء من التحفيز لإبداء الراي والتعبير عن الحقيقة التي يجب ان تقال رغم الأجواء التي يخلقها جو السلطة المستبد، لذلك اعطي ذلك الاجراء بانه (الأفضل) ترغيباً وتحفيزاً لتجسيد تلك الثقافة .

وعند معاينة سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في محطاته المختلفة حاكماً وموجهاً وانساناً فان تماثلاته بادية للعيان في تمتين تلك الثقافة وقيمتها في المجتمع، فضلاً عما يتحقق من غياب لها في الوسط الاجتماعي والسياسي . فهو القائل عليه السلام في وصيته الأخيرة لابنيه -عليهما السلام-: « وكونا للظالم خصماً و للمظلوم عوناً . أوصيكما و جميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم» ^(٨) فالتقنين لتلك المقولة الخطابية يقتضي ابلاغاً تأكيدياً الى أهمية صياغة مبادئ الوقوف بوجه الظلم والظالمين فهم الخصوم والمانعون لنشر الفضيلة وقواعد الخير في المجتمع، فالتجربة المدركة من سياسات الظالمين هي خرق لقوانين العدالة الإلهية وجوهر الوجود منوط بسيادة الممكنات وفق ارادته وتقنياته في الخلق، من هنا كانت المواجهة في بعدها العميق هي ارجاع القيم الحققة والممارسات البشرية الى اوليات الأصل والمنشئ كما يدركها القيمون عليها .

وفي تأمل لمقولة أمير المؤمنين عليه السلام عن سياسة الرضا والخنوع لما يفعله الظالمون كبديل مغاير عن ثقافة المواجهة نلاحظ عمق المشاركة في ذلك التأييد ومدى انعكاساته على المستوى النفسي والاجتماعي، يقول عليه السلام : « الرّاضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم و على كلّ داخل في باطل إثمّان : إثمّ العمل به، وإثمّ الرّضا به» ^(٩) فالرضا النفسي نوع من الاتباع الممهد لإرساء ملازمة بين التسلط والتأييد وما في ذلك من خطر مستقبلي يؤسس لسيدة مناخ من الاستبداد والقبول لمعالم الهيمنة والاكراه .

وفي اغلب رسائله لولاته يلحظ مساره عليه السلام في التصور والرؤى والمنهج المعالج للاستحواذ والهيمنة سواء اكانت على مستوى الذات او السلطة في الممارسة غير المتطابقة مع قواعد الصورة الحقيقية من قبل المتولين آنذاك، فجاءت المعارضة بنوع يقوم على المواجهة والتفصيل في ابداء انساق الابتعاد عن الصواب في المنظومة المرسومة لذلك، وهذا ما يلحظ في رسائله عليه السلام الى محمد بن ابي بكر والى عثمان ابن حنيف والى المنذر بن الجارود العبدي او الى مناوئيه كعأوية وعمر بن العاص وعبدالرحمن بن الاشعث وغيرهم . مثال ذلك مواجته لمأوية في رد على رسالته يقول عليه السلام: « وَ مَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ؟ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ وَ وِلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بَغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ وَ لَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَ أُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًّا فِي غَرَّةِ الْأُمِّيَّةِ مُخْتَلَفِ الْعَلَانِيَةِ وَ السَّرِيرَةِ وَ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا وَ أُخْرِجْ إِلَيَّ وَ أَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ الْمَغْطَى عَلَى بَصَرِهِ فَأَنَا؟ أَبُو حَسَنٍ؟ قَاتِلُ جَدِّكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخَا؟ يَوْمَ بَدْرٍ؟ وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينًا وَ لَا اسْتَحَدَّثْتُ نَبِيًّا وَ إِنِّي لَعَلَى الْمُنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ» ^(١٠) وفي ذلك نموذج تقسم فيه العقول حيث الصراع على امتلاك الحقيقة، في نمط من الخطاب يقوم فيه الامام عليه السلام بتعرية خصمه جملة وتفصيلاً بموقف يكشف فيه عن قوة الكلمة حين تكون سلاحاً قادراً على فرز التمويه والمراوغة في ماهية الصراع المطلق بين الأفكار والذوات . وفي سياق التعريف بمحددات المواجهة عند

الامام الحسين عليه السلام فأنا نلاحظ صورة التعبير جلية في المعطى السياسي السائد انذاك، فالمواجهة كمفهوم ونتاج تحول في عهده عليه السلام الى أداة فاعلة يستعطي من خلالها التمايز بين ثقافتين ثقافة المواجهة وثقافة الخنوع حين انفصلت الجموع آنذاك الى فريقين. بدافع مجموعة من العوامل افرزت ذلك البون في التأييد او الرفض، استناداً الى قبليات مسبقة أسست لذلك الصراع ولم تزل متوقدة دون أن تقف عند الامام الحسين عليه السلام. وما يعمق اطلاق التحول في نسق المواجهة من ممارسة الى ثقافة، هو انعكاسات التعاطي مع ابعاد ثورته عليه السلام تاريخياً والاستغراق في مدلولاتها ومضامينها اجتماعياً تارة أخرى، فكان التوالد معها يتماهى مع حاجات الانسان الفطرية في توقه الى الخلاص من الهوان والعبودية الطوعية التي انتجتها ثقافة الاستبداد القائمة على تجاوز الحاجات الإنسانية وغاياتها في فلسفة الحكم. لذلك فمقولاته عليه السلام تمثل هاجسا يستشعره المتلقي عندما تصادر حريته ويقمع المرسوم له من اهداف وغايات في ظل تقنينات الظلم والتسلط، يقول عليه السلام باعنا تلك الثقافة : «قال جدي محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء: من رأى سلطانا جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عبادة الله بالأثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله»^(١١) وهنا يحيل الامام عليه السلام الى استراتيجية قصدية تختزن بعداً قرآنياً تستدعى فيه مخيلة القارئ لمراجعة الدلالات الراقدة في اتباع ذلك السلوك وما يسفر عنه، فالتمثيل يشير الى قوله تعالى : (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار)

(هود: ١١٣) من زاوية والاحالة الى النبي ﷺ في اعتماد روايته بالإشارة الى ذلك المنحى، لإنتاج الدلالة الكلية المرادة في فخامة المآل الذي تؤول اليه طاعة السلطان الجائر وعدم الخروج عليه بالفعل او القول، فان العاقبة تكون الجزاء نفسه الذي اعد للظالمين، وهو مما لا يتصور او يدرك . فضلاً عن ذلك فان الامام عليه السلام يعتمد الى تثوير حالة القبول والرضا عند الجمهور بما انطى عليهم من وهم او خوف بالاعتماد على المحركات الجزائية وهو ماعمده اليه الأسلوب القرآني للردع والتنبيه في مخاطبة الضالين والغافلين والمضلين . وتارة تبدو المواجهة في خطابات الامام عليه السلام منهجا يخلق قبيها فتغدو ثقافة صالحة للتجذر في السلوك والطبائع الذاتية والمجتمعية حين تتعاطى مع سلطة لا تعرف إلا الجور طريقاً ومنهجاً في الحكم على الناس، يقول عليه السلام : « إِنَّا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ، وَمَعْدِنِ الرَّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفِ الْمَلَائِكَةِ، بِنَا فَتَحَ اللَّهُ وَبَنَّا نَجْتَمِ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ شَارِبُ الْخُمُورِ، وَقَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، مُعَلَّنٌ بِالْفُسْقِ، وَمِثْلِي لَا يَبَايِعُ مِثْلَهُ»^(١٢) فالمتخيل في ذلك النمط هو القراءة المغلقة التي يعلن فيه بالتمثل الصريح وفق المعطيات الظاهرة ان الحسين عليه السلام لن يبايع يزيد وهو ما يؤول اليه النص في معناه المباشر، إلا ان القراءة المفتوحة تتيح استنطاق النص في استرفاد معنى القيم الحققة التي تؤصل لمبدأ يتماشى مع المثال الحقيقي للحاكم بان لا مبايعة ولا طاعة ولا ولاية للمنحرف الفاسق الضال على اهل الايمان والورع والتقوى . اما قوله عليه السلام : « هَيْهَاتَ مِنَّا الذَّلَّةُ، يَا بِي اللَّهُ لَنَا ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»^(١٣) فهو توصيف لثقافة نمط من الجموع

تسكن الى الهوان والذل بما درجت عليه من قابلية في الاتباع والتقليد دون هاجس من التأمل او الاستشعار في ضياع المعتقد او الهوية او الذات، يقول مالك بن نبي عن مفهوم القابلية هو : « حالة خاصة تصيب بعض الشعوب فتستخذي للهزيمة، وتقبل الاستسلام للخصم، والوقوع تحت سلطته»^(١٤) وهو ما يرفضه الامام عليه السلام كمنهج وكثقافة وكرسالة، فمواجهة المصير أيا كان هو النصر والعزة والكرامة وأول ذلك هو القول الفصل في رسم سياسة المواجهة ومن ثم الفعل. دون ان تنكر عوامل تشكيل ثقافة الخنوع وهي ثلاثة كما يقول حسن الصفار: « التضليل الديني والفهم الخاطئ للدين والخوف والجبن»^(١٥) فقد كانت عوامل بارزة في الحضور والتقبل . فالملامح النفسية في حضورها المعلن آنذاك لم تكن الا تمثلا لسيكولوجية المجتمع المقهور إزاء الاحداث المحيطة بالواقع السياسي والاجتماعي في تحوله وثباته، لذلك فخلق المعادل لتلك المنظومة ما هو الا قيمة تعيد انتاج كرامة الانسان في ظل ذلك الضياع ولغة القمع في مظلتها المستترة والظاهرة، والدليل على ذلك الاستلاب ما ورد من مقولات صارخة تكشف إشكالية ذلك الانهيار والتردد في شبكة القناعات والاعتقادات والقيم، يقول الفرزدق :

« لَقَيْتَنِي الْحُسَيْنُ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي مُنْصَرَفِي مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَالَ : « مَا وَرَأَكَ يَا بَا فِرَاسٍ ؟ » قُلْتُ : أَصَدُّكَ ؟ قَالَ : « الصَّدْقُ أُرِيدُ ». قُلْتُ : أَمَّا الْقُلُوبُ فَمَعَكَ ، وَ أَمَّا السُّيُوفُ فَمَعَ بَنِي أُمِّيَّةَ ، وَ النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . قَالَ : « مَا أَرَأَكَ إِلَّا صَدَقْتَ ، النَّاسُ عَبِيدُ الْمَالِ ، وَ الدِّينُ لَعْوٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يُحَوِّطُونَهُ مَا دَرَّتْ

بِهِ مَعَايِشُهُمْ، فَإِذَا مُحِّصُوا لِلْإِتِّلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُونَ» (١٦) فتلك البنية النفسية للنسيج الاجتماعي عبارة عن اغتراب ادماجي تتداخل فيه مقومات التحديد والرؤية المتفحصية، لانه لايمثل إلا حوارية يسدل فيها الستار عن مخبوء من النفوس يمكن ان توجه الى ماتريد من افتعال التوحش او الانحراف نتيجة لضياح بوصلة الأفق والمسار، وبلا شك ان تلك الإحالة النصية في مدلولها السوسيو سايكولوجي صياغة لابراز مساحة المواجهة في ذلك الجو المتلبد بالانهيار والمزاجية واللا رؤية .

وفي ملمح آخر تتجلى تلك النسقية من الاستعباد القهري للمجتمع المعاصر لنهضة الامام عليه السلام، يقول : محمد بن الحنفية : « حينما كان ينصح الإمام الحسين: إنَّ أخشى ما أخشى أن تدخل إلى مصر وبلد من بلاد المسلمين فيختلف عليك المسلمون، فبعض يقفون معك وبعض يقفون ضدك، ويقع القتال بين أنصارك وأعدائك فتكون أضيع الناس دمًا، الأفضل من ذلك أن تقف بعيداً عن المعترك، ثم تبثَّ رُسُلكَ وعيونك في الناس، فإن استجابوا فهو، وإلاَّ كنت في أمن من عقلك ودينك وفضلك ورجاحتك» (١٧) وعلى هذا الوزن كانت تلك المعطيات التي لم يرصد لها أي سبق او محاولة تعيد تنميظ المشهد بما ذلك في ذلك تفكيك هواجس الخوف التي غيبت التوازن الذاتي والاجتماعي في محيط الرؤية، اللحظة المواجهة التي مايزت بين ثقافتين في النوع والمنهج وحققت ميلا الى تأكيد نزوع سمة التحرر في ضمير الانسان ووجدانه كما رسمها عليه السلام .

المحور الثاني: أنماط التشكيل وتعددية الأنواع

يمكن القول أن المواجهة كنظام مقنن في خطابات الامام الحسين عليه السلام مثلت مركزية فاعلة في خلق نسق ثقافي متعدد بتنوع الحقل الذي يستنتق منه مدلول الخطاب، فالمنطلق في حقل الاشتغال عنده عليه السلام هو الرسالة باختلاف المتلقي، لان الجوهر في عملية الاستشهاد والتمثيل هو ابلاغية الفعل المقصود في صيرورته الزمانية والمكانية، من هنا توزعت المواجهة في تظاهرات خطابه عليه السلام لتكون دائرة تستجمع فيها منظومة الحفاظ على الدين بما هو دين تتنظم فيه ديمومة الحياة ومصائر الناس، يقول شريعتي : «الخطر محقق ولو لم يتعر الامر ويدان لو لم تفضح الفعلة الشنعاء وتستنكر لأصبح رداء النبي وشعار الإسلام بل حتى القران رمزا لتغطية النظام الجديد»^(١٨) هذا فيما يتعلق بنطاق مواجهة استبدال السلطة حيث تجلى خطاب الامام عليه السلام شاخصا في ذلك المحور معبرا عن سياق ثقافي واجتماعي وسياسي عاشته الامة وامتحننت به في ظل تصورات واهمة مورست عليها فكان ماكان من خطب وتضادات في التأييد والمعارضة له عليه السلام، من ذلك يقول عليه السلام : « لا والله، لا أعطيكُم بيدي إعطاءَ الذليل، ولا أفرُّ فرارَ العبيد »^(١٩) ويقول عليه السلام : في موضع اخر : « لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد »^(٢٠) ويقول عليه السلام في نص آخر مواجهًا سلطة معاوية : « فأبشر يا معاوية بالقصاص،

واستيقن بالحساب، واعلم أنّ الله تعالى كتاباً لا يُعادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها، وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنّة، وقتلك أو لياؤه على التُّهم، ونفيك إيّاهم من دورهم إلى دار الغربة، وأخذك النَّاس بيعة ابنك الغلام الحدث، يشرب الشَّراب، ويلعب بالكلاب، ما أراك إلاّ قد خسرت نفسك، وبترت دينك، وغَشَشْتَ رعيّتك، وسمعت مقالة السّفيه الجاهل، وأخفت الورع التقيّ))^(٢١) اذ يستأثر الخطاب في مجمل تلك النصوص مقياسه بين طرفين احدهما لا يدهن ولا يخشى الموت ولا يعرف الا منطق القران ووعيده للظالمين واخر تتخلى عن كل تلك الماثر فغدا متجبراً على الله واوليائه، ليكون المسار بالأفق الذي يأخذ الناس الى وجه الحقيقة، حين تكون هناك افاق من الصراع المستعر في المنطق والرؤية والأخلاق. وتلك مواجهة تعد من اعظم الجهاد في منطق الرسول ﷺ لأنها تحتزن مغامرة بالنفس في ظل بطش السلطة وقتكها بما فيها من سلوك لا يتنجز في سياقات القول فحسب بل في إبادة الحياة كما فعلت معه ﷺ . وهو ما سمرت عنه تلك المواجهة كالية اعتنقها الامام ﷺ بعد ان استنفذ وسائل الخطاب في الارشاد والتنبيه الى اثار ذلك الفعل فيما بعد على الامة وعليهم، لأن الحتمية الإلهية لن تتخلى عن سننها في رصد الظالمين وهلاكهم بما سيتجلى من فعل على يديها. يعبر احد الباحثين عن تلك المواجهة النادرة والشجاعة: « إنّ الحسين ﷺ بقيامه في وجه الجور والفجور مقابلاً ومقاتلاً، أحيا ذلك الشعور الإسلامي السامي الذي مات في حياة معاوية أو كاد أن يموت، ونبه العامة إلى حب الحياة،

ورعاية الذات واللذات، والتخوف على الجاه والعائلات لو كان تبرر لأولياء الدين مصافات المعتدين لكان الحسين أقدر وأجدر من غيره، لكنه أعرض عنها إذ رآها تنافي الإيمان والوجدان، وتناقض الشهامة والكرامة، فجددت نهضته في النفوس روح التدين الصادق وعزة في نفوس المؤمنين عن تحمل الضيم والظلم وعن أن يعيشوا سوقة كالأنعام وانتعشت إحساسات تحرير الرقاب والضمائر من أغلال المستبدين وأوهام المفسدين»^(٢٢).

وبإزاء تلك المواجهة تحيل كلمات الامام عليه السلام الى نسق آخر في تحول خطابه حيث مواجهة السلوك الجمعي وهو النمط المتشابه في الأفكار والتصورات نتيجة مؤثر مشترك يحكم عليهم توحيداً في الانبعاث والرؤية، اذ يوازي في خطره ما تقوم عليه وبه السلطة؛ لأنه الأداة النافذة في تمرير سياسات التضليل والمخاتلة والحرب، لإحداث مركزية شرعية تتحرك من خلالها السلطة في كسب مقومات بقائها وديمومتها . وهو ما واجهه الامام الحسين في ثورته فكان تلك الثلة حاضرة في خطابه بوصفهم جماعة من الظالمين أنفسهم والمستضعفين والمتملقين والهمج الرعاع والخائفين والمتزلزين والساعين الى المال وغير ذلك.

اذ لم يكونوا من الرواسب المنسية في الحضور والتضليل، لذا كان فعل المواجهة سبيلاً الى كشف نمطية هؤلاء في الممارسة والسلوك، وهو ما سعى اليه الامام عليه السلام في بعض كلماته، يقول عليه السلام : «أيها الناس، إنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى الله، ونحن أهل بيت محمد أولى بولاية هذا

الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين بالجور والعدوان»^(٢٣) اذ يبطل الامام عليه السلام دعوى المدعين باستشارة خطاب العقل والعودة الى الذات وفحص ايمانها بالتقوى ومعرفة الحق، فسياق المراجعة كفيل بمعرفة في من تكمن فيه الاحقية والولاية لأمر قيادة الناس، فالموجه للحقيقة ليس ادعاءات الضلال بل المدرك حقيقة في خاصية ثباته على الرشاد والسداد. ويقول عليه السلام: «وَيُحْكُمُ يَا شَيْعَةَ آلِ أَبِي سُفْيَانَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ فَكُونُوا أحراراً فِي دُنْيَاكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أعرَاباً فَنَادَاهُ شِمْرٌ فَقَالَ مَا تَقُولُ يَا ابْنَ فاطمةَ قَالَ أَقولُ أَنَا الَّذِي أَقاتِلُكُمْ وَتَقَاتِلُونِي وَالسَّاءَ لَيْسَ عَلَيْنَهُنَّ جُنَاحٌ فامْنَعُوا عُتَاتِكُمْ عَنِ التَّعَرُّضِ لِحَرَمِي مَا دُمْتُ حَيًّا».^(٢٤)

وفي سياق آخر يواجه عليه السلام ذلك السلوك الجمعي بمقال من الذم والتشنيع من الفعل الممارس، يقول عليه السلام: « يَا أُمَّةَ السُّوءِ، بِسْمًا خَلَقْتُمْ مُحَمَّدًا فِي عِرْتِهِ، أما إنكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي»^(٢٥) واصفاً الجموع التي تأمرت على قتله بانهم امة سوء، له منظومتها في خلق السيادة الضالة حيث تضليل الناس لتزييف رسالات الأنبياء والاولياء في ممارسة من الخديعة والتأويل والاستهجان بعيدا عن التصور الحقيقي الذ اريد للإنسان ولفاعلية الدين في الحياة . وهنا تأتي جدوى المواجهة من انها ثقافة لا تحتنق في دائرة الزمن ففي كل ان هناك امة سوء تنقلب على القيم الحقنة لتضليل الناس سعيا في نزوات ذاتية وأخرى أيديولوجية او مالية كما هو معهود في عالم اليوم .

وتصفي مواجهة القيم المنحرفة في خطاب الامام الحسين عليه السلام تأسيسا يتحرك في فضاء العقل المستبصر للحق، يقول عليه السلام: « ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء الله »^(٢٦) فحين يكون الحق مجرد شعار والباطل وجود مستساغ عند ذلك يغيب الوجود الحقيقي لرسالة السماء ومشروع الأنبياء والخلافة للحقة للإنسان في الأرض، وتصبح الحياة بلا معنى او هدف يسعى لها وفيها الانسان، وهو ما يتعارض مع الأمانة التي انيطت بالإنسان في حفظ المسارات وتغيير المعادلات الى مواطن الصواب، لان النهاية هي تطبيق الممارسة بوحي وإرادة دون الوقوف عند لحظة راهنة او ممارسة آنية . وهكذا فسياق المواجهة لتعديل تلك القيم نابع من رسالة سماوية تلتمس في حقيقة خطابه عليه السلام في ضوء محك المحنة التاريخية التي غاب فيها معيار الحق والحقيقة. فالحق قيمة لها تمثلاتها لا تعرف بالذوات كما يقول امير المؤمنين عليه السلام بل يعرف الرجال بها: «إعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف أهله .. إنّ الحق لا يُعرف بالرجال وأنّما يُعرف الرجال بالحق»^(٢٧)

وفي مواجهة تقييم الذات فان المقاربة في فحص نصوص الامام عليه السلام تشي بنوع منفتح على تمثلات شتى لا تعدو ان تكون الا سلما لمراقبي الانسان وتكامله في الحياة على صعيد الموقف والواقع والجزاء وغير ذلك، من ذلك يقول عليه السلام: « قَوْمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّهَامُ رُسُلُ الْقَوْمِ إِلَيْكُمْ »^(٢٨)، فصيغة الخطاب تتكامل مع المتمات المرادة في سلوك سبيل

اليقين حيث الموت المكمل بالخلود، والامام عليه السلام هنا لم يعتمد في تلك المواجهة الى اختبار صحبه، فهو متيقن من حتمية عشقهم لذلك الطريق، لذا جاءت الأسلوب متضمنا الدعاء بالرحمة لهم في تلقي مصيرهم الاتي . ويقول عليه السلام : « لا تتكلف ما لا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه ولا تنفق الا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء الا بقدر ما صنعت ولا تفرح الا بما نلت من طاعة الله ولا تتناول الا ما رأيت نفسك له أهلا» (٢٨) ليستحضر تلك المتواليه في نطاق اعداد الذات، اذ يستلزم الانسان مواجهة ذاته بالامثال والمعايته والمراقبة لما اريد له من صفات الكمال، وذلك منهج آهي فيه مقتضيات من اللزوم والتوكيد على المحاسبة والانابه والمراجعة، استنطقه اهل البيت عليهم جميعا استشعارا بضرورة مواجهة الذات حين تكون بين صراعين في تلك الحياة . ويقول عليه السلام في نص اخر مفضيا الى حقيقة مركزية الحاكم في الحكم وشروط فاعلية الصلاح وإقامة العدل، تقنينا لنمط من فحص الذات حين تكون في موضع المسؤولية والإدارة : « فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله» (٢٩)

اما على مستوى القيم فيحيل عليه السلام الى جهاز من التشريع الأخلاقي يرسم للإنسان ذاته الحقيقية حين التمثل بتلك الصفات يقول عليه السلام : « الصِّدْقُ عِزٌّ، والكِذْبُ عِجْزٌ، والسِّرُّ أمانةٌ، والجِوَارُ قَرَابَةٌ، والمعونةُ صِدَاقَةٌ، والعملُ تَجْرِبَةٌ، والخُلُقُ الحَسَنُ عِبَادَةٌ، والصَّمْتُ زِينٌ، والشُّحُّ فَقْرٌ، والسَّخَاءُ غِنَى، والرِّفْقُ

لُبُّ»^(٣٠) فالعبء الأخطر في المواجهة هي الذات لذلك يأتي التقويم في كينونة المنظومة التشريعية والأخلاقية والعقدية منهجا للصالح والتماهي في فضاء صناعة الاسوة الفاعلة في محيطها السياسي والاجتماعي

المحور الثالث : ثقافة المواجهة الاليات والسيات

لم تخل مواجهة الامام عليه السلام لأعدائه كنمط ثقافي من محاولات التأسيس لقواعد منهجية في هذا المسلك بوصف المواجهة منحى له اصوله وادواته، التي تمتد نسقا مؤثرا في بنية المخاطب ان احكمت بإتقان، وهذا الملمح او تلك الكيفية يمكن تجليتها من خطابات الامام عليه السلام في محورية نصوصه الدالة على فعل المواجهة الذي اطلقنا عليه بانه ثقافة . فغدا انتاجه عملية تمارس عند الشروع في عرض سياسة العدو وبيان الاليات الحاكمة في تفكيكها واستئصالها، فأول ما يلحظ في تلك الاليات هو تفكيك الاصوليات المؤسسة لدعامة الشرعة لوجودهم، لتعرية الصناعة والفعل الخطابى من ثقافة التمير والتزويق اللتين اشيعتا في المجتمع الإسلامي وانطلت على كثير من الناس في معرفة الحقيقة والذوات والمبدأ، اذ يقول عليه السلام ناسفا قضية صلاحية الامة بالخلافة من الأساس اعتمادا على الحجة القولية الصادرة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو مرجعية الجميع حكما وقولا في قيادة الناس وتوجيه مصالحها، يقول عليه السلام : «على الإسلام السَّلام إذا بُليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدِّي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»^(٣١) فالواجهة الفكرية هنا تنطلق من التأسيس لوضع التمهيد

بالحكم على شرعية الآخر في منظومته ورؤاه ليكون كل ما بعد ذلك مرحلة تالية للبيان والتصنيف . ولعل ذلك توظيف لحقيقة مستقبلية يكون كشف الاصوليات المنحى الأول فيها اي - المواجهة - مع الآخر أيا كان . وفي زاوية أخرى لا يتوقف المدخل عند عرض الاصوليات لبني الامية كسياسة في المواجهة بل التركيز على حمولة ذلك الفكر وما يستتبعه من اثار انيطت الولاية بهم فيقول: **عليه السلام**: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق» ^(٣٢) فالخلفية الذاتية للمخاطب في النص هي (الفسق وشرب الخمر والقتل والاشهار بالفجور) وتلك بيانات ودلائل على مركزية الامة في الخط المنحدر اخلاقا وشرعا وسيرة لا تضمن للناس إلا الانحراف والغرق في مستنقعات الهاوية . لذا جاء القول مائزا لتحديد أي نمط من الناس أولى بالاتباع والقيادة في إدارة الحياة وضمان العدالة ووضع الأشياء مواضعها.

وتارة يتضح الشروع في تفكيك الاصوليات كأداة مركزية في المواجهة عند الامام **عليه السلام** من خلال تدشين خطاب جديد يكشف عن هاجس من القلق قد تعيشه الامة في ظل تزييف الوعي والباطيل المصطنعة في الواقع المغلق اذ ذلك لغرض وضع المعادل الموضوعي كإجراء يحدد المسيرة والخط والهدف كقبلة مسار تعين من القلوب المستبصرة والضائر اليقظة في سماعها وتلقيها لكل من الفريقين . يقول **عليه السلام**: «ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان تركوا طاعة الرحمن واطهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا

حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا احق من غيري، وقد أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم ببيعتكم، وانكم لا تسلّموني ولا تحذلونني، فان تمتمت علي ببيعتكم تصيبوا رشدكم، فاني الحسين ابن علي وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلکم في أسوة وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ماهي لكم بنكر لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه»^(٣٣) فتصادم الرؤى واستشراف المستقبل بعين المغشي عليه قد يفسد الرؤية لما هو آت وما هو مرتقب عند حلول الجزاء، فتأتي المواجهة بتلك الالية لكشف حدود الواقع والبنية الاجمالية لمن أراد الانحراف عن الخط الرباني والقادة الألهيين .

وفي نزعة أخرى كنمط من اليات المواجهة يبدو الاستعداد النفسي استراتيجية بادية للعيان في مقولات الامام عليه السلام وهو مفصل لا يتحدد في كونه انتاجا أنيا او مرحليا بل يمكن القول انه ركيزة رئيسة في صناعة خطاب المواجهة حين تكون ثقافة، فالمواجهة عبارة عن موقف ينطلق من النفس فان لم يكن هناك اعداد وتهياة فليس لوجودها من آثار يمكن ان تخلق جدواها في اللاحق من الزمن. فهو القائل عليه السلام : « انه قد نزل من الأمر ما قد ترون وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جذاء فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوييل الا ترون ان الحق لا يعمل به

وان الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققا فاني لا أرى الموت
 الا شهادة ولا الحياة مع الظالمين الا برماً» (٣٤) بهذا اللون تتوالد نقطة الارتكاز
 في تاشير فعل الاستنارة النفسي بما سيؤول اليه من مصير وهو بعد يتضمن
 فعلا انجازيا يسعى لتحريك من حوله في الاطمئنان الى نتيجة تلك الواقعة
 بانها سعادة والحياة مع الظالمين تعاسة وشقاء، لان المؤلف في الاسوة وهنا
 هو الحسين (عليه السلام) يمثل قطب الرحا في إضفاء سياسة الاقناع والاستمالة في
 الجذب وهو ما تحقق فعلا في منطق المواجهة مع الأعداء، وهو القائل أيضا
 : « مرحبا بالقتل في سبيل الله» (٣٥) والقتل في سبيل الله ممارسة تعبدية تنطلق
 من مقدمات يقينية تقود الى القبول والرضا ومن ثم الطاعة والانصياع لكل
 ما هو في سبيله ومن اجله، والامام (عليه السلام) يمارس سلطة من الاقناع من خلال
 الإحالة الى جزاء فعل القتل في سبيل الله وهو تكثيف نفسي مقصود يقول
 تعالى : (والذين قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلِّحُ بِهِمُ
 وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ) [محمد : ٦٤]، ويقول -تعالى- : (وَلَا تُحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ) [آل عمران : ١٦٨] .

ويقول (عليه السلام) : « صَبْرًا بَنِي الْكِرَامِ! فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَ
 الضَّرَاءِ إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ. فَأَيْكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ
 إِلَى قَصْرٍ؟ وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرِ السِّجْنِ وَعَذَابٍ. إِنَّ
 أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَ
 جَنَّةُ الْكَافِرِ وَالْمَوْتُ جِسْرٌ هُوَ لَاءَ إِلَى جَنَّتِهِمْ، وَجِسْرٌ هُوَ لَاءَ إِلَى جَحِيمِهِمْ،

ما كَذِبْتُ وَ لَا كُذِّبْتُ» (٣٦) فكما قام عليه السلام بخلق فاعلية الاستعداد النفسي في الاقدام على المصير الاتي وهو بؤرة القوة الحقيقية في مواجهة الخصوم، نراه يعمد الى توظيف استراتيجيتين في ذلك الاطار تقومان على الترغيب في رسم الجزاء الاتي من الجنان والنعيم المقيم لأصحابه والسائرين في دربه والحجيم والشقاء لم وقف بالضد منهم عليهم السلام ممانعا وصادا ومفتريا .

ولن يفصل المعطى التفاوضي عن محددات ثقافة المواجهة، في اوليات الحوار قبل استنفاد السبل والأدوات في التواصلية الخطابية، وهو مؤشر قراني واضح اعتمد كنسق للتوجيه في الممارسة قبل الانتهاء الى البنى المغلقة، ودليل ذلك الحوار مع ابليس في مناطق متعددة من السور القرآنية تنوعت موضوعا واسلوبا، قبل الحكم عليه بالمآل والجزاء، ومن ثم فان تلك الممارسة تبدت جلية في خطابات الامام عليه السلام من غاياتها تثبيت منطق اللاعنفة وإشاعة ثقافة الحوار والتسامح حتى مع الأعداء لا من باب الضعف بل من جهة تقنين قيمة الإنسانية في الانسان بانه خُلق للحياة لا لمنطق القتل وفقا لمزاجات الاهواء والميول والاحقاد . من ذلك قوله عليه السلام لابن سعد : « ويلك يا ابن سعد! أما تتقي الله الذي اليه معادك؟ أتقاتلني و أنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم و كن معي، فانه أقرب لك الى الله . فقال عمر بن سعد لعنه الله: أخاف أن تهدم داري. فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيتها لك. فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي. فقال الحسين عليه السلام: أنا اخلف عليك خيرا منها من مالي بالحجاز. فقال: لي عيال، وأخاف عليهم. ثم سكت ولم يجبه الي شيء ءء، فانصرف عنه

الحسين عليه السلام، وهو يقول: مالك ذبحك الله تعالي علي فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله؛ اني لأرجو أن لا تأكل من بر العراق إلاً يسيراً»^(٣٧) فلجوء الامام عليه السلام الى تقنية التفاوض في هذا الحوار هو تمثيل للإلقاء الحجج على الخصم وتجسيد ثقافة التسامح قبل الشروع في أي فعل يودي الى إراقة الدماء، وليس من زاوية اظهار الضعف كما يرى بعض المتخربين، فالحدث ومايرتبط به هو سياق يحكم الى اعمال ذلك التوجيه عسى ان توظف الضمائر المهزوزة في مدارات ذلك الخطاب، فالامام عليه السلام يوالد تلك الخيارات لتغطية كل ميول المخاطب في حججه، تثبيتاً وتوكيدا لبيان النوايا المزعومة غير المعلنة في سياق الظهور. وهي الاقدام على القتال والحرب.

وتلك الالية نمط استراتيجي يفتح مساحة من المتوقع في الحلول عند القائد قبل اللجوء الى أكثر الخيارات اثرا وتأثيرا، وهو ما قصده عليه السلام في ذلك المنحى من التقانة التفاوضية.

وفي مورد آخر يحضر السلوك التفاوضي في منطقة المواجهة لمنح المعاينة في حقيقة المخاطب حين لا تكون هناك وسيلة لإبداء التقارب او الممانعة في احداث الحوار والتوصل الى حلول، يقول عليه السلام: «أيها الناس، اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف، من أنفسكم كُنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوني النصف من أنفسكم ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا

يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً، ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٣٨﴾ ﴿إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ .. (٣٨). اذ يؤسس الامام عليه السلام الى ممارسة واعية في أحلك الظروف وهي ضرورة الاستماع للآخر وعدم التعجل في بناء احكام مسبقة قد لا تكون صحيحة. لان المبنى المقاصدي في دلالة النص هو التثبت من مزاعم الطرف الاخر في ادعاءاته واتهاماته بان الامام عليه السلام خارج عن الطاعة، فيأتي السياق الحجاجي بالإدلاء والطلب للاستماع كي تكون البينة اقوى وأكد.

الهوامش

- (١) سييولوجيا الثقافة : ٣١
- (٢) مقاييس اللغة : ٦٦/٦
- (٣) ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية واثارها السياسية : ١٩٢
- (٤) ينظر : م.ن : ٢٣٩ الى ٢٦٣
- (٥) في ظلال القران : ٣٣٩ / ٥
- (٦) السيرة النبوية : ابن كثير : ١ / ٤٧٤
- (٧) البداية والنهاية : ١ / ٣٦٠
- (٨) تصنيف نهج البلاغة : ٥٨٥
- (٩) م.ن : ٩٥١
- (١٠) م.ن : ٥٥٠
- (١١) موسوعة كلمات الإمام الحسين : ٣٦١
- (١٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ١٧
- (١٣) مقتل الحسين للخوارزمي : ٢ / ٩٠، ١٠
- (١٤) شروط النهضة : ٦٨
- (١٥) الحسين ومسؤولية الثورة : ٤٠ حسن الصفار
- (١٦) بحار الانوار : ١٩٥ / ٤٤
- (١٧) مقتل الامام الحسين : : ١٤٩ - ١٥٠
- (١٨) الاعمال الكاملة : ٣ / ٢٧٤

- (١٩) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٦١
- (٢٠) بحار الانوار: ٤٤ / ٣٢٩
- (٢١) م.ن
- (٢٢) نهضة الامام الحسين: ٥٠: الشهرستاني
- (٢٣) تاريخ الطبري: ٣ / ٣٠٤ / ٣٠٥
- (٢٤) (أعيان الشيعة / الامين: ١ / ٦٠٩).
- (٢٥) بحار الانوار: ٤٥ / ٥١
- (٢٦) تاريخ ابن عساكر ١٣: ٧٤
- (٢٧) تصنيف نهج البلاغة: ٤٨١
- (٢٨) بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٠
- (٢٩) تاريخ الطبري: ٤ / ٢٦٢
- (٣٠) تاريخ الطبري: ٤ / ٣٠٤
- (٣١) مقتل الحسين للخوارزمي: ١ / ١٨٤.
- (٣٢) الكامل في التاريخ: ٣ / ٢٤٦
- (٣٣) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٠،
- (٣٤) تاريخ الطبري: ٣ / ٢٨٠
- (٣٥) م.ن
- (٣٦) مقتل الحسين للمقرم: ٢٤٣، ٢٤٤
- (٣٧) مقتل الحسين للخوارزمي: ج ١ ص ٢٤٥.
- (٣٨) تاريخ الطبري ٦ / ٢٤٢.

خاتمة البحث

تعد المواجهة ثقافة من النموذج المثالي في صناعة الوعي الجماهيري في الممارسة الخطابية والسلوكية عند الامام الحسين عليه السلام فغدا انعكاسها رسماً بيانياً متحرراً في فضاء الزمن والإنسانية.

+ مقارنة تلك الثقافة في الفعل الاجرائي عند الامام الحسين عليه السلام يعد تأسيساً لقراءة اليات وانماط التقنين لكيفية خلق الثورة وتحريك الجماهير بالنسق والرؤية الفاعلة المشكلة لوعي الانسان.

+ كشف البحث عن نمط من التلازمية والتعلق بين المصطلح والإمام عليه السلام بالشكل الذي يمكن القول فيه ان الامام عليه السلام منح مفردة المواجهة حياة ابدية حين قاربها عليه السلام بدمه لتحرير كرامة الانسان وارادته من نسق العبودية. واستطاع عليه السلام أن يمنحها عالماً من الامتداد حيث التحدي والنهوض والرفض لكل قيم الانحراف.

شكلت المنظومة المعرفية لثقافة المواجهة عند الامام عليه السلام انساقاً لمتغيرات ثقافة جديدة لا تؤمن بالاستلاب والخنوع نمطاً يعاش ويؤطر بفعل السلطة، بل حول كل الأنماط الى معرفة تؤمن بقيمة التحرر من هيمنة الالهة المستبدة والاصنام الذهنية المفتعلة بعامل الخوف والقهر والحياد.

+ تموضعت المواجهة كإجراء ثقافي لا يختنق في حقل النوع او الزمن بتجليات استنطقت من الممارسة الخطابية عنده عليه السلام تقوم على الانفتاح في تعدد مفهومات

المواجهة في نطاق الفعل والسلوك، وهو ما اشره البحث بانساق تكمن في مواجهة السلطة والقيم المنحرفة والسلوك الجمعي ومواجهة الذات. + أبرز البحث حمولة المواجهة حين قننت باليات وسمات أسست لمنطق من التخطيط الاستراتيجي للفاعل المواجه لخط الانحراف في المسيرة البشرية، أهمها الاستعداد النفسي حين تتكاثر محطات الاستلاب والهزيمة، واعتمال المنطق التفاوضي كأداة تمحور أسس التسامح قبل إراقة الدماء وتوالد الأحقاد، وتفكيك الاصوليات في منظومة التفكير المعادي لخلق ثقافة موضوعية تواجه كل الضلالات من الأفكار والتصورات....

مصادر البحث

١. اعيان الشيعة: تأليف: السيد محسن الأمين، حققه واخرجه وعلق عليه: السيد حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات .
٢. الاعمال الكاملة : علي شريعتي، دار ابن طاووس، ط ٣، ٢٠١٠.
٣. بحار الانوار : المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت ١١١١ هـ) ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط ٢ المصححة.
٤. البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق، علي شيري، دار الكتب العلمية ، ط ٥، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١.
٥. تاريخ دمشق، ابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
٦. تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك) أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تح: نخبة من العلماء، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، بلا ت، ط.
٧. تصنيف نهج البلاغة: لبيب بيضون، مكتب الاعلام الاسلامي، ط ٢، ١٤٠٨.
٨. ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية واثارها السياسية: محمد مهدي شمس الدين: ط ٤، ١٩٧٧
٩. الحسين ومسؤولية الثورة: حسن موسى الصفار، الناشر: دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة: ١٩٩١ م.
١٠. سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة، عبد الغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢ بيروت ٢٠٠٨
١١. السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الانباري، عبد الحفيظ شلبي، مكتبة المصطفى قم، ط ١، ١٣٥٥.
١٢. شروط النهضة: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦.
١٣. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ٧، ١٤٠٦.
١٤. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ابن الأثير، الشيخ عز الدين أبي الحسن الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) دار صادر، بيروت، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

- ١٥ . اللهوف في قتلى الطفوف: تأليف ابن طاووس، تحقيق الشيخ فارس الحسنون، طبع ونشر: دار الأسوة / إيران.
- ١٦ . مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٦هـ
- ١٧ . مقتل الحسين للخوارزمي : أبو المؤيد الموفق بن احمد المكي اخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ) مكتبة المفيد، قم المقدسة، بلا ت.ط.
- ١٨ . مقتل الحسين للمقرم: المحقق السيد عبد الرزاق الموسوي، تقديم: السيد محمد حسين عبد الرزاق، مؤسسة الخرسان للمطبوعات/ بيروت / د.ط / ١٤٢٦ هـ / م ٢٠٠٥
- ١٩ . موسوعة كلمات الأمام الحسين، إعداد قسم الحديث: محمود الشريفي، السيد حسين سجادي بتار، السيد محمود المدني، محمود احمد يان، معهد تحقيقات باقر العلوم منظمة الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ٢٠ . نهضة الامام الحسين: العلامّة السيّد هبة الدين الحسيني الشهرستاني (قُدس سرّه)، رابطة النشر الإسلامي الطبعة: الخامسة ١٩٦٩ م .

أثر الكلمة الزينية في النهضة الحسينية

ولاء العبادي / العراق-النجف الاشرف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آل بيته الغر الميامين .
أما بعد...

لم يكن الصراع بين الامام الحسين عليه السلام و الأمويين صراعاً عسكرياً بل كان صراعاً فكرياً أيديولوجياً وإن إتخذ في نحو من أنحاءه طابعاً عسكرياً . و بما إن الفكر لا يُطفئه إلا الفكر ولذلك نجد في قوله (تعالى) : (يَريْدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)^(١)، فلم يستخدم (سيوفهم) أو (أسلحتهم) وإنما (أفواههم) إشارة الى ضرورة مواجهة الفكر بالفكر عبر الكلمة.

و من هنا تتجلى بوضوح الأهمية البالغة للكلمة و دورها الفعال في تصحيح المسار الفكري للأمم . وقد إستثمرت العقيلة زينب عليها السلام هذا السلاح أفضل و أكمل إستثمار، فكانت كلمتها نعم العلاج الناجع لمرض المسلمين . و نعم

١ - التوبة ٣٢

السلاح المدافع عن الحق والدين و نعم الضياء الذي تميظ به اللثام لتكشف عن وجه الظالمين . فحصلت آثارها نجاحا باهرا أثمر إعادة رسالة السماء الى مسارها الصحيح بعد أن جهد بنو أمية في حرفها عنه تمهيدا لمحوها و طمس آثارها.

ونحن إذ نعيش اليوم حربًا ناعمة تهدف الى تحطيم القيم الراسخة و المبادئ الحقّة للمسلمين لتحل محلها أفكارًا تخدم الأعداء الحاقدين، إنه لمن المؤسف حقًا أن نجد المرأة و خصوصًا الاعلامية في الأعم الأغلب جزءً من تلك المؤامرة . فتعين على هزيمة المسلمين، و تساهم في ترويج دعوى المضلين، فحري بها أن تتفطن لذلك و تترفع عن كل ذلك . بل و أن تتأسى بفنخر المخدرات ﷺ و أن تتصدى للإعلام المضلل بقوة الكلمة و تفضح خطط المنحرفين . فلكل تلك النسوة بل و لكل إمراة من منبرها الحالي سواء كانت في توجيه أطفالها أو توجيه شريحة من النساء أو في الحرم الجامعي أو في المدرسة . أكتب بحثي المتواضع هذا والذي أثر في شخصيًا فصممت على إتمامه رغم ضيق الوقت و قساوة الظروف و كلام المحيطين و قلة المصادر .

و قد إشمتم البحث على أربعة مباحث، كان المبحث الأول نظرة على قناعات المجتمعات التي مر عليها ركب السبايا . و أما المبحث الثاني: فكان عن السبب في إيكال الدور الإعلامي إلى امراة . و أما المبحث الثالث فقد وضحت فيه كيف إن السيدة زينب ﷺ كانت مؤسسة إعلامية متكاملة للنهضة الحسينية المباركة . ليكون المبحث الرابع عن خصائص الإعلام

الزيني و النتائج التي أسفر عنها، وقد ختمته بخاتمة و نتائج تمخض عنها
البحث.

أدعو من الله (عز وجل) أن أكون قد وفقت في إيضاح عنوان البحث
وإعطائه ولو اليسير من حقه . وبالله (تعالى) المستعان والحمد لله ربّ العالمين
و الصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين حبيبا محمد و على آل بيته الأطيبين
الأطهرين .

المبحث الأول

نظرة على أهم قناعات المجتمع الاسلامي

قبل النهضة الحسينية

لمعرفة مغزى إعلام ما و بالتالي مدى نجاحه في تحقيق أهدافه لا بد من معرفة قناعات الجمهور المخاطب به ومن ثم التعرض الى مدى تأثيه فيهم و النتائج التي أسفر عنها . لأجل ذلك كان لا بد من إلقاء نظرة على أهم القناعات التي كانت سائدة للجمهور الذي خاطبته السيدة زينب عليها السلام آنذاك قبل الولوج في بيان الأثر الاعلامي لخطابها عليها السلام في النهضة الحسينية . و بما إن أهم تلك المدن التي مر بها ركب السبايا وخطبت فيها السيدة العقيلة عليها السلام هي الكوفة و الشام ' لذا سنلقي الضوء بإيجاز على القناعات السائدة فيهما تبعاً :

أولاً : قناعات المجتمع الكوفي

كان المجتمع من أكثر المجتمعات تفككاً و إختلافاً بالرؤى والقناعات و تباينا بالطاعة والولاءات آنذاك . و سرّ هذا التفكك يعود لكونه مجتمعاً مركباً من عناصر عديدة و قوى مختلفة فإلى جانب الحزب الأموي والذي تمثل بأعيان القوم من ذوي الأتباع والنفوذ وكان ولاؤه لبني أمية، نجد الخوارج الذين لم يكن دورهم التخريبي و إثارتهم للفتن بأقل من دور الحزب الأموي . و ذلك لأنهم لا يرون من الصحيح الإبقاء على الرؤوس الكبيرة في الاسلام .بالاضافة الى مكونات أخرى .

وكان الشيعة المواليون هم الأكثر عدداً في عاصمة التشيع الكوفة. ومنهم أفراد من المهاجرين والأنصار الذين لحقوا الامام علي عليه السلام و سكنوا الكوفة وكانت لهم مكانة خاصة لصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لطالما جلسوا تحت منبر أمير المؤمنين علي عليه السلام، فهم يعون جيداً إن البيت العلوي أولى من غيره في إدارة شؤون المسلمين عسكرياً واقتصادياً ودينياً، ولكن تأثير الأرهابي الحاقد ابن مرجانه والي يزيد على الكوفة آنذاك كان له دور كبير في تبديل قناعاتهم فسقاهم الذل والهوان و فرق شملهم و زرع ولاءهم بالترهيب و القتل تارة و بالترغيب و شراء الذمم و الإغراء بالمناصب أخرى ففقدوا إرادتهم و جعلهم يعدلون عن نصره إمامهم عليه السلام. وأما من ثبت على نصرته منهم فإن لم يكن مصيره السجن كالمختار الثقفي و غيره فالتصفية الجسدية كهائى بن عروة .

ثانياً : قناعات المجتمع الشامي :

ما إن تسلم معاوية بن أبي سفيان الشام في عهد الخلفاء حتى إعتد سياسة التضييل الإعلامي والديني لدرجة أنه (نجح في تحطيم شخصيته [الامام علي] في المجتمع الاسلامي يومذاك الى حد أن المسلمين واصلوا لعنه فوق جميع منابرهم في شرق الأرض و غربها خاصة في خطب الجمعة كفریضة من فرائض صلاة الجمعة زهاء الف شهر مدة حكم بني أمية والى جانب ذلك نجح معاوية في رفع مقام الخلافة في نفوس المسلمين). و قد رسخ في اذهانهم أن طاعة الخليفة من الإیمان، ومهما كانت صفات هذا الخليفة وأفعاله و ضیعة و بعيدة عن الدين الإسلامي فإنه لا يجوز الخروج عن طاعته. ولعل هذا السبب الرئيسي الذي مكن بنو أمية من تأسيس جبهة تتصف بالقوة و الطاعة والولاء معا.

و قد ساعد الإعلام الأموي على غسل أدمغة الجماهير البساطة والسذاجة التي اتسم بها الشاميون. بالاضافة الى ذلك فقد إستعان بحاشية من الدهاة والمكرة الذين لا يتورعون أن يقوموا بأي عمل في سبيل التقرب إليه وتحقيق مآربه أمثال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة . كما وظف الأموال الطائلة التي كانت تُجبي له من الضرائب التي فرضها على البلاد التي كانت تحت سيطرته و التي إستأثر بها لتوظيف سلطانه بشراء الذمم والولاءات .

و واصل تضييله الاعلامي الى أن (لم يبق من الاسلام في آخر عهده الا إسمه ومن القرآن الا رسمه وإنما حافظ معاوية ومن جاء بعده على إسم

الاسلام؛ لأنهم كانوا يحكمون بإسم الاسلام^(١). وقد حرص معاوية أشد الحرص على الحفاظ على قوة الاعلام الاموي و هيمنته فممنع من ورود أي فكر مخالف - فضلا عما إذا كان معاديا - لحكمه الى الشام . و خير دليل على ذلك إلحاحه الشديد على عثمان بإبعاد أبي ذر (رضوان الله عليه) عن الشام إثر قيامه بثورة منددا بمعاوية و سياسته بعد ما فشلت كل محاولات استمالتة وكان ما أراد معاوية وأبعد أبو ذر (رضوان الله تعالى عليه) للربذة .
ونتيجة لذلك بقيت الشام قاعدة موحدة لبني أمية لا تلهج إلا بروية واحدة، ولا تدين بالولاء إلا للمعاوية وآل سفيان. ولم يكن في جيش معاوية لا خوارج ولا عملاء ولا عيون للجبهة الأخرى .

١ - السيد مرتضى العسكري: معالم المدرستين/ ج٣ / ص ١٧

المبحث الثاني

لماذا أوكل الدور الإعلامي الى امرأة؟

كان الإمام الحسين عليه السلام على علم بأن مواجهة الطاغية الحاسمة ستكون قصيرة من الناحية الزمنية والتي قد تقدر بسويغات محدودة فحسب بالرغم من عظم أهدافها وجسامة تضحياتها، كما كان على يقين بأن نهاية هذه الجولة التضحية هي الانكسار العسكري. ولهذا فقد خطط عليه السلام تخطيطاً دقيقاً لما بعدها لضمان نجاحها نجاحاً اجتماعياً وثقافياً وحضارياً على المدى البعيد من الزمان والمكان. و كان هذا أحد الاسباب المهمة التي دعت عليه السلام الى حمل نساء آل البيت عليهم السلام الى أرض الواقعة مع علمه بما سيعانيه الجميع فضلا عن هذه الكوكبة من النسوة الطاهرة من مشكلات الطريق الطويل ومتاعب السفر البعيد و معاناة الأوضاع الطارئة التي ستعرض إليها لا محالة .

فالإمام الحسين عليه السلام ما كان همه الثورة في وقتها فحسب، بقدر ما كان يهدف إلى تحقيق الأهداف و الغايات المرجوة منها وخصوصاً خلودها عبر الزمن لتمد الأجيال جيلاً بعد آخر بالإحساس بمسؤولية الحفاظ على الدين الحنيف، وتلهب مشاعرهم لتمنحهم دافعاً للدفاع عن الأرض والمقدسات وهذا ما حصل إذ لولا الوعي الحسيني للموالين الذين هبوا لتلبية فتوى الجهاد الكفائي المقدس لأغتصبت أرض الأنبياء ولأنتهكت المقدسات وأبيحت الحرمات.

و كان من أبرز تلك النخبة الطاهرة من نساء النبوة السيدة زينب عليها السلام التي

نُصبت كناطق رسمي بإسم الثورة . و قد يُتساءل ما سبب إيكال هذه المهمة الى امرأة و الى السيدة زينب عليها السلام تحديداً، خصوصاً و إن إمام زمانها الامام علي بن الحسين عليه السلام كان موجوداً، فإن قيل إنها تمتلك من الامكانيات التي تؤهلها للعمل الإعلامي كان الامام السجاد عليه السلام أولى منها بذلك .ويمكن الإجابة على هذا التساؤل بالنقاط الآتية :

أولاً : من أهم مهيات العمل الاعلامي هو كشف الحقائق و إماطة اللثام عما أخفاه العدو عن الجمهور لبشاعته . و عملٌ من هذا النوع حتماً يعرض صاحبه الى المخاطر و الى التصفية الجسدية خصوصاً فيما إذا كان العدو ذا غطرسة و نفس طاغوتية حريصا على إخفاء جرائم يندى لها جبين الانسانية قد إقترفها بحق إبن خير البرية . لذا كان من أجل الحفاظ على من يتصدى للعمل الاعلامي و أداء مهمته بكل حرية و مصداقية و موضوعية لا بد من إختيار امرأة لأن ضرب المرأة و الإعتداء عليها فضلاً عن قتلها أمر يستنكره العرب . و مع ذلك عندما أجابت العقيلة عليها السلام عبيد الله بن زياد (لعنه الله) قائلة : (ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، و سيجمع الله بينك و بينهم فتحاج و تحاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ تكلتك امك يا ابن مرجانة .» غضب (ابن زياد) و كأنه هم بها، فقال له عمرو بن حريث: انها امرأة، و المرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقتها^(١) فإمتنع ابن مرجانة من ضربها خوف العار.

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المقوم: مقتل الحسين عليه السلام، ص ٤٠٨

ثانياً : عندما تؤدي الدور الاعلامي امرأة فإنها تُضفي صبغة عاطفية لها تأثير أشد من خطاب العقل وحده خصوصاً وإنها تكشف عن عظم الجرائم وبشاعة الجنايات التي ارتكبت بحق أناس طاهرين لا ذنب لهم سوى دعوتهم الى العدل والاصلاح، وهذه سمة يفتقدها الرجل . و قد يرفض البعض هذا الرأي باعتبار إن السيدة زينب عليها السلام لم تكسر المصائب ولم تنهها النوائب كسائر النساء لتثير العواطف . ونحن إذ نوافق الرأي بل إنها كانت كالجبل الراسخ الذي شق ريح الأسي و غمام الشجن وظل صامداً رغم المحن . ولكن مع هذا فقد إنتقت عليها السلام كلمات تمز العواطف وتثير المشاعر عندما نطق بإن زياد بعبارات الشهامة و التشفي قائلاً : (لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك)^(١) فأثار بهذا الكلام شجونها، وأشعل الحزن والألم في قلبها، ولعها أرادت حينئذ استخدام سلاح العاطفة وإعلان المظلومية فأجابته بلوعة وأسى : (لعمرى لقد قتلت كهلي، وأبدت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد أشتفيت)^(٢) .

ثالثاً : بالرغم من إن النساء في ركب السبايا كثر إلا إن للسيدة زينب (سلام الله عليها) خصال فضلتها على غيرها في إيكال هذه المهمة التي أعدت مسبقاً إليها، فهي تشبه أمها سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في وفور علمها وحسن أعراقها وشجاعته في قول الحق وكشف الظلم، وتشبه أباها عليه السلام في قوة القلب في الشدائد والثبات عند النوائب والصبر على المصائب و حسن

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المقوم: مقتل الحسين عليه السلام، ص ٤١٠ .

٢ - المصدر نفسه، ص ٤١٠ .

الافتكالف على الخالف (عز وجل) . مما جعلت منها شخصية فريدة تصدت
للقيام بالدور الإعلامي للثورة بشخصها الكريم وصوتها الجليل معلنة
الثورة على قتلة أبناء الأنبياء؁ ونجحت بقيامها بتلك المهمة بكل جدارة.

المبحث الثالث

السيدة زينب عليها السلام مؤسسة إعلامية متكاملة

يتوقف النجاح الاعلامي كما يرى الباحثون في مجال الاعلام على توفر عناصر العملية الإعلامية وهي: المرسل للرسالة الإعلامية، والرسالة الإعلامية، والوسيلة التي يعتمد عليها في نقل هذه الرسالة، والمستقبل لها، وأخيراً الاستجابة التي تحققها تلك الرسالة. كما يرون أن هدف الرسالة الإعلامية هو (إحداث التأثير أو الاستجابة المقصودة في المستقبل)، ولذلك لا بد من دراسة حاجاته و شؤونه وهمومه ومستواه من أجل إتقان اختيار الخطاب المناسب لشأنه و بالتالي لتحقيق الأهداف المتوخاة منه .

ولو رجعنا الى الخطاب الاعلامي للسيدة زينب عليها السلام نجده قد تضمن جميع عناصر النجاح التي يشترط توفرها في العملية الإعلامية الناجحة. فقد درست عليها السلام شؤون ومستوى كل تجمع بشري حلت به، و بالتالي فقد شخصت الخطاب الذي يناسبه و لذلك كانت خطاباتها مختلفة من تجمع بشري لآخر باختلاف معتقداتهم و توجهاتهم الفكرية. و ستعرض لذلك بشكل موجز عند الحديث عن مهامها الاعلامية عليها السلام.

وهذا ليس بالأمر الغريب على من أعدت للتكفل بهذه المهمة منذ صغرها، و إستعدت للقيام بها بكل جوانحها وجوارحها. فلم يكن موقف السيدة زينب عليها السلام الخطابي موقفاً ذاتياً أو عاطفياً أو إنفعالياً آتياً، بل كان موقفاً رسالياً مبدئياً، أي أن خطابها الإعلامي لم يكن خطاباً اضطرارياً أو جبهته الظروف

القاهرة في واقعة كربلاء بل هو ثمرة لخزين تربوي اكتنزه العقيلة عليها السلام طوال حياتها المباركة التي قضتها بين العلم و المعارف من جهة، وبين المحن والمصائب من جهة أخرى، فصقلت شخصيتها الفريدة، فكانت بلاغتها وفصاحتها تنطق عن علمها وإستشهادها بآيات الله و كلماتها المفعمة بالرضا تُنبئ عن أصالة تدينها وارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي الحنيف، و كانت حكمتها و صبرها و شجاعته تخر عن نفس عظيمة أعدت لتحمل هذه المسؤولية الجسيمة . يقول الشيخ محمد جواد مغنية: (كيف قابلت السيدة هذه الصدمة والأحداث الجسام: هل أصابها ما يصيب النساء في مثل هذه الحال من الاضطراب واختلال الأعصاب؟ هل هيمنت عليها العاطفة العمياء التي لا يبقى معها اثر للعقل أو الدين؟ وبالتالي، هل خرجت عن حدود الاتزان والاحتشام؟، حاشا بنت النبي وفاطمة وعلي وأخت الحسين، و حفيده الكبرى ان تتمكن منها العواطف أو تزعزعها العواصف، فلقد نزلت بها عن معنى من اسمى معاني الكمال والجلال، وعن سر من أسرار الإيمان النبوي المحمدي، وان اعتصامها بالله، وإيمانها به تماماً كإيمان جدّها رسول الله) ^(١) .

وعليه فعندما نصف السيدة زينب عليها السلام بأنها مؤسسة إعلامية متكاملة فإن هذا ليس من باب المغالاة و لا منطلقاً من أسباب عاطفية . بل إنها عليها السلام حقاً كانت كذلك لنجاحها الإعلامي المنقطع النظير في مختلف المهام الإعلامية التي تصدت اليها .

١ - محمد جواد مغنية: الحسين وبطلة كربلاء، ص ١٩٠

وفي هذا الصدد تقول الإعلامية في إذاعة النور نلا الزين حول الدور الإعلامي الذي أدته السيدة زينب عليها السلام خلال واقعة الطف وما بعدها « نحن نعيش اليوم عصر الإعلام وندرك أهميته، فهناك دول تعتمد على إعلامها لتبليغ سياساتها أو تبرير مواقفها، وثورة بعظمة ثورة الامام الحسين عليه السلام لو حصلت في عصرنا هذا لاحتاجت الى وسائل إعلام بحجم تضحيات الامام الشهيد عليه السلام، والسيدة زينب عليها السلام اختصرت هذا الدور الإعلامي الكبير بشخصها، بخطاباتها، بوقفاتها ومحطاتها في رحلة السبي، وبذلك كانت مؤسسة إعلامية بحد ذاتها، وأدت دوراً إعلامياً تعجز عنه مؤسسات اليوم»^(١). ويمكننا تقسيم المهام الاعلامية التي اضطلعت بها وحقت نجاحاً منقطع النظير الى ما يأتي:

أولاً: مهمتها الإعلامية تجاه الجيش الأموي .

ثانياً: مهمتها الإعلامية تجاه أهل الكوفة .

ثالثاً: مهمتها الإعلامية في مجلس يزيد.

رابعاً: مهمتها الإعلامية في المدينة المنورة .

و سنتناول كل من هذه المهام بشيء من الایجاز رعاية لشروط البحث.

١ - العهد نيوز: نشر بتاريخ ٥/١٠/٢٠١٠، مقالة بعنوان (الثورة الكربلائية أوقدتها دماء الامام الحسين عليه السلام وولدها إعلام السيدة زينب عليها السلام للكاتبة فاطمة شعيتو/ لبنان

المطلب الاول

مهمتها الإعلامية تجاه الجيش الأموي

ولها ﷺ معهم مواقف أهمها :

الأول : حيث خرجت لأرض المعركة بكل وقار و سكينة، و ثبات و طمأنينة حتى وصلت الى جسد خير من على وجه الأرض آنذاك لتراه ذبيحًا مضرًا جًا بالدماء، فتوقع القوم منها أن تنهار ولكنها رفعت جانبه الشريف بيديها الطاهرتين ورمقت بطرفها السماء وأطلقت مقولتها المشهورة : « اللهم تقبل منا هذا القربان»^(١)، بلا صراخ و لا بكاء و لا تفجع، و لا نحيب، بل برضا تام بقضاء الله وفعله الجميل فيها . و هي رسالة إعلامية تفضح جبنهم و ضعفهم و هزيمتهم رغم إنتصارهم العسكري، و تُتوجَّها و هي الإمراة المكلومة كما تتوج أخيها و هو جسد ذبيح بتاج النصر و العزة .

الثاني: عندما مروا بركب السبايا على الشهداء بعد الأسر وفتت ﷺ لتشير الأحزان و تكشف الحقيقة و تبين عظم المصاب و جسامة الجريمة التي ارتكبتها هؤلاء القوم، يقول ابن الاثير: (فأقام عمر بعد قتله يومين، ثم ارتحل الى الكوفة و معه بنات الحسين و اخواته، و من كان معه من الصبيان و علي بن الحسين مريض، فاجتازوا بهم على الحسين و أصحابه صرعى فصاح النساء و لطمن خدودهن، و صاحت زينب اخته:

(يا محمداه صلي عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء،

١ - نقلًا عن السيدة زينب ﷺ رائدة الجهاد في الاسلام، ص ٢٨٠

مقطع الأعضاء وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفى عليها الصبا، فأبكت كل عدو وصدیق (١). فحققت مرادها من رسالتها الاعلامية في تحريك نفوس جيش عمر بن سعد المتعلقة بالدنيا، وبعث ضمائرهم الميتة من جديد، عندما ذكرتهم بالنبي الأكرم (ﷺ) وبيان عظم الجرم الذي إرتكبوه بحق سبطه و بناته و ذريته، (و وجم القوم مبهوتين، وفاضت دموعهم، وبكى العدو والصدیق، فقد استبان عظیم الجريمة التي اقترفوها وودوا ان الأرض قد ساخت بهم) (٢).

المطلب الثاني

مهمتها الإعلامية تجاه أهل الكوفة

تقدم إن غالبية المجتمع الكوفي كانت من المواليين الذين تخاذلوا عن نصره الامام الحسين (ﷺ). و لهذا فهي لم تكن بحاجة الى بيان هوية الامام الحسين (ﷺ) و توضيح منزلته الرفيعة و إنما أرادت بلورة الرأي العام و إشعال شرارة الثورة فيهم ؛ ولهذا كان خطابها منصبا على إظهار المصيبة الكبرى والجريمة العظمى (عرفتهم زيف إسلامهم، وكذب دموعهم، وإنهم من احط المجرمين، فقد اقترفوا أفظع جريمة وقعت في الأرض، فقد قتلوا المنقذ والمحرر الذي أراد لهم الخير، وفروا بقتله كبد رسول الله (ﷺ) وانتهكوا حرمة، وسبوا عياله، فأى جريمة أبشع من هذه الجريمة) (٣). وإتخذت (ﷺ)

١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٤٣٤

٢ - باقر شريف القرشي، السيدة زينب (ﷺ) رائدة الجهاد في الاسلام، ص ٢٨٣.

٣ - المصدر نفسه.

مواقف عدة و أَلقت خطابات لإيصال هذه الرسالة الاعلامية . سنقتصر على بيان مواقف ثلاث :

الأول : تقرّيع و تأنيب :

عندما رأت شوارع و أزقة الكوفة قد إمتلأت بالناس فخاطبتهم قائلة : « ويلكم يا أهل أتدرون الكوفة أي كبد لرسول الله (ﷺ) فريتم، و أي دم له سفكتم، و أي حرمة له انتهكتم؟، لقد جئتم شيئاً ادا، تكاد السموات يتفطرن منه، و تنشق الأرض و تخر الجبال هدا»^(١).

ثم قالت لهم : « أتبكون؟؟ فلا سكنت العبرة » و [قد] إستجابت السماء فلم تسكن للقوم و قد بدأوا يحسون و خز الندم منذ اللحظة الاولى التي وقفت فيها بطلا كربلاء موقفها الأليم المثير^(٢)

الثاني : توثيق الأحداث :

لأن السيدة زينب (ع) لم تكن تقتصر بكلماتها على المجتمع المتلقي و حسب . بل و إخترق صوتها الاعلامي الهادر الزمن ليُعلم الأجيال و على مر العصور بأهم الحوادث و أغربها التي حدثت بعد إستشهاد الامام الحسين (ع). فقد خاطبت أهل الكوفة قائلة : « أفعجبتم أن مطرت السماء دما و لعذاب الآخرة أخزى و أنتم لا تنصرون»^(٣)

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المقوم، مقتل الامام الحسين (ع)، ص ٤٠٤ .
٢ - بنت الشاطئ، تراجم سيدات بيت النبوة (رض)، ص ٧٩٥
٣ - المصدر نفسه.

فهي (سلام الله عليها) بكلماتها هذه لم تُنذر أهل الكوفة بالعذاب الأليم الذي سينتظرهم فقط وإنما وثقت حادثة مطر السماء دما . ولو لم توثق ذلك لتسلل الشك الى أصل وقوع هذه الحادثة الغريبة .
و أتمت خطبتها عليها السلام وحققت الهدف منها، وأوصلت رسالتها حيث أبكت العيون، و أشعلت محكمة الضمير في النفوس، وأقرحت ألما و ندما على ما صنعوا الجفون، و أهبت حماساً للثأر من قتلة الامام الحسين عليه السلام الصدور .

الثالث : بيان عظيم ما جرى على أهل بيت الرسالة :

أمر ابن زياد بحبس السبايا في دار جنب المسجد الأعظم ليثبت للجميع بأنه لا زال هو المسيطر لا سيما بعد الحوار الذي دار بينه وبين العقيلة عليها السلام و الذي خلع عنه لباس مشروعية السلطة وأظهر حقيقته البائسة و أصله النجس، ولكنها جعلت (سلام الله عليها) من فعله هذا والذي أراد به إعلاء شأنه و إذلالها الشرارة التي أوقدت نار الثورة ضده في نفوس أهل الكوفة و خصوصا نساءها . حيث طلبت عليها السلام من العسكر قائلة : « لا تدخلن علينا عربية إلا أم ولد او مملوكة فأنهن سُبِين كما سُبِينا»^(١)، و ما أطلقت فخر المخدرات هذه الكلمات الا لإيصال رسالة الى نساء الكوفة بأنها غاضبة عليهن، فهن معززات، بينما نساء آل البيت عليهم السلام مسبيات .

فكانت سياستها واضحة؛ وهي محاولة إثارة حفيظة نساء أهل الكوفة؛ فلماذا يحق للمملوكة ولأم الولد الدخول ولا يحق لهن، ويجرم من التقرب إليها

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المرقم: مقتل الحسين عليه السلام، ص ٤١٢ .

ومن معها، والاطمئنان عنها، والاعتذار إليها؟ فأجابت عن هذا التساؤل بنفسها: (لأنهن سُبِين كما سُبِينا)، فحاولت بهذه الكلمات القليلة ان تبين حجم المعاناة العظيمة و المأساة الأليمة التي مرت عليهن، وبالتالي فضح سياسة يزيد وابن زياد؛ لتؤجج النفوس وتلهب المشاعر وتهيء للشورة، والنهوض ضد الظلمة وأعدائهم، وتحرك الرأي العام ضد السياسة الأموية التي سعت إلى إيداء النبي (صلى الله عليه وآله) بعترته وأهل بيته.

المطلب الثالث

مهمتها الإعلامية في قصر الإمارة

ولها (سلام الله عليها) فيه عدة رسائل إعلامية أهمها:

الرسالة الأولى: بيان رفعة منزلة السبايا ووضاعة شأن ابن زياد.

حاول ابن زياد بعد دخول السبايا الى مسجد الكوفة ان يتمظهر للملأ بمظهر المنتصر وانه على حق، وليس عليه أي ملامة، مبرهنا لهم على صحة صنيعه أن فضح الله الامام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) فقال لها: «الحمد لله الذي فضحككم واذب أحدوثتكم»^(١)، فأجابته بصمود فاطمي و بلاغة حيدرية قائلة: « الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد (صلى الله عليه و آله) وطهرنا من الرجس تطهيراً وانما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله»^(٢)، فقد بدأت خطبتها او كلامها معه بحمد الله الذي منَ عليها أن جعلها من أهل بيت النبوة، و اكرمهم بنبوة محمد (صلى الله عليه و آله)، وإنما (عليها) تعمدت قول ذلك للتذكير بقربها من رسول الله (صلى الله عليه وآله).

كما اتبعت أسلوب وضع الشيء في موضعه و ذلك بإستحقار الخصم والتقليل من شأنه الذي يتظاهر به وإظهار حقيقته البشعة . فكانت كلماتها على رأس ابن زياد اشد من حد السيف؛ لأنها وكما هو واضح وجلي بأسلوب اللغة العربية انها تعنيه هو بالذات وانه هو الفاجر الكاذب، والفاسق المفتضح.

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المكرم : مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ١١٠ .

٢ - المصدر السابق.

الرسالة الثانية : كشف الحقيقة التي زورها ابن زياد

حاول ابن زياد إيهام الرأي العام إن ما حدث للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته إنما هو بفعل الله وبذلك يبريء ساحته من إرتكاب تلك المجزرة فسألها: «كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟»^(١)، فأجابته عليه السلام متبعة أسلوب فضح الخصم وكشف زيف إدعائه مستخدمة سلاح المواجهة والتحدي بنطق أقوى العبارات التي تعبر عن ثقة عالية و إيمان راسخ فقالت: « ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم يا ابن زياد فتحاجون وتخاصمون فأنظر لمن الفلج يومئذ تكلتك امك يا ابن مرجانه »^(٢).

فكشفت عن حقيقته البشعة عندما أثبتت أنه هو من إرتكب تلك الجريمة بجعلها إياه خصماً لهم، كما و ذكرته بأن هناك محكمة ستعقد وسينتصر الله للحق بالحجج والبراهين وإختتمت حديثها بالدعاء عليه . و بذلك أثبتت بذلك لكل الحاضرين أنها إنها هي الأقوى وهو المنهزم والأضعف على الرغم من إنها وبحسب الموازين الظاهرية هي الأسيرة و هو الأمير .

١ - جواد شير : أدب الطف، ج ١، ص ٢٤٦

٢ - المصدر السابق.

المطلب الرابع

مهمتها الإعلامية في مجلس يزيد

تقدم إن الإعلام الاموي قد بذل أقصى جهده لتضليل الرأي العام وإثبات إن الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته إنما هم خوارج و قد نجح في ذلك نجاحًا بلغ أن تنتشر في مدينة الشام مشاهد الفرح و البهجة و السرور لإنصار يزيد على الامام الحسين عليه السلام (الخارجي في إعتقادهم)، بل و حضر جمع من الناس في مجلس يزيد مهنتًا له بالانتصار على الخارجين عن حكمه . فكانت مهمتها في الشام مختلفة تماما عما كانت عليه في الكوفة، حيث هناك تأليب الرأي العام ضد السلطة الطاغية، و أما في الشام فمهمتها فكرية يامتياز .

و لهذا لم تدع أم الأحرار عليها السلام فرصة التجمع البشري الزاخر في مجلس يزيد أن تفلت من يدها

المباركة بل إستثمرتها خير إستثمار . خصوصًا وإن كثرة عدد الجمهور عامل مهم في إيصال الرسالة و تحقيق مبتغائها، لأجل ذلك كانت خطاباتها عليها السلام قد بلغت الذروة في تجسيدها للإعلام المضاد . فنسفت كل دعاوى يزيد الباطلة و إعلامه المزيف و قد أدت هذه المهمة و بنجاح منقطع النظير من خلال الرسائل الآتية :

الرسالة الاولى : العزة تدور مدار الايمان وإن خالف ذلك ظاهر الحال .
فقد أفصحت عما كان يظنه الفاسق يزيد و ردت على ذلك الظن المجانب للصواب، موضحة له بأن العزة تدور مدار الايمان و الارتباط بالله فالمؤمن

عزیز ذو کرامۃ مہما ساء ظاہر حالہ . و إن الکافر و العاصی ذلیل مہان مہما
إرتقت به مناصبه و أحواله . حیث قالت : « أظننت یا یزید حیث أخذت
علینا أقطار الأرض و آفاق السماء فأصبحنا نساق کما تُساق الاسارى أن
بنا علی الله هوانا و بك علیه کرامۃ و إن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت
بأنفک نظرت فی عطفک جذلان مسرورا ..»^(١).

الرسالة الثانية: الكشف عن هوية السبايا و بیان رفعة منزلتهم، وعن هوية
السلطة الاموية و بیان خسة شأنهم .

و هو أمر غاية فی الأهمية فی المجتمع الشامي لما تقدم بأنه مجتمع مضلل به
قد ملأت عقوله بالأباطیل فكان من الأهمية بمكان بیان حقيقة الأسارى و
حقيقة الحاكم . حیث قالت : (الحمد لله رب العالمین، و صلی الله علی رسولہ
واله اجمعین، أمن العدل یا ابن الطلقاء تخدیرک حرائرک و اماءک و سوقک
بنات رسول الله سبايا، قد هتکت ستورهن و أبدیت وجوههن، تحدو
بهن الأعداء من بلد الی بلد، و یستشرفهن أهل المناهل و المناقل، و یتصفح
وجوههن القریب و البعید و الدنی الشریف، لیس معهن من حمائهن حمی ولا
من رجالهن ولی^(٢) . ففضحت خصمها و كشفت زیف إدعائه بأن هؤلاء
السبايا هم من الخوارج . و أثبتت لكل الحاضرين بان هذه النسوة المسبیات
إنما هن بنات صاحب الرسالة ﷺ، و إنهن من بیت النبوة ذلك البیت الذی
اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهیرًا . و أنه من بنی الطلقاء الذین
أطلقهم جدها یوم فتح مکة .

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المرقم : مقتل الحسين عليه السلام، ص ٦٢

٢ - المصدر نفسه .

الرسالة الثالثة : التأكيد على إن الخلافة حق لأهل البيت (عليه السلام) غصبه يزيد .
فقد بينت لكل الحاضرين بأن الخلافة إنما هي حق لأهل البيت (عليه السلام) الذين
جزر يزيد و جيشه ظلماً و عدواناً رجاهم و سبى نساءهم حيث قالت « ..
و حين صفا لك ملكنا و سلطاننا»^(١) فشتت بذلك عليه حرباً نفسية و حولته
من منتصر قد أسكرته نشوة الانتصار الى منكسر حائر مغموم قد تقهقر
محاولاً الدفاع عن نفسه، ولكن دون جدوى .

الرسالة الرابعة : التصوير الدقيق لو حشية يزيد .
دعمت العقيلة (عليها السلام) خطابها الاعلامي ببيان دقيق لما تجري من أحداث، حيث
جعلت من كلماتها عدسة تصوير تلتقط صور إدانة الخصم و توثق الحقائق
و تفضح و حشية يزيد لتكشف لكل من كان غائباً عنها و على مدى الأزمنة
و إختلاف الامكنة مدى قساوة و وحشية هذا العدو، و مبينة لكل من حضر
مكانة الامام الحسين (عليه السلام) الجليلة و منزلته الرفيعة فتقول : « كيف يستبطن في
بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشف و الشنآن و الإحن و الاضغان، منحنيا
على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكثها بمخصرتك، و كيف لا
تقول ذلك و قد نكأت القرحة و استأصلت الشأفة؛ يارقتك دماء ذرية محمد
ﷺ و نجوم الارض من آل عبد المطلب »^(٢) .

الرسالة الخامسة : إستصغار قدر يزيد .

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المقوم : مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٤٦٢

٢ - المصدر نفسه، ص ٣٦٢

لم تكتفِ (سلام الله عليها) بكشف تضليل يزيد الاعلامي و إماطة اللثام عن الحقائق التي حاول هو و أتباعه جاهدين طمسها، بل أوضحت لكل من حضر وضاعة قدره وحقارة شأنه و إنها لم تكن لتخاطبه لولا الظروف التي أجبرتها على ذلك فقالت: « فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالى : « ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين.... فو الله ما فريت إلاً جلدك ولا حززت الا لحمك ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعتك واستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى والصدور حرى، الا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء»^(١).

الرسالة السادسة: الإصرار على مواصلة المسيرة الحسينية

فقد بدت كالطود الشامخ لا تهزها الحوادث التي جرت بل وأظهرت روح الثورة على يزيد و حكمه، و أشارت له بأنها ستواصل المسيرة حفاظاً على شعلة الثورة و إبقاءً على حرارة المظلومية في صدور المؤمنين . و تنبأت بأن ذكر أهل البيت (عليهم السلام) سيبقى خالداً على مدى الزمن مهما حاول الاعداء طمسه و أن مآله هو وجمعه الى الهلاك و ذكره الى الانذار، فقالت له: (فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تमित وحيناً ولا تدرك امرنا ولا تدحض عنك عارها وهل رأيك الا فند و أيامك إلا عدد، وجمعك الا بدد يوم ينادي المنادي الا لعنة الله على الظالمين)^(٢)

فحولت مجلس فرح و سرور يزيد و النشوة بالانتصار الى مجلس عزاء على

١ - السيد عبد الرزاق الموسوي المقوم : مقتل الحسين (عليه السلام)، ص ٤٦٣

٢ - المصدر نفسه.

خصمه و فجیعة على ما إقترفته يدها و مجلس عار و إنهما عليه ؛ اذ رأى المسلمون في السبايا من الفجیعة اكبر ما رأوا من قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته .
تقول بنت الشاطيء : « لم تمض زينب عليها السلام إلا بعد ان أفسدت على ابن زياد ويزيد لذة النصر، وسكبت قطران من السم الزعاف في كؤوس الظافرين!، فكانت فرحة لم تطل ... وكان نصراً مؤقتاً لم يلبث ان أفضى الى هزيمة قضت أخيراً على دولة بني امية، فلم تكذب زينب عليها السلام تخرج من عند يزيد حتى احس ان سروره بمقتل الحسين عليه السلام قد شابته كدرٌ خفي، ظل يزداد حتى استحال الى ندم، كدر صفو الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته، ولحق منه بابن زياد شر كثير»^(١).

و قد نجحت السيدة العقيلة عليها السلام الى درجة أن غير يزيد سلوكه معهم . يقول العلامة السيد مرتضى العسكري : (يبدو إن يزيد إضطر الى أن يغير سلوكه مع ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يرفه عنهم بعض الشيء و يسمح لهم بإقامة المآتم على شهدائهم . فقد روى ابن أعثم بعد ذكر ما سبق و قال : لما فرغ من صلواته أمر بعلي بن الحسين و أخواته و عماته (رضوان الله عليهم) ففرغت لهم دار فنزلوها و أقاموا أياما يبكون و ينوحون على الحسين عليه السلام)^(٢)

١ - بنت الشاطيء: تراجم سيدات بيت النبوة(رض)، ص ٧٩٠

٢ - السيد مرتضى العسكري: معالم المدرستين، ص ٢٠٩

المطلب الخامس

مهمتها الإعلامية في المدينة المنورة

كان للسيدة العقيلة دور بارز بعد عودتها الى مدينة جدها (صلى الله عليه وآله) إذ كان الشيعة والموالون يرجعون اليها في اخذ العلوم والأحكام؛ لأن الامام السجاد عليه السلام لم يتسن له القيام بدوره بشكل مباشر إذ كان تحت المراقبة الشديدة. فقد روى الصدوق في كمال الدين وتمام النعمة رواية عن حكيمة أخت الامام العسكري طويلة نأخذ هنا موضع الشاهد، يقول الراوي: فقلت لها: اقتدي بمن وصيته الى المرأة؟ فقالت: اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب، ان الحسين بن علي (عليهما السلام) أوصى الى أخته زينب بنت علي بن أبي طالب في الظاهر، وكان ما يخرج من علي بن الحسين من علم ينسب الى زينب بنت علي تستراً على علي بن الحسين ^(١).

وقد أضفى هذا الدور المميز للسيدة زينب عليها السلام هالة قدسية أخرى بالإضافة الى منزلتها الرفيعة ومكانتها المرموقة في النفوس. فاستثمرت هذا الجانب لتواصل دورها الاعلامي في إستنهاض الأمة و بث روح الثورة الحسينية فيها و تحمیلها المسؤولية. وتلهب مشاعر المسلمين و تثير حماسهم بخطاباتها و أشعارها من منبرها في مدينة جدها لاسيما و إن المدينة كانت و لازالت تشد اليها الرحال من مختلف أصقاع العالم الاسلامي و كان من شعرها :

على الطف السلام وساكنيه وروح الله في تلك القباب

١ - الشيخ الصدوق: إكمال الدين وإتمام النعمة، ص ٥٠١

نفوس قدست في الأرض قدسا وقد خلقت من النطف العذاب
مضاجع فتية عبدوا فناموا هجودا في الفدافد والروابي
علتهم في مضاجعهم كعاب باردات منعمة رطاب
وصيرت القبور لهم قصورا مناخا ذات أفنية رحاب^(١)

و بلغ من شدة إثارها لأهل المدينة و تأليبهم ضد السلطة الحاكمة أن يكتب
والي المدينة المنورة الأموي عمر بن سعد الأشدق إلى طاغيته يزيد بن معاوية
يعلمه : (إن وجودها [يعني السيدة زينب ع]، بين أهل المدينة مهيج للخواطر
وأنها فصيحة، عاقلة، لبيبة، وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر
الحسين)^(٢).

وكان لعظم دورها أن جعلت (من مصرع أخيها الشهيد مأساة خالدة
وصيرت من يوم مقتله مأتماً سنوياً للأحزان والآلام، وكذلك كانت زينب
عقيلة بني هاشم في تاريخ الإسلام وتاريخ الإنسانية: بطلا استطاعت أن
تثأر لأخيها الشهيد العظيم، وان تسلط معاول الهدم على دولة بني امية، وان
تغير مجرى التاريخ)^(٣).

نعم، لقد ثارت عليها لأخيها أيما ثأر، و غيرت مجرى التاريخ الذي تنبأت
به منذ أن كانت أشلاؤهم عليها على رمضاء كربلاء إذ قالت مخاطبة الامام
السجاد عليه السلام: (وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس

١ - جواد شير: أدب الطف، ج ١، ص ٢٤٢

٢ - بنت الشاطيء: تراجم سيدات بيت النبوة (رض)، ص ٧٨٤

٣ - المصدر نفسه، ص ٨٠١، ٨٠٠

أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والايام، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسته فلا يزداد أثره إلاّ ظهورًا وأمره إلاّ علواً^(١) .
وقد صدقت نبوءة السيدة فولأؤهم تدين به الملايين، و تعاليمهم تدرس في الجامعات و المدارس من مئات السنين، و مناقبهم تعلن على المنابر ليل نهار، و قبورهم كالأعلام على رؤوس الجبال يحج اليها الناس من كل فج عميق^(٢) .

١ - ابن قولويه: كامل الزيارات، ص ٢٦٢ (عثر عليه في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف) .

٢ - محمد جواد مغنية: الحسين وبطلة كربلاء، ص ٢٣٠

المبحث الرابع

خصائص الاعلام الزينبي

و أهم النتائج التي أسفر عنها

مما تقدم يتضح جلياً إن الإعلام الزينبي لم يكن وليد اللحظة أو إن ظروفًا قاهرة اضطرت السيدة العقيلة (عليها السلام) إليه، بل هو مهمة خطيرة يتوقف على نجاحها نجاح الثورة الحسينية بل والرسالة المحمدية أيضًا . و لذا فقد أعدت الشخصية التي تحمل أعباء هذه المهمة إعداداً نبوياً حيدرياً حسينياً، فاستمد وجوده و خصائصه من تلك المبادئ الاسلامية السامية التي كونت شخصيتها (عليها السلام)، فكان إعلامها إعلاماً إسلامياً مبدئياً محمدياً ثورياً حسينياً . حقق نجاحاً منقطع النظير وحصد نتائج بعيدة المدى زماناً ومكاناً . فأما خصائصه فهي :

أولاً : إبراز القيم السماوية الخالدة و المبادئ الإسلامية السامية التي إنطلقت منها الثورة الحسينية.

ثانياً : السعي لإصلاح حال الأمة الإسلامية الذي أفسدته السلطة الأموية و ضرورة إرجاعها إلى مسارها الصحيح.

ثالثاً : ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حالتي السلم والحرب .

رابعاً : مواجهة الحكم الظالم، وكشف حقيقته الطاغوتية، وفضح إعلامه المزيف.

خامسا : إظهار وحشية السلطة الأموية المتغطرسة، وبشاعة الجرائم التي إقترفتها بحق أهل البيت (عليه السلام) وأتباعهم.

سادسا : التعريف بهوية الإمام الحسين (عليه السلام) وبيان عظيم منزلته.

سابعا : إبراز العزة الإيمانية وعدم الانكسار أمام الأعداء وربما خير ما يمثل هذه العزة والترفع قول السيدة زينب (عليها السلام) : « ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعك واستكبر توييحك ... »، و قولها : « ثكلتك أمك يا بن مرجانة » .

ثامنا : الحرص على حفظ مكتسبات الثورة وعدم تبديدها أو التفريط بها، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال إستمرارها في هذه المهمة حتى بعد عودتها الى الديار.

و أما نتائج رسالتها الإعلامية السامية فهي :

أولا : إحياء الرسالة الإسلامية المحمدية الحقّة وإعادتها الى مسارها الصحيح بعدما حاول الامويون تحريفها وبالتالي طمسها والقضاء عليها .

ثانيا : فضح الأمويين وإظهار حقيقتهم البشعة لكل من إغتر بهم، وتحطيم الإطار الديني المزيف الذي إتخذوه وسيلة لحكم العالم الاسلامي، وبالتالي سحب بساط الحكم من تحت أرجلهم و أمام ناظرهم.

ثالثا : إنباه الأمة من غفلتها وشعورها بالآثم لتخاذهما عن نصره الامام الحسين (عليه السلام) وشيوع النقمة على الحكام الأمويين.

رابعا : استعادة الأمة الإسلامية عزمها وإرادتها وإذكاء روح الثورة والجهاد

فيها، و قد أثبت ذلك قيام الثورات المتتالية بعد ثورة الامام الحسين عليه السلام ضد
الحكام الجائرين .

خامسًا : إثبات قدرة المرأة على مواجهة أعتى الملمات القيادة في الأزمت لما
تمتلكه من ملكات قيادية و إمكانيات إدارية تمكنها من تحقيق أهداف غاية في
الأهمية إذا ما مزجت العلم والحكمة بالصبر والقوة.

الخاتمة والتائج

أولاً : الإعلام ركن أساسي من أركان نجاح أية ثورة؛ لأن المفسدين وعلى مرّ الزمن يعتمدون الإعلام الذي يبرر فسادهم و بالتالي فهم يحاولون تشويه حقيقة الثائرين و طبيعة مطالبهم. وما لم يكن للثورة إعلام مضاد يواجه إعلامهم المضلل فإن الثورة مآها الى الفشل فضلا عن الاضمحلال والاندثار لا محالة . و عليه لولا الكلمة الزينية لما كتب النجاح للثورة الحسينية.

ثانيا : اعتمد الإعلام الزيني على أسس راسخة و مبادئ سامية كالإتكال على الله (تعالى) والرضا بقضائه والصدق والوضوح والشجاعة والمنطق السليم .

ثالثا :إنتخاب السيدة زينب (ع) السلاح المناسب حسبها تقتضيه طبيعة كل موقف فتارة قوة العقل و المنطق واخرى قوة العاطفة والوجدان وبذلك لم تترك ثغرة يمكن للإعلام المضلل النفوذ منها .

رابعا : شمولية الطرح و تغطيته لجميع الأحداث وبكل تفاصيلها وبالتالي فقد رسمت (ع) لوحة متكاملة في ذهن المتلقي .

خامسا : للإعلام دور بالغ الأهمية في تصحيح الأفكار وتجريد المضللين من أفتنتهم المزيفة و تعبئة الرأي العام لصالح الحق . وعليه فحري بكل إمراة تمتهن هذه المهنة العظيمة أن تؤدي رسالتها بكل إخلاص خدمة للدين والمذهب الحق متأسية بالسيدة العقيلة (ع). بل وإن لم تكن تمتنها فمن منبرها الحالي و لو على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي .

سادسًا: لم تكن السيدة زينب عليها السلام بطلة كربلاء لولا الجهاد والصبر والكفاح. وعليه يجب على كل امرأة طموحة أن تمضي قدمًا في تحقيق طموحها، وأن تدلل العقبات التي تعترضها طالما كان طموحها خيرًا لدينها ودنياها. وأن تصم آذنيها عن كلمات المحبطين والمنقسين من أهمية دور المرأة في المجتمع؛ لأنها إن لم تتصدّ للمراكز المهمة ومراكز القرار تكون قد سمحت لغير الملتمزات دينيا بتسئمتها وبالتالي قد تخضع وبنات جنسها لقرارات بعيدة عن إطار الدين و الاعراف السليمة .

المصادر :

القرآن الكريم .

١. أدب الطف: للسيد جواد شبر، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، سنة ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
٢. إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة : للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١، منشورات المطبعة الحيدرية- النجف، ١٣٨٩هـ- ١٩٧٠م
٣. الحسين وبطلة كربلاء: لمحمد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، طبعة جديدة، ١٩٧٣
٤. السيدة زينب عليها السلام رائدة الجهاد في الاسلام: للشيخ باقر شريف القرشي، تحقيق مهدي باقر القرشي، الناشر مهر أمير المؤمنين عليه السلام، الطبعة الخامسة، ١٣٨٥هـ ش- ١٤٢٧هـ ق .
٥. العباس عليه السلام: للسيد عبد الرزاق الموسوي المكرم، تحقيق الشيخ محمد الحسون، توزيع الغدير للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٦. الكامل في التاريخ: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الاثير الجزري، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٧. تراجم سيدات بيت النبوة (رض): للدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان الطبعة الثانية (مزيدة منقحة)، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
٨. معالم المدرستين: للعلامة السيد مرتضى العسكري، نشر المجمع العالمي الاسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، مطبعة كليني.
٩. مقتل الحسين عليه السلام: للسيد عبد الرزاق الموسوي المكرم، منشورات مطبعة النجف، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ .

١. الصحف و المجلات :

- العهد نيوز: نشر بتاريخ ١٠/٥/٢٠١٠، مقالة بعنوان (الثورة الكربلائية أوقدت دماء الامام الحسين عليه السلام و خلدتها إعلام السيدة زينب عليها السلام للكاتبة فاطمة شعيتو/ لبنان.



الدور القيادي بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام .. السيدة زينب عليها السلام أنموذجاً

مها محمد أحمد قاسم / العراق - بغداد

ملخص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم
تُعد السيدة زينب عليها السلام من أهم الأشخاص الذين تربعوا على عرش قلوب الملايين من الناس ولا سيما أنها جسّدت دور البطولة الفذة من خلال مشاركتها في ثورة الإمام الحسين الخالدة ضدّ الحُكّام الطغاة الذين أرادوا تشويه الإسلام، وتحريف مبادئه، ومسح تعاليمه، واستخدامه لتحقيق مصالحهم الشخصية، حيث عملت السيدة زينب عليها السلام على إحباط مخططات بني أمية الشيطانية وفضح جرائمهم التي يندى لها الجبين .

وقد كان دور السيدة زينب عليها السلام لا يقل أهمية عن دور الإمام الحسين عليه السلام، بل أنّ الكثير من العلماء يعتقدون بأنّ دورها كان أكثر صعوبة من دور الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّ ذلك الدور قد ساهم بحفظ الثورة الحسينية وحمائتها من استغلال الحكم الأموي الذي كان يسعى دائماً لتمويه الحقائق وتحريفها، إذ إنّ السيدة زينب عليها السلام قد أخذت على عاتقها زمام القيادة في حفظ حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وكشف مفاسد الحُكّام

الأمويين ومدى خطرهم على الدين والأمة الإسلامية، وبالتالي إسقاط شرعية نظامهم الذي آمن به الكثير من المسلمين نتيجة للخداع والتضليل، وبذلك كانت السيدة زينب عليها السلام هي الشريكة المثالية للإمام الحسين عليه السلام في تحقيق ثورته المباركة .

وقد اتبعت الباحثة المنهج التاريخي التحليلي في البحث، كما عمدت إلى تقسيم البحث على ثلاثة مباحث أساسية، حيث تضمّن المبحث الأول ((الشخصية القيادية للسيدة زينب عليها السلام))، أما المبحث الثاني فقد تضمّن ((الدور القيادي للسيدة زينب عليها السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام))، في حين تضمّن المبحث الثالث ((السيدة الزهراء والسيدة زينب عليهما السلام .. قيادة متكاملة)) .
ونسأل الله قبول الأعمال والتوفيق .

المبحث الأول

الشخصية القيادية للسيدة زينب عليها السلام

إنَّ السيدة زينب عليها السلام من أعظم النساء التي عرفها التاريخ حيث تميّزت بجلالة شأنها، وعلو مكانتها، وقوة حجتها، ورجاحة عقلها، وثبات جنانها، وفصاحة لسانها، وبلاغة مقالتها، وشجاعته^(١)، وقد اتفق العلماء على وصف شخصية السيدة زينب عليها السلام بقوة الصبر، ورجاحة العقل، وثبات الإيمان، والمعرفة بالتدبير والقيادة^(٢).

وقد تظافت العديد من العوامل التي أدت إلى تكامل شخصية السيدة زينب عليها السلام، ولعل أهم تلك العوامل هو نشأتها في بيت النبوة ومهبط الوحي والرسالة، إذ إنَّ أهل ذلك البيت قد ضربوا أروع الأمثلة في الوقوف بوجه الظلم والطغيان، وقد شهدت السيدة زينب عليها السلام جميع تلك الخطوب والمحن التي ألمّت بهم حيث شهدت عليها السلام استشهاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وتكالب الأمة من بعده على منصب الخلافة، واغتصاب حق أبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الولاية الكبرى ودفاع السيدة الزهراء عليها السلام عن حقه مما أدّى إلى مهاجمتها وإحراق دارها وضربها وبالتالي استشهادها^(٣)، ومن ثم تمادي الأمة في الاعتداء على حقوق أمير المؤمنين وإشغاله بالفتن والحروب حتى استشهادها عليها السلام، ومن ثم مصائب الإمام الحسن واستشهاده بالسهم، ورمي

١ - الشمس الطالعة والأنوار الساطعة، أحمد شكر الحسيني : ٦٨ .

٢ - الحسين وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية : ١٧٧ .

٣ - زينب فيض من النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسين البغدادي : ٥٣ .

جنازته بالسهم، ومن ثم مصائب الإمام الحسين عليه السلام والتي بلغت ذروتها في يوم واقعة الطف الأليمة بعد قيام الفئة الباغية بقتله مع الثلة الطاهرة من خيرة أهله وأصحابه، هذا فضلاً عن سحق أجسادهم الزاكية بحوافر الخيول، وحمل رؤوسهم على الرماح، وقد صبرت السيدة زينب عليها السلام على جميع تلك المصائب بنفس آمنة مطمئنة راضية بقضاء الله تعالى ^(١)، مما أهلها لقيادة مسيرة الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده، ويمكن توضيح أهم الصفات التي تجلت من خلالها الشخصية القيادية للسيدة زينب عليها السلام كما يأتي :

العصمة الصغرى للسيدة زينب عليها السلام والتي أكسبتها مقاماً عالياً، وشأناً عظيماً جعلها تكون في المرتبة الثانية بعد المعصومين عليهم السلام مباشرة ^(٢) .

العلم اللدني الملوكوتي حيث كانت السيدة زينب عليها السلام عالمة بالعلم الذي خص الله تعالى به الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام وهذا ما يدل عليه حديث الإمام السجاد عليه السلام حيث يقول: ((يا عمّة أنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة)) .

الصبر والثبات على الرغم من تواتر المحن وتوالي المصائب التي شهدتها عليها السلام أثناء فترة حياتها الشريفة، حتى أنها قد لُقِّبت عليها السلام بلقب جبل الصبر نتيجة لصبرها الوثيق .

الشجاعة الخالصة والتي تجلّت في الكثير من المواقف التي صادفتها في حياتها ولا سيما أثناء المسيرة من كربلاء إلى الشام كدفاعها عن الإمام السجاد عليه السلام

١ - السيدة زينب عالمة غير معلمة، محمد الحسيني الشيرازي : ١١٨ .

٢ - الخصائص الزينية، نور الدين الجزائري : ٥٧ .

وردودها البليغة على عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية ^(١) .
التميز بالعقل الوافر واللب الكامل والذي تعكسه تصرفاتها الحكيمة
وردودها العاقلة على الرغم من شدة المصائب التي تعرّضت إليها مما جعلها
تستحق وبجدارة لقب العاقلة .

الموثوقة العالية التي تميّزت بها، حيث وثق فيها الإمام الحسين والإمام
السجاد عليهما السلام وقاموا بتسليمها زمام القيادة بعد واقعة الطف، كما قاموا بإيداع
الودائع الإلهية وموارث الإمامة .

الرضا بالقضاء والقدر الذي اختاره الله لها على الرغم من مكانتها العالية عند
الله -تعالى- ودعائها المستجاب لرفع البلاء، إلا أنّها فضّلت الرضا بقضاء
الله -تعالى- والاستسلام لأمره ^(٢) .

التضحية الخالصة في سبيل إحياء دين الله -تعالى-، إذ إنّ السيدة زينب عليها السلام
قد ضحّت بحياتها الشخصية من أجل حياتها العقائدية والسياسية والتي
ترتكز محاورها على نصرته الإمام الحسين عليه السلام والمشاركة في نهضته المباركة ^(٣) .
وبالتالي نلاحظ أنّ شخصية السيّدة زينب عليها السلام تتسم بالصفات اللازمة التي
تؤهلها لقيادة الرّكب الحسيني وتثبيت قواعد ثورة الإمام الحسين عليه السلام،
وتثبيت أركانها، ونسف جميع القوى المعارضة لها .

- ١ - الشمس الطالعة والأنوار الساطعة، أحمد شكر الحسيني : ٨٨ .
- ٢ - الخصائص الزينية، نور الدين الجزائري : ٦٠ .
- ٣ - رسالة السيدة زينب، موسى قصير محمد الاسدي : ٤٢ .

المبحث الثاني

الدور القيادي للسيدة زينب عليها السلام بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

لقد كانت السيدة زينب عليها السلام هي الشريكة المخلصة والوفية للإمام الحسين عليه السلام في نهضته الكبرى، ولولاها لضاعت جهود الإمام الحسين عليه السلام الثمينة التي بذلها في سبيل الله تعالى لإحياء الدين الإسلامي، وإصلاح أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا سيما أن الأمويين لم يدخروا أيَّ جهدٍ يُذكر لتزوير الحقائق، والكذب على الأمة الإسلامية، وتصوير الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار على أنهم خوارج خرجوا على خليفة زمانهم يزيد بن معاوية مما أدَّى إلى نشوء مجتمع مُضللّ ومُسيطر عليه من قبل الإعلام الأموي الحاقد على أهل البيت عليهم السلام، وقد كان ذلك مصاحباً للإرهاب والعنف الذي استخدمته السلطات الأموية لإسكات أفراد المجتمع، وبالتالي فقد كانت مهمّة السيدة زينب عليها السلام مهمّة بالغة الصعوبة تمثلت بمواجهتها لذلك المجتمع الذي يعيش شدة التّضليل والتّمويه^(١)، وقد أدت السيدة زينب عليها السلام تلك المهمّة على أتم وجه، حيث قد ساهمت جهودها الكريمة بتحويل نصر الأمويين العسكري المؤقت إلى هزيمة أبدية ألّبتهم ثوب الخزي والعار إلى يوم القيامة^(٢)، وقد ارتكزت تلك الجهود على تحقيق ما يأتي:

- ١ - الشمس الطالعة والأنوار الساطعة، أحمد شكر الحسيني : ٥١ .
- ٢ - السيدة زينب عالمة غير معلمة، محمد الحسيني الشيرازي : ٥ .

- ١ . تثبيت أركان دولة الحق .
- ٢ . بيان أهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام .
- ٣ . كشف مساوئ نظام الحكم الأموي .
- ٤ . تأليب الناس ضد الحكام الطغاة من خلال الخطب والمواعظ ومآثم العزاء .
- ٥ . إحياء ذكر الإمام الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام ^(١) .

ويمكن توضيح الدور القيادي للسيدة زينب عليها السلام من خلال بيان ما يأتي:

أولاً:- حفظ حرم وعيال آل الحسين عليهم السلام وأصحابه الأطهار، وقد امتد ذلك الدور بعد واقعة الطف مباشرة حيث قامت عليها السلام بجمعهم في مكان واحد ولاسيما بعد تبعثرهم عند إحراق الأمويين لحيامهم، هذا فضلاً عن حمايتهم من الضرب بالعصي والسياط وتلقي تلك الضربات بجسدها الشريف مما أدى إلى سواد ظهرها خلال مدة زمنية قصيرة نتيجة للضرب المتوالي على جسدها ^(٢)، كما كانت عليها السلام تعمل على رعاية وحفظ ستر وحجاب حرم آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهناك العديد من المواقف التي تؤكد ذلك كمخاطبتها لأهل الكوفة عند دخولهم إليها: ((يا أهل الكوفة غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ عَنَّا أَمَا تَسْتَحُونَ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْ تَنْظُرُوا لِحَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم))، هذا فضلاً عن رعاية الأطفال وإيثارهم على نفسها في الطعام والشراب، ولاسيما أنَّ الأمويين كانوا لا يقدمون إليهم إلا رغيف واحد من الخبز في اليوم والليله

١ - الحسين وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية : ١٨١ .
 ٢ - زينب الكبرى من المهدي إلى اللحد، محمد كاظم القزويني : ٢٥٢ .

(١)، كما كانت عليه السلام تعمل على تقديم الدعم المعنوي لآل الحسين عليه السلام طيلة المسيرة إلى الشام، وقد تجلّى ذلك من خلال قيامها برعاية الإمام السجاد عليه السلام في مرضه والاهتمام بالأطفال والنساء ورعايتهم وتوصيتهم بالصبر، والتقوى، والانشغال بالذكر، والدعاء، وتلاوة القرآن، وتذكيرهم بالهدف السامي الذي سعى إليه الحسين عليه السلام وواجبهم في إتمام قضيته المباركة (٢) .

ثانياً: - حماية الإمام السجاد عليه السلام في كثير من المواقف والتي يمكن توضيحها كما يأتي:

حمايته من محاولة القتل التي قام بها شمر بن ذي الجوشن عند دخول الجيش الأموي لخيام الإمام الحسين عليه السلام من أجل سلبها، حيث وقفت بوجه الشمر وقالت له: ((والله لا يُقتل حتى أُقتل))، فاضطر الشمر لترك الإمام السجاد عليه السلام وعدم التعرض له .

فدائه بنفسها من خلال تضحيتها بحياتها لإنقاذه وإخراجه من بين النيران التي أشعلها الأمويون في الخيام (٣) .

حمايته من محاولة القتل التي قام بها عبيد الله بن زياد في مجلسه في الكوفة حيث قالت له: ((يا بن زياد حسبك من دماننا ما سفكت فلا والله لا أفارقه فإن قتلته فأقتلني معه))، فاضطر ابن زياد لترك الإمام السجاد عليه السلام خشية انقلاب الأمور إلى غير ما يريد (٤) .

١ - الشمس الطالعة والأنوار الساطعة، أحمد شكر الحسيني : ١٠٤ .

٢ - رسالة السيدة زينب، موسى قصير محمد الاسدي : ٤٢ .

٣ - زينب الكبرى، جعفر النقدي : ١١٣ .

٤ - أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت : ٦٠ .

ثالثاً: - حماية حرم آل رسول الله ﷺ من رجس الأمويين، ومن أهم المواقف التي تدل على ذلك هو حمايتها للسيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام حين طلب الشامي الأحمر من يزيد أن يهب له السيدة سكينة عليه السلام كجارية، إلا أن السيدة زينب عليه السلام منعتهم وقالت لهم: ((كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا))، وقد أكدت السيدة زينب عليه السلام بذلك القول مدى ابتعاد الأمويين عن الدين الإسلامي الحنيف (١) .

رابعاً: - إلقاء الخطبة العظيمة في الكوفة والتي ركزت فيها على بيان صفات أهل الكوفة والتي تتسم بالغدر والنفاق ونكث العهود والمواثيق، هذا فضلاً عن تذكيرهم بحرمة آل رسول الله ﷺ والذين تمت إراقة دمائهم الزكية في أرض كربلاء (٢)، وقد سعت السيدة زينب عليه السلام من خلال تلك الخطبة إلى تحقيق ما يأتي:

كشف مجتمع أهل الكوفة على حقيقته وتجريده من الفضائل التي كان ينسبها لنفسه .

التأكيد على أن مجتمع الكوفة هو المسؤول الأوّل عن فاجعة كربلاء الأليمة وقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأطهار .

بيان حرمة الحسين وأهل بيته الأطهار عليه السلام ومدى صلتهم برسول الله ﷺ وبالدين الإسلامي .

وقد كان لذلك الخطاب صدى إعلامي كبير أدّى إلى اضطراب الأوضاع

١ - زينب الكبرى، جعفر النقدي: ١١٦ .

٢ - زينب الكبرى من المهدي إلى اللحد، محمد كاظم القزويني: ٢٨٤ .

السياسية في الكوفة، وقد تمثل ذلك باعتراف الناس بخطئهم الفادح وإعلانهم للتمرد على عبيد الله بن زياد مما أدى إلى استعجاله بإخراج السبايا وإرسالهم إلى يزيد في الشام^(١).

خامساً: - إلقاء الخطبة الكبرى في مجلس يزيد بن معاوية في الشام والتي ضربت السيدة زينب عليها السلام فيها أروع معاني البلاغة والفصاحة وعذوبة البيان، هذا فضلاً عن الاستشهاد بالآيات القرآنية الكريمة، وقد ركزت السيدة زينب عليها السلام في تلك الخطبة فيها على عدد من العناصر الأساسية وأهمها: بدأ الخطبة المباركة بحمد الله تعالى والثناء عليه، مما يدل على أهميّة الحمد في كل الأحوال من السراء والضراء، وهذه هي صفات المؤمنين المتقين الله حق تقاته^(٢).

ذكر الآية الكريمة: ((ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ))^(٣)، حيث تعطي السيدة زينب عليها السلام دلالة واضحة على أنّ الحسين وأهل بيته الأطهار هم آيات الله في الأرض والتي استهزأ بها أصحاب الضلالة^(٤).

قولها عليها السلام: ((أمن العدل يابن الطلقاء تحديرك حرائك وإماءك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ وتحذو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفحّ

١ - السيدة زينب حفيذة رسول الله، عباس علي الموسوي : ٧٢ .

٢ - الاحتجاج، الطبرسي : ١١٨ .

٣ - سورة الروم، الآية : ١٠ .

٤ - الخصائص الزينية، نور الدين الجزائري : ٧١ .

وجوهنَّ القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهنَّ من رجلهنَّ ولي،
ولا من حماهنَّ حمي))^(١)، وقد ركزت السيدة زينب عليها السلام في هذا المقطع على
بيان ما يأتي :

عدم عدالة يزيد وظلمه الفادح في سبي حرم رسول الله ﷺ في حين أنَّ
نساءه مخدَّرات آمنات لا يمسهنَّ سوء .

تذكير يزيد بنسله المنحدر من أهل الطلقاء الذين حاربوا الرسول الأكرم
ﷺ والذين تم أسرهم ومن ثم إطلاقهم .

توضيح المأساة التي تعرَّضت لها حرم رسول الله ﷺ بأمر الطاغية يزيد،
حيث تم نقلهم من بلدٍ إلى بلد مع هتك ستورهنَّ وكشف وجوههنَّ لجميع
الناس^(٢) .

قولها عليها السلام: ((كيف يرتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأذكيا و نبت لحمه
من دماء الشهداء))^(٣)، حيث تؤكِّد السيدة زينب عليها السلام في هذا القول على ما
يأتي:

عدم تأمل ورجاء أي خير من يزيد وأتباعه ولا سيما أنَّه من سلالة أكلة الأكباد
وقتلة الأبرار، وفي ذلك تأكيد على واقع غيبي مستقبلي ينبئ عن استغلال
يزيد لحقوق أفراد الأمة وهتك حرمتها كما فعل مع آل رسول الله ﷺ .

إنَّ أفعال يزيد هي أفعال طبيعية تعود إلى أصله النَّاشئ من الطواغيت الذين
كانوا يتغذون على أكباد ودماء الشهداء، وفي ذلك إشارة عظيمة للناس

١ - الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي : ٦٧ .

٢ - مسير السبايا ويوم الأربعاء، محمود الشريفى : ٣٣ .

٣ - السيدة زينب حفيدة رسول الله، عباس علي الموسوي : ٨٢ .

لتوليد الوعي لديهم وتنبههم إلى هذا الشخص ليس بأهل لمنصب الخلافة الإسلامية والتي تؤكد على حفظ الحرمات ورعاية الأفراد^(١) .

قولها عليها السلام: ((قد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد عليه السلام ونجوم الأرض من آل عبد المطلب))، حيث تؤكد السيدة زينب عليها السلام في هذا القول على بيان جرائم يزيد التي ارتكزت على إراقة دماء الأبرياء من آل الرسول الأكرم عليه السلام وبني عبد المطلب^(٢) .

قولها عليها السلام: ((تهتف بأشياخك الجاهليين زعمت أنك تنادهم فلتردنّ وشيكاً موردهم ولتودنّ أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، فوالله يا يزيد ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، ولتردنّ على رسول الله عليه السلام بما تحمّلت من دماء ذريته، وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله تعالى شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم، ((وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ))^(٣)، وحسبك بالله حاكماً وبمحمدٍ خصيماً وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من سؤل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جنداً))^(٤)، حيث تركز السيدة زينب عليها السلام في هذا المقطع على ما يأتي:

فخر يزيد بأشياخه الجاهليين في معركة بدر الذين قاتلوا الرسول عليه السلام واستهدفوا النيل من المسلمين، مما يدلّ على مدى ابتعاده عن الدين الإسلامي

١ - الحسين وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية: ٣٥٩ .

٢ - زينب الكبرى من المهدي إلى اللحد، محمد كاظم القزويني: ٢٦١ .

٣ - سورة آل عمران، الآية: ١٦٩ .

٤ - زينب الكبرى، جعفر النقدي: ١١٧ .

الحق .

الإبناء عن الواقع المستقبلي الحتمي ليزيد والذي سيرتكز على الندم والوقوف في موقف الخزي والعار أمام الله ورسوله بيدين ملوثتين بدماء الأبرياء من آل الرسول الأطهار عليهم السلام .

التأكيد على أنّ الحسين وأهل بيته الأخيار عليهم السلام هم شهداء أبرار في سبيل الله تعالى ومصيرهم هو الجنة الخالدة ^(١) .

قولها عليها السلام: ((إني لاستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكثر توبيخك)) ^(٢)، وفي ذلك القول تؤكد السيدة زينب على مدى صغر مكانة يزيد وحقارة وضعه والتي يستحقّ بها أشدّ أنواع العذاب واللوم والتقريع، كما يدل ذلك القول على مدى شجاعة السيدة زينب عليها السلام وهي توبّخ الخليفة المزعوم على مرأى ومسمع جميع الناس ^(٣) .

قولها عليها السلام: ((فكذ كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحيننا ولا تدرک أمدنا ولا تدحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين)) ^(٤)، حيث تؤكد السيدة زينب عليها السلام في هذا المقطع على ما يأتي:

إنّ أفعال يزيد مع شدّة فظاعتها فهي كهباءٍ منشور ولن تدوم أبداً ولن تحقق الأهداف الخبيثة التي سعى إليها في إخفاء ذكر أهل البيت الأطهار عليهم السلام وإطفاء

١ - زينب الكبرى من المهدي إلى اللحد، محمد كاظم القزويني: ٤٠١ .

٢ - السيدة زينب حفيدة رسول الله، عباس علي الموسوي: ٨٤ .

٣ - الشمس الطالعة والأنوار الساطعة، أحمد شكر الحسيني: ٢٤٣ .

٤ - الاحتجاج، الطبرسي: ١١٩ .

نورهم الخالد .

إنَّ ذكر أهل البيت عليهم السلام سيقى حياً إلى يوم القيامة، وسيزداد علوً وانتشاراً .
إنَّ أفعال يزيد هي أفعال طاغية ممتزجة بظلمات العار والخزي والتي ستبقى ملازمة له إلى يوم القيامة .

الإنباء عن الواقع الذي سيؤول إليه يزيد قريباً حيث سيموت ذكره وتحل عليه لعنة الله لما تحمله من وزرٍ عظيم في ظلم آل الرسول الأطهار عليهم السلام وانتهاك حرمتهم ^(١) .

قولها عليها السلام في نهاية الخطبة: ((الحمد لله رب العالمين الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، وآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويمسّن علينا الخلافة إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل)) ^(٢)، حيث تؤكد السيدة زينب عليها السلام في هذا المقطع على ما يأتي:

- ١ . بدء الأمور وختامها بحمد الله تعالى في جميع الأحوال .
- ٢ . التأكيد على أنّ آل الرسول الأطهار عليهم السلام والذين قتلوا ظلماً وعدواناً في واقعة الطف هم شهداء في سبيل الله -تعالى- وتلك نعمة عظيمة لا يمنحها الله -عز وجل- إلا لمن يحب ويرضى .
- ٣ . التأكيد على أنّ آل الرسول الأطهار عليهم السلام هم خلفاء الله الشرعيين في الأرض ^(٣) .

١ - الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي : ٦٩ .
٢ - مسير السبايا ويوم الأربعين، محمود الشريفي : ٣٥ .
٣ - الحسين وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية : ٣٦١ .

وقد كان لتلك الخطبة تأثير عظيم في نفوس الأفراد حيث أدت إلى تضعف أركان الدولة الأموية وانقلاب الرأي العام وتجنيد الثورة ضد الحكم الأموي^(١)، حيث اجتمع الناس بهدف الهجوم على دار يزيد وقتله، فاطلع جواسيس يزيد في الشام على الأمر وقاموا بتنبيهه ونصيحته بإرجاع آل بيت الرسول الأطهار ﷺ إلى المدينة المنورة، كما قام يزيد بتقديم الأعذار الواهية لأهل البيت ﷺ من خلال تبرئة نفسه من تلك الجرائم وإلقاء اللوم على عبيد الله بن زياد، هذا فضلاً عن أمره بتهيئة وسائل السفر اللائقة لإرجاع آل الحسين الأطهار ﷺ إلى المدينة المنورة .

سادساً: - إقامة مآتم العزاء على الإمام الحسين ﷺ وأهل بيته الأطهار والتأكيد على ذلك من خلال قولها ﷺ: ((يا قوم أبكوا على الغريب التريب))^(٢)، وقد قامت السيدة زينب ﷺ باستثمار تلك المآتم في توليد الوعي لدى أفراد الأمة من خلال بيان حقيقة الثورة الحسينية المباركة، وكشف القناع عن حقيقة الأمويين، وبيان شراسة أفعالهم وفضاعة جرائمهم مما أدى إلى انقلاب الرأي العام ضد الحكومة الأموية، وإعلان الأفراد لحالات التمرد والعصيان ضد أفراد الجهاز الحاكم، وقد ساء ذلك الوضع أفراد السلطة الظالمة مما أدى إلى قيامهم بمحاولة التهجير القسري للسيدة زينب ﷺ وترحيلها إلى الشام لتبقى قريبة من أنظارهم وبالتالي الحد من مواصلة نشاطها الذي ساهم في فضحهم وكشف حقيقتهم السوداء، إلا أن السيدة زينب ﷺ لم تلتفت لتلك

١ - الشمس الطالعة والأنوار الساطعة، أحمد شكر الحسيني : ١٠٧ .

٢ - السيدة زينب عاملة غير معلمة، محمد الحسيني الشيرازي : ٣٣ .

التهديدات وتحَدَّت السلطة، وأعلنت امتناعها عن الخروج من المدينة، إلا أنَّ نساء بني هاشم اجتمعنَ عندها وذكَّرنها بطغيان يزيد فلو امتنعت عن الرحيل إلى الشام سيثور الأمويون وسيهب من تبقى من بني هاشم لمواجهتهم، وقد تعاد فاجعة كربلاء الأليمة، ونتيجة لذلك قررت السيدة زينب عليها السلام الرحيل إلى الشام، إلا أنَّها لم تمتنع هناك عن مواصلة نشاطها في بيان مظلومية الحسين وأهل بيته الأطهار ^(١).

وهكذا نلاحظ أنَّ السيدة زينب عليها السلام قد جسدت القيادة المتميزة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، كما أنَّها أدَّت رسالتها على أتم وجه، ونفَّذت وصية الإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ متكاملٍ.

١ - السيدة زينب حفيدة رسول الله، عباس علي الموسوي : ١١٠ .

المبحث الثالث

السيدة الزهراء والسيدة زينب عليهما السلام ... قيادة متكاملة

لقد لُقبت السيدة زينب عليها السلام بلقب «نائبة الزهراء» وقد كان ذلك نتيجة لمواقف السيدة زينب عليها السلام القيادية المتكاملة مع مواقف الزهراء عليها السلام، ويمكن توضيح ذلك التكامل من خلال ما يأتي:

أولاً: - قيام الزهراء عليها السلام بعدم مبايعة أبي بكر لإعطاء دلالة واضحة على عدم شرعية حكومته والتي استولى عليها من خلال الأساليب اللاشرعية كالإكراه والتهديد والمحاربة الاقتصادية لأفراد الأمة الإسلامية آنذاك^(١).

وقد قامت السيدة زينب عليها السلام بالفعل نفسه حين أعلن الإمام الحسين عليه السلام عدم مبايعته ليزيد، والدليل هو مرافقتها له في رحلة كربلاء وتوليها لزام القيادة بعد استشهاده لتحقيق الأهداف التي سعى إليها من خلال ثورته المباركة^(٢).

ثانياً: - قيام الزهراء عليها السلام بالقاء الخطبة الفدكية الكبرى في المسجد النبوي بهدف توعية الأمة الإسلامية وكشف القناع عن الخليفة المزعوم الذي استولى على الحكم من خلال ظلم الأفراد واغتصاب حقوقهم^(٣)، كما هدفت الزهراء عليها السلام من تلك الخطبة لحماية الإمام علي عليه السلام من ملابسات مشروع السقيفة والذي افتعله أبو بكر لتشويه سمعة الإمام علي عليه السلام وتصويره لسائر الناس على أنه

١ - الوراثية الاصفائية لفاطمة الزهراء عليها السلام، محمد صالح التبريزي، أبحاث محمد السند: ٣٤٦.

٢ - زينب بنت علي فيض من النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسن البغدادي: ٣٣.

٣ - ظلامة الزهراء في روايات أهل السنة، يحيى عبد الحسن الدوخي: ١٥٢.

طالب للملك والرئاسة دون الاهتمام بمصالح أفراد الأمة الإسلامية^(١)، هذا فضلاً عن قيام الزهراء عليها السلام بإلقاء الخطبة الصغرى في بيتها عند عيادة نساء المهاجرين والأنصار لها من أجل تأليبهم ضد الحكومة المفتعلة وذلك من خلال بيان صفات تلك الحكومة وما سيحل بالأمة الإسلامية بسببها ومقارنة ذلك مع صفات الإمام علي عليه السلام والتي تؤهله لمنصب الخلافة بعد رسول الله ﷺ (٢).

وقد قامت السيدة زينب عليها السلام بالفعل نفسه حين قامت بإلقاء الخطبة في الكوفة بهدف توعية الأمة الإسلامية، وبيان حقائق فاجعة كربلاء، والتأكيد على حرمة الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، ومدى صلتهم بالرسول وبالدين الإسلامي الخنيف، هذا فضلاً عن قيام السيدة زينب عليها السلام بإلقاء خطبتها الكبرى في مجلس يزيد بن معاوية في الشام بهدف توليد الوعي لدى الأفراد وتجنيدهم للثورة ضد الطغاة الأمويين الذين حاولوا تحريف المبادئ الإسلامية الأصيلة وتشويه سمعة الإمام الحسين عليه السلام وتصويره للناس مع آل بيته على أنهم خوارج خرجوا على خليفة زمانهم^(٣).

ثالثاً:- قيام الزهراء عليها السلام بإقامة ماتم العزاء في المدينة من أجل إحياء ذكر الرسول الأكرم ﷺ والتذكير بفضائله ووصاياه حيث يقول الله تعالى في

١ - أم مقامات الزهراء، حسن العلي: ١١٢ .

٢ - فاطمة الزهراء من قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشمي: ٢٣٤ .

٣ - الشمس الطالعة والأنوار الساطعة، أحمد شكر الحسيني: ٥١ .

محكم كتابه المجيد: ((ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)) (١)، وقد استثمرت الزهراء عليها السلام تلك المجالس في توضيح مظلوميتها ومظلومية الإمام علي عليه السلام من خلال تذكير الناس بوصايا الرسول الخاتم ﷺ بشأنهم وتأكيده في كثير من المواضع على خلافة الإمام علي عليه السلام من بعده، وبيان فضائل الإمام علي عليه السلام التي تؤهله لتلك الخلافة والتي لا يتمتع بها أفراد الحكومة المفتعلة . وقد أدى نشاط الزهراء عليها السلام إلى توعية الناس والتي نتج عنها حصول الانقلاب في الرأي العام ضد تلك الحكومة الباطلة (٢)، مما أدى إلى انزعاج أفراد الحكومة الظالمة وتعذرهم بأعذار واهية من قبيل أن الزهراء عليها السلام قد أذتكم ببيكاتها، وأنهم لا يطيب لهم الطعام والشراب وعزيرة الرسول ﷺ تبكي طيلة أيامها ولياليها، وبالتالي قام أمير المؤمنين عليه السلام ببناء بيت الأحزان لها في البقيع (٣) .

وقد قامت السيدة زينب عليها السلام بالفعل نفسه حين قامت بإقامة ماتم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأَطهار واستثمار تلك الماتم في توليد الوعي لدى الناس من خلال بيان حقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام المباركة، وكشف القناع الزائف عن حقيقة بني أمية البشعة والتي تجلت بأبشع صورها من خلال جرائمهم الفظيعة ضد الإمام الحسين وأهل بيته الأَطهار عليهم السلام، وبالتالي تأليب أفراد الأمة ضد الحكومة الأموية الضالّة، وقد أدى ذلك إلى انقلاب

١ - سورة الحج، الآية : ٣٢ .

٢ - أم مقامات الزهراء، حسن العالي : ٤٦٦ .

٣ - بيت الأحزان، عباس القمي : ٧٧ .

الرأي العام ضد الأمويين وبالتالي انزعاج الأمويين من نشاط السيدة زينب
ﷺ وقيامهم بمحاولة تهجيرها القسري إلى الشام لتكون قريبة من أنظارهم
وبالتالي الحد من قدرتها على مواصلة نشاطها الإعلامي^(١) .

١ - زينب الكبرى من المهدي إلى اللحد، محمد كاظم القزويني : ٥٢٦ .

خاتمة :

إنَّ السيدة زينب عليها السلام هي سليلة بيت الوحي والنبوة التي تغذت من روح الإيمان وآداب القرآن، وقد جسدت ذلك الإيمان في ميدان الواقع الفعلي من خلال مشاركة الإمام الحسين عليه السلام في ثورته المباركة، حيث لولاها لماتت تلك الثورة، واندرست معالم الدين الإسلامي إلى الأبد، إلا أنَّها كانت هي الروح المتقدة، والقلب النابض الذي أحيا تلك الثورة وثبت أركانها الزكية في عقر دار الخلافة المزعومة التي شوهدت تعاليم الدين الحنيف وزيفت مبادئه الأصيلة، ولذلك فقد أضحت السيدة زينب عليها السلام قائدة الثورة الحسينية المباركة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وقد كان شعارها الخالد هو أن كل ما يقدم في سبيل طاعة الله تعالى ومرضاته هو قربان قليل في مقابل عظمة الدين الإسلامي، وتلك نعمة عظيمة تستوجب شكر الله -تعالى- لتوفيقه على طاعته وإحياء دينه .

وبالتالي يجب على المؤمنين جميعاً الاقتداء بذلك النهج المبارك الذي أسسته السيدة زينب عليها السلام من أجل إحياء تعاليم دين الله -عز وجل- .

المراجع والمصادر

أولاً:- المراجع :

القرآن الكريم .

ثانياً:- المصادر :

- * الشمس الطالعة والأنوار الساطعة عقيلة الإمامة والولاية السيدة زينب الكبرى عليها السلام، أحمد شكر الحسيني، ١٩٩٩م، دار الهادي، النجف الأشرف، العراق .
- * الحسين عليه السلام وبطلة كربلاء، محمد جواد مغنية، ٢٠٠٥م، دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، قم المقدسة، إيران .
- * زينب بنت علي عليها السلام فيض النبوة وعطاء الإمامة، إبراهيم حسين البغدادي، ٢٠١٠م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان .
- * السيدة زينب عليها السلام عالمة غير معلمة، محمد الحسيني الشيرازي، ٢٠١٣م، دار المؤمل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .
- * الخصائص الزينية، نور الدين الجزائري، ٢٠٠٤م، دار الحوراء للنشر، بيروت، لبنان .
- * رسالة السيدة زينب عليها السلام، موسى قصير محمد الأسدي، ١٩٩٤م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
- * زينب الكبرى من المهدي إلى الالحد، محمد كاظم القزويني، ١٤٢٠هـ، دار المرتضى، بيروت، لبنان .
- * أعلام الهداية الإمام علي بن الحسين زين العابدين، المجمع العالمي لأهل البيت، ١٤٢٥هـ، مطبعة ليلي، قم المقدسة، إيران .
- * زينب الكبرى عليها السلام، جعفر النقدي، ١٣٦٢هـ، مكتبة المفيد، قم المقدسة، إيران .
- * السيدة زينب عليها السلام حفيذة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عباس علي الموسوي، ٢٠٠٨م، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان .
- * الاحتجاج، أحمد علي الطبرسي، ١٣٨٠هـ، منشورات الشريف الرضي، طهران، إيران .
- * الإمام علي بن الحسين زين العابدين، زهير الأعرجي، ٢٠٠٤هـ، مركز التحقيقات

- والعلوم الإسلامية، مطبعة ستارة، طهران، إيران .
- * مسير السبايا ويوم الأربعاء، محمود الشريفى، ٢٠٠٧م، مكتبة فذك، قم المقدسة، إيران .
- * الوراثة الاصفائية لفاطمة الزهراء عليها السلام، محمد صالح التبريزى، أبحاث الشيخ محمد السند، ٢٠١٦م، مكتبة فذك، مؤسسة محكمات الثقلين، قم المقدسة، إيران .
- * ظلامه الزهراء عليها السلام في روايات أهل السنة، يحيى عبد الحسن الدوخى، ٢٠٠٧م، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، قم المقدسة، إيران .
- * أم مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتاب والسنة، حسن العالى، ٢٠١٥م، دار الكوخ للطباعة والنشر، طهران، إيران .
- * فاطمة الزهراء عليها السلام من ما قبل الميلاد إلى ما بعد الاستشهاد، عبد الله عبد العزيز الهاشمى، ٢٠١٠م، مطبوعات دار الأندلس، بيروت، لبنان .
- * بيت الأحزان في ذكر أحوالات سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، عباس القمى، ١٩٩٨م، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان .



الدور القيادي

للسيدة زينب عليها السلام

١٧

م. د نرجس كريم الخفاجي م. ميادة سالم علي العكيلي
العراق-بغداد العراق-بغداد

الملخص :

لقد تناول موضوع الدور القيادي للسيدة زينب عليها السلام عدة موضوعات تضمّنت مولد السيدة زينب عليها السلام وكيفية تسميتها إذ إنّ بعد ولادتها حملتها أمها فاطمة الزهراء عليها السلام لأبيها أمير المؤمنين عليه السلام ليعطيها اسماً ولكنه رفض ذلك وأخبر النبي بذلك لكن النبي رفض أيضاً وترك شأن التسمية لله -تعالى- وفعلاً نزل جبرائيل يحمل اسم (زينب) وهذا بحدّ ذاته تقديس إلهي لهذه المولودة .

فضلاً عن تبيان لدورها القيادي والذي ابتدأ فعلاً بعد واقعة الطفّ الأليمة سنة ٦١هـ والتي استشهد فيها أهل بيت النبوة وأصحابهم على يد الطاغية يزيد، وهنا بدأ دور السيدة زينب عليها السلام في فضح المؤامرات والمكائد الأموية بخطبها التي خطبتها بالكوفة والمدينة وفي مجلس يزيد إذ أذهلت جميع من كان حاضراً وذلك لبلاغتها وفصاحتها. فقد أدّت الدور الرسالي على أحسن وجهٍ من بعد أخيها الإمام الحسين عليه السلام،

فضلاً عن إقامتها للمجالس الحسينية، فهذا بحد ذاته يعد دوراً إعلامياً يقرع
الأمويين وسلطانهم، وقيامها بجمع الأطفال، وإسكات الثكلي، والتخفيف
عن ابن أخيها زين العابدين عليه السلام، والذود عنه بعدما تعرّض لمحاولة القتل من
قبل يزيد، ومن ثم بيّنت الدراسة اختلاف العلماء في مكان دفنها في الشام أم
مصر، وقد توصلت الدراسة الى أنّ مكان قبرها هو في الشام .

Summary

The issue of the leadership role of Sayyid Zaynab (peace be upon her) dealt with a number of topics, including the birth of Zainab and how to name it. After her birth, her mother Fatima Al-Zahra brought her to her father, the Emir of the Believers, to give her a name, but he refused and told the Prophet. The name of God and indeed the Gabriel Inn bears the name (Zeinab) and .this in itself sanctify the divine of this born

As well as a demonstration of its leadership role, which AH. 61 began after the incident of the child orphan in the year which was cited by the people of the House of Prophethood and their owners by the tyrant Yazid and here appeared the role of the peace be upon her to expose the conspiracies and machinations Umayyad speeches addressed by Kufa and the city and in the Council It increases the astonishment of all those .who were present for their communication and cleverness

The missionary role played the best part of the post of Imam Husseinؑ peace be upon him, as well as its establishment of the Husseiniya Councils. This is in itself a media role that knocks the Umayyads and their power to collect the children, silencing the bereaved and relieving her nephew Zine El Abidine. Killing by Yazid, and then the study showed the difference of scientists in the place of burial Avi Sham or Egypt and the study has .concluded that the place of her grave is in the Levant

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد الأمين وآله وأصحابه الغر الميامين إلى يوم الدين أما بعد ...

لقد ساهمت المرأة في كل جوانب الحياة لقيامها بأدوار رئيسية، حيث ساندت أخيها الرجل في أغلب الأحيان وبأصعب الظروف وأحلك المواقف، وقد خلد لنا التاريخ ذكرى العديد من النساء اللاتي بلغن ذروة العظمة والعطاء، وتأتي السيدة زينب عليها السلام في طليعة تلك النساء العظيمات في تاريخ الإنسانية .

لقد كانت السيدة زينب عليها السلام الشاهدة على النهضة الحسينية؛ لأنها حملت رسالتها إلى الآفاق، ولأنَّ النهضة أساساً كانت تهدف بعث زلزال في الضمائر، فإنَّ دم الشهداء كان سيذهب سدى من دون دور الشاهدة العظيمة، وقد زعمت أمية أنَّ أخذ آل الرسول أسارى ويُطاف بهم في البلاد برفقة رأس السبط الشهيد عليه السلام ورؤوس أهل بيته وأصحابه عليهم السلام أنه يثير الرهبة في نفوس معارضيها .

يعد دور السيدة الجليلة عليها السلام في هذه الثورة دوراً كبيراً لا يقل أهمية وقيمة عن الدماء التي سفكت في كربلاء لأنه دور يحفظ تلك الدماء ويصونها من الاستغلال لغير ما سفكت من أجله، إذ كان دورها متمماً ومكملاً للثورة الحسينية إذ لولاها ولولا ما تعرّضت له من ذلك السبّي والتّطواف في البلاد

لاستطاع الحكم الأموي تمويه الأمور وتحريفها ولكن وجود السيدة زينب عليها السلام وما أخذته على عاتقها من بيان أهداف الإمام الحسين عليه السلام في ثورته وبيان مفاسد الحكم الأموي ومدى خطره على الدين وعلى الأمة، ثم متابعتها هذا الهدف إلى نهايته، لقد أثمر هذا الوجود عن أطيب الثمرات إذ استطاعت أن تقلب الأمور وتحول النصر العسكري المؤقت من جانب السلطة الأموية إلى هزيمة دائمة .

اقتضت ضرورة البحث تقسيمه إلى عدة محاور تناول المحور الأوّل السيرة العطرة للسيدة زينب عليها السلام، أما المحور الثاني فقد كُرس لدراسة الدور الذي قامت به عليها السلام ومدى تأثيره على الإحداث والأوضاع داخل الأمة الإسلامية، فيما درس المحور الثالث كيفية وفاتها عليها السلام واختلاف العلماء في مكان قبرها .

اعتمد البحث على عدة مصادر ومراجع كان من أهمها كتاب أعيان الشيعة للأمين، وكتاب الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام للعالمي، وكتاب زينب الكبرى لجعفر النقدي، وكتاب السيدة زينب حفيذة رسول الله صلى الله عليه وآله لعباس علي الموسوي .

سيرة السيدة زينب عليها السلام:

إنَّ السيدة زينب عليها السلام ^(١) أعرف من أن تعرف لكن يمكن أن نذكر بأبيها وأمها، ولكي نقف على أنها سليلة أسرة تشرفت بهم البشرية، فأبوها هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولد في الكعبة بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، ولم تخل غزوة ولم يُفتح حصن أو انتصار في موقع إلا ولعلي عليه السلام السهم الأول، أما استشهادها فكان سنة ٤٠ هـ على يد ابن ملجم (لعنه الله) وكان يصلي صلاة الفجر ^(٢).

أما أمها فهي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولدت في ٢٠ جمادى الآخرة بعد بعثة الرسول بخمس سنوات في مكة، وتزوجت بعد الهجرة بسنة واحدة من أمير المؤمنين عليه السلام وأنجبت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عليهن السلام والمحسن الذي أسقط قبل ولادته، واستشهدت بعد الرسول بستة أشهر ^(٣).

ولادتها:

ولدت السيدة زينب عليها السلام في المدينة المنورة في ٥ جمادى الأولى، ولما ولدت حملتها أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ودفعتها لأبيها قائلة له: سم هذه المولودة، التفت إليها أمير المؤمنين عليه السلام وقال لها وبجواب قصير لا يتعدى قوله: ما كنت لا سبق رسول الله صلى الله عليه وآله وكان في سفر، وعندما قدم من سفره سأله أمير المؤمنين عليه السلام أن يضع اسماً للمولودة، ولكن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما كنت لأسبق الله - سبحانه وتعالى -، وشاء الله تعالى أن يسمي هذه المولودة ونزل جبرائيل من السماء على رسول الله صلى الله عليه وآله يحمل إليه هذا الاسم

ويقرأ النبي السلام ويقول: إِنَّ الله يقول سم هذه المولودة زينب، إِنَّ هذه المولودة الطاهرة لها شأن عظيم وكبير، ودور فاعل في حياة هذه الأمة وحياة الإنسانية؛ ولذا كان التدخل الإلهي في تعيين اسمها الذي سوف يسطره التاريخ بأحرف من نور^(٤).

لقد اجتمعت كل الخصال الطيبة في هذه الشخصية، وقد دلت سيرتها ومسيرتها على صدق ذلك فكانت تمتلك الإيمان في أعلى مراتبه، وكانت عابدة لله في أشد الأوقات وأصعبها حتى أنّها لم تترك صلاة الليل ليلة العاشر والحادي عشر من المحرم وروي أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قال: (رأيتها تلك الليلة تصليّ من جلوس)^(٥).

ويقول العلامة النقدي:

ربيبة عصمة طهرت وطابت وفاتت في الصفات وفي الفعال
فكانت كالأئمة في هداها وإنقاذ الأنعام من الضلال
وكان جهادها بالقول أمضى من البيض الصوارم والنصال
وكانت في المصلى إذ تناجي وتدعو الله بالدمع المذال
ملائكة السماء على دعاها تؤمن في خضوع وابتها
روت عن أمها الزهراء علومها بها وصلت إلى حد الكمّال
مقاما لم تكن تحتاج فيه إلى تعلّم علم أو سؤال
ونالت رتبة في الفخر عنها تأخرت الأواخر والاولي
فلولا أمها الزهراء سادت نساء العالمين بلا جدال^(٦)
إما شجاعته فمشتقة من شجاعة أبيها أمير المؤمنين عليه السلام حيث برزت

في عاشوراء وأدت دورها في حفظ دماء سيّد الشهداء، وحفظ الإمام زين العابدين عليه السلام في أكثر من موقع تعرّض فيه للقتل من قبل طغاة بني أمية، أما فصاحتها وبلاغتها فيكفي ما ألقته من خطب في الكوفة أمام أهل الكوفة، وأمام ابن زياد، وأمام يزيد في الشام، وسيأتي ذكرها لاحقاً ^(٧).

كانت السيدة زينب عليها السلام حاملة رسالة الشهداء، وحامية الملحمة الحسينية، وفاضحة الأشقياء، وقد بلغت منزلتها الرفيعة ومكانتها السامية في البيت النبوي مبلغاً يعجز القلم عن بيانه، إذ كانت من فضليات النساء وفضلها أشهر من أن يذكر، وأبين من أن يسطر، وتعلم جلاله شأنها، وعلو مكانتها، وقوة صحبتها، ورجاحة عقلها، وثبات جنانها، وفصاحة لسانها، وبلاغة مقالها، حتى قيل كأنها تفرغ عن لسان أبيها من خطبها في الشام والكوفة، واحتجاجها على يزيد وابن زياد بما فحمهما حتى لجأ إلى سوء القول والشتم، وإظهار الشماتة والسباب الذي هو سلاح العاجز عن إقامة الحجة، وليس عجيباً من السيدة زينب عليها السلام أن تكون كذلك وهي فرع من فروع الشجرة الطيبة ^(٨).

إنّ بلاغة السيدة عليها السلام وشجاعته الأدبية ليست من الأمور الخفية فقد كان أبوها أمير المؤمنين والذي ملأت خطبه العالم وتصدى لجمعها وتدوينها أكابر العلماء، وأمها فاطمة الزهراء صاحبة خطبة فدك الكبرى، أن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة، وأن تكون لها الشجاعة الأدبية ^(٩).

تزوجت عليها السلام من ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وولد منها علي الزينبي وعون ومحمد وعباس وأم كلثوم، وقد قتل عون ومحمد

مع الحسين عليه السلام بطف كربلاء، وسميت السيدة زينب عليها السلام بأمّ المصائب وحق لها أن تُسمى بذلك فقد شاهدت مصيبة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله ومصيبة أمّها الزهراء عليها السلام ومصيبة قتل أبيها ومصيبة أخيها الحسن ومحتها في كربلاء وأسرها ^(١٠).

نشأتها:

تختلف تأثيرات الترف والرفاهية على نفس الطفل عن تأثيرات التّقصّف والبساطة ففي الحالة الأولى ينشأ الطفل على الدلال، وينعدم لديه الشعور بقيمة الأشياء لتوفرها أمامه، ولا تنمو في نفسه حساسية ولا شفافية تجاه حالات الفقر والحرمان؛ لأنّه لم يتذوّق مرارتها، كما أنّ مشاكل الحياة قد تصدمه بقوة؛ لعدم استعداده النفسي لمواجهة الصعوبات والمشاكل، وأمّا الحالة الأخرى فإنّ شخصية الطفل تكون أكثر اتزاناً، وأقل استهانة بالأشياء، وأقرب إلى التّفاعل النفسي مع الطبقات المحرومة والضعيفة في المجتمع .

والسيدة زينب عليها السلام نشأت في أفضل جوّ عائلي، فأسرتها لم تكن فقيرة، فلربما سمعت زينب عليها السلام في طفولتها عن ثروات جدّتها السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام، كما ترى الموقع القيادي لجدها رسول الله صلى الله عليه وآله حيث ولدت ونشأت في وقت الانتصارات العسكرية والسياسية والتي كانت تعود على المسلمين بالغنائم الكثيرة ولجدها النبي صلى الله عليه وآله فيها التصرف المطلق إلى جانب استعداد المسلمين لبذل كل إمكانياتهم ووضعها تحت تصرف رسول الله صلى الله عليه وآله .

وتلاحظ عليها السلام امتلاك عائلتها لبعض الإمكانيات، ثم تنازها عنها لصالح

الآخرين، ويخلد القرآن الكريم أنموذجاً لهذه الحالة عند عائلة السيدة زينب عليها السلام مشيداً بها في سورة الإنسان حيث يقول: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩)) (١٢) فقد نزلت هذه الآية بحق أهل البيت عليهم السلام.

كذلك عاشت السيدة عليها السلام في جو يغمره العطف والحنان وتسوده المحبة والانسجام فقطبها البيت علي وفاطمة عليهما السلام والدا زينب كانت علاقتها في قمة الصفاء حتى إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول عن حياته مع الزهراء عليها السلام: (فو الله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله (عز وجل) ولا أغضبتني ولا عصت لي امرأ لقد كنت انظر إليها فتتكشف عني الهموم والإحزان) (١٣).

ولكن بعد خمس سنوات عاشتها السيدة عليها السلام في كنف عائلتها الحنون وفي ظل أجواء المحبة والعطف إذ كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يظل بيت النبوة برعايته ويغمر أفراد ذلك البيت بعنايته وإجلاله فلا يكاد يمر يوم لا يلتقي به بأهل بيته وإذا ما سافر كان بيتهم آخر محطة ينطلق منها لسفره وإذا ما عاد كان بيتهم أول منزل يدخله (١٤)، وشاء الله إن يكون حظ السيدة عليها السلام من تلك الحياة الهانئة السعيدة محدوداً بالسنوات الخمس الأولى من حياتها فما إن دخلت في السنة الحادية عشر للهجرة حتى دخل الحزن في قلبها إذ فارق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الثامن والعشرون من شهر صفر وبعدها تلقت مصيبة أمها الزهراء عليها السلام ومن ثم أخوها الحسن عليه السلام (١٥).

ألقابها وكنائها :

تلقت السيدة زينب عليها السلام بعدد من الألقاب والكنى كان من أبرزها أم كلثوم وأم الحسن إما أهم ألقابها فكانت تلقب زينب الكبرى للفرق بينها وبين من سميت باسمها من أخواتها، وتلقبت أيضا بالصديقة الصغرى للفرق بينها وبين أمها الصديقة الكبرى وتلقبت أيضا بالعقيلة وعقيلة بني هاشم وعقيلة الطالبين والموثقة والعارفة والعالمة غير المعلمة والفاضلة والعبادة والزاهدة وغير ذلك من الصفات والسجايا الحميدة والحسنة ^(١٦).

الدور القيادي للسيدة زينب عليها السلام :

تعد السيدة زينب عليها السلام من القادة الحقيقيون فكانت لها السيادة وبحسب طبيعة الأمور التي كانت جارية آنذاك فقد كانت لهم القوة والحركة الفاعلة والمؤثرة، ولكننا لم نجد حركة ظاهرة ونشاط بارز خصوصا ما يرتبط بالنشاطات الاجتماعية والسياسية والثقافية ولم تكن أدوارها عليها السلام نشاطات في تلك المجالات وإنما كان دورها الظاهر والأكبر هو في قضية مأساة كربلاء وما بعدها ^(١٧).

هذا وقد نشأت السيدة عليها السلام ضمن عائلة قد نذرت نفسها للجهاد في سبيل الله وتربت في أجواء رسالية ما كان يدور فيها غير الاهتمامات القيمة المبدئية فجدها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم قاد بنفسه حوالي ثمان وعشرون غزوة ومعركة، وأبوها أمير المؤمنين عليه السلام رافق الرسول صلى

الله عليه وسلم في جميع المعارك عدا واحدة وهي غزوة تبوك كما قاد بنفسه ﷺ العديد من السرايا والمعارك^(١٨).

هذا يعني إن السيدة زينب ؓ كانت تعيش في ظروف الجهاد في اغلب مراحل حياتهم ولا يقتصر الأمر على تفاعل الأسرة مع قضايا الحرب والجهاد بل أنها كانت معنية بكل أوضاع المجتمع فعائلة السيدة زينب ؓ هي في موقع القيادة والقلب^(١٩).

ولما توجه الحسين ﷺ إلى الكوفة كانت السيدة زينب معه وضمت معه أهلها وعشيرتها وعزموا على المسير إلى العراق^(٢٠) وإثناء المعركة الأليمة التي دارت رحاها في الطف حمل الإمام الحسين ﷺ مسؤولية كبيرة قامت خلالها ﷺ بأداء الدور الكامل لهذه المسؤولية والمتمثلة بحفظ الحرم والأطفال وقد أكد عليها كثيرا بالصبر والتجلد لكي تقوم بالمسؤولية وتؤدي وظيفتها على أحسن حال في حفظ ورعاية العيال والأطفال الذين ليس لهم محام ومدافع سواها ولكي تشاطره في المهمة ولئلا يغلب عليها الأسى في إبلاغ صحبته وإتمام دعوته خصوصا في المواقع الحرجة والأليمة في الكوفة والشام^(٢١).

حفظت السيدة زينب ؓ حركة الإمام الحسين ﷺ وأبلغتها مأمونها ومنعت من تزوير الحقائق وقد وصفها الإمام زين العابدين ﷺ بأنها: (عامة غير معلمة) ولعل الإمام ﷺ يعني من خلال هذا القول أنها عامة بالله تعالى وبآياته من خلال فطرتها الصافية وعقلها الراجح وتدبرها في آيات الله تعالى^(٢٢).

لقد تولت السيدة ﷺ شؤون السبايا بعد مقتل أهل البيت والأصحاب ﷺ بجلال وثبات وعندما رأت الكوفيين يبكون وينوحون على أبناء الرسول خاطبتهم قائلة

بعدها أو مات إلى الناس إن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس: (الحمد لله والصلاة على محمد واله الطاهرين إما بعد ... يا أهل الكوفة يا أهل الختر والغدر ا تبكون فلا رقات الدمعة ولا قطعت الرنة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون إيمانكم دخلا بينكم إلا وهل فيكم إلا الصلف النطف والصدر الشنف ... ويلكم اتدرون إي كبد لمحمد صلى الله عليه واله وسلم فريتم؟ وإي عهد نكثتكم؟ وإي كريمة له أبرزتم؟ وإي حرمة له هتكتكم؟ وإي دم له سفكتكم؟ أعجبتكم ان مطرت السماء دماً فلعذاب الآخرة اخزي وانتم لا تنصرون) كان لها لسان علي عليه السلام وحين نظقت بكلماتها الحماسية فان أولئك الذين طالما سمعوا خطب الإمام علي عليه السلام ها هم يرونه بأمر أعينهم يخطب فيهم من جديد ^(٢٣) فقد قال بشر بن خزيم الاسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذ فلم أرى خفرة انطق منها كأنها تفرع عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام ^(٢٤)، وعندما نظرت إلى يزيد (لعنه الله) متربع على عرش السلطة ومعه الأكابر ومندوبون عن بعض البلدان وكان يتباهى بتسلطه ويتحدث بسفاهة مهولا على الآخرين ناسبا قتل الأبرار إلى الله، قامت العقيلة عليها السلام فصكت مسامعه بخطبتها البليغة العصماء ومما قالتها فيها: (امن العدل يا ابن الطلقاء ^(٢٥) تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن يحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد) وتلك الكلمات القصيرة الدامغة ذكرته بهاضي أهله حين قبض عليهم أذلاء في مكة ثم أطلقوا بعد إن اسلموا خائفين من بارقة

الحق فدللت على عدم جدارته للحكم من جهة وعلى جورهِ ونشرهِ للظلم من جهة أخرى ، إذ كانت خطبها في ذروة الفصاحة والبلاغة والتأثير كما كانت حكيمة في تشخيص الموقف المناسب، ولما أرجعت إلى المدينة لم تتوقف لحظة عن الاضطلاع برسالة الشهداء وتنوير الرأي العام وتوعية الناس واطلاعهم على ظلم بني أمية^(٢٦).

أن القدر قد هيا الصديقة زينب عليها السلام لهذا الدور الفعال وخلال عمرها القصير بعد واقعة الطف زرعت في كل أفق من العالم الإسلامي بذور النهضة الحسينية وحفرت نهراً متدفقاً من العواطف النبيلة تجاه أهل البيت عليهم السلام حتى أصبحت كلمة (يا الثارات الحسين) جرساً خاصاً في نفوس المسلمين ما إن تنطلق هذه الكلمة حتى يجتمع الناس للنهضة والاستعداد للشهادة وأصبحت الشهادة في سبيل الله ومقاومة الطغاة عادة مشروعة للبررة من أبناء الأمة، والذي قلده السيدة عليها السلام هذا الدور هو الصفات المثلى التي اتصفت بها ومنها أنها كانت صابرة مصدقة إذ إن في يوم عاشوراء نظرت زينب عليها السلام إلى أرض الطف فإذا بها مثخنة بالجلث الطواهر وهي تتناثر فوق مساحة واسعة كالأضاحي وقد فصلت الرؤوس وسلبت الأجساد هذا من جانب ومن جانب آخر رمقت بقايا خيم محترقة وثلة من الأطفال المدعورين والنساء المفجوعات يترامسون على غير هدى وأصواتهم ترتفع تارة بالبكاء على ذويهم وأخرى ينادون بالعطش وقد أحاط بهذا الوادي جيش لجب انتشى بالنصر وتشيع بروح الهمجية^(٢٧).

أن مجرد تصور هذه الصورة الفجيعة تجعل أكثر الناس حلما ينهار ولكن السيدة عليها السلام بقيت صامدة وقامت بجمع الأطفال وهدأت النساء وهكذا تحملت تلك المصاعب العظيمة التي احتسبتها عند الله ولم يشهد التاريخ امرأة أعظم منها صبورا ^(٢٨).

كذلك عملت على بعث روح السكينة في قلب زين العابدين عليه السلام بعدما نودي بال الرسول الرحيل من وادي كربلاء ومروا بالأسرى فقد رأت أن السجاد عليه السلام قد جزع عندما رأى المنظر فأخذت تخفف عنه ^(٢٩)

وأقامت السيدة عليها السلام مجالس العزاء وكانت هذه المجالس والتي لا تزال مستمرة في العالم الإسلامي حتى اليوم بمثابة مؤسسة إعلامية تتميز بالتعبئة العاطفية والتوعية الدينية إذ كان بكاءها عليها السلام ذات هدف رسالي إذ لم يكن بكاء ذليلا ولا ندما وإنما كان بكاء تحدي فقد أخذت تثير أعماق المشاعر الإنسانية في الناس من خلال خطاباتها وشق رأسها بمحمل الحسين عليه السلام ^(٣٠).

هكذا كان جهاد السيدة زينب عليها السلام ودورها اثناء حياتها والذي امتد حتى بعد وفاتها فقد تكلل بثورة اهل المدينة في وقعة الحرة والتي استبيح فيها يزيد المدينة لثلاثة ايام بقيادة مسلم المري، كما زرعت بذور المعارضة في الكوفة اذ ائعت واخضرت بانتفاضة التوابين بعد خمس سنوات من مقتل الحسين عليه السلام والتي كانت بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وتلاحقت الثورات واصبحت راية السبط الشهيد المصبوغة بالدم الثائر والتي وضعتها خفاقة مرفوعة تنضوي تحتها النفوس الابية ولا تزال كذلك تلك كانت ثمرات جهاد الصديقة زينب عليها السلام ^(٣١)

وفاتها:

اختلفت الروايات التاريخية في تحديد مكان وفاة السيدة زينب عليها السلام، فمنهم من يقول أنها ذهبت إلى مصر ومنهم من يقول أنها ذهبت إلى الشام ولكن الأخرى أنها ذهبت إلى الشام ^(٣٢) أما المشهد الذي في مصر فالظاهر انه قبر لامرأة شريفة أخرى من ذرية الإمام علي عليه السلام لعلها زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور، وهذا من اولاد زيد بن الامام الحسن والد السيدة نفيسة ذات المقام المعروف بالقاهرة ومن اولاد الحسن الانور يحيى المتوج والد السيدة زينب التي لازمت عمتها نفيسة ^(٣٣) او انها زينب بنت علي عليه السلام وانا تدل الكتابات الموجودة على قبرها انها من حفيدات محمد بن الحنفية بن الامام علي عليه السلام ^(٣٤)، اذ ذكرت احدى الروايات التاريخية (انها خرجت في لمة من نساءها قاصدة مصر حيث شيعه ابيها وحيث الوالي الانصاري مسلمة بن مخلد الانصاري الذي يحترم ال البيت اشد الاحترام وحينما بلغ الخبر الوالي خرج في جمع من اشراف مصر يستقبلها فلما بدا الركب لهم في غرة شهر شعبان لعام ٦١ هـ استقبلها اشراف مصر بالبكاء والنحيب وسكنت زينب عليها السلام في بيت الوالي وانشغلت في العبادة وتلاوة القران ومرت الايام وازدادت الصديقة توغلا في الابتهاج والتهجد حتى كان يوم ١٤ رجب لهام ٦٢ هـ حيث وافتها المنية ^(٣٥).

اما الرواية الاخرى (ان عبد الله بن جعفر زوج الصديقة لما راها قد انهد ركنها وضعف جسمها رحل بها الى بلاد الشام حيث كانت له ضيعة في

اطراف دمشق فسكنت هناك برهة من الزمان ثم توفيت هناك حيث مرقدتها
اليوم) (٣٦).

هكذا نجد الاختلافات بين العلماء واضحة حول مدفن السيدة زينب عليها السلام
ومحل قبرها ولكن الأرجح انها دفنت في الشام وعلى كل حال اينما كان قبرها
فانه لا يضر شخصيتها العظيمة لان العبرة بأخذ العبرة من هذه الشخصية
الكريمة ودراسة حياتها وان يعترف الانسان بدورها وجهادها وما قدمته
للإسلام ولامة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٣٧).

الخاتمة

بعد دراسة موضوع الدور القيادي للسيدة زينب عليها السلام تبين لنا عدد من النتائج كان من اهمها ان السيدة زينب عليها السلام كانت من فضليات النساء بصفاتها التي حملتها وورثتها من جدها وجدتها وامها وابيها عليهم السلام فضلا عن انها تحملت مسؤولية اتمام الرسالة التي قام بها الامام الحسين عليه السلام فأوضحت للعالم عوامل الثورة ونهت الغافل وفضحت كل الدعايات الاموية المضللة ومثلت دورا بطوليا في ميدان الجهاد وثبتت امام المحن والمكاره ثبوت الجبل امام العواصف واحتسبت ما اصابها من بلاء في جنب الله طلبا لمرضاته وجهادا في سبيله واعلاء لكلمته فقد ادت واجبها في ساعة المحنة فكانت تسلي الثاكل وتصبر الطفل وتهدي روع العائلة .

ومن النتائج الاخرى تأثير كلامها- عبر الخطب والتي قامت بخطبتها في كل من الكوفة والمدينة وفي مجلس يزيد- في اوساط المجتمع من خلال تضمين تلك الخطب لأعلى المعاني والمضامين الراقية والبراهين المتقنة اذ تحدث بمواقفها اهل النفاق والفتن وارهبت الطغاة في صلابتها وادهشت العقول برباطة جأشها ومثلت اباهامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بشجاعته واشبهت امها فاطمة الزهراء عليها السلام في عظمتها وبلاغتها .

الهوامش:

- ١)) الزينب : شجر حسن المنظر طيب الرائحة وبه سميت المرأة وقيل هي كلمة مركبة اصلها زين اب وقد اكثر اهل البيت من هذه التسمية ولا تخلو عائلة هاشمية من هذا الاسم المبارك واعظم من تسمت بهذا الاسم وبلا منازع السيدة زينب ابنة امير المؤمنين عليه السلام اللاحقة الذكر، بيضون، ليب، موسوعة كربلاء، طليعة النور، سليمانزاده، قم، ط١، ص ٦٥٢.
- ٢)) النقدي، جعفر، زينب الكبرى، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة الزهراء، ط٢، النجف الاشرف، ١٩٤٧، ص ١٩؛ الموسوي، عباس علي، السيدة زينب عليها السلام حفيدرة رسول الله، دار الهادي، ١١؛ الاسكافي، ابو علي محمد بن همام بن سهيل الكاتب ت٣٣٦، منتخب الانوار في تاريخ الائمة الاطهار عليهم السلام، تحقيق علي رضا هزار، قم، مطبعة نكارش، ط١، ص ٥٥.
- ٣)) النقدي، زينب الكبرى، ص ٢١؛ الموسوي، السيدة زينب عليها السلام، ص ١٣؛ الاسكافي، منتخب الانوار في تاريخ الائمة الاطهار عليهم السلام ص ٤٧.
- ٤)) النقدي، زينب الكبرى، ص ٣٥، الموسوي، السيدة زينب عليها السلام، ص ٢٢؛ الجلاي، محمد حسين الحسيني، فهرس التراث، تحقيق محمد جواد الحسيني، ط١، قم، ص ٩٧؛ قاسم، حسن محمد، تاريخ ومناقب ومآثر الست الطاهرة البتول السيدة زينب واخبار الزينبيات، ط٢، مصر، ١٩٣٤، ص ٣٠.
- ٥)) الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والادب، ط١، بهمن، ص ٦٥.

- ٦)) الحسن، ليلة عاشوراء، ص ٦٦ .
- ٧)) النقدي، ص ٧٠، الموسوي، ص ٢١ .
- ٨)) الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق مركز بحوث دار الحديث ومساعدة السيد محمد كاظم الطباطبائي والسيد محمد الطباطبائي ط ٢، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ج ١، ص ١٢٢
- ٩)) القزويني، لطيف، رجال تركوا بصمات على قسماات التاريخ، د. م. د. ت، ص ١٦٧
- ١٠)) الريشهري، موسوعة الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ١٢٣؛ بنت الشاطىء، عائشة عبد الرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة (عليه السلام)، ط ١، ١٩٨٧، القاهرة، دار الريان للتراث، ص ٦٧٩ .
- ١١)) الصفار، حسن موسى، المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي (عليه السلام)، مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٥٠ .
- ١٢)) سورة الإنسان، الآيات ٧-٩
- ١٣)) الصفار، المرأة العظيمة، ص ٥٣
- ١٤)) الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ج ١، ص ٣٠٧ .
- ١٥)) الصفار، المرأة العظيمة، ص ٥٦ .
- ١٦)) الشاكري، حسين، العقيلة والفواطم، مطبعة ستارة، ص ١٢؛ النقدي،

زينب الكبرى، ص ٣٥؛ الشاهرودي، علي النمازي ت ١٤٠٥هـ، مستدرک سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ج ٤. ص ٣١٣؛ الخطيب، علي بن الحسين الهاشمي، عقيلة بني هاشم، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٦٧، ص ٤

١٧)) العاملي، جعفر مرتضى، ظلامه أم كلثوم، ط ١، ٢٠٠٢، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، ص ٩؛ المرعشي ت ١٤١١هـ، شرح إحقاق الحق، تحقيق محمود المرعشي، منشورات المرعشي النجفي، ط ١، قم، ج ٢٨، ص ١٩٨

١٨)) خطاب، محمود شيت ت ١٤١٩هـ، الرسول القائد، دار الفكر، بيروت، ط ٦، ص ٢٠٧

١٩)) الصفار، المرأة العظيمة، ص ٥٤.

٢٠)) قاسم، حسن محمد، تاريخ ومناقب ومآثر الست الطاهرة البتول السيدة زينب وإخبار الزينبيات، ط ٢، مصر، ١٩٣٤، ص ٥٣

٢١)) الحسن، ليلة عاشوراء، ص ١٥٥

٢٢)) العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ٣١٥

٢٣)) الأمين، أعيان الشيعة، ج ٧، ص ١٣٨؛ النقدي، زينب الكبرى، ص ٧٣؛ ألبياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية، انوار الهدى للنشر، مهر، ط ١، قم، ص ١٠٧؛ الشيرازي، محمد الحسيني، السيدة زينب عالمة غير معلمة،

مؤسسة الانوار الاربعة عشر، دار المؤمل للطباعة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣، ص ٣٦.

(٢٤) الأمين، محسن ت ١٢٧١ هـ، أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣، ج ٧، ص ١٢٧؛ الطبسي، محمد جعفر، مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة وقائع الطريق من كربلاء الى الشام، مركز الدراسات الاسلامية، زمزم هدايت، قم، ج ٥، ص ٩٨ .

(٢٥) الطلقاء هم ابو سفيان ومعاوية وبقية الامويين الذين اطلقهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يوم فتح مكة وقد ايسوا من انفسهم وما يدرون ما يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فأمرهم ان يجتمعوا فاجتمعوا وخطب بهم وقال في اخر خطبته (اذهبوا فانتم الطلقاء) وبهذا صاروا عبيد لرسول الله هم وذريتهم الى يوم القيامة، الخطيب، عقيلة بني هاشم، ص ١٦ .

(٢٦) الريشهري، موسوعة الإمام علي (عليه السلام)، ج ١، ص ١٢٥؛ مركز المصطفى (عليه السلام)، من إخبار الحوراء زينب في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، ص ١٣٧. بنت الشاطي،، تراجم سيدات بيت النبوة (عليه السلام)، ص ٧٧٤.

(٢٧) المدرسي، محمد تقي، الصديقة زينب (عليها السلام) شقيقة الحسين (عليه السلام)، ط ١، منشورات البقيع، ص ٣٦.

(٢٨) المدرسي، الصديقة زينب (عليها السلام) و ص ٣٧

(٢٩) المدرسي، الصديقة زينب (عليها السلام)، ص ٤٢؛ العاملي، جعفر مرتضى، احيوا

أمرنا، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، ٢٠٠٩، ط ٢، ص ١٦

٣٠)) المدرسي، الصديقة زينب، ص ٥٨.

٣١)) المدرسي، الصديقة زينب، ص ٩٨

٣٢)) العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ٣١٧؛ عثمان، هاشم، مشاهد ومزارات ال البيت في الشام، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٩؛ بغدادي، ابراهيم حسين، زينب بنت علي عليها السلام فيض النبوة وعطاء الامامة، تقديم محمد علي الحلو، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، مكتبة الروضة الحيدرية، بيروت، ط ١، ٢٠١٠، ١٤٩، ٣٣)) العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، ص ٣٢٤؛ بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء، طليعة النور، قم، ط ١، ص ٦٥١

٣٤)) بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء، طليعة النور، سليمانزاده، قم، ط ١، ص ٦٥٠

٣٥)) المدرسي، الصديقة زينب شقيقة الحسين عليها السلام، ص ٩١

٣٦)) المدرسي الصديقة زينب شقيقة الحسين عليها السلام، ص ٩٢

٣٧)) القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد، تقديم مصطفى القزويني، ص ٥٩٥؛ الموسوي، السيدة زينب عليها السلام، ص ١١٢.

قائمة المصادر والمراجع :

- * الاسكافي، ابو علي محمد بن همام بن سهيل الكاتب ت ٣٣٦، منتخب الانوار في تاريخ الائمة الاطهار (عليه السلام)، تحقيق علي رضا هزار، قم، مطبعة نكارش، ط ١.
- * الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ط ١، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣.
- * بيضون، لبيب، موسوعة كربلاء، طليعة النور، سليمانزاده، قم، ط ١.
- * بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة (عليه السلام)، ط ١، ١٩٨٧، القاهرة، دار الريان للتراث.
- * ألياتي، جعفر، الأخلاق الحسينية، انوار الهدى للنشر، مهر، ط ١، قم.
- * بغدادي، ابراهيم حسين، زينب بنت علي (عليه السلام) فيض النبوة وعطاء الامامة، تقديم محمد علي الحلو، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، مكتبة الروضة الحيدرية، بيروت، ط ١، ٢٠١٠.
- * الجلاي، محمد حسين الحسيني، فهرس التراث، تحقيق محمد جواد الحسيني، ط ١، قم.
- * الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والادب، ط ١، بهمن.
- * خطاب، محمود شيت ت ١٤١٩ هـ، الرسول القائد، دار الفكر، بيروت، ط ٦.
- * الخطيب، علي بن الحسين الهاشمي، عقيلة بني هاشم، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٦٧.
- * الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق مركز بحوث دار الحديث ومساعدة السيد محمد كاظم الطباطبائي والسيد محمد الطباطبائي ط ٢، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.
- * الشيرازي، محمد الحسيني، السيدة زينب عالمة غير معلمة، مؤسسة الانوار الاربعة عشر، دار المؤمل للطباعة، بيروت، ط ١، ٢٠١٣.
- * الشاهرودي، علي النمازي ت ١٤٠٥ هـ، مستدرك سفينة البحار، تحقيق حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم.
- * الشاكري، حسين، العقيلة والفواطم، مطبعة ستارة.
- * الصفار، حسن موسى، المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي (عليه السلام)،

- مؤسسة الانتشار العربي، ط ١، ٢٠٠٠.
- * الطبسي، محمد جعفر، مع الركب الحسيني من المدينة الى المدينة وقائع الطريق من كربلاء الى الشام، مركز الدراسات الاسلامية، زمزم هدايت، قم.
- * العاملي، جعفر مرتضى، احيوا أمرنا، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، ٢٠٠٩، ط ٢.
- * العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام.
- * العاملي، جعفر مرتضى، ظلامه أم كلثوم، ط ١، ٢٠٠٢، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، ص ٩؛ المرعشي ت ١٤١١ هـ، شرح إحقاق الحق، تحقيق محمود المرعشي، منشورات المرعشي النجفي، ط ١، قم.
- * عثمان، هاشم، مشاهد ومزارات ال البيت في الشام، ط ١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٤.
- * قاسم، حسن محمد، تاريخ ومناقب ومآثر الست الطاهرة البتول السيدة زينب واخبار الزينيات، ط ٢، مصر، ١٩٣٤.
- * القزويني، لطيف، رجال تركوا بصمات على قسماات التاريخ، د. م، د. ت.
- * القزويني، محمد كاظم، زينب الكبرى عليها السلام من المهد الى اللحد، تقديم مصطفى القزويني.
- * الموسوي، عباس علي، السيدة زينب عليها السلام حفيده رسول الله، دار الهادي.
- * المدرسي، محمد تقي، الصديقة زينب عليها السلام شقيقة الحسين عليه السلام، ط ١، منشورات البقيع.
- * مركز المصطفى عليه السلام، من إخبار الحوراء زينب في ثورة الإمام الحسين عليه السلام.
- * النقدي، جعفر، زينب الكبرى، تحقيق علي الخاقاني، مطبعة الزهراء، ط ٢، النجف الاشرف، ١٩٤٧.



القناعة قيمة تربوية

في خطبة الوسيلة للإمام علي عليه السلام

د. اسراء محمد رضا صلال العكراوي/العراق-النجف الاشرف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين ورحمة الله وبركاته.

إنَّ من المواهب العظيمة التي حباها الله لأوليائه الحكمة، إذ نجد كلامهم جامعاً لسبل الخير، حاثاً عليه، يكتنفه الحسن من جميع أركانه، فهو فضلاً عن فصاحته وبلاغته وجمال سبكه مرآة صافية للنفس الإنسانية وحاجاتها التي تبلغ بها الكمال الروحي والأخلاقي، أو تنزلق بها الى مهاوي الخسة والوضاعة.

وفي خطبة الوسيلة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جملة من الدرر التربوية النَّفسية، التي عرض لها سيّد البلاغة بلغة الإمام النَّاصح الخبير وبأسلوب المرَبِّ الحكيم؛ وقد اخترنا من هذه الخطبة قيمة تربوية مهمّة لكل إنسان وهي (القناعة) التي حثَّ عليها الإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة مبيّناً أهمّيّتها لبناء الشخصية المتوازنة، والحصول على الراحة النفسية

والجسدية في الدارين.

وهي واحدة من قيم كثيرة ذكرها الإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة العصماء، لكننا آثرنا اختيار مفهوم تربوي واحد وهو (القناعة) مسلطين عليه الضوء بالبحث المسهب، ولو أردنا الحديث عن كل ما جاء في الخطبة الشريفة من قيم جليلة لضاق بنا المقام، وأعوزتنا الدقة والإسهاب. وقد تناول البحث عدّة نقاط حول هذا المفهوم وهي:

(معنى القناعة، أهمية القناعة، الأسلوب التربوي للإمام علي عليه السلام في الحث على القناعة، أثر القناعة على الفرد، أثر القناعة على المجتمع، ثم الخاتمة).

في محاولة لوضع اليد على ما أراد الإمام إيصاله لنا من قيم ومواعظ تسهم في بناء الشخصية والمجتمع المسلم؛ ومن الله التوفيق.

معنى القناعة:

القناعة (في لسان العرب): الرضا باليسير من العطاء.

وقنع بنفسه قنعاً وقناعةً: رَضِيَ

قال ابن السكيت: ومن العرب من يميز القنوع بمعنى القناعة،

وقيل القانع: السائل، وقيل المتعفف، وكلُّ يصلح.^(١)

فالقناعة: هي رضا الإنسان بما قسم الله سبحانه له من رزقٍ وما قدر

عليه من قضاء، وهي صفة عظيمة لمن تحلّى بها إذ تجمع لصاحبها الكثير من

المكارم، وتجنبه الكثير من المهلكات.

وهي ضد الطمع فوجود الشيء يستلزم نقض ضده، والقناعة غير متيسرة لكل نفس، إذ إنَّ نفس الإنسان تتوق الى الرزق الوفير، وتحب المال والجاه والولد والشهرة والرياسة.. الخ، وفي الحث على القناعة نهي ضمني عن الطمع واللهات وراء المغريات الدنيوية التي قد لا تشكل أساساً في حياة الإنسان وديمومة معاشه.

أهمية القناعة :

يتجلى من خطبة الوسيلة للإمام علي عليه السلام أن القناعة مهمّة جداً للفرد السوي، فقد قدّمها أمير المؤمنين عليه السلام على كثير من القيم التي وعظ باتباعها، فهي من حيث موقعها في الخطبة جاءت بعد (ذكر الله والتّحميد له) وهذه من لوازم الخطبة، وبعد الحديث عن توحيد الله والصلاة على نبيه، وذكر شرف الإسلام، وعز التقوى، وحرز الورع، وشفاعة التوبة، ولباس العافية، ووقاية السلامة، وهذه كلها مفاهيم عامة، وكلها قواعد لبناء الشخصية المسلمة المتوازنة في الروح والعقل والبدن.

بعد ذكر هذه القواعد مباشرة بدأ الإمام عليه السلام الحديث عن القناعة وكأنّه يشرع في إعداد المسلم للحياة العملية فقال عليه السلام: ((ولا مال أذهب بالفاقة من الرّضى بالقناعة، ولا كنز أغنى من القنوع، ومن اقتصر على بلغة العفاف فقد انتظم الرّاحة وتبوّأ خفض الدعة))^(٢) ينبه أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الكلمات إلى أنّ الفقر ليس قلة المال أو عدمه، بل هو شعور ذاتي بالحاجة يعيشه الإنسان، وقد يملك أشياء كثيرة، أو أموالاً تكفيه لقضاء حاجاته وحاجة عياله لكنه يستشعر الفقر بدافع الطمع والخوف من الافتقار، فيرزع تحت أثقال الهم متفكراً في تحصيل رزق أكبر ومعيشة أكثر رفاهية.

والإمام باستعماله أسلوب الحصر (النفي + الاستثناء) يقصر ذهاب الفاقة بالقناعة، فبالقناعة فقط يبلغ الإنسان راحة نفسه المتطلبة المتطلعة الى مزيد من الرزق، الذي لن يبلغه إلا بتقدير من الله سبحانه وتعالى.

فالإمام أراد بهذا القول محاكاة النفس الإنسانية وتطبيب علّتها وليس تئیس المخاطب من تحصيل رزقه بالجد والاجتهاد أو جعله يركن الى الكسل والاتكال على الآخرين.

الأسلوب التربوي للإمام علي عليه السلام في الحث على القناعة:

يعد الإمام علي عليه السلام أول من صنّف في علم الأخلاق والتربية، وهو مستودع الحكمة إذ علّمه النبي صلى الله عليه وآله أسرارها فصّح بها، ومن ذلك أنه كتب كتاباً بعد منصرفه من صفين وأرسله الى ولده الحسن أو محمد بن الحنفية عليه السلام، وهو كتاب طويل جمع فيه أبواب علم الأخلاق، وطرق سلوكه وأحكام الملكات، وكل المنجيات والمهلكات، وطرق التخلص من تلك المهلكات^(٣)، فضلاً عن ما يُنقل من كلماته وخطبه ورسائله الى عمّاله على الأمصار، وما تحويه من توجيهات تربوية وأخلاقية سامية، ولا ريب أن هذا الإنسان العظيم اتبع أسلوباً معيناً في التربية والتوجيه، ((المعلومة واضحة المعالم لدى الشخص التربوي، لكن ايجابية او سلبية طريقة إيصال المعلومة وتفصيلها هي الحد الفاصل في التنمية التربوية والتعليمية))^(٤).

فالإمام عليه السلام حين يحث على القناعة في خطبة الوسيلة نجده يوجه إليها عبر أسلوب (الإقناع) وهو أسلوب يحث عليه علماء التربية في يومنا الحاضر، ومن خلاله يبين الواعظ إيجابيات ما يعظ به للحث عليه والنتائج السلبية لضده المنهية عنه، وبهذا يقنع المقابل عقلاً وعملياً بضرورة اتباع ما يُنصح به، لا على سبيل الجبر وإنما عن طريق الإقناع وإلقاء الحجّة^(٥).

وبهذا الأسلوب حث أمير المؤمنين عليه السلام على القناعة في خطبة الوسيلة فقال: ((ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوأ خفض الدعة، والرغبة مفتاح التعب، والاحتكار مطية النصب، والحسد آفة الدين، والحرص داع إلى التحم في الذنوب وهو داعي الحرمان، والبغي سائق إلى الحين، والشرة جامع لمساوي العيوب، رب طمع خائب وأمل كاذب، ورجاء يؤدّي إلى الحرمان، وتجارة تؤول إلى الخسران))^(٦).

إذن هنا يحدّد الإمام علي عليه السلام إيجابيات القناعة، وسلبيات ضدها وهو الطمع، فالإيجابيات نفسية وعملية، وهي:

الراحة: لأنّ من يسعى لإرضاء جسده لن يعرف الرّاحة حتى نهاية عمره، ومن وضع حدّاً لتطلّعاته يبلغ بها كفايته على نحو الكفاف عرف راحته.

خفض الدّعة: وهي يسر العيش وسهولته، وبساطته، واجتناب بهرجه الخادع، ومن لم يقنع بقي شقيّاً معذباً في دنياه.

أما سلبيات الطّمع وهو ضدّ القناعة، فهي:

التّعب: وهو ما يحصل عليه الإنسان بعد لهائه وراء تحقيق رغباته الدنيوية من متع زائلة.

الاحتكار مطية النّصب: إنّ طمع الإنسان يدعوه إلى البخل والحرص واحتكار الأشياء لنفسه، دون إشراك غيره بها، وفي ذلك مضامين اجتماعية جمّة، إذ إنّ سعادة الإنسان النفسية تتحقّق في العطاء والمشاركة،

وتعاسته تكون في وضع نفسه موضع الحارس لأمواله، الرقيب عليها من أيدي الآخرين.

الحسد آفة الدين: عدم قناعة الإنسان بما يملك يجعله مُراقباً لنعم الآخرين حاسداً لهم، ناقماً عليهم، وهذا الحسد كالأفة يأكل دين الإنسان وروحه، كما تأكل النار الحطب، قال رسول الله ﷺ: ((يَأْكُمُ وَالْحَسَدُ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ))^(٧).

الحرص داع إلى التقصم في الذنوب وهو داعي الحرمان: وهذا مضمون دقيق أيضاً فكم يدفع الإنسان حرصه إلى الكذب والغش وتزييف الحقائق والتضليل وارتكاب الجرائم، والذنوب باب للحرمان من رحمة الله في الدنيا والآخرة.

البغي سائق إلى الحين: وهذه النقطة متعلقة بما قبلها، إذ إنَّ الحرص والطمع يدعو إلى البغي، وقد يسوق البغي إلى ورود المهالك وإلحاق الأذى بالنفس والآخرين، فالطامع لا يتورع عن شيءٍ في سبيل تحقيق رغبته، متخذاً لأجل ذلك شعاراً خاطئاً وهو (الغاية تبرر الوسيلة)، فأبي غاية تبرر للإنسان الظلم والبغي والاعتداء على حقوق الآخرين!؟

الشره جامع لمساوي العيوب: وهذه نقطة عظيمة جداً، والشره هو شدة الحرص والاشتھاء، وهذه الخلة إذا تمكنت من الإنسان جعلته راغباً في كل ما يرى، طامعاً فيه، تشتهي نفسه كل شيء دون روية، ولا تفكر، ولا رادع، وهذا يجعله في سعي دائم لتحقيق رغبات هذه النفس المتطلبة حتى

يصير عبداً لها، قال تعالى: ((أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ
وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهُ))
(٨)، وهذه النقطة باب لما ورد بعدها من قول الإمام عليه السلام:

رب طمع خائن: فليس كل ما يطمع به الإنسان يدركه، أو يحقق له
السعادة عند الحصول عليه، بل ربما يورثه الندم والخسران.
أمل كاذب: قد تزين النفس والشيطان بعض الآمال فتظهرها على
غير حقيقتها، وفي ذلك شقاء للنفس اللاهثة وراء كل المغريات.
رجاء يؤدّي الى الحرمان: ربما يرجو الإنسان شيئاً ولكن هذا الرجاء
يخرمه من شيء كان موجوداً لديه أصلاً، فيفقدته الإنسان جراء طمعه وطلبه
المزيد.

تجارة تؤول الى الخسران: ليس كل تجارة مصيرها الغنى والثراء فكم
من تجارة خسرت، وما على الإنسان في هذه الحالة إلا الرضا بما قسم الله
له، والقناعة بما بقي لديه، وإلا قتله الحرص والأسف على ما كان يأمل في
اكتسابه.

وفي كل الأحوال يجب أن يقترن الأمل والسعي بحسن التوكّل
والتفكير في عواقب الأمور، وأن لا يكون الطمع والحرص قائداً للإنسان بلا
هدى ولا روية ومشاورة.

أثر القناعة على الفرد:

الجانب الأوّل: إنَّ أوّل آثار القناعة التي يجدها أمير المؤمنين عليه السلام

على الفرد هي الراحة، وهذه الراحة جسدية ونفسية، إذ إنَّ قناعة الإنسان تدخله في حالة من الرضا بالقضاء فلا يرهق نفسه بكثرة التفكير والأسف على ما في أيدي الناس، فضلاً عن ما يتبع ذلك من راحة للجسد.

يقول أمير المؤمنين في خطبة الوسيلة ((من رضيَ برزق الله لم يأسف على ما في يد غيره))^(٩)، فهذه القناعة والرضا يجنب الإنسان النظر إلى ما في أيدي الناس، وتكفيه همَّ مراقبتهم، فتذهب نفسه حسرات على ما رزقهم الله، وربما غفل عما منحه الله من نعم حرم غيره منها، والنظر الى ما في أيدي الناس يؤدِّي الى الحسد وهو آفة الدين - كما يعبر الإمام عليه السلام - فضلاً عن مقت المجتمع للشخص الحسود ونبذه له.

الجانب الثاني: تُحقّق القناعة للفرد عزة النفس والحرية من قيد الهوى والطمع، وفي خطبة الوسيلة يتحدث الإمام علي عليه السلام عن قلب الإنسان وشؤونه، فيقول: ((وإن هاج به الطمع أهلّكه الحرص))^(١٠).

إنَّ انعدام القناعة يمثّل باباً يُدخل الى مراحل عديدة، منها الطمع الذي به تُذلّ النَّفس، وتصبح أسيرة للشهوات، تلهث وراء كل من يُلوّح لها بالمادة، وإذا تمكّن هذا الشعور من الإنسان مات قلبه (أهلّكه الحرص) وهلاك القلب داءٌ لا دواء له، فكم من طمع أدى الى ذنبٍ عظيم، يُطرد بسببه الإنسان من رحمة الله، فلولا طمع عمر بن سعد بمُلْك الريِّ ما أقدم على حرب الإمام الحسين عليه السلام والتمثيل بجثته الشريفة أبشع تمثيل، وهو يعلم أنّ في ذلك جرأة على الله وهتكاً لحرمة الدين، وخزياً في الدنيا والآخرة.

الجانب الثالث: يذكر أمير المؤمنين أثراً آخر للطمع، وهذا الأثر ظاهري إذ يتجاوز الشعور الداخلي النفسي للإنسان الى مظهره الخارجي وسلوكه العام، فيقول عليه السلام: ((الحرص علامة الفقر، وجلباب المسكنة))^(١١) والملاحظ أن ذكر الفقر وذمه على لسان أمير المؤمنين قد ورد مراراً في كلامه عليه السلام فهل يقصد بذلك إظهار جزعه من الفقر؟ فإذا كان ذلك فهذا ينافي مبدأ القناعة الذي يحث عليه!

وإذا بحثنا عن معنى الفقر لدى أمير المؤمنين لوجدنا شاهداً قريباً ورد في خطبة الوسيلة ذاتها وهو قوله عليه السلام: ((لا فقر أشد من الجهل))^(١٢)، فالفقر الذي يقصده الإمام هو فقر معنوي وليس مادي، فما يريد أمير المؤمنين من الفرد المسلم هو استشعار الغنى في نفسه بالقناعة والعفاف عما في أيدي الناس، أمواهم وأعراضهم، وهذا يعود بنا إلى بداية الخطبة حيث قال عن القناعة: ((ولا مال أذهب بالفاقة من الرضى بالقناعة، ولا كنز أغنى من القنوع))^(١٣)، إذن ما ينبذه الإمام هو فقر النفس، والمسكنة في التذلل للحصول على الرزق وإنما أراد الله من الإنسان أن يكون عزيزاً وهو القائل جل في علاه: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً))^(١٤)، وكيف يكون الإنسان عزيزاً وهو يتخضع ويتملق وينافق للحصول على المال، ولو تخلّى الإنسان عن هذا الرّياء لساق الله إليه رزقه أيضاً، وهو عزيز يعمل بشرف ويؤجر على عمله، فالحرص والبخل يصلان الإنسان بالفقر والمسكنة، وليس قلة ذات اليد.

أثر القناعة على المجتمع:

إنَّ الفرد لبنة في بناء المجتمع فإذا صَلَّح الفرد صلح المجتمع، والفرد الصالح أداة لإصلاح المجتمع بسلوكه وعمله، والفرد الطالح أداة لتخريب المجتمع بسلوكه وعمله.

((فالطمع يجعل الوسيلة هدفاً ويجعل الإنسان آلة لا تعي مخاطر السبيل سوى الوصول للمآرب، ويوجب الطمع العقول عن استقامة الفكر ونيره، ويفقدها الرشد والعقلانية عن إدراك الأمور على حقيقتها ووضوحها))^(١٥).

فإذا تمكَّن الطمع من الأفراد وأصبحوا لاهئين وراء إشباع غرائزهم المتطلبة تمكن الضعف من المجتمع لأنه أصبح مجتمعاً استهلاكياً نفعياً، تُبنى علاقاته على أساس المنفعة المادية، وليس الإنسانية أو الروابط الاجتماعية - وهذا ما بات متفشياً في مجتمعنا للأسف - إذ أصبح الطمع هو قائد النفوس، مثلاً إذا تمكَّن شخصٌ ما من فرصة عملٍ إضافي وعمله الأصلي يدر عليه ما يكفيه مؤونة معيشته نراه لا يرفضه إيثاراً لراحة جسده ونفسه، ولا مؤثراً لأبناء بلده الذين يبحثون عن فرص مشابهة لتحصيل العيش، بل يتفحمة وإن لم يفِ حقّه بالشكل المراد منه، طمعاً في المال والجاه والكسب وإن كان ذلك محللاً.

هذا الأمر ترك المجتمع يعيش طبقية مقيّنة لا داعي لها، ثراء فاحش أو فقر مدقع، وهذه الحالة تؤدّي بالمجتمع الى الهلاك لما تخلّفه من الحسد، والضغائن، والنفاق، وارتكاب الجرائم والفواحش بين أفراد المجتمع الواحد او الأسرة الواحدة.

((فالبناء الاجتماعي وتماسكه لا يمكن أن يقوم ويتواصل إلا بمجموعة عوامل مستقلة وتابعة، تشترك فيه القناعة المبنية على أساس الوعي))^(١٦)، فالقناعة كنز لا يفنى لأنها وقاية من كثير من الأمراض التي تنخر النفس والجسد والمجتمع، وهي خير من المعالجات اللاحقة التي غالباً لا تؤتي ثمارها لدقّة المرض وتمكنه من النفوس وهو مرض الطمع والجشع والحرص.

فضلاً عن ذلك فإنّ قناعة الأفراد تخلّف مجتمعاً قوياً صعب الانقياد لمغريات العصر، وعصياً على قوى الاستكبار العالمي الذي تمكّن من الشعوب؛ لضعفها وضعف حكّامها أمام الأهواء والأطماع والمغريات، ففقدت العزة وأصبحت ترزح تحت نير الذل والخضوع.

الخاتمة

إنَّ الوقوف على كلام أمير المؤمنين عليه السلام يُغرق الإنسان في لجج غامرة ومتلاطمة من أنوار علمه وحكمته، وها نحن وقفنا أمام مفردة واحدة صغيرة للعيان وهي القناعة فانفتحت لنا منها أبواب كثيرة، بل وجدنا أنَّ هذه الصفة من الأهميَّة بمكان الأسَّ لهيكل الفرد والمجتمع، وهي لازمة لبناء الذات وتحقيق الشخصية المتوازنة الحرة التي أرادها الله بالإسلام للإنسان. ففي تفاصيل حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن القناعة في خطبة الوسيلة فقط، عرفنا معنى أنَّ القناعة كنز لا يفنى، وكيف يكون الإنسان مَلِك نفسه وسيِّدها بالعفاف والكفاف ونبد الطمع والجشع، وبالرضا بالقليل الطيب في هذه الدنيا الفانية، استعداداً للدار الباقية، وإذا وصلنا الى هذه النتيجة يدور في خلدنا قول سيِّد البلغاء والمتكلمين الإمام علي عليه السلام: ((ألا وإنَّ لكلَّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنَّكم لا تقدرُونَ على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفَّة وسداد))

طوبى لك يا أبا الحسن، لمن اقتدى بك، وسار على ضوء هديك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين .

هوامش البحث:

- (١) لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج ٨ / ٢٩٧_٢٩٨ / مادة قنع.
- (٢) فروع الكافي، ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٨هـ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الاضواء، بيروت، ط ٣، (١٤٠٥هـ_١٩٨٥م)، ج ٨ / ص ١٧.
- (٣) ظ: الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، د. علاء الدين السيد أمير القزويني، مكتبة الفقيه، الكويت_ ١٩٨٦م، ط ٢، ص ٤٢٧.
- (٤) علم الاجتماع في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك، دار انباء للطباعة والنشر، النجف الأشرف_ العراق، ط ١، (د ت)، ص ٢٣٢.
- (٥) ظ: مقالات في الدعوة والدعاة، السيد كاظم محمد النقيب، دار التوحيد للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ط ٢، ٢٠١٦م، ص ١٦٤.
- (٦) فروع الكافي، ص ١٧.
- (٧) التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت (١/ ٢٧٢ تعليقا).
- (٨) سورة الجاثية، الآية ٣٢.
- (٩) فروع الكافي، ص ١٨.
- (١٠) م.ن، ص ١٨.

- ١١)) م.ن، ص ٢٠.
- ١٢)) م.ن، ص ١٨.
- ١٣)) م.ن، ص ١٧.
- ١٤)) سورة الاسراء، الآية ٧٠.
- ١٥)) علم الاجتماع في نهج البلاغة، ص ٤٤٠.
- ١٦)) م.ن، ص ٤٤٠.

مصادر البحث:

القران الكريم

١. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت (١/ ٢٧٢ تعليقا).
٢. علم الاجتماع في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك، دار انباء للطباعة والنشر، النجف الأشرف_العراق، ط١، (د_ت).
٣. فروع الكافي، ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٨هـ، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الاضواء، بيروت، ط٣، (١٤٠٥هـ_١٩٨٥م)
٤. الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية، د. علاء الدين السيد أمير القزويني، مكتبة الفقيه، الكويت_١٩٨٦م، ط٢.
٥. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د،ت).
٦. مقالات في الدعوة والدعاة، السيد كاظم محمد النقيب، دار التوحيد للطباعة والنشر، كربلاء المقدسة، ط٢، ٢٠١٦م.

المدرسة العاشورائية في التربية الأبعاد والعبر

١٩

أ. بتول عرندس/لبنان

ملخص البحث

يصعب التطرق للأبعاد التربوية المستخلصة من ثورة عاشوراء والتي أظهرتها أسرة الإمام الحسين عليه السلام من خلال تكافلها وتعاضدها خلال معركة أريد بها التعرض لقيم هذا البيت المبارك. قيمٌ ثابتة وراسخة زُرعت عميقاً في نفوس أفرادها الذين سَطَّر كلُّ منهم موقف خالد وعِظَّة لكل أحرار العالم الذين يابون الظلم والعبودية والإستكبار والهيمنة والتبعية. فكريلاء وأهلها أنموذجٌ حاضرٌ في كل عصر وزمان.

كربلاء في البحث التربوي حدثٌ غنيٌّ بالعبر، فهي النهضة الإنسانية العظمى التي جسّدت الصراع الأزلي بين الحق والباطل، فكانت اتصالاً وثيقاً برسالة الإسلام التي أتى بها رسول الله محمد عليه السلام، ولذا قال -عليه الصلاة والسلام-: «حسينٌ مني وأنا من حسين».

هذه الأسرة الكربلائية أوضحت لنا الأثر العميق للمربي الذي يزرع القيم ويجسدها في الوقت عينه، فنلحظ عمق العشق والحكمة والتدبير

والصبر والتحمل والشجاعة وإدارة الموقف. كتابٌ مفتوحٌ يعلمُ الثائرين
كذلك أجمل مواقف الحكمة والفداء والإيثار وتكافل الأهل والأصحاب
وصلابة المرأة. نسأل الله أن يكون هذا البحث من بركات الفيض الكربلائي
والنبع العاشورائي الذي لا ينقطع ولا ينضب؛ لتبقى كربلاء المدرسة الملهمة
والمنبر الناطق بالعلم والوحي والحق. وأن يتقبل منا هذا القليل، حباً وفداءً
لإمامنا، خالصاً لله تعالى. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف خلق الله محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين المتجيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه الطيبين
الطاهرين المنتجبين، واللعنة الدائمة على مبغضهم وأعدائهم إلى يوم الدين.
السلام على سيدي ومولاي الإمام المهدي المنتظر، صاحب العصر
والزمان أرواحنا له الفداء.

الحمد لله على نعمة الولاية، نعمة الإمامة والصراف المستقيم، نعمة
عاشوراء مدرسةً للتأثرين.

من خلال التأمل والتدقيق في عمق الثورة الحسينية نلمسُ بعداً اجتماعياً
وتربوياً مميزاً، وبالتعبير الأدق نستنبط دروساً ومناهج تعليمية تسهم في رفد
المدارس والمرافق التعليمية بعلوم إسلاميةٍ محمديةٍ عاشورائيةٍ أصيلة. فقد
أدت المرأة في كربلاء دوراً عظيماً شأنه شأن الدور الذي أدّاه الرجال، ذلك
لأن عاشوراء ثورةٌ متكاملة قامت على أسسٍ عديدة، وعلى أدوارٍ أُنيّطت
طبيعياً بالرجال والنساء معاً.

هذه الأدوار المجيدة هي الأنموذج التربوي الأنصح لكل مجتمع يتطلع
نحو الكمال والرفعة والتقدم. ومما لا شك فيه أن السيدة زينب (عليها السلام) شكلت
اللبنة الأساس في هذه المدرسة بحسن أدائها وقيادتها وحكمتها ومواقفها
وتبليغها. صنعت النصر مع بقية النساء وأتمن تكليفهن على أكمل وجه،
وأكملن مسيرة الحفاظ على نتاج النصر المحقق في كربلاء.

في بحثنا هذا نسلط الضوء على الدور القيادي للمرأة الزينية وأثره في تحقيق النصر على الظالم. ونحاول تبيان بعض النماذج التربوية المستفيدة من العلاقات المميزة بين أفراد الركب الحسيني، والتي يُبنى عليه في محاولة إصلاح المجتمع الإسلامي وتقوية أواصر العلاقات الأسرية خاصةً، وتلك الاجتماعية بشكل عام.

كما ونسعى لإستخلاص القيم التربوية والسبل الأيلة للتصدي لكل القيم السلبية التي اجتاحت عقول شبابنا في إطار الحرب المفروضة، والتي استصلح على تسميتها «الحرب الناعمة». إضافةً الى التعرّيج على البعد الإيماني الذي لا بد منه لمواجهة كل الضغوط النفسية التي تهدف للحد من عزيمة الفرد والمجتمع على حد سواء. ايماناً بقدرات المرأة وطاقاتها الوقادة لا بد من تعميق الوعي والثقافة الإسلامية التي تتطلع نحو ارتقاء المرأة وسموها، لكونها الأساس والزهرة الفواحة ومرآة المجتمع. المرأة التي تعتمد الانموذج الزيني.

المحور الأول:

السيدة زينب عليها السلام أنموذج المرأة المسلمة

بعث الله سبحانه وتعالى رسله هداية الناس وتعليمهم، فجاء الرسول محمد عليه السلام برسالة الهدى والإسلام مبشراً وهادياً ونذيراً، وأكمل آل بيته الكرام رسالة التبليغ من خلال القول والفعل، أي التلقين والتطبيق العملي، ليكون هؤلاء الأئمة القدوة الأكمل والأفضل. وكذلك ليكون آل البيت عليهم السلام المحرك لنا والمحفز للتعلم في سبب سموهم وتمايزهم، ومن ثم إتباع أسباهم وصولاً لأعلى درجات العلم والقدم، كما ورد في القرآن الكريم:

﴿وَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا* فَاتَّبَعِ سَبَبًا﴾^(١).

تعتبر السيدة زينب عليها السلام، ثمار الشجرة النبوية التي نمت وكبرت وترعرعت في كنف العناية المميزة والعلم الإسلامي المعتم، المثل الأعلى التي احتوت صفات العظمة وقيم المجتمع الرسالي، الذي ساعدها في خدمة دينها ونصرة قضيتها المحققة بوجه الطاغوت. تعلمت قيم الأخلاق والصبر والجهد منذ نعومة أظفارها، بل أعدت لمهمة تستدعي كل صنوف التهيئة والتدريب والعمل لتحقيق وظيفتها.

وحين نشير الى الدور القيادي الذي لعبته العقيلة الطالبية عليها السلام، فإننا لا نحصر هذا الدور بعاشوراء فقط، ذلك أنها كانت ناصرةً لأبيها الامام علي

١ سورة الكهف: ٨٤-٨٥

وأخيها الامام الحسن عليه السلام في مراحل متقدمة من مسيرتها الجهادية. أصرت على مرافقة الإمام الحسين عليه السلام وتحملت مسؤوليتها على أتمها. قارعت الطغاة في مجالسهم وأرثهم حقارة عروشهم ومقاماتهم. شخصية تعلمنا قيم الصبر والتضحية والإباء والشجاعة.

ظلت صابرة وقائدة رغم كل المحن والصعوبات، فهي التي شهدت وفاة جدها الرسول، ومظلومية وكسر ضلع أمها الزهراء وسقط أخيها المحسن، وشهادة أبيها الإمام عليه السلام وأخيها الإمام الحسن عليه السلام. وفي كربلاء شهدت شهادة أولادها وأخيها العباس وإخوته الثلاثة عليهم السلام، وأبناء اخوانها وعمومها، وختاماً شهادة أخيها الإمام الحسين عليه السلام.

الدور القيادي للسيدة زينب عليها السلام

عن النيسابوري في رسالته العلوية^(١): «كانت زينب بنت علي في فصاحتها وبلاغتها وزهدا وعبادتها كأبيها المرتضى عليه السلام، وأمها الزهراء عليها السلام». وقد أظهرت عليها السلام في مناقبها الشريفة روح القيادة والريادة وفنون السيطرة وردة الفعل والتعامل مع أقسى الهجمات المشنة من قبل العدو. هذا الدور المحوري والأساسي أدته السيدة زينب عليها السلام لكي تعلم نساءنا وأخواتنا واجبهن الريادي في مواكبة الرجال والتصدي للأعداء الذين يتبرصون بمجتمعاتنا الشر والفساد، والذين يسعون لحرف المرأة عن عطائها وجهادها وتضحياتها التي

١ وفيات الأئمة: ٤٤٢

فُطرت عليهم، حاملة رسالة الدين وقضايا الأمة وشؤون المجتمع بين كفيها المعطاءين.

سُطرت الحوراء عليها السلام خلال معركة الطف وخلال رحلة السبي الطويلة وفي مجالس الطغاة وأمام الجموع التي مرت بهم مواقف خالدة هزت عروش الطواغيت، وتجلت كمواقف ثابتة ودروس راسخة للتأثرات الأبيات، زوجات وأمهات المقاومين والشهداء، بناتهن، أخواتهن، عماتهن... هو دورٌ رساليٌّ لا ينقطع ولا ينته، وها هو اليوم يبدو جلياً وواضحاً في حروب الأمويين المستمر التي تنبع من حقد دفين وأعمى على مواليي ومواليات أهل البيت عليهم السلام.

الإعلام الزينبي وتحقيق النصر

مما لا شك فيه أن كل الانتصارات التي تحققت نتجت عن المنهج الكربلائي بكل تفاصيله ومحاوره وأدواره. وحين نتحدث عن النصر لا بد أن نستحضر القاعدة الذهبية ألا وهي: الحفاظ على منجزات النصر أصعب من تحقيق النصر ذاته، لنقول بالتالي أن الإعلامي الزينبي رسخ المنجزات والمواقف والأهداف العاشورائية. إعلامٌ رسالي لخدمة الدين ونصرته. فلم تكن رفيقة درب الإمام الحسين عليه السلام فقط، بل خيرٌ ناطقٍ بمواقفه، قارعت يزيد وابن زيد بحجة بالغة وشجاعة محمدية علوية فاطمية.

وهنا يبرز دور إعلامنا الرسالي في الإحاطة بقضايا المرأة المسلمة، ودعم كل المشاريع التي تتطلع للرقى بالمرأة وتوعيتها وحمايتها من السموم التي

تبشها الفضائيات المنحرفة الممولة لإسقاط قداسة المرأة خلف أقنعة مشبوهة. إعلامٌ دأب على ترويج القيم الفاسدة التي تبرر المعاصي وتحلل الذنوب وتهون الفواحش في حملةٍ مدروسة للمساس بالهالة النورانية التي أراد الإسلام أن يحيط بها المرأة.

الحجاب والعفة

لا يستطيع أحد أن يتحدث عن النساء وشرفهن وجهادهن وصبرهن وعفتهم دون أن يأتي على ذكر السيدة زينب عليها السلام، فمناقبها الشريفة وسيرتها العطرة تختصر الخطوط العريضة والعناوين الشاملة التي تحفظ كينونة المرأة وقداستها. هذان الجانبان العظيمان اللذان أريد لهم في عصرنا هذا التلوث بأبشع وأقذر الوسائل لإضعاف أركان المجتمع الأساسية ألا وهن النساء، اللواتي إن صلحن صلح المجتمع، وإن فسدن والعياذ بالله فسد المجتمع وحلت فيه الفوضى والغضب الإلهي والبلاء.

خرج الإمام الحسين إلى كربلاء طلباً للإصلاح في أمة جده، فكانت النساء عنصراً فاعلاً في الثورة، وخرج المجاهدون دفاعاً عن الدين المحمدي الأصيل، فكان الحجاب أعلى من دماء الشهداء. فأبي النساء تلك اللاتي صنعن النصر سوى العفيفات الطاهرات الشريفات، اللاتي لم يمنعهن حجابهن عن تأدية دورهن على أتمه، واللاتي لم يكن عفافهن مانعاً بل حافزاً وسبباً في قهر المعتدين الذين خسئوا في طيل أخواتنا الثائرات المدافعات عن دينهن وعزتهن بحذافيرها.

الحجاب المستهدف اليوم وبشراسة هو الحجاب الزينبي الكامل، الجلباب الشرعي الفضفاض الخالي من الألوان الملفتة للنظر، الحجاب الذي يظهر جوهر المرأة لا جسدها. حجابٌ لم يحجب البتة إبداع نساتنا الملمات الباحثات المثقفات، وإعلامياتنا المبدعات وطبيباتنا الناجحات، والكثير الكثير من النماذج المشرقة والملمهة والباعثة على الفخر وفي شتى المجالات.

المرأة والدفاع المقدس

أوجب الله الجهاد دفاعاً عن المقدسات والأوطان، ولم يكن هذا الواجب حكراً على الرجل، واجبٌ استهلته السيدة الزهراء عليها السلام دفاعاً عن حق زوجها في خلافة الرسول ﷺ، وحقها في أرض فدك، فنالت من نالت من الحقد حتى ارتقت شهيدةً مظلومة. ثم استأنفت ابنتها ووريثتها نهجها العقيلة زينب عليها السلام هذا النهج فوقفت مع أبيها وأخيها الحسن عليهما السلام، وفي كربلاء وقفت بهيبته الرسالية أمام الطواغيت.

صمدت وثبتت في رحلة التبليغ والإعلام فكانت المعلمة الأولى وصانعة «علم الإعلام الرسالي» والتبليغ العاشورائي، فكانت مدافعة حرّة أبية، ومثلاً تاماً للآية القرآنية: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله...﴾^(١)

تشهد أمتنا اليوم مخططات شيطانية أوجبت على جميع المؤمنين النهوض للدفاع المقدس عن كرامة وعزة الإسلام وأهلها، وقد شدّد القرآن الكريم على حق النصر: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾^(٢). هذه النصر فرضٌ واجب على المسلم والمسلمة. المسلمة تقع عليها فريضة الإعداد

١ الأحزاب ٣٩

٢ الأنفال ٧٢

المعنوي والتربية ومساندة المجاهدين، وكذلك مسؤولية صيانة المجتمع وحفظه في غياب الرجل.

دفاع المرأة المقدس يكمن في إعداد الأبناء الصالحين، الممهدين لظهور صاحب العصر والزمان، ودفاعها يكمن كذلك في عطاؤها وعملها وابداعها الذي يحقق الأهداف الرسالية.

الدروس المستلهمة من نساء الركب الحسيني

تمثل نساء الركب الحسيني كلّ القيم السامية والأخلاق العليا التي خصّ الله بها المرأة، هن قمم الصبر والعطاء، وملهات نساءنا لما أبرزهن من إباء وتضحية وطاعة وشجاعة. إحدى تلك العظيمات الرباب (عليها السلام) التي جسدت بصبرها على شهادة رضيعها أعظم مواقف التسليم والصبر والثبات، وهي المفجوعة، العطشانة، الغريبة، المسبية... لم تستسلم بل سلّمت أمرها لله سبحانه وتعالى وتحملت البلاء.

هذه السيدة العظيمة والجليلة تنبه نساءنا وتعدهن لتقبل أشد البلاءات والمصائب التي قد تتعرض لها في معارك الدفاع عن الدين ونصرته، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾^(١).

نساء كربلاء حجة على نساءنا في مواجهة طغاة الأرض المستكبرين، فكان على كل امرأة تتطلع لتحقيق النصر الذي حققته العقيلة الهاشمية أن تتمسك بمواقفها وبطولتها.

كربلاء تعلّم نساءنا العطاء بتفاني، وما خطبة السيدة زينب عليها السلام إلا بحرٌ من العلم والدروس التي يجب على كل امرأة استنباطها ودراستها وتحليلها. وقد شهدنا هذا التأثير العميق الذي برز في حرائرنا المجاهدات في العراق ولبنان وسوريا واليمن والبحرين وكشمير ونيجريا والقطيف...

رفع المستوى العلمي والثقافي للمرأة

يبدأ إعداد المرأة منذ طفولتها الأولى إعداداً رسالياً قوياً، على يديّ والدين صالحين يزرعان داخلها كل القيم الأخلاقية والسلوكية والدينية والاجتماعية. ولا بد منذ نعومة أظافر زهراتنا العزيزات أن نعتني بثقافتهن الدينية بكل صنوفها لأهميتها في تشكيل وتنمية الفكر الديني والأخلاقي وصياغة مستقبلهن ووعيهن للحياة. ولا بد من تعويدهن على الحجاب والطاعات، وترغيبهن بالإقناع والتوجيه والتحبيب.

والاهم أن تربط المرأة بدورها الرسالي مبكراً، على أنها أساس المجتمع المُعد لظهور صاحب العصر والزمان (عج). هذا الإعداد يمكن أن يتم من خلال الدروس الثقافية والورش التربوية التوعوية التي تنشر الثقافة الإسلامية الأصيلة وكذلك تعمق الفهم والوعي في شتى مجالات الحياة العلمية والتربوية والصحية والسياسية. لا بد من حث المرأة على ارتياد المكتبات وتنمية حس البحث والتفكير المنطقي والمناقشة النقدية. وبالتنتيجة، كلما ازداد المستوى العلمي والثقافي للمرأة كلما تقدم المجتمع، أليست النساء وراء كل رجلٍ عظيم وقائدٍ شجاع وجنديٍّ باسلٍ وعالمٍ مبدعٍ.

المحور الثاني:

التربية العاشورائية والمجتمع

نموذج الأسرة في الإسلام

يدعو الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم إلى بناء الأسرة الصالحة المحققة للأهداف الإسلامية السامية: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾^(١). وقد سأل أبو بصير الإمام الصادق عليه السلام: «كيف نقي أهلنا؟»، فأجاب الإمام: «تأمرهم بما أمر الله، وتنهاهم عما نهاهم الله»^(٢). وهل من أسرة في الإسلام أعظم نموذجاً من نموذج أسرة الإمام الحسين عليه السلام التي أظهرت أجمل صور التربية الصالحة وعلاقتها من برّ واحترام وتشاور وتقدير وطاعة ووعظ. وقد أكد الإسلام على تنشئة الأبناء على الشجاعة والوقوف بوجه الظلم والظالمين، كما وصى الإمام علي عليه السلام ولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام: «كونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً»^(٣)، انطلاقاً من الآية القرآنية: ﴿ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يليني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾^(٤). لا بد من البدء بزرع هذه القيمة مبكراً ليأخذ أبنائنا موقفاً حاسماً حتى لو تتطلب الأمر بذل الروح بالشهادة، إقامة للحق وإعلاء لكلمة الله العليا.

١ التحريم ٦

٢ وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٤٨

٣ نهج البلاغة، الخطبة ٤٧

٤ الفرقان ٢٧

العلاقات الأسرية المعاصرة

إذا صلحت النفس البشرية صلح المجتمع، وقد هدف الأنبياء على مر العصور الى بناء مجتمع صالح وقوي وأمين يكفل إقامة مجتمع متماسك وقوي. وبيالغ الأسف فقد دمرت ثورة التكنولوجيا دعائم العلاقات الأسرية المعاصرة، فبات الطمع والجشع والطمع والغيرة والأنانية المحرك والمحور، وبات المجتمع ضحية استبداد ثلوث المال والسلطان والجسد. هذه العلاقات تستدعي ترميمًا عاجلاً وعلاجاً طارئاً يركز على تعميق البعد الإيماني والوعي الديني الذي يبعد الإنسان عن نزوات الطبيعة والأنا التي حولته إلى «حيوان» خالٍ من الروح والإحساس والعقل والمنطق. فالإيمان يثبت قيم الرضى والتسامح والشجاعة والإيثار والصدق والعزيمة. وبالتالي، فهو الركيزة الأساس والضمان الأنجع لحماية المجتمع وتعميق أواصر التعاون والتكافل بين أفرادهم، والمساهم في تحقيق النصر، تماماً كما كان وأظهر المجتمع الكربلائي جسداً واحداً، لم تغريهم الدنيا ولا الجاه والمركز، بل رضا الله والشهادة في سبيله نصرَةً للدين والعقيدة.

القيم التربوية تصنع أمة

الأسرة هي اللبنة الاجتماعية الأولى في المجتمع، وفيها يتعلم الإنسان دروسه الأولى في الحياة، وقد منّ الله علينا نحن الموالون لأهل البيت عليهم السلام بنعمة الولاية والهدى. بل إن هؤلاء الأخيار لنا المعلم والهادي والمرشد. في كتاب نهج البلاغة نبح في عالم لا ينته من علوم التربية التي تضمن لأسرنا

النجاح في أداء أمانة التربية، ومن خلالها نلمس عظمة المناهج التربوية التي درج عليها أهل بيت النبوة.

ففي خطبة الوسيلة^(١) على سبيل المثال نستلهم الكثير من العبر والقيم التي توضح لنا القيم التي تلقاها الإمام الحسين عليه السلام وأخته السيدة زينب عليها السلام، والتي أسهمت في تكوين تل الشخصيتان العظيمتان اللتان هزتا عرش يزيد وأهملتا أحرار وحرائر أمتنا العظام. يؤكد أمير المؤمنين في خطبته هذه على أهمية الحكمة وقل الحق فيقول: « أيها الناس: إنه لا خير في الصمت عن الحكم، كما إنه لا خير في القول بالجهل. واعلموا أيها الناس إنه من لم يملك لسانه يندم، ومن لا يعلم يجهل، ومن لا يتحلم لا يحلم، ومن لا يرتدع لا يعقا، ومن لا يعقل يهن، ومن يهن لا يوقر...»

التكافل الاجتماعي في الثورة الحسينية

التكافل الاجتماعي قيمة إسلامية سامية وعظيمة، وهي كفيلة بإنشاء مجتمع قوي ومتماسك ومتراحم في أحلك الظروف. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(٢). هذا المجتمع يبدأ بنيانه ببناء الفرد بهديته إلى الصراط المستقيم والقويم عبر إخراجه من غياهب الظلمات والشهوات والأهواء إلى نور الهداية والإيمان، بالعمل المشترك والترابط والفعال بين كل أطرافه وطاقاته.

وقد جسد نموذج المجتمع الكربلائي أرقى مستويات التكافل والتعااضد

١ من خطب الإمام علي عليه السلام في كتاب نهج البلاغة

٢ الفتح ٢٩

والتعاون بين الأب وابنه، والأم وابنها، والصاحب وصاحبه، والجندي وقائدها، والعبد وسيده، ... نماذج في قمة الوعي لمسؤولية كل منها ودوره في تأدية دوره ومهامه. مجتمعٌ أظهر كيف يجاهد كل فرد من موقعه، ووفقاً لطاقاته وقدراته. هذه الطاقات عظيمةٌ ومهمةٌ أياً كانت، حيث يدافع الرجل، وتضمد المرأة الجراح وتصبر وتحمل. علاوة على ذلك، فالإمام السجاد رغم مرضه وعجزه كان إلى جانب عمته صاحب الكلمة والموقف العظيم بوجه السلطان الجائر.

يقول الله - سبحانه - وتعالى في محكم كتابه الحكيم: ﴿ لا يكلف الله نفساً الا وسعها ﴾^(١)، فكل فرد منا مسؤولٌ اليوم ومطالبٌ بتحمل جزء من المهمة الشاملة، ألا وهي الدفاع المقدس وإصلاح المجتمع تماماً كما جسد آل بيت الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الذين لم يتقاعسوا أبداً عن واجبهم وبكل اندفاع ومثابرة، وعباً منهم جميعاً بحجم الحقد والعدوان الموجه ضدهم، فما خذلوا قائدهم وما تركوه، بل كانوا صنّاع النصر الإلهي والاستراتيجي في تلك المعركة الخالدة التي ألهمت الأمم وأحرار العالم عبر الزمن.

سمو الذات لدى عوائل المجاهدين

أظهرت عوائل الشهداء رباطة جأشٍ وبسالة لا مثيل لها، فكانت تلك العوائل امتداداً لا ينقطع لمشروع أبنائهم الذين ارتقوا إلى مقام السمو دفاعاً عن عزتنا. وهم اليوم بيننا أمانة هؤلاء الشهداء، وعلينا تقع مسؤولية

رعايتهم. يقول الإمام الحسين عليه السلام: «والله، لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون لأخيه مثل الجسد، إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه»^(١).
إذاً، لا بد من الحفاظ على حقوق هؤلاء العوائل، وتأمين كل احتياجاتهم؛ لأنهم قدموا أبنائهم قرابيناً للوطن، ولا سيما حق اليتيم الذي أظهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عظمة كفاله بقوله: «أنا وكافل اليتيم... في الجنة»^(٢).

إضافة الى عوائل المجاهدين الذين يستحقون من المعنيين في الشأن الاجتماعي واجب التحرك لإيجاد الأنشطة التربوية والتعليمية والصحية والترفيهية الهادفة، والفعاليات وورش العمل المختلفة التي تثبت دعائم المجتمع وتعد أفراداً ناجحين ومميزين، في ظل الغزو الثقافي وظاهرة المسلسلات الساقطة والبرامج الفاسدة التي تروج لقيم هابطة قد تهدد أجيالنا الواعدة إذا ما أخذت كل الإجراءات الوقائية السريعة واللازمة.

١ النوري، مستدرک الوسائل، ج٩، باب وجوب أداء حق المؤمن
٢ المصدر السابق، ج٤٧٤، ٢، باب استحباب مسح رأس اليتيم

المحور الثالث:

البعد الايماني والجهادي

الإباء والدفاع المقدس عن الدين

منّ الله علينا بنعمة الدين، القانون الأسمى الذي ينظم العلاقات الإنسانية بهدف تحقيق الأمن والأمان في المجتمع ومحاربة شتى ظواهر الجهل والإنحطاط والفوضى. ولما كان الدين سُلّم الارتقاء بالإنسان، كان لا بد من فرض الجهاد كواجب للدفاع عن كل محاولة للنيل من حرمة الإنسان وكرامته. فحين نشدد أن كربلاء مدرسة الإنسانية نعرض نموذج أبي الفضل العباس الذي أنتجه البيت العلوي الرسالي لأداء تكليفٍ عظيم مع أخيه الحسين في كربلاء.

لم تكن شخصيته عليه السلام وليدة اللحظة في عاشوراء، إنما مشروع أعدّه والده الإمام علي عليه السلام بدء من إختيار أمه الطاهرة العظيمة أم البنين عليها السلام: «امرأة ولدتها الفحولة من العرب، فتلد لي غلاماً فارساً». ثم درج في بيت الولاية مع اخوته فتشرب قيم الإباء والشهامة والعزة والإباء والشجاعة والإيثار والنخوة.

هذا الإعداد المبارك لا بد أن يلهم أباءنا وأمهاتنا الذين تقع عليهم مسؤولية إقتباس المناهج التربوية في تربية الأبناء من الفيض العظيم والمبارك لأهل البيت عليهم السلام، ليكون هؤلاء الأبناء بعون الله جنوداً بواصل وزينبياتٍ معطاءات للإمام المهدي (عج) ومشروعه الأعظم الذي بدأ بالدفاع المقدس

وسيكمل حتى الظهور المبارك وتحقق الوعد الإلهي.

يقول الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً أخته زينب عليها السلام: «يا أخية اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خيرٌ مني وأمي خيرٌ مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة»^(١).

كانت السيدة زينب عليها السلام من أول المبشرين بالقضية الحسينية والحافظين لها، وقد اكدت في خطبتها ومواقفها على أهمية الدفاع المقدس حيث تقول عليها السلام مخاطبة الإمام السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يمحي رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وتطميسه، فلا يزداد إلا علواً»^(٢).

الصلاة والدعاء

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها»^(٣)، إذا هي قمة الطاعات ومعراج الروح لحظة اللقاء بالمحبيب، لذا لا بد من الإعتناء بتعليم أبنائنا وجوب الإلتزام بهذا الواجب الأساسي الذي يعمق علاقة العبد بالمعبود، ويردعه عن المحرمات. ونلاحظ

١ تاريخ الطبري ج ٤ ص ٣١٩ و ٣٢٠

٢ بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٥٥، ب ٢، ح ٢٣

٣ بحار الأنوار

خلال معركة الطف ورحلة السبي وخاصة ليلة العاشر، كيف حافظت السيدة زينب عليها السلام على صلاتها رغم عظم المصائب؛ لأنها تربت على أن الصلاة تشحن الإنسان بالصبر والقوة والتحمل.

نساؤنا العزيزات مسؤولات بالدعاء والصلاة لنصرة مجاهدين وحمائهم في كل المعارك، تلك القلوب الطاهرة الصافية التي تتوجه بالدعاء لفلذات أكبادهن لن يردهن الله سبحانه وتعالى بالسؤال حين تتوجه إليه.

آليات الارتقاء بالمستوى العقائدي والديني للمرأة

بيننا سابقاً كيف جسدت السيدة زينب عليها السلام ولا زالت المثل الأعلى لإعداد المرأة الرسالية. وتحقيقاً لهذا الدور العظيم بإعداد النساء عقائدياً ودينيّاً لتحقيق التصورات الموضوعية هن. لتخريج دفعات مأمولة من الأبطال والمجاهدين والشهداء الذين يصنعون النصر ويحققون للأمة المجد والرفعة. من الضروري إيلاء النشاطات النسوية كل الدعم والتقدير والتحفيز.

إن إبراز القضية الحسينية لم يكن ليتم لولا رباطة جأش السيدة زينب عليها السلام وعلمها ووعيها بتكليفها الديني والشرعي. هذه المسؤولية العظيمة هي مسؤولية المعنيين بالشأن الديني والاجتماعي، وكذلك النساء اللواتي عليهن يقع تكليف السعي والتعلم الذاتي والبحث والاستفسار، ومتابعة الخطب والمحاضرات الدينية والخطابات الحسينية، وكذلك قراءة الكتب والأبحاث العقائدية والدينية التي تروي عطشها للعلم والمعرفة.

خلاصة

لا بد من التعمق بدراسة هذه الثورة المباركة دراسة معمقة وشاملة لأنها أصل بقائنا وإنتصاراتنا، عدا عن كونها قامت بوجه الإنحدار الأخلاقي المتمثل بالحاكم الفاسق يزيد: «معلن الفسق والفجور»، وهو ضاهرة تفتك مجتمعاتنا اليوم وتستهدف الإسلام الفاطمي والزينيبي. ضاهرة تتمثل بأغطية رأس تدعى «حجاب الموضي»، وبقوانين تتخذ في دولٍ يحركها اللوبي للصهيوني بعصاه السحرية، فنسمع يوماً بقرار منع الحجاب في الجامعات، ويوماً آخر منع «البوركيني»^(١) باعتباره تعصباً دينياً في دولةٍ تتدشق بتاريخ حرياتهما.

المرأة المسلمة، وخصوصاً تلك الواعية والعالمة والمعلمة محط أنظار العالم وغايته، يتطلع إليها وإلى دورها وتأثيرها ونتائجها بشكل رهيب، فيتحين السبل وابتكر الأساليب لإبعادها عن هذا الصراط المستقيم. فهؤلاء الشياطين يدركون ويعون أن أبطالنا المقاومون البواسل الذين أذاقوا جحافل العدوان والطواغيت مرارة الهزيمة والذل هم أبناء الأم التي شربت من النهج الزينيبي ماءً فأرتوت عنفواناً وبطولةً وإباءً.

لهؤلاء الذين عبثاً يحاواون المس بحجاب وستر وعفة حرائرنا نقول بلسان حال العقيلة الطالبية السيدة زينب^(٢) عليها السلام: «إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعتك، وأستكبر توييخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى»، وكذلك نقول: «فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميمت وحيننا، ولا تدرك أمدنا».

١ إشارة الى زي السباحة التي ترتديها المسلمات على الشواطئ
٢ بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ١٣٣-١٣٥

دور النساء في النهضة الحسينية أم عبدالله عليها السلام أنموذجا

٢٠

م.د. فاطمة فالح جاسم الخفاجي /العراق-ذي قار

م.م. فاطمة عبد الجليل ياسر الغزني/العراق-ذي قار

المقدمة:

تعد المرأة إحدى أركان النهضة الحسينية في استمرارية إبراز معالم تلك النهضة بعد انتهاء المعركة أو قبلها، من خلال أبرز المظالم التي رافقت الإمام الحسين عليه السلام خلال مسيرته من المدينة إلى كربلاء أو الأحداث التي حدثت أثناء المعركة، كما أنها حاولت بيان خذلان ونكث أهل الكوفة لنصرة الإمام الحسين عليه السلام.

ومن تلك النسوة التي لها أثر في هذه النهضة العظيمة هي السيدة الرّباب بنت امرؤ القيس الكلبي زوجة الإمام الحسين عليه السلام، ومن الأسباب التي شجعت على تناول هذه الشخصية هو عدم تناولها أو التطرق إليها في المصادر الأخرى كدراسة مستقلة، وكان هدف هذه الدراسة هو بيان ترجمتها (رضوان الله عليها) مع توضيح إلى دورها في نصرة الإمام الحسين عليه السلام من خلال مرافقتها له في مسيرته إلى كربلاء، وتضحيتها له من خلال تضحيتها لطفلها عبد الله الرضيع له، وهذا يدل على مدى نقاوة أصولها وحسن تربيتها التي انعكست على حياتها في تقديم الغالي والثمين من أجل

أن تفتدي به للإمام الحسين عليه السلام، فكانت خير مثال للمرأة المسلمة في التاريخ الإسلامي.

في حين نرى أن السيدة الرباب بنت امرؤ القيس (رضوان الله عليها) تعيش كل صور الأذى، وفي أجواء الحرب الظالمة تعيش لوعة أبناء يستغيثون من الظمأ وترى ولدها الرضيع مذبوحاً وابتتها تتلوى من العطش وزوجها الحبيب يوجد بنفسه ولا معين، نجد الرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام أنموذجاً سامياً في الزوجة الحانية التي تقف إلى جوار الزوج حتى بعد استشهادها، وتجتر الآم الفاجعة دون أن يكون لها شكوى، فهي المؤمنة بأهداف الحسين عليه السلام، الصابرة على جهاده وعلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة،
إذ تطرَّق المبحث الأوَّل إلى دور النساء في النَّهضة الحسينية، أما المبحث الثاني
فقد سلَّط الضوء على دور السيِّدة الرباب أم عبد الله الرضيع في النَّهضة
الحسينية، والذي اشتمل على نسبها وولادتها، زواجها وأبنائها، دور السيدة
الرباب في واقعة الطف، ورجوعها الى المدينة المنورة.

اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتنوعة منها المصادر
والمراجع التي اهتمت في دراسة التاريخ الإسلامي، فضلاً عن عدد من
البحوث المنشورة في المجالات العراقية التي كان لها إسهام واضح في البحث.

المبحث الأول:

دور النساء في النهضة الحسينية:

تعد واقعة الطف من الحوادث التاريخية الكبرى التي غيرت مجرى التاريخ، ورسمت له حدوداً جديدة، فهي لم تكن حدثاً عسكرياً عابراً أو معركة بين جيشين تنتهي بانتصار طرف وهزيمة آخر، بل كانت واقعة عظيمة تجلّى فيها الحق بأبهى صورته وهو يواجه الباطل بكلّ جبروته، ومن هنا اكتسبت هذه الحادثة أهميتها العظيمة، وقد اشترك في رسم صورة هذه الواقعة العظيمة الرّجل والمرأة وفقاً لإمكانات كلّ منهما، ولم يكن دور المرأة أقلّ أهميّة من دور الرجل بل كان مكماً له، وهذا ما قدّمته الروايات الكثيرة التي تحدّثت عن مشاركة المرأة في النهضة الحسينية، فقد كانت نساء الطف من أرفع النساء وأشرفهنّ تاريخاً، فبلغن القمّة في ذلك الدّور، وتألّقن في آفاق الإنسانية، فخلد موقفنّ بخلود النّهضة، ولم تنتصر المرأة مرّة واحدة في كربلاء بل انتصرت عدة مرات، فقد انتصرت عندما ساندت قضية الإمام الحسين (عليه السلام) العادلة، وانتصرت عندما وقفت إلى جانب الإنسانية التي مثلتها النّهضة، كما انتصرت عندما مارست دوراً قيادياً رائداً أثناء المعركة وبعدها^(١).

لعل السائل يسأل لماذا حمل الإمام الحسين (عليه السلام) نساءه وعياله إلى كربلاء؟، كان أمام الإمام الحسين (عليه السلام) خياران بالنسبة لأسرته، فهو إمّا أن يحمل عياله ونساءه معه، وإمّا أن يبقي الجميع ويخرج بمفرده مع أولاده

وإخوته وباقي الأنصار من رجال بني هاشم، فإذا كان الأمر بأن يتركهم في مكانهم ويهاجر بنفسه فلا شك في أن السلطات الأموية ستحاول الاستفادة منهم كورقة ضاغطة على الإمام نفسه كي يسلم نفسه، والشواهد على ذلك كثيرة ومنها كما فعل الأمويون مع عمرو بن حمق الخزاعي حيث أسروا زوجته لما فر من أيدي السلطات الأموية، فالإمام عليه السلام لم يكن ليأمن على عياله ونسائه لو أبقاهم في المدينة وخرج ثائراً، وحتى لو أمن الإمام على نسائه وعيال وأبقاهم في مكانهم وخرج في طلب الإصلاح في ثورة يعلم مسبقاً أن القوم يطلبونه ولو أمسكوا به فسيقتلونه لا محالة وسيقتل مع إخوته وأبناء عمومته في أي مكان من الأرض وسيبادون جميعهم، ومن ثم لا يفهم أحد لماذا أصلاً خرج الإمام الحسين عليه السلام للثورة؟ ولماذا لم يبايع؟ وحتماً ستحاول السلطات الأموية التكتّم على الأمر واستعمال آليات القتل الصامتة بأي شكل من الأشكال^(٢).

إذن أراد الإمام الحسين عليه السلام من إخراج عياله ونسائه هو استمرارية النهضة والثورة الحسينية المتمثلة بالإصلاح الجذري في أمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ووقعت حوارات دارت بين الإمام الحسين عليه السلام والعديد من الشخصيات البارزة في ذلك الحين قبل رحيله من المدينة المنورة إلى الكوفة، بعد أن عقد العزم على ذلك، كانت تتخوّف من ذهاب الإمام الحسين إلى الكوفة، وتحثه على عدم الرحيل خوفاً عليه، ولكن إصراره عليه السلام على هذا الأمر جعل تلك الشخصيات -ولاسيما أخوه محمد بن الحنفية- تطرح تساؤلاً

مرفقاً بالرجاء عن سبب اصطحابه العيال من نساء وأطفال، فكان جوابه **عليه السلام** حينذاك: «إنَّ الله شاء أن يراني قتيلاً وشاء أن يراهن سبايا»^(٣). وهذا يدل ان وجود النساء في واقعة الطف هو بيان مظلومية الإمام **عليه السلام** وأصحابه وأهل بيته، فضلاً عن بيان سبب خروج الإمام **عليه السلام** في طلب الإصلاح وإلى سياسة الأمويين في انحراف الإسلام.

كانت لنساء الركب الحسيني أدوار متعددة ظهر بعضها قبل الواقعة وبعضها في أثنائها وبعدها، وكانت الأدوار النسائية واضحة متميزة رغم أنَّ عدد النساء كان معدوداً ومحدوداً أيضاً، وتمثّلت تلك الأدوار دور نصره الثورة ودور المتابعة والحماية، والدور القيمي، والدور الإعلامي، ودورهنَّ في رواية المقتل الحسيني وإعلان الحداد العام^(٤). وتمثّلت تلك الأدوار في مواصلة النصره الحسينية واستمرارية نهضة الإمام الحسين **عليه السلام**.

وكان حضور السيدة زينب **عليها السلام** ونساء البيت النبوي في نهضة الإمام **عليه السلام** يعد جزءاً متمماً لهذه النهضة، وله أعظم الأثر في تحقيق أهداف ثورة الإمام الحسين **عليه السلام**، فقد كان وجودهنَّ مع الركب الحسيني من أوفر لوازم نجاح النهضة الحسينية ومن متمّات ثورته المباركة، فقد كنَّ الصوت المدوِّي، والصّرخة القويّة التي هزّت عروش الظالمين^(٥).

وكان وجود زينب **عليها السلام** والنسوة مع الإمام الحسين **عليه السلام** في نهضته مخطّطاً ومدروساً، لأنَّ الأهداف التي سعى إلى تحقيقها لا تكتمل من دون وجود السيدة زينب وحرائر النبوة **عليهنَّ السلام** وهو يعرف جيّداً أنَّ السلطة الأموية ستحاول

بكل ما تملك من أدوات القوة والبطش أن تنهي ثورة الإمام الحسين عليه السلام في صحراء كربلاء دون أن يعرف أحد ما جرى هناك، وهنا يأتي دور السيدة عليها السلام مع نساء الطفوف في تدوين تفاصيل النهضة، ونشر أفكارها، والحيلولة دون التعقيم عليها، ولاسيما أن الأمويين عندما قاموا بقتل الإمام عليه السلام وولده وإخوته وأبناء عمومته وأصحابه تصوّروا أنهم استطاعوا طمس معالم الثورة في صحراء كربلاء، ولم يدركوا أن الإمام الحسين عليه السلام كان واعياً لمخططاتهم، ويعرف نواياهم، فأصطحب نساء البيت النبوي معه، وهذا العمل الذي أقدم عليه ليس من أجل المظلومية فقط، بل لإكمال غرض الثورة وبلوغ الغاية في إسقاط الدولة الأموية من خلال الدور التكميلي للنهضة الذي سوف تجسده السيدة زينب عليها السلام ونساء البيت النبوي، وهذا واضح من خلال مواقفهنّ في الكوفة والشام، وخطبهنّ التي حطّمت غرور عبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية، فكانت السيدة زينب عليها السلام اللسان البليغ الذي حمل مبادئ نهضة الإمام الحسين عليه السلام ووضحت أهدافها، وبيّنت للأمة ضلال السلطة الأموية، فنزهت دين النبي صلى الله عليه وآله ^(٦).

بالإضافة إلى دور المرأة في المعسكر الحسيني، فقد كان لها دورٌ مماثلٌ في المعسكر السفيفاني في الجانب المعادي للإمام الحسين عليه السلام تعبّر به عن رفضهنّ لهذه الجريمة الوحشية، كموقف النوّار زوجة كعب بن جابر، الذي شارك في قتل برير بن خضير، فعتبت عليه، وقالت: «أعنت على ابن فاطمة، وقتلت سيّد القرّاء، لقد أتيت شيئاً عظيماً من الأمر، والله لا أكلّمك من رأس بكلمة

أبدا»^(٧)، وهذا موقف البراءة من أعداء الله، وهو من المواقف المكملة لموقف
الولاية والولاء لأولياء الله، وهذا الأمر لاحضناه جلياً في نساء واقعة الطف،
فعلى الرغم من قساوة الظروف، وشدة المصاب، وإحاطة الأعداء من جميع
النواحي، إلا أننا نلاحظ أن المرأة كان لها دورٌ استثنائي في هذه الواقعة، إذ
لم يقتصر دورها على الدعاء فحسب، وإنما كانت بعضهنَّ المحفِّز الأساسي
لأزواجهنَّ لطلب الاستشهاد، فكان وجودهنَّ بمثابة الطاقة لتأجيج روح
القتال وتحفيزه داخل المعسكر الحسيني .

فكان لكل سيدة من نسوة الطفوف دور متميز متمثل في نصره آل
بيت الرسول ﷺ أو استمرارية حركة الإصلاح الحسيني، لذا ارتأينا هنا
أن نسلط الضوء على جوانب من حياة السيدة الجليلة الرباب^(٨) بنت امرئ
القيس زوجة الإمام الحسين عليه السلام، ومن أجل توضيح الأدوار التي أدتها في
حركة الإصلاح الحسينية.

المبحث الثاني:

دور السيدة الرباب أم عبد الله الرضيع في النهضة الحسينية:

أولاً: نسبها وولادتها:

هي الرباب^(٩) بنت امرؤ القيس بن عدي^(١٠) بن اوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عون بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب^(١١).

وأما: هند الهنود بنت الربيع بن مسعود بن حصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب الكلبي^(١٢)، وأما هند بنت مسعود بن مروان بن حصين بن كعب بن عليم بن كليب^(١٣)، وأما ميسون بنت عمر بن ثعلبة بن حصين بن ضمضم^(١٤)، وأما الرباب بنت اوس بن حارثة بن الأم الطائية^(١٥).

إذن فإن أبها امرؤ القيس ينتمي إلى كلب بن وبرة، وهم بطن من قضاة من القحطانية، وكانوا بدومة الجندل وتبوك وأطراف الشام، وانتشروا في بادية الشام والسماءة في العراق أيضاً، وكانوا في الجاهلية قد اتخذوا بدومة الجندل صنماً يدعى (وداً) ثم دخلوا في دين النصرانية^(١٦).

وكان امرؤ القيس ممن دخل الإسلام مع من دخلوا من بني قومه عام ١٠ هـ، كان قد وفد من قبلهم جماعة إلى الرسول ﷺ فأسلموا ورجعوا إليهم ونشروا الإسلام^(١٧)، وبعد أحداث عام ١١ هـ المعروفة بحروب الردة

انقسم بنو كلب إلى طائفتين طائفة عارضت وطائفة رضيت بالأمر الواقع، إذ يذكر الطبري في كتابه أنه بعد أن ارتد وديعة الكلبي، كتب أبو بكر (١١) - ١٣ هـ) إلى امرئ القيس جد سكينه ابنة الحسين لمقاتل وديعة الكلبي^(١٨).

ومن هنا نلاحظ أن امرئ القيس والد السيدة الرباب دخل الإسلام بعد عام الوفود ٩ هـ أي بعد قدوم قومه إلى الرسول ﷺ في عام ١٠ هـ، وبقي على إسلامه حتى بعد الأحداث التي عصفت بالأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ، ونستدل على ذلك هو إسناد أبو بكر لامرئ القيس مهمة القضاء على حركة أو تمرد وديعة الكلبي خلال مدة حروب الردة.

اختلفت المصادر التاريخية في بيان تاريخ ولادة السيدة الرباب، ولعل السبب في ذلك إلى قلة المعلومات حول تاريخ ولادتها ﷺ، إلا أن بعض المصادر حدّدت تاريخ الولادة في العام السادس للهجرة النبوية الشريفة، في منطقة دومة الجندل أو بالقرب منها^(١٩)، ولديها أختان وهما محياة وسلمى^(٢٠). وبهذا نلاحظ أن السيدة الرباب عاشت في كنف عائلتها المتكوّنة من والدها امرئ القيس ووالدتها هند الهنود وأختيها محياة وسلمى. وعلى أي حال، فإنّ الرباب بنت امرئ القيس وصفت بأوصاف الكمال، وامتازت شخصيتها بعدة مميزات، إذ ذكرها هشام بن الكلبي بقوله: «كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهنّ»، وفي نسمة السحر كانت من خيار النساء جمالاً وأدباً وعقلاً^(٢١).

ثانياً: زواجها وأبنائها:

جاء في شأن زواجها من الإمام الحسين عليه السلام عن عوف بن خارجة، قال: إنني عند عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) في خلافته إذ أقبل رجل أمة يتخطى رقاب الناس، حتى قام بين يدي عمر فحيّاه بتحيةة الخلافة، فقال عمر: من أنت؟، فقال له امرؤ نصراني، وأنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي، فلم يعرفه عمر! فقال له رجل من القوم: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج، فقال: فما تريد؟، قال: أريد الإسلام فعرضه عليه فقبله، ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم من قضاة (٢٢).

قال: فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه، قال عوف بن خارجة: ما رأيت رجلاً لم يصل سجدة أمر على جماعة من المسلمين قبله، قال: وهذا علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه ابنه الحسن والحسين عليهما السلام من المجلس حتى أدركه فأخذ برأسه، فقال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصهره وهذان ابناي من ابنته، وقد رغبتنا في صهرك فانكحنا، قال قد أنكحتك، يا علي المحيية بنت امرئ القيس، وأنكحتك، يا حسن سلمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس (٢٣).

إلا أن الملاحظ على هذه الرواية أن فيها العديد من الشوائب

والأغلاط ومنها:

إنَّ الأسلوب الذي اتخذهُ أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه للزواج من بنات امرئ القيس لا يتناسب مع الأخلاق النبوية التي يتحلَّى بها صاحب الخلافة الكبرى.

إنَّ الأسلوب كذلك لا يتفق مع الأعراف التي أَلْفَهَا المسلمون في طريقة تقدمهم لطلب الزواج.

إنَّ القصة تحمل تسرعاً من أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته بنات رجل نصراني حديث عهد بالإسلام.

تحمل هذه الرواية مغمزاً في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، فقد رسمته رجلاً خاضعاً لشهواته، تحفزه الغريزة الجنسية.

لقد تجاهلت الرواية رأي البنات المخطوبات، وجعلت الرأي للأب فقط، ولم تذكر المهر فيها، وما يذكر من مخارج فقهية لا تصح مع هذه الحالة التي لا يخاف فيها من فوات الزوجة.

إنَّ الرواية تفترض بقاء الرباب دون حمل أو ولادة أكثر من عشرين عاماً، والعادة تستبعد حدوث مثل ذلك ^(٢٤).

ومن جهة أخرى إنَّ هذه الرواية مع ما بها من أغلاط وشوائب إلا أنَّها إشارة إلى مكانة امرئ القيس التي تمتع بها في المدة قبل الإسلام وبعده، إذ أوضحت لنا بأنَّه شخصية قيادية من خلال بيان دوره في موقعة يوم فلج، أثرت هذه الأمور إلى تأهيل الرِّباب، لأنَّ تحظى بشرف الاقتران والزواج من الإمام الحسين عليه السلام.

إلا أنَّ الملاحظ من الرواية أعلاه، أنَّ قدوم امرئ القيس بن عدي الكلبي للمدينة المنورة أيام حكم عمر بن الخطاب أي بحدود عام ١٩ هـ، أي أنَّ زواجها من الإمام الحسين عليه السلام كان بحدود عام ١٩ هـ، وكان عمر

الإمام الحسين الستة عشرة عاماً، وعمر السيدة الرباب في الرابعة عشرة عاماً، وبذلك تكون أولى زوجات الإمام الحسين عليه السلام ^(٢٥). ومما تقدم يمكننا القول أنّ زواج السيدة الرباب من الإمام الحسين عليه السلام كان بعد قدوم والدها إلى المدينة المنورة بحدود عام ١٩ هـ.

أنجبت السيدة الرباب بنت امرئ القيس من الإمام الحسين عليه السلام ثلاث بنات وولداً واحداً، وهم:
فاطمة بنت الحسين عليها السلام:

ولدت في المدينة المنورة عام ٢٠ هـ، وقد حضرت كربلاء مع أشقائها وأسرت وعادت إلى المدينة، وربما رحلت مع عمّتها زينب عليها السلام إلى مصر، ثم عادت بعد وفاة عمّتها إلى المدينة المنورة، لا شك أنّها تزوّجت، إلا أنّ التاريخ لم يذكر شيئاً من ذلك، ولعل السبب هو عدم إنجازها، أو على الأقل أنجبت ودرج أولادها، أما وفاتها فكانت في المدينة المنورة عام ١١٠ هـ ^(٢٦).
سكينة بنت الحسين عليها السلام:

ولدت ليلة الخميس في المدينة المنورة الخامس من ربيع الأول عام ٤٢ هـ، حضرت كربلاء مع أشقائها وعادت إلى المدينة، تزوّجت أواخر عام ٦٠ هـ في المدينة المنورة من عبد الله بن الحسن بن علي عليه السلام، وارملت من زوجها في يوم الجمعة في العاشر من محرم الحرام عام ٦١ هـ، ولم تتزوّج بعده ولم تنجب له، توفيت في مكة المكرمة ليلة الثلاثاء في الخامس من ربيع الأول عام ١١٧ هـ ^(٢٧).

رقية بنت الحسين عليه السلام:

ولدت في المدينة في أواخر عام ٥٧هـ، حضرت كربلاء، وكانت من ضمن سبايا آل محمد عليه السلام، وتوفيت في دمشق ليلة الثلاثاء في السادس من صفر عام ٦١هـ (٢٨).

عبد الله بن الحسين عليه السلام:

اختلفت المصادر عن تاريخ ولادته، منهم من قال أنه ولد في شهر رجب الأصب عام ٦٠هـ، ومنهم من ذكر ولادته كانت في العاشر من محرم الحرام عام ٦١هـ، إلا أن المصادر اتفقت على تاريخ استشهاده في العاشر من محرم الحرام عام ٦١هـ في واقعة الطف (٢٩).

وكانت للسيدة الرباب بنت امرئ القيس مكانة عظيمة لدى الإمام الحسين بن علي عليه السلام، إذ أحبها الإمام عليه السلام حباً شديداً (٣٠)، وكان معجباً ويقول فيها الشعر، وكان مما قاله فيها وبنته سكينه:

لعمرك إنني لا حب داراً
تحل بها سكينه والرباب
أحبها وأبذل جل مالي
وليس لعاتب عندي عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً
حياتي أو يغيبني التراب (٣١).
وأورد أيضاً للإمام الحسين عليه السلام فيها:
أحب لحبها زيدا جميعاً
ونتلة كلها وبني الرباب
أخوالاً لها من آل لام
أحبهم وطربني جناب (٣٢).

وكان الإمام الحسين عليه السلام يجلبها كما هو شأنه مع أهل الفضل والإيمان، وقد وجد فيها الطيبة والطهارة والإيمان الصادق، وربما شكك البعض في صدور مثل هذه الأبيات منه عليه السلام، مع ان إظهار حبه عليه السلام الصادق والبريء لزوجته وابنته لا ينافي مقامه، بل المؤمن مأمور بإظهار حبه لزوجته فقد أوردنا بعض الأحاديث منها قول الرسول ﷺ: «من أخلاق الأنبياء حب النساء»^(٣٣)، وقال عليه السلام: «أحب من دنياكم الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة»^(٣٤). ومن هنا نلاحظ ان الرسول الكريم ﷺ جعل حب النساء من صفات وأخلاق الأنبياء تارة، وتارة أخرى قارن حبَّ النساء بحبه للصلاة. تمتعت السيدة الرباب بنت امرؤ القيس بمكانة عظيمة في نفس الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما لمسناه من خلال الأبيات الشعرية أعلاه، والتي تبين مدى حب الإمام الحسين عليه السلام لزوجته السيدة الرباب، ولعل السبب في ذلك لما تميزت به السيدة الرباب من الصفات المتمثلة بالأدب ورجحان العقل والجمال.

ثالثاً: دور السيدة الرباب في واقعة الطف:

تعد السيدة الرباب من النسوة اللواتي رافقن الإمام الحسين من المدينة المنورة إلى كربلاء المقدسة، إذ ذكر لنا التاريخ اثنتان من زوجات الإمام الحسين عليه السلام اللاتي رافقنه وصحبته في واقعة الطف وهما: السيدة الرباب والسيدة ليلى الثقفية^(٣٥).

وكانت السيدة الرباب قد رافقت زوجها الإمام الحسين عليه السلام ومعها

ابتهاهما سكينه ورقية إلى معركة الطف، بينما ظلت فاطمة في المدينة عند أم سلمه لوعكة صحية أصابتها^(٣٦)، وهذا ما ذكره ابن الأثير في كتابه: «وكان مع الحسين امرأته الرباب بنت امرؤ القيس وهي أم ابنته سكينه»^(٣٧).

وهكذا نلاحظ أن السيدة الرباب رافقت الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة مروراً بمكة المكرمة، وكانت شاهدة على الأحداث والمصائب التي مرَّ بها الإمام الحسين عليه السلام التي أدَّت به إلى تغيير وجه الركب من الكوفة إلى كربلاء المقدسة، وما لاقاه الأطفال والنساء من العطش خلال استقرار الركب الحسيني في أرض كربلاء.

وأمت السيدة الرباب في مخيم النساء في ليلة العاشر من محرم الحرام مع السيدة زينب وبقية العقائل الكرييات من آل هاشم، وطال عليهن الليل وهن يتذاكرن، ويتوقعن ما سيكون^(٣٨).

وفي صبيحة يوم العاشر من المحرم الحرام، عاشت السيدة الرباب أعظم مصيبة على مر التاريخ، إذ كانت شاهدة على مصرع أصحاب الإمام الحسين وإخوته وأبنائه وأبناء إخوته^(٣٩)، ولم يبق معه سوى النساء والأطفال^(٤٠).

كما إنها كانت شاهدة على مأساة مقتل طفلها الرضيع عبد الله وهو في شهره السادس، إذ تجرأ أحد القساة وهو حرملة بن الكاهل الأسدي (عليه لعنة الله) على ضربه بسهم فقتله بين يدي والده الإمام الحسين عليه السلام، فكان قتله لا لشيء إلاً حقداً على البيت النبوي؛ لأن هذا الطفل لا يشكل

خطراً على الجيش الأموي ولم يقاتل هؤلاء وليس له ذنب يقتل به، إلا أن هؤلاء أرادوا أن يمعنوا قتلاً في أسرة النبي ﷺ^(٤١).

واللافت في هذه الحادثة أن الإمام الحسين ﷺ سلم ابنه عبد الله الرضيع بعد مقتله إلى عمته السيدة زينب عليها السلام^(٤٢)، وذلك مراعاة لشعور السيدة الرباب، وخوفاً عليها وذلك لعدم تقبل أي امرأة في أن ترى ابنها مقتول أمام عينيها.

ولقد عرفت السيدة الرباب بنت امرؤ القيس بوفائها للإمام الحسين ﷺ وعظم صبرها على فقده وفقد ولدها الرضيع الذي ذبح من الوريد إلى الوريد، حتى سجل موقفها وصبرها أعظم الصور الإنسانية ودروساً في التضحية والثبات من اجل المبدأ^(٤٣).

وقد تلت هذا الموقف موقف فجع قلبها وأدماه وهو ساعة الوداع مع الإمام الحسين ﷺ، إذ قال الإمام ﷺ لها ولبنات الوحي مودعاً: «استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله حافظكم وحاميكم وسينجيكم من شر الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب أعدائكم بأنواع البلاء، ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم»، ثم أمرهن بلبس أزهرن ومقانعهن، فسألته أخته زينب عليها السلام عن ذلك فقال: «كأني عن قريب، كالإماء والعبيد، يسوقونكم أمام الركاب، ويسومونكم سوء العذاب»^(٤٤). موضحاً لهن عن سرعة أو قرب التحاقه بركب الشهداء.

وقد عدها الإمام الحسين عليه السلام من الموصي بهن مع السيدة زينب وأم كلثوم وفاطمة، فقد نقل السيد ابن طاووس: فعزى الحسين أم كلثوم، وقال لها: «يا أختاه! تعزي بعزاء الله فإن سكان السموات يفنون وأهل البيت كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون». ثم قال: «يا أختاه، يا أم كلثوم! وأنت يا زينب! وأنت يا فاطمة! وأنت يا رباب! إذا أنا قتلت فلا تشقن علي جيئاً، ولا تخمشن علي وجهاً، ولا تقلن هجرأً» (٤٥).

ومن اشد المواقف الفاجعة التي ألمت بقلب السيدة الرباب هو موقفها عند مشاهدتها لمقتل الإمام الحسين عليه السلام (٤٦)، إذ عد هذا الأمر من الأمور العظيمة التي شهدتها السيدة الرباب لما له مساس بمعتقداتها المتمثل أنه إمام زمانها، وبحياتها المتمثل بزوجها.

تعرضت السيدة الرباب مع حرائر بيت النبوة إلى السبي من قبل الجيش الأموي بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وحملت إلى الشام (٤٧)، ولم نلمس خلال مدة مسيرة سبايا ال محمد من الكوفة إلى الشام إلى أي خطبة أو موقف كلامي للسيدة الرباب ولعل يعود سبب ذلك إلى قلة المصادر التاريخية التي تطرقت إلى حياتها الشريفة، أو لعل أمر خاص بالشرع الاسلامي المتمثل بالعدة أو حدادها على زوجها الإمام الحسين عليه السلام.

إلا أنها لها مواقف أخرى تمثلت برثائها على الإمام الحسين عليه السلام، ذكر السيد المقرم ان ابن زياد دعا سبايا ال محمد عليه السلام، فلما ادخلوا عليه رأين

النسوة رأس الحسين عليه السلام بين يديه، والأنوار البهية تتصاعد من أساريره إلى عنان السماء، فلم تتمالك الرباب زوجة الحسين عليه السلام دون ان وقعت عليه تقبله، وقالت في رثائه:

إن الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحاً عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويؤوي إليه كل مسكين
تالله لا ابتغي صهراً بصهركم حتى أوسد بين اللحد والطين^(٤٨)
للمتأمل في هذه الأبيات الشعرية إلا ان يدعن أن وراءه قلباً ملئ
إيماناً لما احتواه من مفردات تدل على معرفة حقيقة بمكانة المعصوم، فمتى
ما دققنا في هذه الأبيات وجدناها ملئت بالمفردات والقيم الإسلامية التي
تعكس شخصية هذه المرأة العظيمة: (سبط النبي، خسران الموازين، الرحم
والدين، اليتامى، السائلين، مسكين)^(٤٩). ومن هنا نلاحظ مدى تأثر السيدة
الرباب بهذا المصاب الجلل.

ومن المواقف الأخرى التي مثلتها شخصيتها من خلال ندبتها
للإمام الحسين عليه السلام ورثائها له، بقولها:

واحسينا فلا نسيت حسينا أقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء^(٥٠)

ومن هذه الأبيات الشعرية نستطيع القول أن السيدة الرباب كانت

شديدة التأثير على هذا الفراق، كما أنها من جانب آخر حاولت أو أنها بينت
مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، وما أصابه من الظلم والقتل في واقعة الطف .
رابعاً: رجوعها إلى المدينة:

للأسف اختلفت المصادر التاريخية في إعطاءنا موقع استقرار السيدة
الرباب بعد واقعة الطف، يذكر بعض المؤرخين انه أقامت بعد استشهاد
الإمام الحسين عليه السلام على قبره عاماً كاملاً، وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً على
الإمام الحسين عليه السلام ^(٥١)، وأما البعض الآخر من المؤرخين يذكر أنها مكثت في
المدينة المنورة، والظاهر من هذه الروايات أنّ السيدة الرباب قد رجعت مع
السيايا إلى المدينة بعد انتهاء مراسيم زيارة الأربعين في العشرين من صفر،
والسبب؛ لأنه لا يليق بالإمام السجاد عليه السلام القبول ببقائها وحيدة في ارض
كربلاء.

وقد روت بعض المصادر عن حالها بعد رجوعها إلى المدينة المنورة
من مأساة الطف، أنّها لم تستظل بظل بل بعثت خلف البناء وطلبت منه ان
يقلع سقف الدار وجلست لا تستظل بظل، لا في صيف أو شتاء حتى ماتت
صلوات الله عليها ^(٥٢).

وأقامت السيدة الرباب مجالس عزاء للإمام الحسين عليه السلام، إذ قال
مصقلة الطحان: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: لما قتل الحسين عليه السلام
أقامت امرأته الكلبيّة عليه مأتماً، وبكت وبكين النساء والخدم، حتّى جفت
دموعهن، وذهبت، فبينما هي كذلك إذا رأّت جارية من جواريتها تبكي،

ودموعها تسيل، فدعتها، فقالت لها: مالك أنت من بيننا تسيل دموعك؟
قالت: «إني لما أصابني الجهد شربت شربة سويق»، فأمرت الرباب بالطعام
والأسوقة، فأكلت، وشربت، وأطعمت، وسقت، وقالت: إنما نريد بذلك
أن نتقوى على البكاء على الحسين عليه السلام ^(٥٣). وهكذا مما تقدم يبدو أن السيدة
الرباب أرادت من هذا العمل هو استمرارها في العزاء على الإمام الحسين
عليه السلام من أجل إبراز مظلوميته.

ينسب إليها هذا البيت:

إلى الحول ثمَّ اسم السلام عليكم ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر ^(٥٤).
ولما استشهد الإمام الحسين خطبت الرباب وألح عليها من بعض
الأشراف، فقالت: ما كنت لاتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم تتزوج ^(٥٥)،
وتوفيت السيدة الرباب بنت امرؤ القيس بعد عام على استشهاد الإمام
الحسين عليه السلام أي عام ٦٢ هـ ^(٥٦).

تراها تعيش كلَّ صور الأذى وفي أجواء الحرب الظالمة تعيش لوعة
أبناء يستغيثون من الظماً وترى ولدها الرضيع مذبوحاً وابتتها تتلوى من
العطش وزوجها الحبيب يجود بنفسه ولا معين، نجد الرباب أنموذجاً سامياً
في الزوجة الحانية التي تقف إلى جوار الزوج حتى بعد استشهاده وتجتر آلام
الفاجعة دون ان يكون لها شكوى فهي المؤمنة بأهداف الحسين الصابرة على
جهاده وعلى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ^(٥٧).

الخاتمة

بعد دراسة شخصية السيدة الرباب أم عبد الله الرضيع عليها السلام تمّ التوصل إلى جملة من الاستنتاجات :

كان لكلّ سيدة من نسوة الطفوف دور متميز متمثلاً في نصرة آل بيت الرسول عليه السلام أو استمرارية حركة الإصلاح الحسيني، وتعد السيدة الرباب من النسوة اللواتي رافقن الإمام الحسين عليه السلام من المدينة المنورة إلى كربلاء، فكانت شاهدة على الأحداث والمصائب التي مرّ بها الإمام الحسين عليه السلام.

كانت للسيدة الرباب بنت امرؤ القيس مكانة عظيمة لدى الإمام الحسين بن علي عليه السلام، إذ أحبها الإمام عليه السلام حباً شديداً، لما تميزت به من الصفات المتمثلة بالأدب ورجحان العقل والجمال، كما عاشوا حباً في الله وغيره على الدين والأمة فحسماً موقفهما في الطف عندما اجتمعوا على مواجهة الباطل في موقف من أعظم المواقف التي لا يمكن أن تطمسه أقلام الجاهلية .

عاشت الرباب مصيبة ما أعظمها من مصيبة لقد أظهرت الرباب قمة حزنها وعظيم مصابها وهي تتلقى كلّ لحظة أخبار مصارع الأهل والأحباب رجالاً وشباباً وكهولاً وأطفالاً، مصيبة لا تنسى ووقفت على قبر الإمام الحسين عليه السلام عاماً لا تفارقه، هذه المرأة العظيمة التي أقل ما نذكر عنها أنها فقدت زوجها فكانت اشد المواقف الفاجعة التي ألمت بقلب السيدة الرباب هو موقفها عند مشاهدتها لمقتل الإمام الحسين عليه السلام، وفلذة

كبدها الطفل الرضيع عبد الله عليه السلام، فما أعظم باب حزنها الذي يدمي القلب والعيون. ولها مواقف تمثلت برثائها على الإمام الحسين عليه السلام، وإقامة مجالس عزاء للإمام الحسين عليه السلام، من أجل إبراز مظلوميته، وما أصابه من الظلم والقتل في واقعة الطف، ودليل على مدى تأثر السيدة الرباب بهذا المصاب الجلل.

تعرضت السيدة الرباب مع حرائر بيت النبوة إلى السبي من قبل الجيش الأموي بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام وحملت إلى الشام، وقد رجعت مع السبايا إلى المدينة المنورة بعد انتهاء مراسيم زيارة الأربعين في العشرين من صفر، وكل تلك الأدوار تمثلت في مواصلة النصر الحسينية واستمرارية لنهضة الإمام الحسين عليه السلام.

الهوامش:

- (١) حسين علي الشرهاني، لمحات من مواقف السيدة زينب عليها السلام في واقعة الطف، مجلة تراث كربلاء، مج ٢، العدد ٣، كربلاء، ٢٠١٥، ص ٣٢.
- (٢) كفاح حداد، نساء الطفوف، تقديم: محمد علي الحلو، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء، ٢٠١١، ص ٦١-٦٢.
- (٣) أمل سهيل عبد الحسيني، دور المرأة في الثورة الحسينية.. زينب عليها السلام أنموذجاً، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد ٨، ٢٠١٣، ص ٣٦٩.
- (٤) كفاح حداد، المصدر السابق، ص ٦٩.
- (٥) عبد السلام كاظم الجعفري، زينب الكبرى ودورها في النهضة الحسينية، دار الغدير، قم، ١٣٨٩ هـ، ص ٩٩.
- (٦) حسين علي الشرهاني، المصدر السابق، ص ٣٩-٤٠؛ كفاح حداد، المصدر السابق، ص ٦٩-٨٥.
- (٧) حمدي صالح دلي الجبوري، الجهاد النسوي في واقعة كربلاء.. السيدة دهم (رضوان الله عليها) أنموذجاً، مجلة تراث كربلاء، مج ٣، العدد ٢، كربلاء، ٢٠١٦، ص ٨٠.
- (٨) الرباب بفتح الراء، وجذره من رَبَّ يَرْبُ رَبًّا بمعنى جمع يقال رَبَّ الشيء جمعه، وتربب القوم اجتمعوا، والسحاب يَرْبُّ -بضم الراء المشددة- أي يجمعه ويُنيهه، ومن هنا سمي السحاب بـ«الرَّباب» بالفتح، ويقال: انه السحاب الأبيض، وقيل هو مطلق السحاب، وقيل أيضاً هو السحاب

المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب، وقد يكون أبيض وقد يكون أسود، وفي حديث الرسول ﷺ: انه نظر في الليلة التي اسري به إلى قصر مثل الربابة البيضاء، والربابة هي مؤنث الرباب وهو السحاب الذي قد ركب بعضه بعضاً، وجمعها الرباب، وبها سميت المرأة الرباب. ينظر: محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١، للمركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠٠٩، ص ٢٥٩.

٩)) وقيل عن نسبها (عليه السلام): هي الرباب بنت امرؤ القيس بن جابر بن كعب بن علي بن وبرة بن ثعلبة بن عمران بن الحاف بن قضاعة. ينظر: أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق برهان عباس وإبراهيم وبكر، ج ١٦، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ١٣٩.

١٠)) محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، مؤسسة ال البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، لندن، ١٩٩٢، ص ١٣٥.

١١)) محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ج ٨، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٤٧٥؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، حققه: حسن الأمين، ج ٦، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٣، ص ٤٤٩؛ أبي محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، دار المعارف، د.م، ١٩٦٤، ص ١٦٣.

١٢)) أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، دار المعرفة، د.م، ٢٠٠٧،

- ص ٥٩؛ رائد الطريفي، قرة العين في أخبار السيدة سكينة بنت الإمام الحسين
 ﷺ، مؤسسة طيبة لإحياء التراث، قم، ٢٠١٤، ص ١٨.
- ١٣)) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ١٣٩
- ١٤)) أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٩٤.
- ١٥)) محمد صادق محمد الكرباسي، الحسين نسبه ونسله، ج ٣، المركز الحسيني
 للدراسات، لندن، ٢٠١٥، ص ٣٣؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٦،
 ص ٤٤٩.
- ١٦)) محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين الهاشميون،
 ج ١، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠٠٨، ص ١٥٩.
- ١٧)) محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ج ١، مكتبة
 الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٣٤؛ محمد صادق محمد الكرباسي، معجم
 أنصار الحسين الهاشميون، ج ١، ص ١٦٠.
- ١٨)) أبي محمد بن جرير الطبري، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٤؛ محمد
 صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين الهاشميون، ج ١، ص ١٦٠.
- ١٩)) محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١،
 ص ٢٥٩، نصير الخزرجي، أجنحة المعرفة قراءة موضوعية في الموسوعة
 الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠١٤، ص ٨٧.
- ٢٠)) محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين الهاشميون، ج ١،
 ص ١٦١.

٢١)) محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٤٩؛ محمد الحسون وأم علي مشكور، أعلام النساء المؤمنات، ط ٢، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران، ١٣٢١ هـ.ق، ص ٤٠٠؛ زينب بنت علي بن حسين فواز العاملي، معجم أعلام النساء المسمى الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، تحقيق منى محمد زياد الخراط، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٣٣٢.

٢٢)) رائد الطريفي، المصدر السابق، ص ١٨-١٩؛ زينب بنت علي بن حسين فواز العاملي، المصدر السابق، ص ٣٣٢.

٢٣)) نبيل الحسيني، سبايا ال محمد عليه السلام دراسة في تاريخ سبي النساء وعلى إخراج الإمام الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء، وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين عليه السلام، كربلاء، ٢٠١٢، ص ١٢٧-١٢٨؛ محمد حامد محمد، صور من حياة التابعيات، دار العلوم، د.م، ٢٠١٦، ص ٦٥-٦٦؛ محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين الهاشميون، ج ١، ص ١٦٠-١٦١.

٢٤)) عبد الرزاق المقرم، السيدة سكينه ابنة الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ط ٣، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩، ص ١٣٣-١٣٥.

٢٥)) محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١، ص ٢٦٢.

٢٦)) للمزيد من التفاصيل عن حياة السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين، ينظر: علي محمد علي دخيل، أعلام النساء، ط ٣، الدار الإسلامية، لبنان،

١٩٩٣، ص ٣٥٨-٣٩٠؛ محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١، ص ٥٥-٦٤؛ محمد صادق محمد الكرباسي، الحسين نسبه ونسله، ج ٣، ص ٣٤.

٢٧)) للمزيد من التفاصيل عن حياة السيدة سكينه بنت الإمام الحسين، ينظر: رائد أمير عبد الله، تراجم شهيرات النساء لأبي الحسن علي المألقي سكينه بنت الحسين أنموذجاً- دراسة وتحقيق، مجلة كلية العلوم الإسلامية، مج ٥، العدد ١٠، الموصل، ٢٠١١؛ رائد الطريفي، المصدر السابق؛ زينب بنت علي بن حسين فواز العاملي، المصدر السابق، ص ٤٠٢-٤٠٩؛ محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١، ص ٣٥؛ محمد صادق محمد الكرباسي، الحسين نسبه ونسله، ج ٣، ص ٣٣.

٢٨)) للمزيد من التفاصيل عن حياة السيدة رقية بنت الإمام الحسين، ينظر: علي البرباني الخلخالي، السيدة الرقية بنت الإمام الحسين، انتشارات مكتب الحسين (عليه السلام)، قم، ٢٠٠٤؛ محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١، ص ٢٦٨-٢٨٦؛ محمد صادق محمد الكرباسي، الحسين نسبه ونسله، ج ٣، ص ٣٨.

٢٩)) للمزيد من التفاصيل عن عبد الله بن الحسين (عليه السلام)، ينظر: علي كسار غدير الغزالي، شهداء ال أبي طالب (عليه السلام) في واقعة الطف، مجلة تراث كربلاء، مج ١، العدد ١، كربلاء، ٢٠١٤، ص ١٣٠-١٣١؛ محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين الهاشميون، ج ٢، ص ٢١٠-٢٢٦؛ محمد

- صاااق مام الكراباسى؁ الءسفن نسبه ونسله؁ ء؁ ص ٣٢.
- ((٣٠)) مام الءسون وأم على مشكور؁ المصاار السابق؁ ص ٤٠٠-٤٠١؛ مام ءاما مام؁ المصاار السابق؁ ص ٦٦.
- ((٣١)) أبى الفراء الأصفهانى؁ الأغانى؁ ء٦؁ ص ١٣٩؛ مامن الأمفن؁ المصاار السابق؁ ء٦؁ ص ٤٤٩؛ معاه الأءقفاء باقر العلوم؁ موسوعة كالماء الإمام الءسفن ؓ؁ ط٣؁ اار المءروف للطاءعة والنشر؁ قم؁ ١٤١٥هـ؁ ص ٨٢٥.
- ((٣٢)) اءما بن فمبى البلاءرى؁ ءمل من انساب الإشراف؁ أءقفق: سهفل زكار ورفاض الزركلى؁ ء٢؁ اار الفكر؁ بفرو؁ ١٩٩٦؁ ص ١٩٦؛ مامن الأمفن؁ المصاار السابق؁ ء٦؁ ص ٤٤٩.
- ((٣٣)) مام بن الءسن الءر العاملى؁ وسائل الشفعة إلى أءصفل مسائل الشرفعة؁ ء١٤؁ مكمبة الإسلامفة؁ طهران؁ ١٩٧٧؁ ص ٩؛ مام صاااق مام الكراباسى؁ مععم أنصار الءسفن النساء؁ ء١؁ ص ٧١.
- ((٣٤)) مام صاااق مام الكراباسى؁ مععم أنصار الءسفن النساء؁ ء١؁ ص ٧١.
- ((٣٥)) لفل الأقففة: وهى أم على الأكبر شهفء كربلاء؁ وهى امرأة كبفرة المنزلة؁ عالفة المقام؁ رففعة الشرف اغآرفف من أهلها آلقاً وأءباً ومآبة لأهل البفء ؓ؁ فأبوها أول من اسآءاب لءعوة رسول الله ؓ من أهل الطائف؁ شهفء واقعة الطف مع زوجها الإمام الشهفء؁ كذلك شهافة ولءها على

الأكبر صابرة محتسبة. ينظر: أمل سهيل عبد الحسيني، المصدر السابق، ص ٣٨٠.

((٣٦)) محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١، ص ٢٦٤؛ محمد جعفر الطيبي، وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، ج ٥، مركز الدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢٤هـ، ص ١٠٢-١٠٣.

((٣٧)) أمل سهيل عبد الحسيني، المصدر السابق، ص ٣٨٠.

((٣٨)) عائشة عبد الرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة (رضي الله عنهن)، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٨٦١.

((٣٩)) للمزيد من الاطلاع على الكتب التي تتناول أحداث يوم العاشر من المحرم، ينظر: محمد تقى ال بحر العلوم، مقتل الحسين أو واقعة الطف، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ١٩٨٥؛ عبد الرزاق الموسوي المكرم، مقتل الحسين عليه السلام، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ٢٠٠٣.

((٤٠)) حسين علي الشرهاني، المصدر السابق، ص ٤٨.

((٤١)) علي بن موسى بن طاووس، مقتل الحسين المسمى بالملهوف في قتلى الطفوف، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣، ص ٦٩؛ محمد جليل الكروي القيسي، انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد ٩، كربلاء، ٢٠١٥، ص ١٢٧؛ حسين علي الشرهاني، المصدر السابق، ص ٤٧-٤٨.

- ٤٢)) جواد شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ج ١، بيروت، ١٩٨٨، ص ٦٢-٦٣؛ علي كسار غدير الغزالي، المصدر السابق، ص ١٣٢.
- ٤٣)) نبيل الحسني، المصدر السابق، ص ١٢٩.
- ٤٤)) معهد تحقيقات باقر العلوم، المصدر السابق، ص ٤٩١.
- ٤٥)) علي بن موسى بن طاووس، المصدر السابق، ص ٥٠؛ معهد تحقيقات باقر العلوم، المصدر السابق، ص ٤٩٢-٤٩٣.
- ٤٦)) علي بن موسى بن طاووس، المصدر السابق، ص ٧٢-٨٦.
- ٤٧)) علي بن محمد ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ج ٣، دار الكتب العلمية، د. م، ١٩٨٧، ص ٣٠٠؛ محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٤٩.
- ٤٨)) محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٤٩؛ كفاح حداد، المصدر السابق، ص ١٥١؛ محمد جعفر الطوسي، المصدر السابق، ص ١٢٨.
- ٤٩)) محمد الحسون وأم علي مشكور، المصدر السابق، ص ٤٠١-٤٠٢.
- ٥٠)) محمد الحسون وأم علي مشكور، المصدر السابق، ص ٤٠٢؛ محمد جعفر الطوسي، المصدر السابق، ص ١٢٩.
- ٥١)) علي بن محمد ابن الأثير الجزري، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٨؛ إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٢٩.

٥٢)) نبيل الحسني، المصدر السابق، ص ١٢٩؛ عائشة عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٧٨٣.

٥٣)) جواد شبر، المصدر السابق، ص ٦٢.

٥٤)) إسماعيل بن عمر بن كثير، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٢٩.

٥٥)) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ١٦، ص ١٤٠-١٤١؛ جواد شبر،

المصدر السابق، ص ٦٢؛ محمد حامد محمد، المصدر السابق، ص ٦٦.

٥٦)) محسن الأمين، المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٤٩؛ جواد شبر، المصدر

السابق، ص ٦١.

٥٧)) كفاح حداد، المصدر السابق، ص ٢١٥.

قائمة المصادر:

أولاً: المصادر:

- * أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق برهان عباس وإبراهيم وبكر، ج ١٦، دار صادر، بيروت، د.ت.
- * أبي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، دار المعرفة، د.م، ٢٠٠٧.
- * أبي محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، دار المعارف، د.م، ١٩٦٤.
- * احمد بن يحيى البلاذري، جمل من انساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، ج ٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦.
- * إساعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠.
- * علي بن محمد ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، ج ٣، دار الكتب العلمية، د.م، ١٩٨٧.
- * علي بن موسى بن طاووس، مقتل الحسين المسمى بالملهوف في قتل الطفوف، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٣.
- * محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٤، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٩٧٧.
- * محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ج ١ و ج ٨، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١.
- * محسن الأمين، أعيان الشيعة، حققه: حسن الأمين، ج ٦، دار التعارف، بيروت، ١٩٨٣.
- * محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، مؤسسة ال البيت لإحياء التراث، لندن، ١٩٩٢.
- ثانياً: المراجع:
- * عبد السلام كاظم الجعفري، زينب الكبرى ودورها في النهضة الحسينية، دار الغدير، قم، ١٣٨٩ هـ.

- * جواد شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر، ج ١، بيروت، ١٩٨٨.
- * رائد الطريفي، قرة العين في أخبار السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام، مؤسسة طيبة لإحياء التراث، قم، ٢٠١٤.
- * رائد أمير عبد الله، تراجم شهيرات النساء لأبي الحسن علي الملقب بسكينة بنت الحسين أنموذجاً- دراسة وتحقيق، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الخامس، العدد العاشر، الموصل، ٢٠١١.
- * زينب بنت علي بن حسين فواز العاملي، معجم أعلام النساء المسمى الدر المنثور في طبقات ربوات الخدور، تحقيق منى محمد زياد الخراط، مؤسسة الريان، بيروت، ٢٠٠٠.
- * عائشة عبد الرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة (رضي الله عنهن)، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٧.
- * عبد الرزاق المقرم، السيدة سكينة ابنة الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ط ٣، مطبعة القضاء، النجف، ١٩٥٩.
- * عبد الرزاق الموسوي المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، د. م، ٢٠٠٣.
- * علي البرباني الخلخالي، السيدة الرقية بنت الإمام الحسين، انتشارات مكتب الحسين عليه السلام، قم، ٢٠٠٤.
- * علي محمد علي دخيل، أعلام النساء، ط ٣، الدار الإسلامية، لبنان، ١٩٩٣.
- * كفاح حداد، نساء الطفوف، تقديم: محمد علي الحلو، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء، ٢٠١١.
- * محمد الحسون وأم علي مشكور، أعلام النساء المؤمنات، ط ٢، دار الأسوة للطباعة والنشر، طهران، ١٣٢١ هـ.ق.
- * محمد تقي ال بحر العلوم، مقتل الحسين أو واقعة الطف، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، د. م، ١٩٨٥.

- * محمد جعفر الطبسي، وقائع الطريق من كربلاء إلى الشام مع الركب الحسيني من المدينة إلى المدينة، ج ٥، مركز الدراسات الإسلامية، قم، ١٤٢٤هـ.
- * محمد جليل الكروي القيسي، انتهاك حقوق المرأة والطفل في واقعة عاشوراء، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد التاسع، كربلاء، ٢٠١٥.
- * محمد حامد محمد، صور من حياة التابعيات، دار العلوم، د.م، ٢٠١٦.
- * محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين الهاشميون، ج ١، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠٠٨.
- * محمد صادق محمد الكرباسي، الحسين نسبه ونسله، الجزء ٣، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠١٥.
- * محمد صادق محمد الكرباسي، معجم أنصار الحسين النساء، ج ١، للمركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠٠٩.
- * معهد التحقيقات باقر العلوم، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، ط ٣، دار المعروف للطباعة والنشر، قم، ١٤١٥هـ.
- * نبيل الحسيني، سبايا ال محمد (عليه السلام) دراسة في تاريخ سبي النساء وعلى إخراج الإمام الحسين (عليه السلام) عياله إلى كربلاء، وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين (عليه السلام)، كربلاء، ٢٠١٢.
- * نصير الخزرجي، أجنحة المعرفة قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية، المركز الحسيني للدراسات، لندن، ٢٠١٤.
- * ثالثاً: المجالات الأكاديمية:
- * أمل سهيل عبد الحسيني، دور المرأة في الثورة الحسينية.. زينب (عليها السلام) أنموذجاً، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، العدد ٨، ٢٠١٣.
- * حسين علي الشرهاني، لمحات من مواقف السيدة زينب (عليها السلام) في واقعة الطف، مجلة تراث كربلاء، مج ٢، العدد ٣، كربلاء، ٢٠١٥.
- * حمدي صالح دلي الجبوري، الجهاد النسوي في واقعة كربلاء.. السيدة دهم (رضوان الله

عليها) أنموذجاً، مجلة تراث كربلاء، مج ٣، العدد ٢، كربلاء، ٢٠١٦.
* علي كسار غدير الغزالي، شهداء ال أبي طالب عليه السلام في واقعة الطف، مجلة تراث كربلاء،
المجلد الأول، العدد الأول، كربلاء، ٢٠١٤.

القيادة الزينية تخطيط إلهي وتنفيذ حسيني

خديجة فاضل حسين الشلاه/العراق-كربلاء المقدسة

على باب زينب عليها السلام:

قبل الدخول إلى محراب القداسة العاشورائية لا بد لنا من الوقوف على باب زينب عليها السلام لنعرف لماذا اختار الحسين عليه السلام زينب عليها السلام دون سواها للاضطلاع بهذه المسؤولية العظيمة؟، لا بد أنها امتازت بما يجعلها أهلاً لهذا التكريم فهي الصديقة الصغرى، فالصديقة التي يصدق عملها قولها واعتقادها والصغرى إجلالاً لأمها الصديقة الكبرى، وهي المعصومة بالعصمة الصغرى وهي العصمة الافعالية التي هي في قبال العصمة الذاتية الكبرى (حيث يعصمهم -يمنعهم- الله من كل شين ونقص وذنوب وخطأ ونسيان وحتى ترك الأولى في النبي محمد وآله الطاهرين -عليهم السلام- وذلك باختبار وامتحان منه -سبحانه- في العوالم السابقة، فأعطاهم الله العصمة)، فالعصمة الصغرى التي عند السيدة زينب وأمثال السيدة زينب عليها السلام الذين تربوا في أحضان النبوة والإمامة عصمة أفعالية، أي لم يرتكبوا الذنب في أفعالهم من حين ولادتهم وحتى حين وفاتهم، فعصمتهم هذه تسمى بالعصمة الأفعالية أو الكسبية وإنها الجزئية وليست عصمة ذاتية فلا تجب عليهم عقلاً؛ لأنَّ العصمة الذاتية مختصة

بالأنبياء والأئمة وفاطمة عليها السلام ^(١).

وهي العالمة غير المعلمة، والفهمة غير المفهمة بكل ما تعنيه هذه العبارة من امتلاك العلم ألدني الذي لا يهبه الله إلا للخلص من عباده، حفيدة الرسول وابنة أمير المؤمنين وابنة الزهراء عليها السلام بكل ما تمثله هذه الثلاثية العظيمة من قمة في الإيمان والصبر والجهاد ومحاسن الأخلاق التي أتمها الرسول الأكرم عليه السلام.

١ النوران الزهراء والخوراء-عليهما السلام- ص١٨٨-١٨٩.

مقدمة :

عادة ما تسير الأمور على ما هي عليه بشكل رتيب ومظاهر متكررة حتى يصل الأمر إلى المنعطفات الشديدة فيبرز الأبطال وتتحدد مسارات هكذا هي سنة الله-تعالى- في أرضه كان يبعث الأنبياء، ويشد عضدهم حتى إذا تعقدت المسارات واشتدت المعضلات أوحى الله-تعالى- إلى رسوله ان يشرك في الرسالة سيدة من سيدات الحق.

هكذا كان الأمر منذ بدء الخلق بآدم عليه السلام والسيدة حواء ثم استمر ليمر بفضليات من النساء فهذه ام موسى عليها السلام ثم اخته كلثم ثم زوجة فرعون آسية بنت مزاحم هكذا اجتمعت هذه النسوة لحفظ الرسالة الموسوية من اعنى الفراعنة .

ثم كانت مريم عليها السلام ام النبي عيسى عليه السلام والسند الاعظم لرسالته . . . ثم كان الاسلام، فكانت خديجة بنت خويلد عليها السلام التي لولا ماها وسيف علي عليه السلام ما قام الاسلام كما بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم كانت الانعطافة الاقوى بعد وفاة رسول الله و كانت الزهراء عليها السلام هي التي وقفت وواجهت الانحراف الى جانب امير المؤمنين ولم تكن عليها السلام مجرد أم للإمامة أو بنت للرسالة بل كانت أم النبوة وعضد الامامة ووعاءها، وكانت القائد المجلل والقول الفصل في ايضاح ما أرساه الرسول، وأراد المرتدون طمسه واخفائه ولم ترحل الزهراء عليها السلام حتى انجبت لبوة كاسرة كانت قائداً مناوياً مع الحسين بترية محمدية علوية حسنية حسينية، وهنا وقف الدهر عاجزاً أمام ما سطرته

الحوراء من اسس للقيادة الاسلامية، فالقيادة الزبينية كانت نوعاً جديداً
خاصاً حملت فيه السيدة مسؤولية قافلة من الايتام والشواكل بصحبة الامام
العليل الذي لا يقوى على الحركة، قادت الحوراء هذا الركب الدامي الفؤاد
لتخلق جبهة من الناطقين الثائرين ليقفوا بوجه العتاة، ويوضحوا الحقائق
المعميات .

لقد استطاعت الحوراء بماملكته من سمات الشجاعة والفصاحة
والصبر والعلم والحلم والكرم وقبل ذلك الإيمان الحق أن تحول ركاب
النفوس الى جدار من الصلابة، وروح خلاقة جعلت اليتيمة خطيباً مفوهاً
وأحالت الخسائر الى نصر مستمر على كروور الدهور .

توطئة :

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهو القائد الإلهي للركب الحسيني، الذي خرج للإصلاح من مدينة رسول الله وواجه العدو في كربلاء ورسم أروع لوحات البطولة والإيثار والإباء، انتقلت قيادة هذا الركب الى الحوراء عليهن السلام مع وجود المعصوم الإمام زين العابدين عليه السلام ضمن الركب، وقد تغير هدف الركب من مواجهة العدو بقوة السلاح الى كشف أساليبه وفضحه بالقول والفعل .

وهنا نحاول أن نطبّق على الحوراء عليهن السلام صفات القائد، إذا علمنا أنّ العلم الحديث في علوم تنمية القدرات وتطوير الذات يعرف القيادة على أنّها (عملية الهام الأفراد ليقدموا أفضل ما لديهم لتحقيق النتائج المرجوة، وهي تتعلق بتوجيه الأفراد للتحرك بالاتجاه السليم والحصول على التزامهم، وتحفيزهم لتحقيق الهدف، أو هي مسؤولية القائد تجاه مجموعة من الأفراد، يهدف الى إنجاز متطلبات معينة من خلال التأثير في سلوكهم وهيكلتهم).^(١)

ويعرّف القائد على أنّه ذلك الشخص الذي يستخدم نفوذه وقوّته وكل ما أوتي من سلطان ليؤثر في سلوك واتجاهات الأفراد بغية إنجاز أهداف محددة .

لقد كان هدف الركب الحسيني الإصلاح كما نص على ذلك الإمام الحسين عليه السلام حين قال:

١ الناس هم الأساس/ رون ولينجهام.

كان هذا هو هدف الحسين عليه السلام القائد الإلهي الذي نص عليه النبي صلى الله عليه وآله بإيجاء منه تعالى .

لقد استلمت سيدتنا الحوراء عليها السلام مسؤولية هذا الركب بعد أن قطع شوطه الأوّل وختمه بالدم .

صفات القائد:

كانت عليها السلام القائد المتمتع بكل صفات القائد الناجح كما يوضحها علماء اليوم (حيث يذكر رون ويلنجهام) في مقالة (الناس هم الأساس)، أن صفات القائد تتمثل في:

-امتلاك قدر من الطاقة العصبية والبدنية يفوق ما يتمتع به الفرد العادي، فالقيادة عمل شاق يتطلب عملاً دؤوباً.

تميزت السيدة زينب عليها السلام بسعة الصدر والقدرة البدنية العالية؛ فقد عملت بجد في جمع الأطفال والنساء وإبعادهم عن نار الخيام وحوافر الخيل من ظهر عاشوراء حتى انتهاء مراحل السّبي، كما رعت الإمام السجاد إمام زمانها العليل .

-القدرة على رؤية وبلورة الهدف الجماعي مما يوحى للآخرين باتباع رؤيته حتى ولو كان غائباً وهو ما يستدعي قدرة نادرة في الخطابة والبلاغة والتعبير عن الأفكار :

وقد مثلت الحوراء عليها السلام الخطيب المفوه، والقائد القادر على بلورة

فكرته وجمع الناس عليها، ليس فقط الموالين بل وحتى المخالفين .

-الثقة المتبادلة بين القائد والأتباع وهو ما يتطلب وجود نوع من

الألفة والعلاقة طويلة الأجل بين القائد والأتباع :

كانت العلاقة بين السيدة زينب عليها السلام ومن كلفت مسؤولية قيادتهم قيادة من نوع خاصٍّ للرمزية النبوية وامتداد الإمامة الذي كانت تمثله عليها السلام أفضل تمثيل .

-جاذبية شخصية، وهو ما أطلق عليه ماكس فايبر(الكاريزما):

امتلكت الحوراء عليها السلام جاذبية شخصية جللتها من ستار العفة حللا، ومن لباس الكرامة كللا، وقد شددت الأتباع إليها بعظيم خلقها، وشدة ورعها، وقوة تأثيرها النابع من قوة شخصيتها وحكمتها وعلمها وفصاحتها وقوة حجتها ومنطقها.

إنَّها عليها السلام كانت تمتاز بعدة سمات نفسية أهلتها لذلك .

مدخل:

{ورد في رد آيات العرش :

(وزينة العرش الإلهي علي بن أبي طالب)

(وزينة اللوح المحفوظ زينب).^(١) }

قبل أن نأخذ دور السيدة زينب كقائد للركب الحسيني بعد استشهاد

الحسين عليه السلام لا بد أن نقف على أعتاب شخصيتها عليها السلام لنحدّد بعض أطرها علناً

١ النوران ص ١٤٨ .

نقترب من مصدر النور فنقتبس بعضاً من الإشراق:

السيدة زينب عليها السلام وليدة البيت العلوي، وربيبه النهج المحمّدي،
وقرينة الكرم الحسيني والإباء الحسيني .

لقد ورثت عليها السلام من مقومات الشخصية كل المحاسن (فهي مجمع
الفضائل الكسائية، فقد كانت عليها السلام تمثل ذلك البعد وتلك الرمزية والهالة
الإلهية للخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، ولعلَّ
هذا ما جعل بني أمية يخافون زينب عليها السلام حتى أنّهم نفوها من المدينة ومنعوا
إقامتها في أيّ من الحواضر الإسلامية حتى وفاتها عليها السلام أو لعله استشهادها عليها السلام.
في علم تطوير الذات والتنمية البشرية يقولون أنّ القائد يستمد قوّته من
أربعة مصادر:

{ الوراثة، العلاقات العامة، الخبرة التقنية والمعرفة العلمية، القدوة السلوكية
والأخلاقية }.

لقد استفادت السيدة زينب عليها السلام من جميع هذه المصادر أفضل استفادة

فهي:

-ورثة الزهراء (سيدة نساء العالمين) بكل ما تعني خصائص
السيادة الفاطمية التي أوضحها رسول الله صلى الله عليه وآله وهجت بها ألسن المتحدثين
{لقد كانت الزهراء عليها السلام القائد الأوّل الذي واجه انحراف الدين بعد الرسول
على الأشهاد، وأعلن بقوة الحجة والمنطق، وبدلائل إحقاق الحق جميعاً
الثورة على ذلك الانحراف حتى وصل الى مرحلة تحشيد الجموع المسلمة
ضد المنحرفين} .

وهي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام رجل الإسلام الأول، الذي كان سيف رسول الله -صلى الله عليه وآله- في إقامة الدين، ذلك البطل الكرار غير الفرار الذي قدم في سبيل الدين كل أنواع التضحيات منذ حادثة سنه حتى استشهاده بضربة الغدر في مسجد الكوفة.

وهي قبل ذلك ابنة رسول الله خير خلق الله، المعلم الأول والقائد الأعظم الذي نقل العالم من جاهلية ظلماء الى نور الاسلام الحق بكل ما يمتلك هذا القائد من مواصفات قلبت موازين الحكم والقيادة، وأدخلتها مرحلة جديدة تمثلت في ادخال العامل الخلقي في صميم القيادة المؤثرة.

وهي أخت الحسين شجاعةً واباءً وعزةً وعنفوان .

وهي ابنة ابي طالب الذي قال عنه رسول الله -صلى الله عليه وآله- :

(رحم الله عمي ابا طالب لو ولد الناس كلهم لكانوا شجعانا) .

اما في العلاقات العامة :-

فقد امتاز البيت النبوي بأنه البيت المفتوح للقاصي و الداني، للغني

والفقير، لكل سائل و معتر .

بما جعل اصولها عليها السلام في المجتمع أقوى من جذور السادة والكبراء

في عصرها حدَّ أن السلطة خافتها دون سواها، وفتتها دون غيرها؛ لأنها

كانت تمثل بؤرة الضوء المنبعث من أصحاب الكساء عليهم السلام وبريق النبوة ولمعان

الإمامة وسلطة الحق المعتصب، مما جعل تعلق العامة بها تعلق الغريق بقشة

الانقاذ.

أمّا عن المعرفة العلمية والخبرة التقنية : -

وان كان المقصود بالخبرة التقنية الاختصاص في ميدان العمل (الذي يقوده) إلا أنّها عليه السلام كانت واسعة العلم والمعرفة حتّى قال عنها إمام

زمانها الإمام السجاد عليه السلام :

(عالمة غير معلّمة و فهمة غير مفهّمة)^(١).

وقد ورد في ذلك انها كانت ممن حفظ القرآن في سن مبكرة، كما حفظت أحاديث جدها عليه السلام، وهي التي روت خطبة الزهراء عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وخطبتها عليها السلام في نساء الانصار اللواتي جئن لعيادتها في أواخر أيّامها، وقد بهرت أمير المؤمنين عليه السلام من شدة ذكائها،

[فقد قالت له :

أتحننا يا أبتاه ؟)

فأسرع الامام قائلاً: وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي؟!

فأجابته بأدب واحترام : يا أبتاه، إنّ الحَبَّ لله تعالى، والشفقة لنا

[...^(٢)

وكانت المرجع الأعلى للنساء في الكوفة أيام أمير المؤمنين عليه السلام، كما

أنّها كانت تنوب عن الإمام الحسين عليه السلام في حال غيابه في الإجابة عن الأسئلة الشرعية للمسلمين .

إنّ السيدة زينب تلقت دروس التربية الراقية العليا في ذلك البيت

١ الاحتجاج ج ٢ ص ٢٨ .

٢ السيدة زينب رائدة الجهاد في الاسلام ص ٤٨ .

الطاهر، كالعلم - بما في ذلك الفصاحة والبلاغة والإخبار عن المستقبل -
ومعرفة الحياة، وقوة النفس وعزتها والشجاعة والعقل الوافر، والحكمة
الصحيحة في تدبير الأمور، واتخاذها ما يلزم - من مواقف أو قرار - تجاه
ما يحدث بالإضافة إلى إيمانها الوثيق بالله تعالى، وتقواها، وورعها وعفافها
وحياؤها، وهكذا إلى بقية فضائل مكارمها .

-أما بالنسبة للقدوة السلوكية والاخلاقية فقد مثلت ﷺ القدوة
العظمى ليس لنساء عصرها فقط بل وحتى الرجال بما كنت تحمله من
إيمان وتضحية وفداء وشجاعة وصبر ومثابرة في الدفاع عن مشروع الحسين
ﷺ الإلهي الحافظ للدين على امتداد العصور والفاضح لكل قوى الزيغ
والانحراف الأموي فهي المثل الأول في الحجاب والعفاف كما أنّها الشخصية
الأولى في حلبة الخطابة المقارعة لطاغية العصر .

لقد استطاعت إعطاء الانموذج الأمثل للقائد المراعي لكل أفراد
قيادته، المؤمن بقضيته، المستعد للتضحية دونها، فكانت قدوة لمن عاصرها
ولمن مرَّ على سيرتها على مر الزمان .

سمات الشخصية القيادية :

إن للقائد صفاتاً لا بد له من ان يتحلّى بها ليوصف بأنه قائد.
و سنسير مع الركب الحسيني الزينبي؛ لنعلم الصفات من واقع المسير الالهي
لركب السبايا، والقيادة الزينية.

١. الهدوء وضبط النفس :

لقد وقفت الحوراء عليها السلام كمثال لا يقبل التشكيك وصورة ناصعة البيان للقائد المتحلي بضبط النفس والهدوء ولا أدل على ذلك من موقفها عليها السلام ظهر عاشوراء بعد استشهاد الحسين عليه السلام أخيها وقائدها وإمام زمانها وهي زينب الكبرى العالمة بمعنى الإمام والامامة والعارفة بفداحة خسران حجة الله و آخر أهل الكساء عليهم السلام حين جلست عند الجسد المخضب بالدماء المنحور من القفا لتوجه للباري -تعالى- عبارة العرفان الخالدة :

((اللهم تقبل منّا هذا القربان))^(١).

هذه المقولة جعلت الخصم حائراً، ففي الوقت الذي كان يتوقع انكسار أخت الحسين عليها السلام و بكاءها واعوالها وإذا به يصدّم بموقف ابنة علي بن ابي طالب كالجبل الأشم، وإذا به يصعق من قولها !!

وأي ضبطٍ للنفس أسمى وأصلب من هذا الموقف وما تلاه.

لقد عادت من الجسد المقطوع الرأس، المرضوض الصدر بحوافر الخيل؛ لتجمع العيال الذين شردتهم الخيل يميناً وشمالاً.

٢. الإيمان بالمهمة:

لقد حملت السيدة زينب عليها السلام راية الحسين بعد استشهاد الإخوة والأبناء، وقدمت في سبيل ذلك كل ما يمكن أن يقدم انطلاقاً من إيمانها

١- اعلام الهداية ج ٥ ص ٢٠٥ .

بالمهمة الملقاة على عاتقها في حفظ الأيتام، وحفظ المعصوم (بقية آل رسول الله) وحنة الله على الخلائق، وفضح الزيف الأموي وإيضاح ما حصل للمعاصرين وللقدامين ولولاها ومن معها لما وصل صوت الحسين عليه السلام ولا تضحيته، ولا بقيّ للدين من أثر.

كان إيمانها عميقاً بعظم الدور الذي تؤديه كما كان دور جدتها خديجة عليها السلام، ودور أمها الزهراء عليها السلام في أن تكون عوناً لولي الأمر الحجة على العباد في دعم الدين والتضحية في سبيل ذلك بكلّ غالٍ ونفيس (وحتى حين استشهد ولداها محمد وعون لم تبد أي رد فعل بل لم تخرج من خيمتها حتى لا تفقد صبرها عند رؤية أجسادهم المرملة بالدماء؛ احتساباً للأجر والثواب، ولكي لا يراها الإمام الحسين عليه السلام على هذه الحال فيستحي منها)^(١).

٣. الانضباط :

لقد مثلت عليها السلام الانضباط بكلّ معانيه سواء في تحركها مع العائلة أو مع إمام زمانها السجاد عليه السلام بل وحتى مع الطغاة الذين كانوا يؤذونها ومن معها بشتّى أنواع العذاب من ضربٍ بالسياط، وشمّ للأب العظيم، واستهزاءٍ بأل البيت أجمعين .

ونأخذ هنا موقفها حين أحرقت الخيام وهجمت الخيل، جاءت مسرعةً الى إمام زمانها قائلة:

- (يا بقية الماضين وثمان الباقيين قد أضرمو النار في مضاربنا، فما رأيك فينا ؟ .

١ كرامات السيدة زينب عليها السلام / ص ١١٥ .

- فقال عليه السلام: عليكن بالفرار. ^(١)

كان طبيعياً أن يفر الجميع من النار والخيل؛ لكنه الانضباط في السلوك والالتزام العقائدي الذي يجعلها لا تتصرف إلا بأمر إمام الزمان .

٤. التطلع الى الأمام :

كانت الحوراء عليها السلام قائداً عظيماً يعرف ما ستؤول إليه الأحداث، وكانت تتطلع الى المرجو من سببها؛ من فضح للنظام الجائر، وإعلاء لكلمة الدين، وهذا ما أخبرت به الإمام السجاد عليه السلام حين رأته يجود بنفسه بعد أن رأى الأجساد الطاهرة، فأطلقت بشاغرة القائد الظافر؛ لتعلم القادمين والمالكين:

((لا يجزئك ما ترى، فوالله ان ذلك لعهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله الى جدك وأبيك وعمك، وقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة، وهذه الجسوم المضرجة فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياح الضلالة في محوه وتطميمه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً)) ^(٢).

١ زينب الكبرى من المهدي الى اللحد / ص ١٦٦ .

٢ منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل / ص ٥٥٩ .

٥. البداة و المبادرة و أخذ القرار :

كانت الحوراء عليها السلام القائد المبادر، حاضر البديهة، محتم القرار في كلّ مراحل السبي، فقد جمعت العيال بدءاً في خيمة واحدة؛ ليسهل عليها المتابعة و الرعاية (عملاً بوصية الحسين عليه السلام في حفظ العيال)، ثمّ أنّها كانت تبادر بإلقاء الخطب أينما وجدت ذلك مناسباً أو ضرورياً، ولا ننسى التوظيف السياسي لخطاب الحوراء عليها السلام، فها هي تفسد على ابن زياد احتفاله بالانتصار، ولتعلم أهل الكوفة أنهم آل رسول الله صلى الله عليه وآله لا سبايا ترك ولا ديلم كما أرادت الحكومة الظالمة أن توحى الى السواد .

ولتعلم مقترفي الجرم في قتل الحسين عليه السلام سوء عاقبتهم، وقفت مستوفية كلّ شروط القائد الخطيب المصقع علماً من الكبراء تفرغ عن لسان أبيها علي عليه السلام بكلّ مزايا الخطابة العلوية التي خبرها أهل الكوفة :

فقال لهم : (الحمد لله وصلواته على أبي محمد رسول الله و على آله الاخيار .

أما بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر والخذل والمكر، أتبكون؟! فلا رقأت العبرة، ولا هدأت الرنة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً....)^(١).

وهكذا استمرت كالسيل الهادر حتّى أعلمتهم سوء ما فعلوا وغبة ما قدّموا وأعلمتهم موردتهم يوم القيامة، فأدخلت الضمير في دواخل

١ حياة الامام الحسين عليه السلام / ج ٣ / ص ٣٤٣.

نفوسهم وتركتمهم حيارى واضعي أيديهم على أفواههم
ثمّ وقفت عليه السلام وقفها البطولية الشجاعة في مجلس الطاغية عبيد الله
بن زياد، حيث أجابته بكلّ عنفوان وصلابة ورباطة جأش يفتقد إليها كبار
القادة، وعظام الخطباء.

حين قال: الحمد لله ... الذي فضحككم، وأكذب أحدو ثقتكم .

أجابته بنبرة القائد المنتصر:

[(الحمد لله الذي أكرمنا بالنبوة و طهرنا من الرجس تطهيراً، وإنّما يفتضح
الفاجر ويكذب الفاسق، وهو غيرنا يا عدو الله) .

وهذا تعريض بفسقه وفجوره، ثمّ أنّها كانت أشد وأقوى حين أراد بكاءها
بتذكيرها بأهلها الشهداء وعلى رأسهم الحسين عليه السلام قائلاً:

_ كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيته؟

_ فقالت عليها السلام: ما رأيتُ إلاّ جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله لهم القتل فبرزوا الى
مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ، و تحاصم، فانظر لمن الفلج
يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة) [^(١) .

لقد أثارت الطاغية بهدوئها، ورباطة جأشها، وبلغ كلامها،
واهانتها له، وهو المتجبر، وهي الأسيرة (ظاهراً، القائد المنتصر باطناً)،
حتى أنه همّ بضربها .

ومواقف خطابتها عليها السلام في كلّ منازل مسير السبايا كانت خطابات

١ نساء حول الحسين عليه السلام / ص ٣٠ .

توجيه للأمة، وتعبئة على السلطان الجائر، آتت أكلها بعد ذلك ثورات وخروج بالسيف، حتى سقوط الطغاة، وانزمامهم، وقيام دولة بني العباس .

٦. التصرف على مستوى المسؤولية :

لقد كانت الحوراء عليها السلام قائداً متحملاً للمسؤولية مستعداً للتضحية في سبيل هدفه بكلِّ غالٍ ونفيس، ولا أدل على ذلك من موقفها يوم عاشوراء حين أراد عتاة القوم قتل الإمام زين العابدين فاعترضتهم ومنعتهم، وحين كانت تسهر الليل؛ لتحمي العيال، وحين قتل الأمويون سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين -عليهما السلام-، وقتلوا أبناء الحسين، ولم ينج منهم إلا الإمام زين العابدين، والفضل الأول في نجاته من القتل للسيدة زينب عليها السلام، دفعت عنه شمرًا في كربلاء، و ابن زياد في الكوفة، حيث أمر بقتله، فتعلقت به السيدة زينب عليها السلام واعتنقته قائلة:

و الله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه .

فنظر ابن مرجانة إليها ساعة، ثم قال:

(عجباً للرحم ! و الله اني لأظنها ودَّت أني قتلتها معه، دعوه فأني أراه لما به)
-أي يراه مريضاً- [١] .

٦. الشعور بالسلطة:

قد يتبادر الى الذهن أنَّ الشعور بالسلطة هو شعور غير محمود؛ لملازمته التكبر والخيلاء إلاَّ أنَّه لدى القائد، جزء من مقومات

١ الحسين عليه السلام وبطلة كربلاء ص ١٨٨ .

الشخصية القيادية؛ لأن احساس القائد بأن له سلطان يجعله يتصرف من وحي هذا السلطان بتوجيه الافراد، والرد على الخصوم والتحدث باسم المؤسسة التي يمثلها.

وقد كانت ﷺ ذات سلطة واسعة بما أهّلها الإمام الحسين حين جعلها وصية على العيال، بل أن دورها كواسطة بين المعصوم والأمة كان من مقومات هذه السلطنة التي وطدت أسسها التربية العلوية الفاطمية والتوجيه الحسيني الحسيني، حيث كانت تنوب عن الإمام في الرد على اسئلة الشيعة والتصدي لحل مشاكلهم في غياب الإمام الحسين ﷺ.

[قال الشيخ الصدوق : (كانت زينب لها نيابة خاصة عن الحسين ﷺ وكان الناس يرجعون اليها في الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين) (١)] .

و نفس هذه السلطة وظفتها في خدمة الركب كقائد مهيمن على الأحداث، [ففي مجلس يزيد -عليه اللعنة-، حين قال أحد أهل الشام ليزيد -عليه اللعنة- : (هب لي هذه الجارية-يعني فاطمة بنت الإمام الحسين ﷺ - لتكون خادمة عندي)، وسرت الرعدة بجسمها، فأخذت بثياب عمته مستجيرة بها، وانبرت حفيدة الرسول ﷺ فصاحت بالرجل : (كذبت ولؤمت، ما ذلك لك، و لا لأميرك) .

واستشاط يزيد غضباً لعدم مبالاة العقيلة به، واستهانتها بشأنه، فقال لها: (كذبت، إنَّ ذلك لي، ولو شئت لفعلت) .

١ السيدة زينب الصفات والخصائص مقالة محمد المبارك.

فنهزته العقيلة متحدية له قائلة : (كلا و الله، ما جعل لك ذلك، إلا أن
تخرج من ملتنا، وتدين بغير ديننا ...)

وتميز الطاغية غيظاً حيث تحدته العقيلة أمام أشرف أهل الشام فصاح بها:
(إياي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك)، وانبرت العقيلة غير
حافلة بسلطانه، ولا بقدرته على البطش والانتقام فردت عليه بثقة قائلةً : (بدين الله
ودين جدي وأبي وأخي اهتديت انت وابوك ان كنت مسلماً) .

و أزالـت العقيلة بهذا الكلام الستار الذي تستر به يزيد بقتله للحسين وأهل
بيته من أنهم خوارج خرجوا على إمام زمانه، ولم يجد الرجس جواباً فقال وهو مغيب
محنق :

(كذبت يا عدوة الله) .

ولم تجد أخت الحسين جواباً تحسم به مهاترات يزيد غير أن قالت :
(أنت أمير مسلط، تشتم ظالماً وتقهر بسطانك) .

وتهافت غضب الطاغية، وأطرق يزيد، وكرر الشامي هذه المحاولة فصاح

يزيد:

(وهب الله لك حتفاً قاضياً) .

وقد حققت زينب عليها السلام وهي في ضعفها واستكانتها أول نصر حاسم على
الطغاة، وهم في سلطانهم وقوتهم فقد افحمتها المرة بعد المرة، وقد أظهرت للملأ
جهله، كما كشفت عن قلة فقهه في شؤون الدين فإن نساء المسلمين لا يصح مطلقاً
اعتبارهن سبايا، ومعاملتهن معاملة السبي في الحروب) . [^(١)] .

١ سلوازينب عن مصائبها/ ص ٤٦٧ .

٧. الواقعية :

لقد تعرضت الحوراء عليها السلام أثناء قيادتها للركب لكل الأحداث المحزنة والشديدة الوطء فقد كان حملها ثقيلاً، وكانت مهمتها حرجة، كان عليها ان ترعى نساءً، ثواكل، وأطفالاً أيتاماً، وأن توظف كل هذه المعطيات المأساوية بمعية الجوع والعطش والارهاب المسيطر في سبيل نشر أحداث عاشوراء، وتعزية الخط الأموي الحاكم .

استعملت عليها السلام الواقعية المحضة في التواصل مع الجماهير، والمباشرة في طرح الحدث، وحركت الشخص للوصول الى المطلوب.
ولعل من شواهد واقعتها ما قامت به ليلة تاسوعاء حين سألت الحسين عليه السلام عن حال جنده، واستعداداتهم :

[قالت : أخي هل استعلمت من أصحابك نياتهم؛ فأني أخشى أن يُسلموك عند الوثبة، واصطكاك الأسنان !
فبكى الحسين عليه السلام وقال :

أما والله لقد لهزتهم و بلوتهم، و ليس فيهم إلا الأشوس الأقعس
يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه ...]^(١).

١ زينب الكبرى من المهدي الى اللحد / ص ١٢٠ .

٨. التواضع :

لقد كانت السيدة الحوراء عليها السلام متواضعة تماماً في الاختلاط مع النساء الأخريات، والجلوس دون المجلس، والانصهار في بوتقة الإسلام العقائدي في الثلة المؤمنة التي خرجت لنصرة الحسين عليه السلام وفي مراحل السبي بأكملها، وكان من تواضعها جلوسها على الأرض في خرابات السبي، بل أنها قبل ذلك، قبل السبي وهي ابنة أمير المؤمنين لم تكن لتجلس إلا دون المجلس، ولم تكن ممن يتكبر عن مخالطة الناس، وما كانت لترى إن لها شأنًا سوى العبودية لله -تعالى-، وفي بيت زوجها عبد الله بن جعفر الطيار، وكان واسع الثروة عريض الجاه لم تكن تجد في بيتها سوى البساطة، والتواضع، وإقراء الضيف، وإغاثة الملهوف، ومساعدة المسكين والفقير.

٩. العطف و طيبة القلب:

إن هذه الصفة في القائد بصورة عامّة من مقوّمات إنسانية القائد، فالقائد الناجح عادة من يعطي كلّ خصلة إنسانية حقّها فلا يجور لشيء على حساب شيءٍ آخر .

وقد كانت عليها السلام مثلاً يحتذى في عطفها على من معها، وطيبة قلبها، فقد كانت تعطف على الصغار فتطعمهم خبزها، وتبيت جائعة.

وهذا ما زاد في نحوها، وجعلها لا تقوى على الوقوف فصلت صلاة الليل ليلة الحادي عشر.

١٠. احترام الآخرين :

كانت الحوراء عليها السلام تحترم الآخرين انطلافاً من إيمانها العميق، وأخلاقها

الحسنة التامة، وهذا الخلق هو ما يسمى اليوم أيضاً بقبول الآخر، وهو الذي جعل الحوار عليه السلام تحاور هند زوجة يزيد، أو تحاور نساء الكوفة أو من معها في الركب، و كان احترامها للإمام زين العابدين واضحاً جلياً فهي وإن كانت عمته فلم تكن تسبقه بقول، ولا فعل؛ لعلمها أنه الحجة على الخلق.

١١. المعرفة:

من أهم الصفات التي يجب أن يتمتع بها القائد صفة المعرفة على كافة مستوياتها، وخاصة في مجال تخصصه، فإن كان القائد دينياً سياسياً ثائراً و يجب أن تكون هذه المعرفة شاملة للعلم بأمور الدين، والسياسة، وأحوال الرجال و البيئة التي يعيش فيها القائد واتباعه .

وقد كانت الحوار عليه السلام من حاز العلم اللدني، وذلك ما شهد به إمام

زمانها (علي بن الحسين عليه السلام) حين قال لها :

(عمّة انتِ بحمد الله عالمة غير مُعلّمة و فَهْمَةٌ غير مُهْمَةٌ).

وهي من اهل بيتٍ شهد لهم عدوهم يزيد - عليه اللعنة - : (إنهم زقوا

العلم زقاً)^(١).

فهي ممن علم العلوم من الله دون واسطة كما هو حال المخلصين لله

تعالى، قال الامام المهدي -عجل الله تعالى فرجه- :

(من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على

لسانه) ١٨ .

ولما كان العلم نوراً يقذفه الله في القلب، وكانت السيدة زينب من

١ من حياة الامام الحسين عليه السلام ص ٢٨١.

المخلصين لله -تعالى-، حتى لقد أثر عنها قولها عليها السلام : (من أراد أن لا يكون الخلق شفعاؤه الى الله فليحمده، لم تسمع الى قوله سمع الله لمن حمده، فخفف الله لقدرته عليك، و استح منه لقربه منك)^(١).

وقد روت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبيها وروت خطبتي أمها الزهراء عليها السلام كما روت عن أخويها، و كانت عليها السلام باباً من أبواب علم أمير المؤمنين الذي هو باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما ذكرنا سلفاً .

وقد أضيف عدة مؤهلات أخرى لابد للقادة الإسلاميين من

التحلي بها :

١. أن يكونوا علماء، وعارفين بالإسلام .
٢. أن يكونوا علماء وعارفين بالأهداف والفلسفة الأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية للإسلام .
٣. أن يكونوا على معرفة كاملة ب (رؤية الإسلام للحياة) أي رؤية الإسلام عن الوجود، والخلق، والخالق، والمبدأ، والمصير، ونظرة الإسلام الى الانسان والمجتمع الإنساني.
٤. أن يستوعبوا الأيديولوجية الإسلامية استيعاباً كاملاً، أي استيعاب أطروحة الإسلام حول الإنسان كيف يجب أن يكون ؟ وكيف يجب أن يسير، ومع من يجب أن يحارب، وضد من يجب أن يناضل ؟ والخلاصة ما هو طريق الانسان وكيف يبني حياته، الى آخر ذلك^(٢)

١ كرامات السيدة زينب عليها السلام ص ١٦٠ .

٢ الحركات الاسلامية في القرن الرابع عشر / ص ١١٣ .

الخلاصة :

لما كانت القيادة هي القدرة على التأثير على الأفراد لتوجيههم لإنجاز هدف ما، ولما كانت القيادة أيضاً مسؤولية يتحملها القائد للوصول بأتباعه الى تحقيق الهدف وبأكمل وجه؛ ولأنها تستوجب التواصل بين القائد والقاعدة بما يحقق أفضل انتاج فقد قرر الحسين عليه السلام القائد الرباني الأوّل لمسيرة عاشوراء أن يعطي الراية بعده إلى السيدة زينب عليها السلام لما تمثله من مقومات القيادة من (إيمان عميق، وشجاعة فائقة، وصبر عظيم، وبعد نظر، وبديهة حاضرة، و استعداد عميق للتضحية في سبيل اعلاء الدين؛ ولأنها عليها السلام عالمة بالدين، وأموره مستوفية لأيدولوجية الإسلام في الواقع العملي، والعلمي والسياسي....).

و لم تكن هذه المؤهلات فقط التي دعت الحسين عليه السلام لأن يسلم الراية الى زينب عليها السلام بل كان البعد الإلهي حاضراً، منذ بدء المسير اذا ما اقرنا التخطيط الإلهي لعاشوراء - حين قال الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية ومن معه: (قد شاء الله أن يراهن سبايا)^(١) لأن رسالة عاشوراء كانت تتكون من شقين لا غنى لأحدهما عن الآخر (كما كانت العلاقة بين الحسين عليه السلام و زينب الحوراء عليها السلام)، تمثّل الشق الأوّل باستشهاد الحسين عليه السلام و من معه في أرض عاشوراء بعد الحجّة والاعذار الذي استنفذه الإمام الحسين ناصحاً
ثائراً - .

١ مقتل الحسين للعلامة المكرم ص ١٧٠ .

وكان الشق الثاني ما مثَّله قيادة الحوراء عليها السلام لركب عاشوراء فلم يكن الأمر مجرد نساء تسبى و تقاد قود الأسارى بل كان مسيرة أمة أعادت الحوراء عليها السلام رسم معالمها.

لقد حوّلت الحوراء عليها السلام كما هو المخطط الالهي مسير السبي الى جولة اعلامية تعبوية، فضحت فيها ما قام به النظام اليزيدي المستبد (في وقت كانت السلطة الأموية بإعلامها المضلل - وكما حاولت أن تفعل - قادرة أن تدفن الحسين (والاسلام) بكونه خارج على إمام زمانه، قتل بسيف جده ويعفو الأثر) من قتل ابن بنت رسول الله الإمام الحق، كما بينت ابتعاد الخط اليزيدي عن الإسلام وجهل الخليفة المزعوم بأبسط أمور الفقه الإسلامي (الذي هو من أهم مقومات الخليفة لدى المسلمين) لقد سار الركب في منازل السبي بدءاً من أرض الطف (كربلاء) الى الكوفة حيث أدخل الركب الى مجلس عبيد الله بن زياد، وقد كانت خطابات الحوراء عليها السلام وبنات أخيها في الكوفة في مجلس عبيد الله بن زياد وفي أهل الكوفة بمثابة سبق الصحفي لفضح سياسة الغاصبين الظالمين .

لقد تحمّلت الحوراء عليها السلام عبء قيادة عشرين امرأة ثاكلة، وابتام فقدوا آباءهم واخوانهم واعمامهم.

إنّ الدور القيادي لم يكن بقيادة مجموعة من الأفراد للوصول الى الهدف، بل كان قيادة الأمة للعودة الى حضيرة الإسلام، استطاعت الحوراء عليها السلام من خلال مراحل السبي أن تحول دفة القيادة من أيدي بني أمية الى آل

البيت، وحوّلت الرأي العام من مضلل لا يعرف الحق أو مناصر للسلطة طامع الى مستبصر حائق على يزيد أو ثائر معلن أو مناصر نادم على ما أقترفت يداه .

استعملت الحوراء عليها السلام الخطب الرنانة في مجالس الحكم؛ لتحطم عروش الطغاة، فها هي تقف في مجلس عبيد الله بن زياد لتقول له :
(ما رأيت إلا جميلاً)^(١).

أجل الاستشرف، كانت الحوراء تقرأ الموقف بما سيؤول اليه في الدنيا والآخرة .

رجال كتب الله -تعالى- عليهم القتل؛ لينتصروا في الدنيا، ويبقى ذكركم؛ ولينالوا في الآخرة منزلة ما كانوا لينالوها إلا أن يقتلوا في سبيل الله -سبحانه- .

ثم مرّت في المنازل منزلاً بعد منزل (الحصاة، تكريت، أعمى، دير أعور، وادي نخلة، ثمّ عبروا كحيل، جهينة، واقتربوا من الموصل ثمّ عبروا تل أعفر، جبل سنجار، ومنها إلى نصيبين في سوريا ثمّ قنسرين ثمّ إلى معرة النعمان ثم إلى شيزر، ثم كفر طاب، ثم إلى سيبور، ثم إلى حلب، (مشهد النقطة) ثم جبل الجوشن ثم حماة ثم حمص ثم بعلبك في لبنان ثم دمشق)^(٢).

١ مقتل الامام الحسين عليه السلام ومسير السبايا الشيخ الكعبي
٢ مقالات الكاتبة رملة عبد الحميد مسيرة الراكب الحسيني الزينبي .

وهي تشر العلم المحمدي، والراية العلوية، والأدب الفاطمي،
والمكارم الحسنية، والإباء الحسيني، وتنبيه الأمة إلى عظيم ما اقترف نظام
الطاغية ابن معاوية، وترفع صوتها بالحجة والبرهان، حتى استطاعت ان
تكسب الرأي العام بقوة حجيتها، وعظيم مزيتها، وثباتة جأشها، حتى
أنَّ الناس في بعض المنازل لم يسمحوا لجيش الطاغية بالدخول، وفي منازل
أخرى كانوا يستقبلون أهل البيت- صلوات الله عليهم- استقبال الأبطال .
لقد حولت السيدة زينب عليها السلام النصر العسكري المادي ليزيد الى
هزيمة سياسية كبرى، وجعلت الرأي العام يemor في انتظار شرارة البدء .

لقد تحملت ابنة امير المؤمنين مسؤولية الأمة، وقيادة أفرادها نحو الحفاظ على
الدين، وما كان ذلك إلاَّ اتماماً للمشروع الحسيني الإلهي في إعادة الدين الى
سابق عهده أيام حياة رسول الله- صلى الله عليه وآله- لذا استعملت سلطة
الحق؛ لتوجه الاتباع الى الانقلاب على الحكومة الظالمة، وفضح مكائدها،
حتى وصل الأمر الذروة بوقوفها أمام طاغية عصرها، بعد أن قدّمت نفسها
ومن معها مؤنبة يزيد (أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائك واماءك
وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟ ..)

لقد دمرت الحوراء عليها السلام كبرياء الخليفة المزعوم، وأعلمته ومن حضر
انه ابن الطلقاء، وانها ومن معها أبناء رسول الله- صلى الله عليه وآله-؛ لترفع
بذلك غشاوة الزيف الأموي عن أبصار المجتمع الشامي الذي طالما جهد بنو
أمية في تضليله .

ثم انبرت بقوة القائد الظافر وعزيمة المنتصر الواثق؛ لتسخر من يزيد ومكره

(فكّد كيدك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيننا، ولا تدرك امدنا، ولا تدحض عارها)^(١).

لقد حوّلت الحوراء ألم القلب، وجراح الفؤاد الى نشوة نصر كبير يتخطى حدود الزمان والمكان؛ ليحفظ الدين، ويوصل الاسلام وصوت الحسين الى القادمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا بالضبط ما أرادته الحسين عليها السلام يوم أخرج النساء والأطفال معه (فلو لم تكن الرحلة الزينية فمن كان سيخبر المعاصرين بقتل الحسين، ومن كان سيفضح الزيف الأموي على مرّ السنين، لو كانت الحوراء بكلّ قواها تبكي الحسين دون خروجها معه وبيكي معها سكان المدينة لما استطاعت أن توصل الرسالة، لكنه التخطيط الالهي ان تنطلق ثورة زينب عليها السلام بعد استشهاد الحسين عليه السلام مباشرة حاملة نفس الراية لكنها مصبوغة بدم شهادة الحسين، لتجول الأمصار، وتخبّر الحاضرين بقتل الحسين، وذبّ الحسين، ودين الحسين، وانتهاء الحسين).

هكذا خرجت زينب مع الحسين كقائد مناب ثمّ استلمت الراية بعد استشهادها حتى الرجوع الى المدينة الى ان شفي الامام السجاد، كانت الصوت الاعلى الذي خشيه بنو امية و نفوه .

هكذا هي القيادة ترسم الأهداف، وتعيها، وتحفظها، وتجمع الاتباع، وتحفظهم، وترشدهم؛ لتحوّلكم إلى بركان يجتاز المسافات، ويقلع عروش الطغاة .

الاستنتاج:

١. الحوراء عليها السلام شخصية إسلامية عالية الرتبة، تأتي في المرحلة الثانية بعد المعصومين الأربعة عشر فهي الصّديقة الصّغرى، والمعصومة بالعصمة الأفعالية، والعالمة غير المعلمة .
٢. امتلكت الحوراء عليها السلام لكل صفات القائد الجامع لكلّ صنوف القواد فهي القائد المعلم والمستشار والقاضي والمتحدث، وقد حوت صفات القائد النّاجح التي حدّدها علم بناء القدرات وتطوير الذات وصفات القائد الإسلامي الرباني .
٣. حققت الحوراء هدف التخطيط الإلهي لمسيرة عاشوراء بإكمال الثورة الحسينية، وتبليغها الى المجتمع، وفضح المتجاوزين على الدين، المتسلطين على رقاب المسلمين، ووضعت حجر الأساس لكلّ الثورات التي قامت ضد بني أمية بعد استشهاد الحسين عليه السلام .
٤. حملت الحوراء نبوة الانتصار الأوّل، وبشّرت بها، وها نحن اليوم نرى علم الحسين عليه السلام قد رفع في (الطف رغم اجتهاد أئمة الكفر والظلال على محوه وطمسه) .
٥. لم يكن قيام الحوراء بالدور الموكل إليها إلا صورة من صور احترام الإسلام للمرأة، وأتمها حاملة الرسالة كما الرجال، وهذا هو الفكر الإسلامي الذي مثلّ الثنائية الحسينية في كلّ مراحلها الحرجة [في البدء كانت خديجة الكبرى عليها السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم كانت الزهراء مع أمير المؤمنين، ثم الحوراء عليها السلام مع الحسين عليه السلام] في كل منحنى يفتح الإسلام نافذة عبر امرأة رسالية .

الملخص

القيادة: هي عملية إلهام الأفراد ليقدموا أفضل ما لديهم لتحقيق النتائج المرجوة، وتتعلق بتوجيه الأفراد في الاتجاه السليم والحصول على التزامهم، وتحفيزهم لتحقيق الهدف .

والقائد: هو ذلك الشخص الذي يستخدم نفوذه وقوته وكل ما أوتي من سلطان ليؤثر على سلوك الأفراد بغية إنجاز أهداف محددة .

وللقائد النّاجح صفات لا بد أن يتّصف بها كالإيمان بالمهمة، والشعور بالسلطة، والهدوء، وضبط النفس، والبداهة والمبادرة في أخذ القرار، والانضباط، والتواضع، والواقعية ...

كما أنّ هناك سمات للشخصية القيادية تتمثل بامتلاك قدر من الطاقة العصبية والبدنية، وكذلك القدرة على رؤية وبلورة الهدف الجماعي، والثقة المتبادلة بين القائد والأتباع، والجاذبية الشخصية (الكاريزما) .

وكانت القيادة الزينية مخططاً إلهياً علّمه الحسين عليه السلام وعمل على تنفيذه ومهد له بقوله عليه السلام: (شاء الله أن يراهنّ سبايا) .

واستلمت السيدة زينب عليها السلام راية قيادة الركب باستشهاد الحسين عليه السلام ظهر عاشوراء وعملت بكل جدّ ومثابرة في الحفاظ على متعلقيها (مرؤوسيهـا) ووجهتهم جميعاً لجعل مراحل السبي ومنازله ميداناً للتعبئة الجماهيرية ضد الطاغية ونظامه، واستطاعت أن تحوّل الانكسار العسكري لنصر استراتيجي ممتد ما دامت الأرض .

لقد مثلت الحوراء كل صفات القائد النَّاجح، وحققت أعظم النتائج بوقوفها في مجالس الطغاة وفضحهم وردعهم وإظهار عجزهم وخروجهم من الدين، لقد حولت الميدان من أيدي السلطان الغاشم الى ساحة غليان وثورات متعاقبة انتهت بسقوط الدولة الأموية الغاصبة .

كان هدف الثورة الحسينية الإصلاح، بعد أن انحرفت الدولة الأموية عن نهج الرسالة المحمدية، وكان هذا الإصلاح يتمثل بإعادة خلافة رسول الله الى الحسين عليه السلام، كما اتفق معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام في الصلح الذي عقده معه او على الأقل فضح يزيد ومعاوية وتجاوزهما على الدين، وهذا ما حققته الحوراء عليها السلام وركبها الحسيني -الزينبي .

لقد كان الدور القيادي للسيدة الحوراء عليها السلام فتحا «إسلامياً» عالمياً، أكد على النظرة العالية التي ينظرها الاسلام للمرأة كونها عضواً «فاعلاً» في المجتمع في ميدان التطبيق والعمل بالإضافة الى الحقائق النظرية التي طالما أكد عليها الإسلام والبعد الإلهي للتكليف الزينبي في إرساء قواعد النهضة العاشورائية والنصر الحسيني الدائم.

المصادر:

- ١- النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام / تأليف الشيخ علي الفتلاوي.
- ٢- الأئمة الاثنا عشر سيرة وتاريخ / الإمام الشيخ محمد حسن آل ياسين.
- ٣- منتهى الآمال / للشيخ عباس القمي.
- ٤- كرامات السيدة زينب عليها السلام / علي الابراهيمي.
- ٥- سلو زينب عن مصائبها / أبو الفضل الكاشاني.
- ٦- الحسين عليه السلام وبطلة كربلاء عليها السلام / العلامة الشيخ محمد جواد مغنية.
- ٧- زينب الكبرى من المهدي الى اللحد / سيد محمد كاظم القزويني.
- ٨- اعلام الهداية الامام الحسين عليه السلام / المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام.
- ٩- الاحتجاج / العالم الفقيه ابي منصور احمد الطبرسي.
- ١٠ - جلاء العيون / العلامة الكبير السيد عبد الله شبر .
- ١١ - مقتل الحسين عليه السلام / العلامة السيد عبد الرزاق المكرم .
- ١٢ - نساء حول الحسين عليه السلام / سعيد رشيد زمزم .
- ١٣ - في رحاب الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء / الشيخ محمد مهدي الأصفي
- ١٤ - الحسين والوفاية / جلال معاش .
- ١٥ - كلمه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم / السيد حسن الشيرازي .
- ١٦ - من حياة الإمام الحسين عليه السلام / السيد محمد الشيرازي .
- ١٧ - مقتل الإمام الحسين عليه السلام ومسير السبايا / الشيخ عبد الزهراء الكعبي .
- ١٨ - معالم التربية الإسلامية / السيد محمد تقي المدرسي .
- ١٩ - السيدة زينب عليها السلام / رائدة الجهاد في الإسلام باقر شريف القرشي .
- ٢٠ - حياة الإمام الحسين عليه السلام / باقر شريف القرشي .
- ٢١ - فاجعة الطف أبعادها ثمرااتها توقيتها / السيد محمد سعيد الحكيم .
- ٢٢ - الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري / الشيخ مرتضى مطهري .

منهاج الفكر الزينبي في إبراز القضية الحسينية وكشف الحقائق حول الادعاءات الباطلة (دراسة وتحليل)

٢٢

رباب حميد / العراق - واسط

ملخص البحث

هذه دراسة تبحث عن أهم وأبرز المواقف والخطابات التي قامت بها السيدة زينب عليها السلام في كربلاء بعد العاشر من محرم لتبيان كذب الادعاءات الأموية في انتصارهم، وتكشف الزيف والخديعة في السياسة الحكومية لبني أمية حتى يتضح للقراء المعنى الحقيقي لانتصار الحسين وإن كان مقتولاً .
وقد عمد البحث في مرحلة جمع المصادر إلى قراءة شبه كاملة لمتون المرويّات المأخوذة من الكتب وأمّهاتها رغم ما تطلبه ذلك من وقتٍ طويلٍ وجهدٍ كبيرٍ جدًّا في البحث والاستطلاع عن أدقّ الروايات وأوثقها سندًا ومتنًا أثمر عنه توثيق دقيق لتلك الروايات؛ نجده معكوسًا في هوامش البحث الذي ذكرت المصادر القديمة الموثقة وكان بعضها من الكتب الصحيحة والمعترف بها عند الفريقين رغم العناء الشديد، والجهود الذي تطلبه ذلك.

أمّا في مرحلة الكتابة فقد عمد البحث إلى قراءة دقيقة لتلك المرويّات لأبعد الحدود ما استطاع إليه سبيلاً فضلاً عن استنطاق كلماتها للكشف عن

معانيها، وعدم الاكتفاء بالقراءة السطحية التي لا تناسب فهم مغزى الرواية وكشف المراد منها .

وأما في مرحلة عرض الكلمات، ونسجها فقد فرضت طبيعة البحث أن يكون ذلك إيجازاً كونه بحثاً تقريرياً وليس كتاباً وقد استوفى صفحاته الثلاثين كلها وبقي خلقه المزيد، والمزيد لم تحملها الصفحات عرضاً ومناقشة. ولقد عرض البحث مناهج الفكر الزينبي في كشف الحقائق، وفضح الادعاءات الباطلة وفق العناوين الآتية :

الموقف الزينبي أمام الجسد الطاهر، جوهرية الكلام الزينبي في الطريق إلى مجلس ابن زياد الإجابات النورانية عند استدعاء الظروف، الصحافة الإعلامية تتمثل في خطبة السيدة زينب في الكوفة، نتائج الخطاب الزينبي هو صحوة الضمير، إشارات دلالية للعقيلة في الشام تكشف ستار الحقائق، المرأة الشامخة امتداد المسيرة الحسينية، الخوف من الفضيحة سبب ترحيل الركب الحسيني إلى المدينة، المنتصر الحقيقي هو الإمام الحسين عليه السلام بدليل الرسالة الإعلامية، الاستنتاج النهائي من دراسة الإعلام الزينبي .



المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة والتسليم على خير الخلق
أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين .
أما بعد:

إنّ العالم أجمع والبشرية كلها، ممتنة للإمام الحسين عليه السلام بالدور العظيم
الذي قام به في واقعة الطف حيث قدم دمائه الشريفة وضحى حتّى بطفله
الرضيع عليه السلام من أجل أن يوصل رسالة الإنسانية، ويثبت قواعد الدين وفق
مبادئ التقويم الصحيح لها، وكيف لا وهو الذي قال فيه الرسول الأعظم
صلى الله عليه وآله انه مني وأنا منه .

ولو تأملنا ودققنا في كتب التاريخ التي وصلت إلينا فإننا لا نستطيع
أن ننكر الدور العظيم الذي قامت به عقيلة الهاشميين وابنة خير النساء
أجمعين فاطمة الزهراء عليها السلام بإيصال صوت الحق، ورفع ستار الظلام الذي
خبى تحته حقائق واقعة كربلاء الأليمة بمحاولات الأمويين بثتّى الطرق
ومختلف الوسائل أن يدثروها، ولكن هيهات هيهات لهم، وفي ساحات
الإعلام الهاشمي امرأة كمثل زينب عليها السلام سليلة بيت النبوة ومختلف الوحي
ومنزلة الملائكة.

ولما تقدم ذكره فقد عمدت إلى البحث في سجلات التاريخ، وما دونه من
وقائع وأحداث في معركة الطف، وأخبار الهاشميين فيها؛ ولأنّ هذه الواقعة
كانت أبرز حدث تاريخي هزّ الكون منذ بداية الخلق، وحتّى تقوم القيامة

فالمشكلة كانت هي كثرة المصادر التاريخية والمتنوعة والمدونة عند أهل العامة والخاصة ومحاولة البحث بين هذا الكم الهائل عن أكثر الكتب المعترف بها عند الجهتين في إظهار حقيقة الطف ؛ لذلك استهلكت جهداً كبيراً جداً حتى استطعت أن آخذ المرويّات، وتثبيتها حتى يكون شهادة دليّة حتمية في إثبات الوقائع الصحيحة لكربلاء ضمن منهاج العقيلة .

وان أهمية الرسالة الإعلامية التي قامت بها عقيلة الهاشميين دفعتمني إلى القيام بعمل استقراء شبه كامل لمتون المرويّات وأمهاها والتثبت من صحة سند الرواية بعلم الجرح والتعديل للبحث عن جل ما قيل في الانتصار الحسيني وفق مواقف وخطابات السيدة زينب (عليها السلام)، وأسلط الأضواء على ذلك بدليل آيات قرآنية فسرّها أهل البيت وموثقة أيضاً بتفاسير أهل العامة ولم يسلط الضوء عليها في الكتب التي ذكرت وقائع كربلاء وذلك تطلبً جهداً كبيراً جداً وبحث طويل لساعات، وأيام متواصلة أثمر عن توثيق دقيق.

إنّ روايات واقعة كربلاء الأليمة -إن صح التعبير- لما كانت كثيرة ومختلفة ومتنوعة لما بها من حدث عظيم وخطير يلهب المشاعر ويجرق القلوب ويسكب العبرات، وسفك للدماء وانتهاك للحرّمات، وأي حرّمات وأي دماء ! وهي دماء أهل البيت -عليهم السلام- وسلالة العترة ومهابط الوحي، ومختلف الرسالة ؛ توجب علينا أن نقف عليها طويلاً ونتأمل بها ونأخذ الصحيح منها ونسجله في التاريخ حتى يخط بدماء قلوب الشيعة والمحبون، فلا ينسون ذلك ماحيوا، حتى تعيقه العقول وتكنه معرفته النفوس، فلا نمر على تلك المرويّات

مرور الكرام ولا نقرا تلك الخطابات بقلقة لسان، بل نعي ذلك بالفهم
وندرکه بالقلب، ونستشعره بالنفوس ... ولقد ارتأيت في كتابة هذا البحث
في الرسائل الزينية أن اعرض له بحسب العناوين والمناهج الفكرية السامية
للعقيلة وفق ما يأتي :

الموقف الزيني أمام الجسد الطاهر

واقعة كربلاء الأليمة هي من أبرز ما جرى على الأمة الإسلامية جمعاء بعد
وفاة الرسول محمد ﷺ لقاء ما جرى فيها من ظلم كبير وسفكٍ للدماء ابتداءً
بمقتل سبط الرسول محمد الإمام الحسين عليه السلام ومحاولة إيقاف الدين الإسلامي
من خلال بث سموم وأفكار متطرفة وانتهاءً إلى التمثيل بالرأس والأجساد
الطاهرة وسبي النساء .

لكن لم يكن لهم ما أرادوا لوجود نساء قويات برزن في ساحة المواجهة
الإعلامية وبرزن خفايا ما كان خلف كواليس الواقعة الحقيقة لكربلاء ؛
ومن هذه النساء السيدة زينب عليها السلام حيث كانت الشخصية الأولى من بين
النساء اللاتي بينَّ حقيقةً الفاجعة المؤلمة ونشرنَّ للعالم أجمع كلَّ ما مرَّ به الإمام
الحسين وأهل بيته عليه السلام من ظلم وقتل وسبي؛ لترسم لهم صورة الانتصار
الحقيقي للعِرة الطاهرة عليه السلام.

كانت السيدة زينب عليها السلام ذات ملكة فكرية وإلهية وكفاءة أظهرت لجميع
العالم حقيقة ثورة كربلاء، والأبعاد الحقيقية في ما حصل هنالك من ظلم وقتل
متمثل بالفاجعة العظمى في مقتل أخيها الحسين عليه السلام بعد مقتل أهل بيتهم

وجميع أنصارهم، وقيامها بالبحث عن جسد أخيها الحسين عليه السلام بين القتلى رغم وجود الأعداء وكثرتهم؛ غير خائفة منهم، ومستجمعة كل معاني القوة والشجاعة في التحمل لإبراز آثار هذه الفاجعة، وتسليط الأضواء حولها .
ورغم إن ما شاهدته من فاجعة كانت من أشد اللحظات القاسية التي مرّت بها وهي تشاهد مصرعه حيث ورد في الروايات أنه « لم يضرب أحد في الإسلام كما ضرب الحسين فقد وجد فيه مائة وعشرون جراحة ما بين ضربة سيف وطعنة رمح، ورمية سهم حيث ^(١) » وهي هنا كانت أمام اتجاهين متضارين :

الأول : من جهة حالة ألمها، وحزنها، وانفجاعيها لصلة القرابة بينهما فهو أخيها من أمها وأبيها، وهي تحبه كثيراً وكان وصية الزهراء عليها السلام لها فكيف بها وهي ألان أمامها مذبح ! لكن في أي حالة ذبحوه، وهو عطشان تدوس الخيل عليه من كل صوب وجهة .

الثاني : إن موقع أخيها من الدين ما هو إلا امتداد للرسالة النبوية، وأنها لو ضعفت واستسلمت للصراخ والبكاء في هذه الحالة سوف يفرح الأعداء لهذا الأمر، ويعتقدون بنجاح مآربهم، وبهذا فلن يتم التركيز حول هذه الجريمة الكبرى، وينسى الناس ما حصل؛ وبما إن القتلى هم من أهل البيت فذلك يعني التشجيع على قيام الكثير من الجرائم حيث قال الإمام الحسين عليه السلام قبل واقعة الطف « أما إنكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون

١ حياة الإمام الحسين للقرشي : ٣ / ٢٨٩، نفس المهموم : ٣٥٧ .

قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي» (١)،

وبالكلام أعلاه يتضح لنا إنَّ الإمام يشير إلى أنَّ بني أمية لن يهابوا قتل أحدٍ بعد قتلهم إياه، وسوف ينتشر الظلم، وتكثر الفوضى، وتهدر دماء الأبرياء، ولن يستطيع أحد ردعهم أو الوقوف بوجه الظلم الذين يسوقون له بحجة أنهم استطاعوا بقوتهم العسكرية قتل حتى الحسين (عليه السلام) الذي كان يمتلك قوة رهيبه مشابهة لقوة أجداده؛ وهذه القضية جعلت السيدة زينب لا تستسلم لها حتى تبين إن مقتل الحسين كان لا بد أن يكون لحكمة إلهية حتى يتوقف الظلم وحتى تلتفت البشرية إلى نتيجة ظلم بني أمية متمثلاً بمقتل طفل صغير للحسين (عليه السلام) لا ذنب له، وحرمانه من الماء، وعدم الاكتفاء بكل ذلك بل ذبحه ورميه بالسهم أمام أعين والده.

لذلك عندما ذهبت عند جسد أخيها قطعت جميع أفكار بني أمية وفرحهم بأنَّ نتيجة المعركة كانت لصالحهم بقولها: (اللهم تقبَّل منا هذا القربان) (٢) فتعجب جميع من كان حاضراً من قوة ورباطة جأشها، والمعروف بأنَّ المرأة تكون دائماً رهيبة المشاعر فكيف وهي أمام حادثة عظيمة كهذه؟!، لكن العقيلة صبرت، وتحملت؛ لتكون لسان الحق الناطق باسم الثورة الحسينية، كأنها تريد أن تقول إن قتلتم أخي الإمام الحسين (عليه السلام)، فهذا أنا لسانه الناطق وصوت الحق الذي يدافع به عن قضيته التي تجسد وتمثل قضية الإنسانية بكامل معانيها ومفاهيمها.

ونشير هنا بالالتفاتة إلى أن شجاعة السيدة زينب (عليها السلام) ووقوفها أمام هذا الجمع

١ مقتل العوالم: ٩٨، نفس المهموم: ١٨٩.

٢ حياة الإمام الحسين: ٣ / ٣٠٤.

الغفير من الرجال والنساء لا يعني أن على المرأة أن تقف أمام الرجال، فكيف بعقيلة الهاشميين ومخدرة أهل البيت! ؛ لكن لشدة وعظيم وخطير ما جرى على الإسلام كله، ومحاولة طمس الثورة الحسينية بظلام الكفر الإرهابي الذي تمثل بيزيد وأعوانه كان لابد لها أن ترفع صوت الحق وتشهد العالم جميعاً أنهم ظلموا أشد أنواع الظلم على يد سياسة هذه الحكومة التي تدعي أنها من ملة الإسلام.

فكان صوت الحق، وإذاعة الخبر أمام مرآى من الناس الذين خذلوا الحسين ولم ينصروه رغم إخبارهم إياه بأنهم سوف يدافعون عنه وينضمون إلى صفه في هذه المواجهة التي كانت في سبيل الله إلا أنهم خذلوه، حيث وقفت السيدة زينب أمام هذا الجمع الغفير من الناس موقف بطولي حيث رفعت رأسها إلى السماء وقالت بصوت ملئه الحزن « يا محمداه هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة »^(١)، لتصف لهم كل الظلم الذي عانوه من بني أمية، وترسم لهم الصورة الحقيقية للسياسة الجائرة، إذ إن أعداء الدين لم يراعوا حتى حرمة يتامى الحسين رغم أنهم يدعون أنهم مسلمون ويقرؤون القرآن ولكنهم نسوا قوله تعالى ﴿أما اليتيم فلا تقهر﴾^(٢) ؛ لأنهم إذا كانوا وبحسب ما يدعون أن الحق معهم وهامهم قد قتلوا الإمام الحسين عليه السلام فما ذنب الأطفال اليتامى يضربوا بالسياط، ويقتادون من مكان إلى مكان تحرقهم أشعة الشمس وهم حفاة الإقدام .

١_ تاريخ الأمم والملوك : ٣ / ٣٣٦ .

٢_ الضحى : ٩ .

فعدما علم الناس من السيدة زينب هذا الأمر، تنبهوا وشعروا بقباحة فعلتهم الشنيئة بعدم نصرة الحسين عليه السلام ونكلهم جميع العهود والمواثيق، ولكن متى ولات حين مندم! حيث لا ينفع ندمهم، وقد ماتت ضمايرهم قبل أجسادهم لذلك لما سمعوا هذا الكلام اجهشوا بالبكاء، وأنوا أنيناً عالياً حتى كان لا يسمع صوت غير صوت البكاء والعيويل في ذلك اليوم؛ لذلك قيل في الروايات الصحيحة عن أبو مختلف قال حدثني أبو زهير العبيسي عن قرة بن قيس التميمي قال: فأبكت والله كلَّ عدو وصديق ^(١).

وهذا يجعلنا نتوصل إلى:

أولاً: إنَّ السيدة زينب خاطبت الأعداء بأن لا يفرحوا بذلك أبداً؛ لأنَّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام كان قرينة لله -تعالى- من أجل الحفاظ على القرآن والعترة، وذلك يعني انه تخطيط الهي للقضاء عليهم بصورة لم تكن تخطر على بالهم حيث قال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ^(٢)، وإذا رجعنا إلى تفاسير أهل العامة سوف نجد حديثاً عن (أبو جعفر) يقول: « واذكر، يا محمد، نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكر بك ... بإثباتك أو قتلك أو إخراجك من وطنك، حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم، فامض لأمرني في حرب من حاربك ... فإن ربك خير الماكرين بمن كفر به » ^(٣) والإمام الحسين عليه السلام ما هو إلا جزء من الرسول محمد عليه السلام وريحانته؛ حيث

١_ استشهاد الحسين: ١٤٦.

٢_ الأنفال: ٣٠.

٣_ تفسير الطبري: ١٨٠.

ورد في صحيح البخاري من كتب أهل العامة رواية بسند ينتهي إلى ابن أبي نعم، قال: « كنت شاهداً لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق، قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض و قد قتلوا ابن النبي ﷺ، و سمعت النبي ﷺ يقول: هما ریحانتاي من الدنيا» (١) .

ثانياً: المعرفة المسبقة للحسين ﷺ بكل ما سيجري عليه في واقعة كربلاء وقبوله التضحية بكل ما يملك من أجل إيقاف الظلم والقتل، غير مكترث ولا خائف من كل ذلك والمضي به قدما في سبيل رفع راية الله وإعلاء كلمة الحق .
ثالثاً: كشف الموالين الحقيقيين من الذين يدعون ذلك بقناع الخديعة والزيف في مولاتهم، حتى يكون امتحان واختبار لهم في الدنيا والفائز به هو فقط من ارتحل في صفوف الحسين ﷺ ودافع من أجل نصرته.

جوهرية الكلام الزينبي في الطريق إلى مجلس ابن زياد

إنَّ حقد الأمويين على أهل البيت -عليهم السلام- جعلهم يسIRON نساء وعيالات الحسين أسارى إلى مجلس ابن زياد وهم في حالة يرثى لها من الحزن الذي وقع في جريمة الطف العظمى، التعب والألم والجوع الذي حل بالأطفال والنساء وهم تحت أشعة الشمس المحرقة؛ حيث ظنَّ بنو أمية أنهم بفعلتهم القبيحة هذه سوف يوقفون السيدة زينب ويطفئون صوت الحق ويغلقون مسارات الإعلان عن كشف الحقيقة التي كانت تهدف عندهم

١ - صحيح البخاري: ٤ / ٨١ .

بالدرجة الأولى إلى تأسيس حكومة ظالمة لا تعرف الإنسانية همها الطمع،
وجمع الأموال والعيش في ترف الدنيا.

لكن السيدة زينب لم تترك فرصة ولا مجالاً واحداً من رحلتها في طريق
السبي حتى وصولها إلى المدينة إلا واغتنتمتها في بيان الحقائق، وإشعال مشاعر
الناس بشأن هذه القضية، وإيقاظهم من سبات طويل.

فعندما أرادوا ترحيلهم من كربلاء قرر ابن زياد أن يشعل قلب السيدة
زينب ويزيد من ألمها بأن أمر موكب السبايا أن يقتادوه أولاً إلى حيث الأجساد
الطاهرة فلما وقفت النساء أمام الأجساد جعلت السيدة زينب تنظر إلى جسد
أخيها وتقول « بأبي من لا هو غائب فيرتجي، ولا جريح فيداوى. بأبي
المهموم حتى قضى. بأبي العطشان حتى مضى »^(١)، وهنا أيضاً لم تفسح لهم
مجالاً أبداً في كل محاولاتهم للتضييق على رسالتها السامية في إيصال الحقائق؛
فلما سمع الناس ذلك الكلام اهتزت القلوب، وجرت الدموع وأصبحت
الثورة الحسينية شاهداً عينياً أمام البشرية بالدور الذي قام به الحسين من
أجل إيقاف الظلم، والوقوف بوجه الباطل.

وعندما ودّعت الرؤوس والأجساد الطاهرة التفتت التفاتة أخيرة لهم
وهي تراهم صرعى مقتولين، وهم عطاشى والجيش الأموي يقتاد نساءهم
من غير معيل ولا مدافع عنهم حيث قالت: « واغربتاه! واأخاه! وا حسيناه!
وا عباساه! وارجالاه! واضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله »^(٢)

١ _ الملهوف: ١٨١ .

٢ _ معالي السبطين: ٩٢ .

وروت لمن كان متجمهراً هناك كل ما جرى بطريقة عينية متمثلة بما يشاهدونه الآن من قيام جيش عمر ابن سعد في سبي نساء الحسين وأخذهم مقيدين إلى مجلسه ابن زياد؛ حتى تؤرخ هذه الفاجعة في التاريخ؛ ولتكون أكبر جريمة بشعة قام بها الإنسان منذ بداية الخلق، وحتى يومنا هذا حيث كانت كلماتها البليغة والفصيحة ذات أسلوب حاذق بالاسترسال في الكلام، وإيصال الحقائق؛ لتوصل أشد معاني القسوة التي يحملها الأمويون في قلوبهم واستطاعت أن تدخل إلى جميع القلوب، وتأجج العواطف .

أما تعامل الجيش المأمور بسبي النساء فقد كان في منتهى القسوة وكيف لا وهم أعداء أهل بيت النبوة حيث وصل بهم الأمر بالخسة والدناءة أن أمر عمر بن سعد قواته بأن يحملوا النساء على خشبة سنام الجمل، وهم من غير حجاب فلما سمعت السيدة زينب عليها السلام منهم هذا الكلام قالت لعمر: «سود الله وجهك يا بن سعد في الدنيا والآخرة! تأمر هؤلاء القوم بأن يركبونا ونحن ودائع رسول الله؟ فقل لهم: يتباعدوا عنا، يركب بعضنا بعضاً» ^(١) ولم تترك لهم المجال في ذلك أبداً إذ بينت فعلتهم في خطبتها التي ألقته في الكوفة والتي سير ذكرها في ما بعد، كشفت من خلالها الحقارة في تعاملهم مع النساء والأطفال الذين لا ذنب لهم وهذا ما ينافي مبادئ الدين والإسلام الإنسانية والأخلاقية.

١ _ الإيقاد: ١٤٠، والمهوف: ١٨١ .

الإجابات النورانية عند استدعاء الظروف

عندما وصلت السيدة زينب وبقية النساء وأطفال الحسين إلى الكوفة أدخلوهم على مجلس ابن زياد؛ ولأنه يعلم أنها لن تترك الإدلاء بشهادتها عمد إلى المحاولة بأن يضعف من قوتها، وأن يستفزها كونه يدرك جيداً بأن السيدة زينب ذات علم وفطنة، وأنها لو تكلمت سوف تفشل كل مخططات الدولة الأموية لذلك أشار لها أمام الملاء أجمع بقوله « من هذه الجلاسة؟ »^(١) رغم أنه على دراية بأنها السيدة زينب لكن أفكاره الشيطانية كانت تصب في إظهارها بموقف محرج منكسرة أمام جمع غفير من الناس، وقوات الجيش، والشرطة، وقادة العسكر .

فما كان من حكمتها إلا أن لا ترد على سؤاله، واستصغرته وقللت من قيمته كون عدو الله أولاً، وعدو الرسول ثانياً فأضطر إلى إعادة السؤال مرّة ثانية، وثالثة، ولم تجبه أيضاً فأصبح هو بالموقف الذي كان يريد أن يجعلها به فلما لم ترد السيدة زينب عليه قامت إحدى النساء الموجودات من السبايا وأجابته بقولها « هذه زينب ابنة فاطمة بنت رسول الله »، فغضب ابن زياد لحطها من قدره أمام هذا الجمع، وتشمّت بها وقال: « الحمد لله الذي فضحككم، وقتلكم، وأكذب أحدو ثتكم »^(٢) فكان رد السيدة زينب: « الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا من الرجس تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله »^(٣)،

١- الكامل في التاريخ : ٤ / ٨١ .

٢- المرأة العظيمة : ٢٢٤ .

٣- نفس المصدر السابق : ٢٢٥ .

فقال لها وهو يشتعل من الغضب لردها الحكيم « كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟ »^(١) فكان جواب السيدة زينب « ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه، وتحتصمون عنده فانظر لمن الفلج يومئذ »^(٢) .

وكلُّ هذه الأجوبة أمام هذا الجمع الغفير وضَّحت الحقائق التي كانت تتبادر إلى أذهان الناس وفق ما يأتي :

أولاً: الحكمة والمنطق العميق عندما وصفت كلامه بأنه كذب وافتراء على أهل بيت النبوة، وأنَّ ابن زياد ويزيد وأعوانهم عبارة عن فساق وفجرة خارجين عن ملة الدين، ويستطيع الناس العودة بذلك والتمييز من صحة كلامها من خلال القران الكريم فالفاجر في الكتاب مذموم كونه انتهك حرمانات الله وذلك في قوله -تعالى-: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾^(٣) حيث ورد في تفسير البرهان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: إِنَّ الْمُتَّقِينَ هُمُ الَّذِينَ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَطَاعُوهُ، وَمَنْ ضَمَّنْهُمْ الْإِمَامَ عَلِيَّ ^(٤) فَكَيْفَ بَابْنِهِ وَسَبَطَ الرَّسُولَ؟! فهو حتماً من المتقين المذكورين في القرآن وأما ابن زياد وأعوانه فقد انتهكوا حرمانات الله وهو فاجر.

ثانياً: الإشارة إلى إن مقتل الحسين كان بأمر الله وإرادته؛ لأنه زرع أوهاماً

١- زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحد: ٣٤٨ .

٢ بحار الأنوار: ٤٥ / ١١٧، ومقتل العوالم: ٣٨٤ .

٣- ص: ٢٨ .

٤- انظر تفسير البرهان: ٤٧٦ / ٦ .

غير صحيحة في عقول الناس ببث أفكار خبيثة تتساءل حول كيف يكون الحسين حبيب الله، ولا ينصره، ويجعله مقتولاً هو وأطفاله ! بل وكيف لا تحصل لهم معجزة مثلما يدعون لتوضح له هنا إن الله - سبحانه - كان من الممكن أن ينقذ الحسين لكن أبا عبد الله اختار التضحية في سبيله من أجل الرسالة الإنسانية فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال « أنزل الله تعالى النصر على الحسين عليه السلام حتى كان ما بين السماء والأرض ثم خير: النصر، أو لقاء الله، فاختار لقاء الله تعالى »^(١)، فهنا التفاتة توضيحية للعقيلة ذات أبعاد متعددة في تبيان المغزى الحقيقي لاستشهاد الحسين؛ فاستشاط ابن زياد غضباً من هذا الجواب الصاعق .

وانه لولا الضرورة التي اقتضت تبيان هذه الحقائق لم تكن لترد عقيلة الهاشميين السيدة زينب عليها السلام على سفاهة هذا الشخص وأسئلته المذمومة .

١ الكافي: ١ / ٢٦٠ .

الصحافة الإعلامية

تتمثل في خطبة السيدة زينب في الكوفة

إنَّ خطبة السيدة زينب في الكوفة لم تكن مجرد كلام موجه لابن زياد أو لمن كان حاضراً في مجلسه فقط، بل كانت صحافة إعلامية كبيرة على نطاقٍ واسع، خلده التاريخ، وخط بدماء قلوب الشيعة والمحبين حتى لا ينسوا ما حصل في كربلاء .

فلولا خطبتها وما أبرزته من الظلم الذي عانوه لما كان للشعائر الحسينية الوجود إلى هذا الزمان، فعند التأمّل في كلماتها بعيداً عن الفصاحة والبلاغة كونها معروفة بفصاحتها، وكيف لا وهي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام؟! فهم منبع العلم والحكمة وقال علي بن الحسين عليه السلام في حقّها: « أنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة » وهذا يعني أنّها لم تكن مجرد لسان ينطق بكلام بليغ لكشف الزيف بل كانت مسدّدة إلهياً بقوة ربّانية هائلة وعظيمة .

عندما أرادت العقيلة زينب عليها السلام أن تفتح الكلام وتبدأ الاسترسال في الخطاب السامي أوّماًت إلى هذه الجموع الغفيرة التي كانت متجمهرة في الكوفة أن اسكتوا، فلم يتكلّم منهم أحد قط، حتى إنّ الطير أصبحت تقف على رؤوسهم وهم لا يشعرون بها لشدّة القوّة الإلهية التي كانت تحيط بالسيدة زينب عليها السلام، فهدأت الضوضاء، وانحسب الكلام، وبقيت الزفرات فقط. ^(١)؛ فكان بداية نصّ خطبتها هو قولها: « الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله

١_ انظر الأمالي : ٣٢١ .

الطيبين الأخيار»^(١)، فنجدها وهي في هذا الموقف شكرت الله وحمدته على الرغم من أن الموضوع حسّاس جدًّا وأليم؛ كونه متعلق بمقتل أخيها عليه السلام.
ثم أكملت قائلة: «أمّا بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدّمعة، ولا هدأت الرّنة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثا، تتخذون أيّمانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلّا الصلف والنطف، والعجب والكذب والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة، أو كقصّة على ملحودة، ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتتحبون، أي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشارها، ولن ترخصوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترخصون، قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة ومدرة حجتكم، ومنار محجتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم. وسيد شباب أهل الجنة، ألا ساء ما تزرون، فتعساً ونكساً وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟ وأي كريمة له أبرزتم؟ وأي دم له سفكتم؟ وأي حرمة له انتهكتم؟ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَرُّوا عَلَىٰ مُجْزِئًا هَدًّا﴾^(٢) ولقد أتيتم بها خرقاء، شوهاء كطلاع الأرض، وملء السماء، أفعجبتكم أن أمطرت السماء دماً، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ

١_ الإحتجاج: ٢ / ٣٠٤ .

٢_ مريم: ١٩٠ - ٩٠ .

وَهُمْ لَا يُنصِرُونَ ﴿١١﴾، فلا يستخفونكم المهل، فإنه لا يحفره البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد»^(٢).

نجد هنا أيها القارئ أن السيدة زينب عليها السلام أرادت في هذه الخطبة أن توضح العديد من الأمور المتمثلة في ما يأتي:

الأول: التركيز على موضوع الغدر والخيانة؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام لما أقبل إلى العراق كان بطلب من أهل الكوفة حيث راسله الكثير جداً من أصحاب الخديعة وقالوا له: «أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة»^(٣)، فما كان من الإمام إلا أن هبَّ لمساعدتهم، وهذا يعني أن الإمام الحسين عليه السلام لم يتدبّر الحرب، ولم يكن يريد سفك الدماء بل كان هدفه الأساس الحفاظ على إكمال المسيرة المحمدية .

الثاني: إظهار أن جريمة واقعة الطف كانت حدث رهيب هزّ الكون، مخاطبة إياهم بأن لا يتعجبوا من إمطار السماء دماً، وتوجد في شأن هذا العديد من الروايات الموثقة، ونأخذ منها ما ورد عند أهل العامة حتى يكون دليلاً قطعي وحتمي في مظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فمنها قول زين بن عمرو الكندي، عن أم حيان، قالت: «يوم قتل الحسين أظلمت علينا ثلاثاً، ولم يمس أحد من زعفرانهم شيئاً فجعله على وجهه إلا احترق، ولم يقلب حجر بيت المقدس إلا أصبح تحته دم عيبط»^(٤).

١_ فصلت: ١٦ .

٢_ الإحتجاج: ٢ / ٣٠٤ .

٣_ الإمام الحسين سيرة ومسيرة: ١٦٨ .

٤_ تاريخ مدينة دمشق: ٣٦٢ .

الثالث: تسليط الضوء على مكانة الإمام الحسين عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله وقربه والذي قال فيه الرسول محمد صلى الله عليه وآله: « حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(١)، والموجود بسند صحيح ينتهي إلى علي العامري عند كتب أهل العامة، فهذا يعني أنهم لم يقتلوا رجل عادي بل قطعة من الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وفلذة كبده، وحببيه، وسيّد شباب أهل الجنة .

الرابع: الإشارة إلى خسة ودناءة الحكومة الأموية متمثلة بمحاولتهم انتهاك ستر كريات الرسول وحلائله وحفيداته، ومن الملاحظ إنَّ -محاولة- يعني ما استطاعوا ولم يستطيعوا ذلك أبداً؛ لأنه إذا كان قتل الحسين عليه السلام بأمر وإرادة الله -سبحانه- فالحفاظ على حجاب وستر الطاهرات أيضاً كان بأمر وإرادة الله -سبحانه- .

الخامس: استباحة القتل عندهم وسهولة سفك الدماء_ وهنا ربما تكون إشارة إلى أن دماء الحسين عليه السلام كانت جريمة خطيرة لكن لب هذه الخطورة يتمثل في دماء الطفل الرضيع عبد الله، حيث كان ذلك يمثل حدة وبشاعة هذه الجريمة؛ كونه طفل صغير لم يكمل السنة من عمره، فعندما ذبح بين يدي والده قال الإمام عليه السلام: « اللهم إني أشهدك على هؤلاء القوم فإنهم نذروا أن لا يتركوا أحداً من ذرية نبيك صلى الله عليه وآله»^(٢) _ وإذا دققنا هذا الكلام جيداً نجد أن السياسة الأموية كانت تهدف إلى قتل جميع الفروع المتبقية للرسول صلى الله عليه وآله من ذريته وأحفاده، وإشعال الفتن والمكائد حتى تستطيع أن تقضي على

١- مسند احمد : ١٧٢ / ٤ .

٢ معالي السبطين : ١ / ٤٢٤ .

الدين الإسلامي غير مفرقة بين صغير وكبير .

بعد هذه الخطبة حاول ابن زياد أن يوقف السيدة زينب عليها السلام عن إتمام خطابها، ولعلّ الروايات مختلفة بشأن ما قام به حتى يصرف ويلهي الناس عن الاستماع لها، لكن بعد التدقيق في هذا المجال، والبحث عن أبرز الروايات وأصحّها وجدت أنّ رواية أنّهم « جاؤوا بالرمح الذي عليه رأس الإمام الحسين عليه السلام وقربوه من محمل السيدة زينب عليها السلام حيث تعالت صرخات الناس: هذا رأس الحسين . . هذا رأس الحسين !!» ^(١) ممكن أن تكون أصحّها وأدقّها كونها تشير إلى:

أولاً: مظلومية الحسين عليه السلام والمتمثلة أمامهم برأسه المذبوح، وجعل أطفال الحسين عليه السلام يشاهدون ذلك الموقف المؤلم العصيب، ولم تحن قلوبهم على هؤلاء الصغار وهذا هو جلّ ما أرادت العقيلة أن تُبينه للناس بشأن سياسة الدولة . ثانياً: إنّ هدف الخطبة هو تسليط الأضواء حول انتهاك الحرمة، وبشاعة الحكومة الأموية، وكان هذا الفعل بالرغم من قساوته وتأجج مشاعر السيدة زينب عليها السلام وإنهاها الخطاب كان يصب في صالح الخطبة؛ كونه بيان ودليل واضح، حيث رأوا بأمّ أعينهم صدق كلامها الذي شرحتة عن حقارة هؤلاء القوم .

١ زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد : ٣٣٧ .

نتائج الخطاب الزينبي هو صحوة الضمير

كانت خطبة السيدة هي الشاهد الحقيقي والكتاب المؤرخ الذي سجل وقائع حادثة كربلاء بكل تفاصيلها وكانت العامل الأساس في صحوة ضمير الشعب على الرغم من أن هذه الصحوة كانت متأخرة جدًا ولا ينفع معها الندم، والحكم يومئذ لله - سبحانه وتعالى - يوم القيامة، حيث يقول الله في محكم كتابه: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾^(١).

حتى إن ابن زياد رغم ما قام به وفرحه بمقتل الحسين عليه السلام كونه يظن أن ذلك انتصار له إلا أن الخطاب الزينبي دخل إلى مسامعه، وعلم أن الحق مع أهل البيت عليهم السلام، وأنه الخاسر في النهاية، فقد ورد أنه قيل «أما قتلي الحسين فإنه إشار إلى يزيد بقتله أو قتلي، فاخترت قتله»^(٢).

أما عن جماهير الشعب فقد شعرت بأن مسؤولية مقتل الحسين عليه السلام تقع على اعتقاهم وفي رقابهم كونهم قد طلبوا منه المجيء إلى العراق ووعدوه بأن يكونوا من أنصاره والمدافعين معه في سبيل الحق، ولكن سرعان ما غدروا به ونكلوا جميع العهود لذلك عزموا بعد سماع هذه الخطبة إلى الشعور بالخزي والعار والذنب العظيم، وصمموا على الأخذ بثأره، فقد ورد عن هشام بن محمد أنه قال حدثنا أبو مخنف قال حدثني يوسف ابن يزيد عن عبد الله بن

١_ الفرقان : ٢٧ .

٢_ الكامل في التاريخ : ٢ / ٦١٢ - ١ .

عوف بن الأحمر الأزدي قال: « لما قتل الحسين بن علي، ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين عليه السلام إلى النصره وتركهم إجابته ومقتله إلى جانبهم لم ينصره، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه ففرعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وآله »^(١).

وهذا يشير إلى نقاط مهمّة وبارزة نلخصها في ما يأتي:

أولاً: إنّ هدف الثورة الحسينية الإنساني والإسلامي والأخلاقي أصبح معروفاً وواضحاً عند الناس في العراق، وتداوله الصغير قبل الكبير، وحملوا في أعناقهم عهد الأخذ بالثأر من قتلة ذريّة الرسول محمد صلى الله عليه وآله.
ثانياً: فشل المخططات الأموية في محاولة طمس معالم الدّين الإسلامي الصحيح وفق منهج الرسول والقرآن الكريم، وانقلاب النتيجة التي يتوقعون حصولها ضدهم، وخسارة مكانتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

١ مقتل الحسين: ٢٤٩.

إشارات دلالية للعقيلة

في الشام تكشف ستار الحقائق

عندما أرسل ابن زياد خبراً إلى يزيد وقال له بأنه قتل الحسين عليه السلام، وسبى نسائه، طلب منه أن يقوم بإرسال الرؤوس المقتولة والنساء والأطفال الأسرى إلى الشام حيث مركز الخلافة، فأمر ابن زياد بعض قادته بتجهيز قافلة والانطلاق بها إلى الشام ^(١).

وعندما وصل الموكب الحسيني إلى الشام كان يزيد قد اتخذ إجراءات قبل ذلك؛ لكي يصرف السيدة زينب عليها السلام عن الإدلاء بشهادتها الحقيقة في الفاجعة المؤلمة لمعركة الطف؛ لأنه يعلم جيداً أن السيدة زينب عليها السلام إذا تكلمت فسوف تفضح كل مخططاته الشيطانية، وتكشف الستار عن عباءة الأفكار الدنيئة للدستور الأموي، لذلك قام بتزيين المدينة وأمر جموع الناس بأن ينظروا إلى قافلة سبايا الحسين. فقد روي عن سهل بن سعد الساعدي قال: « خرجت إلى بيت المقدس، حتى توسطت الشام، فإذا أنا بمدينة مطردة الأنهار، كثيرة الأشجار، قد علقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول... » ^(٢)

وذلك يعني أنه أراد صرف أفكار الناس في الجانب الحقيقي لجريمته، لكن هيهات له ذلك، فعندما وصل الرأس الشريف إلى مجلس يزيد حصلت

١_ الارشاد: ٢٤٥ .

٢_ تظلم الزهراء: ٢٧٥ .

الكثير من القضايا والأمور تقتصر منها على المهم في موضوعنا لنصل إلى
إنشاد يزيد أبيات شعرية قائلاً:

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل^(١)

ومن الملاحظ أنه يريد أن يُبين للناس من خلال هذه الآيات أنه:

أولاً: قتل (القرم: الشجاع) شجعان وأقوياء أهل البيت عليهم السلام ليقول

إن جيشه وحكومته قوية حتى لا يستطيع الناس أن يتفوهوا بكلمة، وأن
يناقضوا رأيه وبذلك يصبح الجميع تحت سيطرته .

ثانياً: الافتراء على أهل البيت عليهم السلام، وتكذيب أنهم من سلالة الأنبياء،

والافتراء حتى على الرسول في صدق نبوته، ويعلل ذلك بعدم وجود خبر

مسبق لأهل البيت عليهم السلام بشأن واقعة الطف وخسارتهم المعركة بسقوطهم

صرعى وهم عطاشى .

لكن ما كان له ذلك لوجود صوت الحق الشامخ في بلاغة السيدة زينب عليها السلام

لترد عليه بأسلوب قوي، وأدلة حقيقة من القرآن الكريم، وشواهد حية

متمثلة بما سمعه هو وبقية العالم وشاهدوه في يوم العاشر من محرم، فنجد مما

قالته في خطبتها المعروفة في مجلس يزيد:

«...أظننت - يا يزيد! - حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء -

فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟

١_اعلام النساء: ١ / ٥٠٤ .

وَأَنَّ ذَلِكَ لَعَظَمَ خَطْرِكَ عِنْدَهُ؟.... حين رأيت الدنيا لك مستوثقة، والأمور متسقة، وحين صفى لك مُلكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً! أنسيت قول الله - عز وجل - : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ يُخْلَفُونَ خَيْرٌ لَأَنَّفُسَهُمْ إِنَّا نَمْلِكُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١١) (٢) .

في هذا الخطاب البليغ الذي سمعه جميع الحضور من الجماهير في مجلسه وتداوله الكثير في شتى البقاع، ومختلف الأماكن، نجد كلمات ذات مغزى ومعنى حكيم في مواجهه الأراذل تتمثل في ما يأتي:

أولاً: إنها سيف حقيقي في الدفاع عن الحق المشروع لمواجهة الظلم؛ لأنها أخبرته بدليل قطعي بأن مقتل الحسين كان زيادة في علو منزلة أخيها الإمام في الجنة، ويستطيع عامة الناس أن يلتمسوه ويتأكدوا منه وذلك من خلال القرآن بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً * فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ (٣)، حيث ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) بأن المقصود هنا هو الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) (٤)، وأما الحكمة من تلوث يزيد بدماء الإمام فهي حتى يزداد إثماً، ويحصل على أسفل درجة من النار، وليس كما يظن بأنه خير له، ويمكن العودة لشرح الآية والتماسها في كتب أهل العامة منها كتاب تفسير الطبري حيث ورد في شرح الآية أعلاه

١ - آل عمران : ١٧٨ .

٢ مشير الأحزان : ٨٠ .

٣ _ الفجر : ٢٧ _ ٣٠ .

٤ بحار الأنوار : ٤٤ : ٢١٩ .

ما نصه « وإنما يطول أعمارهم ليعملوا بالمعاصي، لا لأنه خير لهم» (١) .

ثانياً: أخرست يزيد بحيث أصبح لا يعرف كيف يجيبها، إذ إن ردها كان غير متوقع لأنه ضمن أن السيدة زينب عليها السلام لا تملك أجوبة لهذه الأسئلة، وبهذا سوف يشتت أفكار الناس بشأن هذه الثورة الحسينية.

ثالثاً: خسارة خطة يزيد في التثبيت بالحكم، ومحاولة طمس وقائع كربلاء في هذه الواقعة، وذلك نجده مؤرخاً في كثير من الروايات الصحيحة، نأخذ منها ما ورد في تاريخ الطبري بسند ينتهي إلى حبيب الجرمي، قال: « لما قتل عبيد الله بن زياد الحسين بن علي عليهما السلام وبني أبيه، بعث برؤوسهم إلى يزيد بن معاوية، فسرّ بقتلهم أولاً، وحسنت بذلك منزلة عبيد الله عنده، ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم على قتل الحسين عليه السلام» (٢) .

١_ تفسير الطبري : ٤ / ٢٦٩ .

٢_ تاريخ الطبري ٣ / ٣٦٥ .

المرأة الشاحخة

امتداد للمسيرة الحسينية

رغم كل أحداث وجراحات كربلاء، وما جرى على السيدة زينب عليها السلام في رحلتها العصبية، والمصائب التي أفجعت قلبها، لكنها مازالت مستمرة في نشر الحقائق، وتخليد واقعة كربلاء، ولم تتوان لحظة واحد في استمرارية بيان ذلك، وكان الحسين عليه السلام مشاركاً فيه أيضاً، وإن كان ميتاً؛ لأنه نور الله الساطع في أرضه وبقية العترة الطاهر.

ومن جملة ذلك معجزات تكلم الرأس الشريف أمام الملاء أجمع، وبحضور يزيد؛ لكي يقول للعالم بأنه هو من اختار لقاء الله، ومن جملة هذه المعجزات ما روي « إن رسول قيصر كان عند يزيد بن معاوية فلما رأى الرأس المقدس قام إليه وقبّله، الأمر الذي أغضب يزيد فأمر بقتله، وعندما قتل هذا الرجل سمع الجالسون صوتاً عالياً من الرأس الشريف وهو يقول (لا حول ولا قوة إلا بالله)»^(١) ونفهم من خلال هذا الحديث أموراً متعددة تصب في اتجاهين: الأول: اتجاه الدين الحقيقي بشهادة إلهية تتمثل في هيئة معجزة خارجة عن الطبيعة الكونية لأنه من غير المعقول أن يتكلم الرأس المقطوع للميت، لذلك فإن تكلم الرأس الشريف بإذن الله هو إعجاز، وما حصل في هذه الواقعة هو أمر خارج عن المألوف بحيث تعجب الناس من هذا الأمر، وأزاحوا

١_مقتل الحسين: ٣٥٥.

غشاء العمى عن أعينهم؛ لأنَّ الناس توهموا بأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم خوارج، وأنَّ نبوتهم غير صادقة بحسب ادعاء يزيد، ومن جملة الشواهد على تعجّب الناس ما ورد بأنَّ الرأس تكلم وهو يقول: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا»^(١) فأجابه رجل من عرض الناس.. رأسك أعجب يا ابن رسول الله.^(٢)

الثاني: إنَّ عقيلة الهاشميين كان لها الدور المهم والأبرز في ساحات الإعلام الحسيني، وكشف الزيف، لذلك كان هذا أحد أهم أسباب اصطحابها إلى كربلاء؛ ليشهد الناس ما قامت به حكومة بني أمية من قتل وسفك للدماء، وانتهاك للحرمات، وقتل الأبرياء وهم عطاشى مغدورون.

١_ الكهف : ٩ .

٢_ الإرشاد : ٢ / ١١٧ .

الخوف من الفضيحة

سبب ترحيل الركب الحسيني إلى المدينة

نجحت العقيلة زينب عليها السلام في خطاباتها بإرساء الرسالة الإعلامية، وتسليط الأضواء على مظلومية أهل البيت عليهم السلام فأصبح هدف الثورة الحسينية والوقائع التي جرت فيها ابتداءً من قتل الرضيع والى مقتل الإمام الحسين عليه السلام حديث البويوتات والمجالس في العراق والشام والبلدان المجاورة، حتى استطاعت أن تصل إلى أبعد من ذلك، ولما رأى يزيد أن ذلك ألب الرأي العام ضده، وأصبح جميع الناس يستقبحون فعلته الدنيئة، جعلت ذنائه وخسته أن يفكر في عرض الأموال عليهم مقابل شراء سكوتهم، فقد ورد أنه لما كان اليوم الثامن دعاهنَّ يزيد، وعرض عليهنَّ المقام، فأبينَّ، وأرادوا الرجوع إلى المدينة... وصب عليها الأموال، وقال: يا أم كلثوم، خذوا هذا المال عوض ما أصابكم فقالت أم كلثوم: «يا يزيد، ما أقل حياءك وأصلب وجهك؟! تقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم»^(١) فكان قد أغضب يزيد هذا الرد الحاسم، ولم يجد إلا أن يرحلهم إلى المدينة حتى لا تستمر الفتنة، ويخسر مكانته.

فلما وصلوا إلى المدينة بعد أن طلب من القادة ترحيلهم جعلت السيدة زينب تنشر رسالتها الإعلامية هناك لتصل بصوتها إلى جميع البشرية، فقد

١_بحار الأنوار: ٤٥ / ١٩٦ .

وردت رواية ذات سند صحيح ينتهي إلى مصعب بن عبد الله أنه قال: كانت زينب بنت علي عليها السلام وهي بالمدينة تؤلّب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين عليه السلام، فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة وحمل الناس على الأخذ بثأر الحسين وخلع يزيد، بلغ ذلك أهل المدينة، فخطبت فيهم زينب عليها السلام وصارت تؤلّبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمرو بن سعيد فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر، فكتب إليه أن فرّق بينها وبينهم، فأمر أن ينادي عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء»^(١).

وبهذا لا يمكن أن ننكر الدور العظيم والمشرف للعقيلة في إبراز القضية الحسينية، ومن التركيز على جميع كلمات الرواية المذكورة أعلاه نجد أيها القارئ ما يأتي:

أولاً: نجاح الهدف الحقيقي للثورة الحسينية، واتضح الأصل في نشأتها، والدور الذي كانت تحمله من أجل استمرار الدين، وقيام الناس بالأخذ بثأر الحسين من قتله أعداء الدين والإنسانية.

ثانياً: إبعاد الحكومة الأموية عن السلطة السياسية كونها سلطة وحكومة جائرة تبني أهدافها على الطمع والجشع وسلب حقوق الناس .

ثالثاً: تخليد الرسالة السماوية من خلال الإبقاء على منهج الرسول الصحيح من خلال عترته وذريته، والحفاظ على أهم مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي التي تقوم على أساس الاحترام والعدل، وعدم الظلم والتّصدي للباطل، والتضحية في سبيل الحق بالنفس، والأهل، والأموال، وعدم السكوت

١ أخبار الزينبات، : ١١٥ .

بوجه الانحراف الأخلاقي والديني الباطل .

الحسين هو المنتصر الحقيقي

بدليل الرسالة الإعلامية

بعد جميع خطابات السيدة زينب عليها السلام أمام جموع الناس الغفيرة وفي أماكن متفرقة، وفي بقاع شتى، يتضح لنا إنَّ المنتصر الحقيقي هو الإمام الحسين عليه السلام والعترة الطاهرة، وإنَّ الخسارة كانت لأعداء الدين الذين يتمثلون بيزيد وأعوانه وحكومتهم الجائرة التي لا تمت للعدالة المشرعة بالدستور القرآني بأية صلة .

ولكن ربما يتبادر إلى الأذهان كيف يكون المنتصر هو المقتول ؟ ! ولأننا في صدد موضوعٍ مهمٍّ فلقد التمسنا شواهد قرآنية تؤكد صحَّة كل ما سبق ذكره من خطابات وأقوال للسيدة زينب عليها السلام في تبيان أنه المنتصر الحقيقي؛ حتى لا يتبادر إلى العقول والأذهان بأنَّ النصر يجب أن يكون دائماً هو الفوز في المعركة القتالية، ومن هذه الشواهد:

أولاً: قوله -تعالى-: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ ^(١) وهذا دليل قطعي بأنَّ المنتصر، وأنَّهم قتلوهم ظلماً، وأنَّ الله -سبحانه- كتب له النصر في النهاية، والأخذ بثأره على يد الحجة القائم (عجل الله فرجه الشريف)، حيث ورد في الروايات الصحيحة والموثوقة عن الإمام الباقر عليه السلام: « في قوله تعالى قال: « هو الحسين

١_الإسراء: ٣٣ .

بن علي عليه السلام قتل مظلوماً ونحن أولياؤه، والقائم منا إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام فيقتل حتى يقال قد أسرف في القتل» ^(١)، وذلك ما أشارت إليه العقيلة في خطبتها (... خسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة ...) ^(٢) والمقصود هنا هو خسارة جميع المناصبين لعداء أهل البيت هم وكل من سيتبع، وإن طال الزمن .

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٣) ونلمسه في كتب أهل العامة أيضاً، حيث ورد في شرح تفسير الطبري قال أبو جعفر: « وهذا حصٌّ من الله المؤمنين على جهاد عدوه من أهل الكفر به على أحيانهم [جمع من حين وهو وقتٌ من الدهر مُبْهَمٌ، طال أو قصرٌ] غالبين كانوا أو مغلوبين» ^(٤)، فيعني إن الانتصار ليس شرطاً به أن يكون الغالب هو الذي ربح المعركة القتالية لصالحه، بل يكون بالفوز في الدنيا والآخرة بالأجر والثواب؛ وهذا هو ما حصل عليه الإمام الحسين عليه السلام ونلتسمه في جزء، نجده في جزء من خطبتها في مجلس يزيد إذ تقول « ... فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميم وحيننا ... والحمد لله رب العالمين، الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب

١_بحار الأنوار: ٢١٨ / ٤٤ .

٢_الملهوف: ١٩٣ .

٣_النساء: ٧٤ .

٤_الطبري: ٥٤١ / ٨ .

لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة...»^(١) وهذا يعني نجاح وانتصار الثورة الإسلامية الحسينية، فلولا تضحياته وما قدمه في سبيل الله، وسقوطه شهيداً هو وعدد كبير من أهل بيته وأصحابه ما كان ليحقق هذا الفوز والانتصار العظيم الذي مازال مذكوراً إلى يومنا، حيث ملايين الناس سنوياً بل وحتى في كل يوم يلطمونه، ويبكون عليه، ويسكبون العبرات، على هذه الفاجعة العظيمة التي حتى في كتابتي لهذا البحث أجد نفسي أمام مواقف مؤلمة تجعل دموعي تنسكب لوحدها، وكأنها تقول كيف أمكن لقلبك أن يكتب مثل هذا الكلام المؤلم!!؟ وأنتى لمشاعرك التحمل!!؟؟؛ فآه آه على السيدة زينب وهي ترى كل ذلك بأمّ عينيها، وتسمعه على ملاء من الناس، غير مكترئين لأخيها العطشان، فحسبك أيها القارئ أن لا تقف على ذكراهم وتسمعها بأذنك فقط بل اسكب العبرات، والطم الصدور، ونادي بأعلى صوتك كل يوم، يا حسين يا مظلوم يا شهيد، عليك مني السلام ما حييت أبداً.

١_ مشير الأحزان : ٨٠.

الاستنتاج النهائي

من دراسة الإعلام الزينبي

إن نجاح القضية الحسينية من خلال الروايات والشواهد التي سبق ذكرها في هذه الدراسة لمنهاج الفكر الزينبي للعقيلة عليها السلام ممكن أن نلخصه بالنقاط الآتية:

أولاً: إن المنتصر الحقيقي هو الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(١)، حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام (يعني بذلك الإمامة، جعلها الله تعالى في عقب الحسين إلى يوم القيامة)^(٢) وهذا خلاف ما أراده أعداء الدين من قتله ظناً بأن الدين الإسلامي سوف يتوقف عند مقتل سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: إن عذاب الله-تعالى- واقع لا محال على أعداء بيت النبوة، وإنه أمهلهم ليزيد في إثمهم وذنوبهم، إذ استشهدت السيدة زينب عليها السلام في خطبتها في مجلس يزيد بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمِلُّ لَهُمْ لِيَزِدُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾^(٣)

ثالثاً: إن الحكمة الإلهية اقتضت أن تخلد واقعة الطف إلى يوم القيامة .

١_ الزخرف : ٢٨ .

٢_ كمال الدين : ٣٥٩ .

٣_ آل عمران : ١٧٨ .

رابعاً: إنَّ الدين الإسلامي مرتكز على مبادئ القيم والأخلاق والإنسانية، وثورة الحسين تُمثِّل لبَّ هذه القواعد الأساسية؛ لأنَّها استنكرت الظلم، ولم ترضَ بالسكوت، وصمَّمت على محاربة كلِّ هذه المعتقدات، وهذا دليل قطعي في أنَّ هذه القضية شجَّعت جميع الشعوب والبلدان بعدم السكوت عن حقها، والوقوف ضد الظلم والاستبداد .

خامساً: إنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو إمام الجميع ولا ينحصر على فئة دون أخرى، وإنَّ ما حصل هزَّ الكون أجمع، وأمطرت السماء دمًا في كلِّ بقاع الأرض، وهذا مؤرِّخ حتى في مخطوطة بريطانية ممكن أن نرجع إليها من أجل توثيق كلامنا، حيث كتبوا باللغة الانكليزية العبارة الآتية: ((Here in ... Britain there was Bloody rain ٦٨٥))^(١) وترجمتها إلى اللغة العربية هي: ((هنا في بريطانيا كان هناك أمطار دموية عام ٦٨٥)) .

سادساً: الرَّحمة الإلهية التي حصلت عليها البشرية، إنَّ الله قد وضع له مكانه خاصة في الدين والإسلام؛ لما قام به من تضحية في سبيل الله، حيث قتل عطشاناً، وتلخَّص مظلوميته في قوله تعالى: ﴿ كهيص ﴾^(٢)، حيث ورد في تفسيرها ما ذكر عن الإمام الحجة-عجل الله تعالى فرجه- عندما سُئل عنها قال: «كهيصص فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة، والياء يزيد، وهو ظالم الحسين عليه السلام، والعين عطشه، والصاد صبره»^(٣) لذلك تميز

١- وقائع عصر الأنغلو ساكسون : ٣٨ .

٢- مريم : ١ .

٣- تفسير الصافي : ٢٧٢ / ٣ .

بمنزلة عظيمة، إذ جعل في تربته الشفاء، وعند زيارته الأجر والثواب، فقد ورد أن الإمام الصادق عليه السلام قال: « من زار قبر الحسين بن علي عليهما السلام لله وفي الله أعتقه الله من النار، وآمنه يوم الفزع الأكبر، ولم يسأل الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاه» ^(١).

سابعاً: العلة الحقيقية من وجود الإمام الحسين عليه السلام ووجودنا على كوكب الأرض، إذ إن هذه الواقعة كانت اختبار من الله - سبحانه وتعالى - ليكشف حقيقة الموالين لهم، ويختبر صبرهم في ذلك، فمن ارتحل معهم واستشهد في سبيل الله كان هو الفائز في الدنيا والآخرة، وحصل على ثواب عظيم جداً، ومن تخلف أو سكت عن الحق في الدفاع عنهم وإظهار مظلوميتهم هو الخاسر الذي يحصل على أشد العقوبات في الدنيا والآخرة، وهذا ما نلاحظه الآن، فأين الحسين عليه السلام من يزيد وأعدائه وجميع بني أمية، وشتان ما بينهم فالفرق بعد السماء عن الأرض؛ حيث أننا اليوم وفي هذا العصر والعصور السابقة نشهد الخذلان الحقيقي ليزيد وبني أمية، ونلاحظ أن منزلة أبي عبد الله عليه السلام شاحخة عالية وباقية غير مندثرة، وضريحه أصبح مناراً ومزاراً لكل المحييين، وفي قبته الذهب، وداخل صحنه الشريف تحدث البركات والمعجزات .

١- الوسائل: ٥ / ٣٨٨ .

الخاتمة

السيدة زينب عليها السلام هي سليلة بيت النبوة، وهي ابنة أمير المؤمنين عليه السلام سيد الحكمة والبلاغة، وإنَّ علينا جميعاً -صغاراً كُنَّا أو كباراً- أن نتأكّد ونرجع في حادثة كربلاء إلى منهاجها الذي رسمته لنا، وصوّرت من خلاله وقائع كربلاء الأليمة، وكل ما جرى فيها، حتى تشهد البشرية بأنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو إمام الحق، وإنَّ هذه الدنيا دار فناء، وما هي إلا أيام وتنتهي، وخير دليل على ذلك أنَّنا اليوم نكتب عن هذه الوقائع المؤلمة، ونلاحظ كيف أنَّه لم يبقَ من حكومة بني أمية ولا أموالهم شيء، فكلُّها أصبحت خراب، والذي بقي هو فقط شعار الإمام الحسين عليه السلام، ونهضته التي نجدُّها كلَّ يوم وشهر وسنة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. استشهاد الحسين، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق السيد الجميلي الناشر دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الأولى .
٢. الملهوف على قتلى الطفوف، أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ تحقيق الشيخ فارس تبريزيان مكتبة ملك، طهران، الطبعة الثالثة سنة ١٢٨٧ هـ .
٣. الإيقاد في وفيات النبي و الزهراء و الأئمة أجمعين، السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي (ت ١٣٣٤هـ)، تحقيق محمد جواد الرضوي الكشميري، الناشر منشورات الفيروز ابادي في قم، الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ .
٤. الكامل في التاريخ، علي بن محمد بن محمد ابن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن (ت ٦٣٠هـ)، المحقق أبو الفداء عبد الله القاضي، الناشر دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ .
٥. المرأة العظيمة (قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي)، الشيخ الدكتور حسن موسى الصفار (شيعي)، الناشر: دار الانتشار العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
٦. البرهان في تفسير القرآن، العلامة السيد هاشم البحراني بن سليمان بن إسماعيل (ت ١١٠٧ هـ) تحقيق : لجنة من العلماء الأخصائيين، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٦ م .
٧. أصول الكافي، ثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٩ هـ) الناشر دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥
٨. الامالي، فخر الشيعة أبي عبد الله الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد المعروف المفيد شيعي (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق حسين الأستاذ ولي علي أكبر الغفاري، الناشر دار

- التيار الجديد - دار المرتضى، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣ م .
٩. الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، سنة ١٩٦٦ م .
١٠. الإمام الحسين سيرة ومسيرة، الدكتور محمد بكر إسماعيل (ت ١٤٢٦ هـ) الناشر: دار المنار في القاهرة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦ .
١١. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبي عبد الله محمد بن محمد المعروف المفيد شيعي (ت ٤١٣هـ)، نشر وتحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥ .
١٢. أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة ١٤٠٨هـ) معاصر، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ٢٠٠٧ م .
١٣. أخبار الزينبيات، أبي الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر العبيدي العقيقي (ت ٢٧٧هـ (شيعي الناشر مطبعة مصر، الطبعة الأصلية سنة ١٩٣٣ م .
١٤. بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) تحقيق محمد الباقر البهبودي، الناشر مؤسسة الوفاء في بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ .
١٥. تفسير الصافي، محمد محسن بن مرتضى بن محمود المشهور بلقب الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق و تعليق حسين الاعلمي، الناشر مكتبة الصدر في إيران - طهران، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٥ هـ .
١٦. تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن المعروف، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر دار عالم الكتب للطباعة والنشر في الرياض، الطبعة السادسة سنة ١٤٣٤ هـ .
١٧. تظلم الزهراء عليها السلام من اهراق دماء آل العباء، السيد رضي بن نبي القزويني (ت ١١٣٤هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، منشورات الشريف الرضي قم، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ سنة .
١٨. تاريخ مدينة دمشق عليه السلام أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي

- ٥٧١ هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الناشر مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر في بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ .
١٩. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ) المحقق، أبو صهيب الكرمي، الناشر بيت الأفكار الدولية .
٢٠. حياة الإمام الحسين، باقر شريف القرشي شيعي (ت ١٤٣٣ هـ)، تحقيق الحاج محمد جواد عجبينة، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٥ هـ .
٢١. زينب الكبرى عليها السلام من المهدي إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني شيعي (ت ١٤١٥ هـ)، تحقيق السيد مصطفى القزويني، الناشر دار الغدير في إيران - قم، الطبعة المحققة سنة ١٤٢٠ هـ .
٢٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر دار ابن كثير في دمشق - بيروت الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢ هـ .
٢٣. كمال الدين وتمام النعمة، لمحمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) صححه وقدم له وعلق عليه الشيخ حسين الاعلمي الناشر منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى المحققة سنة ١٩٩١ م .
٢٤. مقتل العوالم، عبد الله بن نور الله البحراني الأصفهاني (١١٣٠ هـ)، تحقيق مدرسة الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)، الناشر مدرسة الإمام المهدي في قم المقدسة الطبعة الأولى المحققة سنة ١٤٠٧ هـ .
٢٥. مسند أحمد الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي الحنبلي (ت ٢٤١ هـ) تحقيق أحمد معبد عبد الكريم، الناشر جمعية المكنز الإسلامي - دار المنهاج مد بن حنبل إمام المذهب، سنة النشر: ١٤٢٩ هـ .
٢٦. معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين عليهما السلام محمد مهدي الحائري (ت ١٣٥٨ هـ) الناشر المكتبة المركزية في بيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٣ هـ .
٢٧. مقتل الحسين عليه السلام ومصراع أهل بيته وأصحابه، أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد

بن مخنف (ت ١٥٧هـ)، إعداد حسان عبد الله أبو صالح الناشر مكتبة الألفين -
الكويت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٧.

٢٨. مثير الأحزان، جم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلبي (ت ٥٦٤٥هـ)
(تحقيق عبد المولى الطريحي، منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الطبعة الأولى
سنة ١٣٦٩هـ)

٢٩. مقتل الحسين، السيد عبد الرزاق المكرم (ت ١٣٩١هـ) شيعي، تحقيق موقع معهد
الإمامين الحسينين عليه السلام لإعداد الخطباء والمبلغين، الناشر دار الكتاب الإسلامي
بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٩هـ.

٣٠. نفس المهموم في مصيبة سيدنا الحسين، الشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تقديم
السيد احمد الحسيني، الناشر دار المحجة البيضاء - دار الرسول الأكرم، الطبعة
الأولى ١٤٢١هـ.

٣١. وسائل الشيعة، لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق مؤسسة آل
البيت عليهم السلام لإحياء التراث في قم، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ.

٣٢. وقائع عصر الأنغلو ساكسون، ترجمه ونقحه ميشيل اسوانتون MICHAEL
SWANTON نشر جامعة أكستر Exeter في نيويورك، الطبعة الثانية سنة
١٩٩٨.

المحتويات

- تصدع المجتمع الإسلامي في القرن الأول للهجرة النبوية بين فكر الإمام الحسين عليه السلام وفكر (فرانسيس فوكوياما) دراسة انثروبولوجية..... ٦
- (شريف العلماء فيض من كربلاء لإعداد جيل من الفضلاء)..... ١٤
- الدفاع عن المقدسات بين يوم الطف الأعظم ويوم الحشد الأكبر
- قراءة موازنة-..... ١٨
- أيديولوجية الجماعات التي تتبنى التطرف والإرهاب وتصدي أهل البيت عليهم السلام لهم ثورة الإمام الحسين عليه السلام أنموذجا..... ٨٠
- الآخر في المنظور السلوكي والمعرفي عند الإمام الحسين عليه السلام
- (قراءة تحليلية: الأعراب أنموذجا)..... ٨٨
- الخطاب الحسيني من أنسنة الخطاب إلى تكامل الذات..... ١٤٤
- بلاغة الإعلام الزينبي وأثره في إصلاح الأمة..... ١٨٤
- دراسة تأثير الحجاب والعفاف على الكرامة الإنسانية
- للمستبصرات في المجتمع البحريني..... ٢١٠
- رؤية المأساة ومأساة الرؤية قراءة في مقالة
- السيدة زينب (عليها السلام) « ما رأيت الا جميلا»..... ٢٣٠
- مفهوم الإيثار في المنظومة الخلقية: (أبو الفضل العباس أنموذجا)..... ٢٤٦

٢٧٠	القيادة الرسالية تكوينها وتحدياتها في شخصية أبي الفضل العباس (ع)
٣١٢	الإمام الحسين (ع) والمشروع الإلهي على الأرض
٣١٨	نبذة مختصرة عن الإمام زين العابدين (ع)
٣٢٢	ثقافة المواجهة في خطاب الامام الحسين (ع) مقارنة في تأسيس وعي الجمهور
٣٥٨	أثر الكلمة الزينية في النهضة الحسينية
٣٩٤	الدور القيادي بعد استشهاد الإمام الحسين (ع) .. السيدة زينب (ع)
٤١٨	الدور القيادي للسيدة زينب (ع)
٤٤٤	القناعة قيمة تربوية في خطبة الوسيلة للإمام علي (ع)
٤٦٠	المدرسة العاشورائية في التربية الأبعاد والعبر
٤٨٠	دور النساء في النهضة الحسينية أم عبدالله (ع) أنموذجا
٥١٦	القيادة الزينية تخطيط إلهي وتنفيذ حسيني
	منهاج الفكر الزيني في إبراز القضية الحسينية وكشف الحقائق حول الادعاءات الباطلة
٥٤٨	(دراسة وتحليل)

